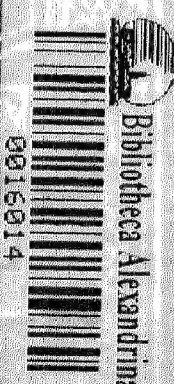


مَحْمَدُ الْحَقُولِ
عَنْ أَبِي الرَّسُولِ

وَيْلِيُّ
كِتَابِ التَّحِيَّاتِ
تَأليفه

السَّيِّحَةُ لَيْفَةُ الْجَلِيلِ الْأَقْدَمِ
أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَسَّانٍ شَيْخَةِ الْإِسْلَامِ
مَوْلَى كَلْبِ الْبَرْكَاتِ

منشورات
مؤسسة الأمل للطبوعات
بيروت - لبنان



تحف العقول
عن الرسول ﷺ
ألفه
الشيخ الثقة الجليل الأقدم
أبو محمد الحسن بن علي الحسيني شعبة الحراني
مجلد القرن الرابع

تقدم له وعلق عليه
الحسين الأعلم

منشورات
مؤسسة الأمل للطبوعات
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناس

الطبعة السادسة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

PUBLISHED BY

Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.

ملك الاعلي - ص.ب. ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤلف وأقوال العلماء فيه وفي كتابه

المؤلف :

هو الشيخ المحدث الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني^(١) أو الحلبي من أعلام القرن الرابع الهجري ، والمعاصر للشيخ الصدوق ابن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

كان من أعظم علماء الإمامية ، وفذاً من أفذاذها ، وعبقرياً من عباقرتها ، وفقهاً من فقهائها ، فاضل جليل ، ومحدث قدير ، ومتبحر نبیه ، رفیع المنزلة ، واسع الفضل والإطلاع ، روى عن أبي علي محمد بن همام المتوفى سنة ٣٣٦ هـ ، وأخذ عنه شيخنا المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري المولود سنة ٣٣٦ هـ ، والمتوفى سنة ٤١٣ هـ .

لم نعر على تاريخ ولادة المؤلف ولا تاريخ وفاته ، رغم أنه كان من العلماء البارزين ، بل كل من ترجم له في جميع كتب التراجم اقتصر على قوله : كان معاصراً للشيخ الصدوق ، وروى عن أبي همام ، وعنه الشيخ المفيد ، ومن ذلك يظهر أنه كان من أعلام القرن الرابع الهجري .

(١) حران بتشديد الراء : مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل - الشام - الروم بينها وبين الرقة يومان ، معجم البلدان للحموي حرف الحاء .

أقوال العلماء فيه :

قال الشيخ الحر العاملي في كتابه «أمل الآمل» : أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة ، فاضل محدث جليل .

وقال العلامة المجلسي «ره» في الفصل الثالث من مقدمة البحار بعد ذكره لكتاب تحف العقول ؛ عثرنا على كتاب عتيق ، ونظمه دل على رفعة شأن مؤلفه وأكثره في المواعظ والأصول المعلومة التي لا تحتاج فيها إلى سند .

وذكره المولى عبد الله أفندي «ره» في كتابه رياض العلماء ، فقال : الفاضل العالم الفقيه المحدث المعروف صاحب كتاب تحف العقول .

وذكره الشيخ الجليل العارف الرباني الشيخ علي بن الحسين بن صادق البحراني «ره» في رسالته : (الأخلاق والسلوك إلى الله على طريقة أهل البيت عليهم السلام) فقال : ويعجبني أن أنقل في هذا الباب حديثاً عجيباً وافياً شافياً عثرت عليه في كتاب (تحف العقول) للفاضل النزيل الحسن بن شعبة من قدماء أصحابنا حتى أن شيخنا المفيد رحمه الله ينقل عن هذا الكتاب ، وهو كتاب لم يسمح الدهر بمثله ، ويفهم من ذلك تقدم عصره على عصر الشيخ المفيد .

وقال العلامة المحدث الخونساري في كتابه (روضات الجنات ص ١٧٧) من طبع إيران القديم : الشيخ المحدث الجليل الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني أو الحلبي فاضل فقيه ومتبحر نبیه ومرتفع وجیه ، له كتاب : تحف العقول عن آل الرسول ، مبسوط كثير الفوائد ، معتمد عليه عند الأصحاب ، أورد فيه جملة وافية ، من النبويات ، وأخبار الأئمة عليهم السلام ، ومواعظهم الشافية ، على الترتيب ، وفي آخره أيضاً القدسيان المبسوطان المعروفان الموحى بهما إلى موسى وعيسى بن مريم عليهما السلام ، في الحكم والنصائح البالغة الإلهية ، وباب في بعض مواعظ المسيح الواقعة في الإنجيل ، وآخر في وصية المفضل بن عمر للشيعة ، كما قال في خطبة الموصوف ، [وأتيت على ترتيب مقامات الحجج عليهم السلام ، وأتبعتها بأربع وصايا شاكلت الكتاب ووافقت معناه وأسقطت الأسانيد تخفيفاً وإيجازاً ، وإن كان أكثره لي سماعاً ، ولأن أكثره آداب وحكم تشهد لأنفسها ، ولم أجمع ذلك للمنكر المخالف بل ألفتها للمسلم للأئمة العارف بحقهم الراضي بقولهم ، الراد إليهم ، وهذه المعاني أكثر من

أن يحيط بها حصر وأوسع من أن يقع عليها حظر ، وفيما ذكرناه مقنع لمن كان له قلب ، وكافٍ لمن كان له لب . وفي هذه الجملة أيضاً من الدلالة على غاية اعتبار الكتاب ما لا يخفى ، مضافاً إلى أن غالب مراسلاته بطريق إسناد السند ، والإسناد إلى قول الحجة عليه السلام دون إبهام الراوي ، وهو ظاهر في أخبار الجازم ، ويجعل الخبر مظنون الصدق فيلحقه بأقسام الصحيح ، وله أيضاً كتاب التمهيد ، مختصر في ذكر أخبار ابتلاء المؤمن كما نسبته إليه الشيخ إبراهيم القطيفي في كتاب (الفرقة الناجية) مكرراً من بعد ما وصفه فيها بالفضل والعلم والعمل ، والفقه والنباهة وتبعه في هذه النسبة أيضاً صاحب المجالس ، والرياض ، وشرح الزيارة الجامعة .

قال السيد حسن الصدر في كتابه «تأسيس الشيعة» ص ٤١٣ ما نصّه : الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني رضي الله عنه ، شيخنا الأقدم ، وإمامنا الأعظم له كتاب تحف العقول فيما جاء في الحكم والمواعظ عن آل الرسول عليهم السلام كتاب جليل لم يصنف مثله ، وختم بما وعظ الله به موسى وعيسى عليهما السلام ، وباب في مواعظ المسيح عليه السلام وكان هذا الشيخ جليل القدر عظيم المنزلة ، وله كتاب التمهيد نسبة إلى الشيخ القطيفي في كتابه ، والحر العاملي في أمل الأمل ، والمولى عبد الله في رياض العلماء .

قال شيخنا الحجة آغا بزرك المنزوي الطهراني في موسوعته : الذريعة إلى تصانيف الشيعة في حرف التاء ج ٣ ص ٤٠٠ ، تحف العقول فيما جاء من الحكم والمواعظ عن آل الرسول عليهم السلام للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني النحلي المعاصر للشيخ الصدوق الذي توفي سنة ٣٨١ هـ ، ومن مشايخ الشيخ المفيد ، كما ذكره الشيخ علي بن الحسين بن صادق البحراني في رسالته في الأخلاق قال : (إنه من قدماء أصحابنا حتى أن شيخنا المفيد «ره» ينقل عنه وكتابه مما لم يسمح الدهر بمثله) وهو يروي عن الشيخ أبي علي محمد بن همام الذي توفي سنة ٣٣٦ هـ ، كما في أول كتابه (التمهيد) حتى أن روايته عن أبي همام في أول التمهيد صارت منشأ تخيل بعض في نسبة التمهيد إلى أبي همام مع أنه لصاحب (تحف العقول) .

الكتاب مخطوطاته ومطبوعاته :

توجد نسخ من هذا الكتاب المخطوطة في بعض مكتبات إيران ، والعراق والهند

منها نسخة ثمينة مخطوطة في مكتبة والدي : الشيخ محمد الحسين الأعلمي صاحب (دائرة المعارف) الخاصة بكربلاء ، ومنها : نسخة مخطوطة في مكتبة العلامة السيد جلال الدين الأرموي المعروف بالمحدث بإيران ، ومنها نسخة مخطوطة في المكتبة العامة في عاصمة إيران - طهران المشهورة بـ «كتابخانه ملی» .

وأما مطبوعات الكتاب فقد طبع لأول مرة في إيران طبعة حجرية سنة ١٣٠٣ هـ ، وألحق به كتاب روضة الكافي للكليني ، وكتاب منهاج النجاة للفيض الكاشاني ، وكتاب كشف المحجة لابن طاووس عليه الرحمة ، ومجموع صفحات هذه الكتب الأربعة ٣٢١ ص .

وطبع للمرة الثانية بطهران أيضاً سنة ١٣٧١ هـ طبعة جديدة أنيقة في ٥٢٨ صفحة ، صححها وعلق عليها : الفاضل علي أكبر الغفاري حفظه الله .

ثم طبع بالمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف - العراق سنة ١٣٨٢ هـ في ٣٩٩ صفحة خالياً من الشروح والتعليق .

ثم طبع للمرة الرابعة بالمطبعة الإسلامية بطهران سنة ١٣٨٤ هـ في ٥٥٦ صفحة بتصحيح الأستاذ القدير علي أكبر الغفاري ، مذيبة بترجمة للكتاب باللغة الفارسية .

وأخيراً تصدرت هذه المؤسسة الثقافية لطبع الكتاب ونشره بحلة قشبية مع الحفاظ على جميع المحسنات الموجودة في الطبعات السابقة نسأل الله التوفيق إنه سميع مجيب .

محمد الحسين الأعلمي

بيروت في ١٥/٦/١٩٦٩

مقدمة المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد له من غير حاجة منه إلى حمد حامديه طريقاً من طرق الاعتراف بلاهوتيته وصمدانيته وربانيته وسبباً إلى المزيد من رحمته ومحبة^(١) للطلاب من فضله ومكن في إبطال اللفظ حقيقة الاعتراف لبر إنعامه فكان من إنعامه الحمد له على إنعامه ، فتاب الاعتراف له بأنه المنعم عن كل حمد باللفظ وإن عظم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة بزغت عن إخلاص الطوي^(٢) ونطق اللسان بها عبارة عن صدق خفي ، إنه الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنیٰ ليس كمثله شيء ، إذ كان الشيء من مشيئته وكان لا يشبهه مكنه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، استخلصه في القِدم على سائر الأمم ، على علم منه بانفراده عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس ، وانتجبه أمراً ونهاياً عنه ، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه ، إذ لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ، ولا تمثله غوامض الظنن في الأسرار ، لا إله إلا هو الملك الجبار ، وقرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته واختصه من تكرمته^(٣) بما لم يلحقه فيه أحد من بريته وهو أهل ذلك بخاصته وخلته إذ لا يختص من يشوبه التغيير ولا من يلحقه التنظير ، وأمر

(١) المحبة : جادة الطريق .

(٢) البزوغ : الطلوع ، بزغت الشمس : طلعت . والطوي : الإضممار والإستار .

(٣) من كرم أي عظم والتكريم : التعظيم .

بالصلاة عليه مزيداً في تكريمته وتطريقاً لعترته ، فصلى الله عليه وعلى آله وكرم وشرف وعظم مزيداً لا يلحقه التنفيد ولا ينقطع على التأبيد ، وإن الله تبارك وتعالى اختص لنفسه بعد نبيّه خاصة علاهم بتعليته وسماهم إلى رتبته وجعلهم إليه والأدلاء^(١) بالإرشاد عليه ، أئمة معصومين فاضلين كاملين وجعلهم الحجج على الورى ودعاة إليه ، شفعاء بإذنه ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يحكمون بأحكامه ويسنون سنته ويقيمون حدوده ويؤدون فروضه ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، صلوات الله والملائكة الأبرار على محمد وآله الأخيار .

وبعد فإني لما تأملت ما وصل إليّ من علوم نبينا ووصيه والأئمة من ولدهما صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته وأدمت النظر فيه والتدبر له علمت أنه قليل مما خرج عنهم يسير في جنب ما لم يخرج ، فوجدته مشتملاً على أمر الدين والدنيا وجامعاً للصالح العاجل والآجل ، لا يوجد الحق إلا معهم ولا يؤخذ الصواب إلا عنهم ولا يلتبس الصدق إلا منهم . ورأيت من تقدم من علماء الشيعة قد ألفوا عنهم في الحلال والحرام والفرائض والسنن ما قد كتب الله لهم ثوابه وأغنوا من بعدهم عن مؤونة التأليف وحملوا عنه ثقل التصنيف ووقفت مما انتهى إليّ من علوم السادة عليهم السلام على حكم بالغة ومواعظ شافية وترغيب فيما يبقى وتزهيد فيما يفنى ووعد ووعد وحض على مكارم الأخلاق والأفعال ونهي عن مساويهما وندب إلى الورع وحث على الزهد . ووجدت بعضهم عليهم السلام قد ذكروا جملاً من ذلك فيما طال من وصاياهم وخطبهم ورسائلهم وعهودهم ؛ وروي عنهم في مثل هذه المعاني ألفاظ قصرت وانفردت معانيها وكثرت فائدتها ولم ينته إليّ لبعض علماء الشيعة في هذه المعاني تأليف أقف عنده ولا كتاب أعتمد عليه وأستغني به يأتي على ما في نفسي منه فجمعت ما كانت هذه سبيله وأضفت إليه ما جانسه وضاهاه وشاكله وسأواه من خبر غريب أو معنى حسن متوخياً بذلك وجه الله - جل ثناؤه - وطالباً ثوابه وحاملاً لنفسه عليه ومؤدباً لها به^(٢) وحملها منه على ما فيه نجاتها شوق الثواب وخوف العقاب ، ومنهأً لي وقت الغفلة ومذكراً حين النسيان ولعله أن ينظر فيه مؤمن مخلص فما علمه منه كان له درساً وما لم يعلمه استفاده فيشركني في ثواب من علمه وعمل به ، لما فيه من أصول الدين وفروعه

(١) الأدلاء جمع دليل أو الدال وهو المرشد إلى المطلوب .

(٢) أي كنت مؤدباً لنفسي بسبب تكلم الواعظ .

وجوامع الحق وفصوله وجملة السنة وآدابها وتوقيف الأئمة وحكمها والفوائد البارة والأخبار الرائقة^(١) وأتيت على ترتيب مقامات الحجج عليهم السلام وأتبعها بأربع وصايا شاكلت الكتاب ووافقت معناه وأسقطت الأسانيد تخفيفاً وإيجازاً وإن كان أكثره لي سماعاً ولأن أكثره آداب وحكم تشهد لأنفسها ولم أجمع ذلك للمنكر المخالف بل ألفته للمسلم للأئمة ، العارف بحقهم ، الراضي بقولهم ، الراد إليهم وهذه المعاني أكثر من أن يحيط بها حصر وأوسع من أن يقع عليها حظر وفيما ذكرناه مقنع لمن كان له قلب ، وكاف لمن كان له لب .

فتأملوا معاشر شيعة المؤمنين ما قالته أئمتكم عليهم السلام وندبوا إليه وحضوا عليه وانظروا إليه بعيون قلوبكم واسمعوه بأذانها ، وعوه بما وهبه الله لكم واحتج به عليكم من العقول السليمة والأفهام الصحيحة ولا تكونوا كأندادكم^(٢) الذين يسمعون الحجج اللازمة والحكم البالغة صفحاً وينظرون فيها تصفحاً ويستجيدونها قولاً ويعجبون بها لفظاً ، فهم بالموعظة لا ينتفعون ولا فيما رغبوا يرغبون ولا عما حذروا ينزجرون ، فالحجة لهم لازمة والحسرة عليهم دائمة . بل خذوا ما ورد إليكم عمن فرض الله طاعته عليكم وتلقوا ما نقله الثقات عن السادات بالسمع والطاعة والانتهاة إليه والعمل به ، وكونوا من التقصير مشفقين وبالعجز مقرين .

واجتهدوا في طلب ما لم تعلموا واعملوا بما تعلمون ليوافق قولكم فعلكم ، فبعلومهم النجاة وبها الحياة ، فقد أقام الله بهم الحجة وأقام بمكانهم المحجة وقطع بموضعهم العذر ، فلم يدعوا الله طريقاً إلى طاعته ولا سبباً إلى مرضاته ولا سبيلاً إلى جنته إلا وقد أمروا به وندبوا إليه ودلّوا عليه وذكرّوه وعرفّوه ظاهراً وباطناً وتعريضاً وتصريحاً ولا تركوا ما يقود إلى معصية الله ويؤذي من سخطه ويقرب من عذابه إلا وقد حذّروا منه ونهوا عنه وأشاروا إليه وخوّفوا منه لئلا يكون للناس على الله حجة ، فالسعيد من وفقه الله لاتباعهم والأخذ عنهم والقبول منهم والشقي من خالفهم واتخذ من دونهم وليجة^(٣) وترك أمرهم رغبة عنه إذ كانوا العروة الوثقى وحبل الله الذي أمرنا

(١) البارعة مؤنث البارع من برع أي فاق علماً أو جمالاً أو فضيلة أو غير ذلك من الأوصاف .

والرائق من الروق : الفضل من الشيء .

(٢) التديد من الند وهو الضد والنظير - والمراد به ههنا الأول .

(٣) الوليجة : البطانة .

رسول الله ﷺ بالاعتصام والتمسك به وسفينة النجاة وولاية الأمر ، الذين فرض الله طاعتهم فقال : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(١) والصادقين الذين أمرنا بالكون معهم ، فقال : ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ .
واجتهدوا في العمل بما أمروا به صغيراً كان أو كبيراً واحذروا ما حذروا قليلاً كان أو كثيراً ، فإنه من عمل بصغار الطاعات ارتقى إلى كبارها ومن لم يجتنب قليل الذنوب ارتكب كثيراً .

وقد روي : «اتقوا المحقرات من الذنوب وهي قول العبد : ليت لا يكون لي غير هذا الذنب» . وروي : «لا تنظر إلى الذنب وصغره ولكن انظر من تعصي به ، فإنه الله العلي العظيم» . فإن الله إذا علم من عبده صحة نيته وخلوص طويته في طاعته ومحبه لمرضاته وكرامته لسخطه وفقهه وأعانه وفتح له مسامح قلبه وكان كل يوم في مزيد فإن الأعمال بالنيات .

وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال وسددنا في المقال ، وأعاننا على أمر الدنيا والدين وجعلنا الله وإياكم من الذين إذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا وإذا أسأوا استغفروا ، وجعل ما وهبه لنا من الإيمان والتوحيد له والائتمام بالأئمة مستقراً غير مستودع إنه جواد كريم .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ما روي عن النبي (ص) في طوال هذه المعاني وصيته لأُمير المؤمنين (ع)

يا علي : إن من اليقين أن لا تُرضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله ولا تذمّ أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا تصرفه كراهة كاره ، إن الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

يا علي : إنه لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل^(١) ولا وحدة أوحش من العجب ولا مظاهرة أحسن من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا عبادة كالتفكير .

يا علي : آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الفترة^(٢) وآفة السماحة المن وآفة الشجاعة البغي وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحسب الفخر .

يا علي : عليك بالصدق ولا تُخرج من فيك كذبة أبداً ولا تجترئن على خيانة أبداً ، والخوف من الله كأنك تراه ، وابذل مالك ونفسك دون دينك وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها وعليك بمساوىء الأخلاق فاجتنبها .

يا علي : أحب العمل إلى الله ثلاث خصال : من أتى الله بما افترض عليه فهو من

(١) الأعود : الأنفع ، والمظاهرة : المعاونة .

(٢) الفترة : الإنكسار والضعف وأيضاً الهدنة . وزاد في المحاسن : وآفة الحسب الفخر .

أعبد الناس ، ومن ورع من محارم الله فهو من أروع الناس ، ومن قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس

يا علي : ثلاث من مكارم الأخلاق : تصل من قطعك . وتعطي من حرمك . وتعفو عمن ظلمك .

يا علي : ثلاث منجيات : تكف لسانك . وتبكي على خطيئتك . ويسعك بيتك .

يا علي : سيد الأعمال ثلاث خصال : إنصافك الناس من نفسك . ومساواة الأخ في الله وذكر الله على كل حال .

يا علي : ثلاثة من حُلل الله^(١) : رجل زار أخاه المؤمن في الله فهو زور الله وحق على الله أن يكرم زوره ويعطيه ما سأل ، ورجل صلى ثم عقب إلى الصلاة الأخرى فهو ضيف الله وحق على الله أن يكرم ضيفه ، والحاج والمعتمر فهما وفدا الله وحق على الله أن يكرم وفده .

يا علي : ثلاث ثوابهن في الدنيا والآخرة : الحج ينفي الفقر . والصدقة تدفع البلية . وصلة الرحم تزيد في العمر .

يا علي : ثلاث من لم يكن فيه لم يقم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل . وعلم يرد به جهل السفیه . وعقل يداري به الناس .

يا علي : ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة : رجل أحب لأخيه ما أحب لنفسه . ورجل بلغه أمر فلم يقدم فيه ولم يتأخر حتى يعلم أن ذلك الأمر لله رضى أو سخط . ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يصلح ذلك العيب من نفسه ، فإنه كلما أصلح من نفسه عيباً بدا له منها آخر ، وكفى بالمرء في نفسه شغلاً .

يا علي : ثلاث من أبواب البر : سخاء النفس . وطيب الكلام . والصبر على الأذى .

يا علي : في التوراة أربع إلى جنبهن أربع : من أصبح على الدنيا حريصاً

(١) الحلل جمع الحلة - بالضم ، كقلل وقلة - وهي الثوب الساتر لجميع البدن .

أصبح وهو على الله ساخط . ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت فيه فإنما يشكو ربه . ومن أتى غنياً فتضعف له ذهب ثلثا دينه . ومن دخل النار من هذه الأمة فهو من اتخذ آيات الله هزواً ولعباً .

أربع إلى جنبهن أربع : من ملك استأثر^(١) . ومن لم يستشر يندم . كما تدين تدان . والفقر الموت الأكبر ، فقيل له : الفقر من الدينار والدرهم ؟ فقال : الفقر من الدين .

يا علي : كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين : عين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله . وعين فاضت من خشية الله .

يا علي : طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب لم يطلع على ذلك الذنب أحد غير الله .

يا علي : ثلاث موبقات ، وثلاث منجيات ، فأما الموبقات : فهوئى متبع . وشح مطاع . وإعجاب المرء بنفسه . وأما المنجيات فالعدل والرضا والغضب . والقصد في الغنى والفقر . وخوف الله في السر والعلانية كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

يا علي : ثلاث يحسن فيهن الكذب : المكيدة في الحرب . واعدتك زوجتك . والإصلاح بين الناس .

يا علي : ثلاث يقبح فيهن الصدق : النميمة . وإخبارك الرجل عن أهله بما يكره . وتكذيبك الرجل عن الخير .

يا علي : أربع يذهبن ضلالاً : الأكل بعد الشبع . والسراج في القمر . والزرع في الأرض السبخة . والصنيعة عند غير أهلها .

يا علي : أربع أسرع شيء عقوبة : رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إساءة . ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك . ورجل عاقدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك . ورجل تصل رحمه ويقطعها .

(١) لقد سقط لفظة يا علي من صدر الكلام . والاستئثار : الاستبداد ، يقال استأثر بالشيء : استبد به وخص به نفسه .

يا علي : أربع من يكنّ فيه كمل إسلامه : الصدق . والشكر . والحياء .
وحسن الخلق .

يا علي : قلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر وكثرة الحوائج إلى
الناس مذلة وهو الفقر الحاضر .

وصية أخرى إلى أمير المؤمنين (ع) مختصرة

يا علي : إن للمؤمن ثلاث علامات : الصيام . والصلاة . والزكاة . وإن
للمتكلف^(١) من الرجال ثلاث علامات : يتملق إذا شهد . ويغتاب إذا غاب . ويشمت
بالمصيبة . وللظالم ثلاث علامات : يقهر من دونه بالغلبة . ومن فوقه بالمعصية .
ويظاهر الظلمة . وللمرائي ثلاث علامات : ينشط إذا كان عند الناس . ويكسل إذا
كان وحده . ويحب أن يحمد في جميع الأمور . وللمنافق ثلاث علامات : إن حدّث
كذب . وإن اتّمن خان . وإن وعد أخلف . وللكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى
يفرط . ويفرط حتى يضيع . ويضيع حتى يائس . وليس ينبغي للعاقل أن يكون
شاخصاً^(٢) إلا في ثلاث : مزمة لمعاش . أو خطوة لمعاد . أو لذة في غير محرّم .

يا علي : إنه لا فقر أشد من الجهل . ولا مال أعود من العقل . ولا وحدة
أوحش من العُجب . ولا عمل كالتدبير . ولا ورع كالکف . ولا حسب كمُحسن
الخلق ، إن الكذب آفة الحديث وآفة العلم النسيان . وآفة السماحة المن .

يا علي : إذا رأيت الهلال فكبر ثلاثاً وقل : الحمد لله الذي خلّقني وخلقك
وقدّرك منازل وجعلك آية للعالمين .

يا علي : إذا نظرت في مرآة فكبر ثلاثاً وقل : اللهم كما حسّنت خلقي فحسّن
خلقي .

يا علي : إذا هالك أمر فقل : اللهم بحق محمد وآل محمد إلا فرجت عني .

(١) المتكلف : المتصنع والمتدلس والذي هو غير متصف بما يترأى به في نفس الامر .

(٢) «شاخصاً» أي ذاهباً . والمزمة مصدر من رم الشيء يرمه أي أصلحه .

قال علي عليه السلام : قلت : يا رسول الله «فتلقى آدم من ربه كلمات» ما هذه الكلمات ؟ قال : يا علي إن الله أهبط آدم بالهند وأهبط حواء بجدة والحية بإصبعها وإبليس بميسان^(١) ولم يكن في الجنة شيء أحسن من الحية والطاوس وكان للحية قوائم كقوائم البعير ، فدخل إبليس جوفها فغرَّ آدم وخدعه فغضب الله على الحية وألقى عنا قوائمها ، وقال : جعلت رزقك التراب وجعلتك تمشين على بطنك لا رحم الله من رحمك ، وغضب على الطاوس . لأنه كان دل إبليس على الشجرة ، فمسخ منه صوته ورجليه ، فمكث آدم بالهند مائة سنة ، لا يرفع رأسه إلى السماء واضعاً يده على رأسه يبكي على خطيئته فبعث الله إليه جبرائيل فقال : يا آدم الرب عز وجل يقرئك السلام ويقول : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أزوجك حواء أمتي ؟ ألم أسكنك جنتي ؟ فما هذا البكاء يا آدم ؟ تكلم بهذه الكلمات ، فإن الله قابل توبتك ، قل : سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي ، فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم .

يا علي : إذا رأيت حية في رحلك فلا تقتلها حتى تخرج عليك ثلاثاً ، فإن رأيتها الرابعة فاقتلها فإنها كافرة .

يا علي : إذا رأيت حية في طريق فاقتلها ، فاني قد اشترطت على الجن أن لا يظهروا في صورة الحيات .

يا علي : أربع خصال من الشقاء : جمود العين . وقساوة القلب . وبعده الأمل . وحب الدنيا من الشقاء .

يا علي : إذا أثني عليك في وجهك فقل : اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون .

يا علي : إذا جامعت فقل : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني فإن قضى أن يكون بينكما ولد لم يضره الشيطان أبداً .

يا علي : ابدأ بالملح واختتم ، فإن الملح شفاء من سبعين داء ، أذلها الجنون والجذام والبرص .

(١) ميسان : كورة معروفة بين البصرة وواسط والنسبة ميساني - كما في القاموس .

يا علي : أدهن بالزيت ، فإن من أدهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين ليلة .
 يا علي : لا تجامع أهلك ليلة النصف ولا ليلة الهلال ، أما رأيت المجنون يصرع في ليلة الهلال وليلة النصف كثيراً ؟
 يا علي : إذا ولد لك غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمين ، وأقم في اليسرى فإنه لا يضره الشيطان أبداً ..
 يا علي : ألا أنبتك بشر الناس ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من لا يغفر الذنب ولا يقيل العثرة ، ألا أنبتك بشر من ذلك ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من لا يؤمن شره ، ولا يرجئ خيره .

وصية له أخرى إلى أمير المؤمنين (ع)

يا علي : إياك ودخول الحمام بغير مئزر فإن من دخل الحمام بغير مئزر ملعون الناظر والمنظور إليه .
 يا علي : لا تتختم بالسبابة والوسطى ، فإنه كان يتختم قوم لوط فيهما ولا تعر الخنصر .
 يا علي : إن الله يعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يقول : يا ملائكتي عبدي هذا قد علم أنه لا يغفر الذنوب غيري ، اشهدوا أنني قد غفرت له .
 يا علي : إياك والكذب فإن الكذب يسود الوجه ، ثم يكتب عند الله كذاباً وإن الصدق يبيض الوجه ويكتب عند الله صادقاً . واعلم أن الصدق مبارك والكذب مشؤوم .
 يا علي : احذر الغيبة والنميمة ، فإن الغيبة تفطر والنميمة توجب عذاب القبر .
 يا علي : لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً من غير ضرورة ولا تجعل الله عرضة ليمينك ، فإن الله لا يرحم ولا يرعى من حلف باسمه كاذباً .
 يا علي : لا تهتم لرزق غد ، فإن كل غد يأتي رزقه .

يا علي : إياك واللجاجة ، فإن أولها جهل وآخرها ندامة .

يا علي : عليك بالسواك ، فإن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب ومجلاة للعين ، والخلال يحبك إلى الملائكة ، فإن الملائكة تتأذى بريح فم من لا يتخلل بعد الطعام .

يا علي : لا تغضب ، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم وإذا قيل لك : اتق الله فانبذ غضبك وراجع حلمك .

يا علي : احتسب بما تنفق على نفسك تجده عند الله مذكوراً .

يا علي : أحسن خلقك مع أهلك وجيرانك ومن تعاشر وتصاحب من الناس تكتب عند الله في الدرجات العلى .

يا علي : ما كرهته لنفسك فاكفه لغيرك وما أحببته لنفسك فأحببه لأخيك ، تكن عادلاً في حكمك ، مقسطاً في عدلك محبباً في أهل السماء ، مودوداً في صدور أهل الأرض لحفظ وصيتي إن شاء الله تعالى .

ومن حكمه (ص) وكلامه

في جملة خبر طويل ومساائل كثيرة سأله عنها راهبٌ يُعرف بشمعون بن لاوي بن يهودا من حوارتي عيسى عليه السلام فأجابه عن جميع ما سأل عنه على كثرته فأمن به وصدقه وكتبنا منه موضع الحاجة إليه .

ومنه قال : أخبرني عن العقل ما هو وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب وصف لي طوائفه كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن العقل عقلان من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تُعقل حارث ، فالعقل عقلان من الجهل ، وإن الله خلق العقل فقال له : أقبل ، فأقبل وقال له : أدبر فأدبر ، فقال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك ، بك أبدأ وبك أعيد ، لك الثواب وعليك العقاب ، فتشعب من العقل الحلم ومن الحلم العلم ومن العلم الرشd ومن الرشd العفاف ومن العفاف الصيانة ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة ومن الرزانة المداومة على الخير ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة

الناصح ، فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع .

فأما الحلم : فممنه ركوب الجميل وصُحبة الأبرار ورفع من الضعة ورفع من الخساسة وتشهّي الخير ويقرب صاحبه من معالي الدرجات والعفو والمهل والمعروف والصمت ، فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه .

وأما العلم ، فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً ، والجود وإن كان بخيلاً ، والمهابة وإن كان هيناً والسلامة وإن كان سقيماً والقرب وإن كان قصياً والحياء وإن كان صليفاً والرفعة وإن كان وضيعاً والشرف وإن كان رذلاً والحكمة والحظوة ، فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه ، فطوبى لمن عقل وعلم .

وأما الرشـد : فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى والمنالة^(١) والقصد والاقتصاد والثواب والكرم والمعرفة بدين الله ، فهذا ما أصاب العاقل بالرشـد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق .

وأما العفاف : فيتشعب منه الرضا والاستكانة^(٢) والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجود والسخاء ، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفاه رضى بالله ويقسمه .

وأما الصيانة : فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والإحسان والتحبب والخير واجتناء البشر ، فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة ، فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة .

وأما الحياء : فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس ، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء ، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيخته .

وأما الرزانة : فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتحصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهي عن المنكر وترك السفه ، فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة ، فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح .

(١) المنالة : إما من النول وهي العطية أو من النيل وهي الإصابة .

(٢) الاستكانة : الخضوع والمذلة . والحظ : النصيب من الخير .

وأما المداومة على الخير ، فيتشعب منه ترك الفواحش والبعد من الطيش والتحرج واليقين وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق ، فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير ، فطوبى لمن ذكر إمامه وذكر قيامه واعتبر بالفناء .

وأما كراهية الشر ، فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والإيمان بالله والتوفّر والإخلاص وترك ما لا يعنيه والمحافظة على ما ينفعه ، فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر ، فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعرض سبيل الله .

وأما طاعة الناصح ، فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومحمدة العواقب والنجاة من اللؤم والقبول والمودة والانشراح والإنصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله ، فطوبى لمن سلم من مصارع^(١) الهوى ، فهذه الخصال كلها تشعب من العقل .

قال شمعون : فأخبرني عن أعلام الجاهل ، فقال رسول الله ﷺ : إن صحبته عنك^(٢) وإن اعتزلته شتمك وإن أعطاك من عليك وإن أعطيته كفرك وإن أسرت إليه خانك وإن أسر إليك اتهمك وإن استغنى بطر وكان فظاً غليظاً وإن افتقر جحد نعمة الله ولم يتحرج وإن فرح أسرف وطغى وإن حزن آيس وإن ضحك فهق وإن بكى خار^(٣) ، يقع في الأبرار ولا يحب الله ولا يراقبه ولا يستحي من الله ولا يذكره إن أرضيته مدحك وقال فيك من الحسنة ما ليس فيك وإن سخط عليك ذهب مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك ، فهذا مجرى الجاهل .

قال : فأخبرني عن علامة الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : الإيمان والعلم والعمل . قال : فما علامة الإيمان وما علامة العلم وما علامة العمل ؟

فقال رسول الله ﷺ : أما علامة الإيمان فأربعة ، الإقرار بتوحيد الله والإيمان

(١) الصرع : الطرح على الأرض والمراد الأمور التي يصرع هوى النفس فيها .

(٢) عنك : أذاك وكلفك ما يشق عليك وأتعبك من العناء ، وهو النصب والتعب .

(٣) الفهق : الإمتلاء ، والمراد به هنا أنه فتح فاه وامتلاً من الضحك . والخوار ، صوت البقر ، والمراد أنه جزع وصاح كالبهائم .

به والإيمان بكتبه ، والإيمان برسله .

وأما علامة العلم فأربعة : العلم بالله والعلم بمحببه والعلم بفرائضه والحفظ لها حتى تؤدي .

وأما علامة العمل : فالصلاة والصوم والزكاة والإخلاص .

قال : فأخبرني عن علامة الصادق وعلامة المؤمن وعلامة الصابر وعلامة التائه وعلامة الشاكر وعلامة الصادق ، وعلامة الخاشع ، وعلامة الصالح ، وعلامة الناصح ، وعلامة الموقن وعلامة المخلص وعلامة الزاهد وعلامة البار وعلامة التقي وعلامة المتكلف وعلامة الظالم وعلامة المرائي وعلامة المنافق وعلامة الحاسد وعلامة المسرف وعلامة الغافل وعلامة الخائن وعلامة الكسلان وعلامة الكذاب وعلامة الفاسق ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : أما علامة الصادق فأربعة : يصدق في قوله ويُصدق وعد الله ووعيده ويوفي بالعهد ويجتنب الغدر .

وأما علامة المؤمن فإنه يرؤف ويفهم ويستحيي .

وأما علامة الصابر فأربعة : الصبر على المكاهر والعزم في أعمال البر والتواضع والحلم .

وأما علامة التائب فأربعة : النصيحة لله في عمله وترك الباطل ولزوم الحق والحرص على الخير .

وأما علامة الشاكر فأربعة : الشكر في النعماء والصبر في البلاء والقنوع بقسم الله ولا يحمد ولا يعظم إلا الله .

وأما علامة الخاشع فأربعة : مراقبة الله في السر والعلانية وركوب الجميل والتفكير ليوم القيامة والمناجاة لله .

وأما علامة الصالح فأربعة : يصفي قلبه ويُصلح عمله ويصلح كسبه ويصلح أموره كلها .

وأما علامة الناصح فأربعة : يقضي بالحق ويعطي الحق من نفسه ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه ولا يعتدي على أحد .

وأما علامة الموقن فسته : أيقن بالله حقاً فأمن به ، وأيقن بأن الموت حق فحذره وأيقن بأن البعث حق فخاف الفضيحة ، وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها ، وأيقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها ، وأيقن بأن الحساب حق فحاسب نفسه .

وأما علامة المخلص فأربعة : يسلم قلبه وتسلم جوارحه وبذل خيريه وكف شره .

وأما علامة الزاهد فعشرة : يزهد في المحارم ويكف نفسه ويقيم فرائض ربه فإن كان مملوكاً أحسن الطاعة وإن كان مالكاً أحسن المملكة وليس له حمية ولا حقد ، يحسن إلى من أساء إليه وينفع من ضرره ويعفو عمن ظلمه ويتواضع لحق الله .

وأما علامة البار فعشرة : يحب في الله ويبغض في الله . ويصاحب في الله ويفارق في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويعمل لله ، ويطلب إليه ويخشع خائفاً مخوفاً طاهراً مخلصاً مستحيماً مراقباً ويحسن في الله .

وأما علامة التقي فسته : يخاف الله ويحذر بطشه ويمسي ويصبح كأنه يراه ، لا تهمه الدنيا ولا يعظم عليه منها شيء لحسن خلقه .

وأما علامة المتكلف فأربعة : الجدل فيما لا يعنيه وينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويجعل همه لما لا ينجي .

وأما علامة الظالم فأربعة : يظلم من فوقه بالمعصية ويملك من دونه بالغلبة ويبغض الحق ويظهر الظلم .

وأما علامة المرائي فأربعة : يحرص في العمل لله إذا كان عنده أحد ، ويكسل إذا كان وحده ، ويحرص في كل أمره على المحمدة ، ويحسن سمته بجهده .

وأما علامة المنافق فأربعة : فاجر دخله^(١) يخالف لسانه قلبه ، وقوله فعله ، وسريته علانيته ، فويل للمنافق من النار .

وأما علامة الحاسد فأربعة : الغيبة والتملق والشماتة بالمصيبة^(٢) .

(١) الدخول محركة كفرس : الخديعة والمكر ، في القرآن ﴿لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ .

(٢) هكذا في جميع النسخ ، وقد سقطت الرابعة .

وأما علامة المسرف فأربعة : الفخر بالباطل ، ويأكل ما ليس عنده ويزهد في اصطناع المعروف ، وينكر من لا ينتفع بشيء منه .

وأما علامة الغافل فأربعة : العمى والسهو واللهو والنسيان .

وأما علامة الكسلان فأربعة : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يائس ، ويضجر .

وأما علامة الكذاب فأربعة : إن قال لم يصدق ، وإن قيل له لم يصدق ، والنميمة والبهت .

وأما علامة الفاسق فأربعة : اللهو واللغو والعدوان والبهتان .

وأما علامة الخائن فأربعة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان .

فقال شمعون : لقد شفيتني وبصرتني من عمائي ، فعلمني طرائق أهتدي بها .

فقال رسول الله ﷺ : يا شمعون إن لك أعداء يطلبونك ويقاتلونك ليسلبوا دينك من الجن والإنس ، فأما الذين من الإنس فقوم لا خلاق لهم في الآخرة ولا رغبة لهم فيما عند الله ، إنما همهم تعيير الناس بأعمالهم ، لا يعيرون أنفسهم ولا يحاذرون أعمالهم ، إن رأوك صالحاً حسدوك وقالوا : مرأى ، وإن رأوك فاسداً قالوا : لا خير فيه .

وأما أعداؤك من الجن فإبليس وجنوده ، فإذا أتاك فقال : مات ابنك ، فقل إنما خلق الأحياء ليموتوا وتدخل بضعة مني الجنة ، إنه ليسرني ، فإذا أتاك وقال : قد ذهب مالك ، فقل : الحمد لله الذي أعطى وأخذ وأذهب عني الزكاة ، فلا زكاة علي ، وإذا أتاك وقال لك : الناس يظلمونك وأنت لا تظلم ، فقل : إنما السبيل يوم القيامة على الذين يظلمون الناس (وما على المحسنين من سبيل) ، وإذا أتاك وقال لك : ما أكثر إحسانك ، يريد أن يدخلك العجب ، فقل إساءتي أكثر من إحساني . وإذا أتاك وقال لك : ما أكثر صلاتك ، فقل غفلتي أكثر من صلاتي ، وإذا قال لك : كم تعطي الناس ، فقل : ما أخذ أكثر مما أعطي . وإذا قال لك : ما أكثر من يظلمك ، فقل : من ظلمته أكثر ، وإذا أتاك وقال لك كم تعمل ، فقل : طال ما عصيت ، وإذا

أتاك وقال لك : اشرب الشراب ، فقل : لا أرتكب المعصية ، وإذا أتاك وقال لك :
ألا تحب الدنيا ؟ فقل : ما أحبها وقد اغتر بها غيري .

يا شمعون خالط الأبرار واتبع النبيين : يعقوب ويوسف وداود ، إن الله تبارك
وتعالى لما خلق السفلى فخرت وذخرت وقالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الأرض
فسطحها على ظهرها فذلت ، ثم إن الأرض فخرت وقالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق
الله الجبال ، فأثبتها على ظهرها أوتاداً من أن تميد بما عليها ، فذلت الأرض واستقرت
ثم إن الجبال فخرت على الأرض ، فشمخت واستطالت وقالت : أي شيء يغلبني ؟
فخلق الحديد ، فقطعها ، فذلت ، ثم إن الحديد فخر على الجبال وقال : أي شيء
يغلبني ؟ فخلق النار ، فأذاب الحديد ، فذل الحديد ، ثم إن النار زفرت وشهقت
وفخرت وقالت أي شيء يغلبني ؟ فخلق الماء ، فأطفأها فذلت ، ثم إن الماء فخر
وذخر ، وقال أي شيء يغلبني ؟ فخلق الريح ، فحركت أمواجه وأثارت ما في قعره
وحبسته عن مجاريه ، فذل الماء ، ثم إن الريح ، فخرت وعصفت وقالت : أي
شيء يغلبني ؟ فخلق الإنسان ، فبنى واحتال ما يستتر به من الريح وغيرها فذلت
الريح ، ثم إن الإنسان طغى وقال : من أشد مني قوة ، فخلق الموت ففهره فذل
الإنسان ، ثم إن الموت فخر في نفسه ، فقال الله عز وجل : لا تفخر فإنني ذابحك بين
الفريقين : أهل الجنة وأهل النار ، ثم لا أحييك أبداً فخاف . ثم قال : والحلم يغلب
الغضب والرحمة تغلب السخط ، والصدقة تغلب الخطيئة .

وصيته (ص) لمعاذ بن جبل

لما بعثه إلى اليمن

يا معاذ علمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة وأنزل الناس
منازلهم - خيرهم وشرهم - وأنفذ فيهم أمر الله ، ولا تحاش في أمره^(١) ، ولا ماله أحداً
فإنها ليست بولايتك ولا مالك وأد إليهم الأمانة في كل قليل وكثير ، وعليك بالرفق
والعفو في غير ترك للحق ، يقول الجاهل قد تركت من حق الله ، واعتذر إلى أهل
عملك من كل أمر خشيت أن يقع إليك منه عيب حتى يعذروك وأمت أمر الجاهلية إلا
ما سنه الإسلام .

(١) «لا تحاش» من حاش يحاش أي نزه والمراد أن لا تكثر بما تفعله ولا تخاف من أحد ،
ولا تستوحش منهم .

وأظهر أمر الإسلام كله ، صغيره وكبيره ، وليكن أكثر همك الصلاة ، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين وذكر الناس بالله واليوم الآخر ، واتبع الموعدة ، فإنه أقوى لهم على العمل بما يحب الله ، ثم بُثَّ فيهم المعلمين ، واعبد الله الذي إليه ترجع ، ولا تخف في الله لومة لائم .

وأوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ، ولين الكلام وبذل السلام ، وحفظ الجار ورحمة اليتيم وحسن العمل وقصر الأمل وحب الآخرة والجزع من الحساب ولزوم الإيمان والفقہ في القرآن ، وكظم الغيظ وخفض الجناح .

وإياك أن تشتم مسلماً ، أو تطيع آثماً ، أو تعصي إماماً عادلاً ، أو تكذب صادقاً ، أو تضدق كاذباً ، واذكر ربك عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية .

يا معاذ لولا أنني أرى ألا نلتقي إلى يوم القيامة ، لقصرت في الوصية ولكنني أرى أن لا نلتقي أبداً^(١) ، ثم اعلم يا معاذ أن أحبكم إلي من يلقاني على مثل الحال التي فارقتني عليها .

ومن كلامه (ص)

إن لكل شيء شرفاً ، وإن شرف المجالس ما استقبل به القبلة ، من أحب أن يكون أعز الناس فليتنق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده .

ثم قال : ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ومنع رفده ، وجلد عبده ، ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ، ثم قال ألا أنبئكم بشر من

(١) هذا البيان تصريح بموته ﷺ وأن معاذاً لن يراه بعد اليوم ومقامه هذا ، فإنه ﷺ ودعه وانصرف وسار معاذ إلى اليمن حتى أتى صنعاء اليمن . فمكث أربعة عشر شهراً ثم رجع إلى المدينة فلما دخلها كان رسول الله ﷺ ميتاً .

ذلك؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من يبغض الناس ويبغضونه .

إن عيسى عليه السلام ، قام خطيباً في بني إسرائيل ، فقال : يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجاهل فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تكافئو ظالماً فيبطل فضلكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة : أمر بين رُشدته ، فاتبعوه ، وأمر بين غيّه ، فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه ، فردوه إلى الله .

أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوها إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبهة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت ، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب^(١) وما بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار .

ذكره (ص) العلم والعقل والجهل

قال : تعلموا العلم ، فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبل الجنة ومؤنس في الوحدة وصاحب في الغربة ودليل على السراء وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم^(٢) وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلعتهم ، لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف وينزل الله حامله منازل الأحياء ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة .

بالعلم يُطاع الله ويُعبد وبالعلم يُعرف الله ويوحد وبه توصل الأرحام ويعرف الحلال والحرام ، والعلم أمام العقل .

والعقل يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء ، وصفة العاقل أن يحلم عمن جهل عليه ويتجاوز عمن ظلمه ويتواضع لمن هو دونه ويسابق من فوقه في طلب البر ، وإذا أراد أن يتكلم تدبر ، فإن كان خيراً تكلم فغنم وإن كان شراً سكت فسلم ، وإذا

(١) المستعتب طلب العتي : أي الاسترضاء .

(٢) ترمق أعمالهم يعني تنظر إليها وتكتسب منها فيجعلون الناس أعمالهم على طريقتهم يقال : رمقه رمقاً أطال وأدام النظر إليه .

عرضت له فتنة استعصم بالله وأمسك يده ولسانه وإذا رأى فضيلة انتهز بها ، لا يفارقه الحياء ولا يبدو منه الحرص ، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل .

وصفة الجاهل : أن يظلم من خالطه ويتعدى على من هو دونه ويتناول على من هو فوقه ، كلامه بغير تدبر ، إن تكلم أثم وإن سكت سها وإن عُرضت له فتنة سارع إليها فأردته وإن رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها ، لا يخاف ذنوبه القديمة ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب ، يتوانى عن البر ويبطئ عنه ، غير مكترث لما فاتته من ذلك أو ضيعه ، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل .

موعظة

ما لي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس ، حتى كأن الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب وكأن الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب وحتى كأن ما يسمعون من خبر الأموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سفر عما قليل إليهم راجعون تبوؤونهم أجدانهم وتأكلون تراثهم وأنتم مخلدون بعدهم ، هيهات هيهات أما يتعظ آخرهم بأولهم ، لقد جهلوا ونسوا كل موعظة في كتاب الله وأمنوا شر كل عاقبة سوء ولم يخافوا نزول فادحة ولا بوائق كل حادثة .

طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس .

طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريره وحسنت علانيته واستقامت خليقته .

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله .

طوبى لمن تواضع لله عز ذكره وزهد فيما أحل له من غير رغبة عن ستي ورفض زهرة الدنيا من غير تحول عن ستي واتبع الأخيار من عترتي من بعدي وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل المسكنة .

طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالا من غير معصية وأنفقه في غير معصية وعاد به على أهل المسكنة وجانب أهل الخيلاء والتفاخر والرغبة في الدنيا المبتدعين خلاف ستي العاملين بغير سيرتي .

طوبى لمن حسن مع الناس خلقه وبذل لهم معونته وعدل عنهم شره .

خطبته (ص) في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلِلْ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته ، وأستفتح الله بالذي هو خير أما بعد : أيها الناس ! اسمعوا مني ما أبين لكم ، فإني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا - في بلدكم هذا - . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول رباً أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة^(١) بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود^(٢) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن ازداد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ! إن الشيطان قد يشس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قد رضي بأن يُطاع فيما سوى ذلك فيما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ! ﴿إنما النسيء﴾^(٣) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤوا عدة ما حرم الله ﴿ وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ﴾ وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ﴿ ثلاثة متواليه ، وواحد فرد - ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب بين جمادي وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

(١) في أكثر نسخ الحديث حارث بن ربيعة .

(٢) المآثر جمع مآثرة وهي الأثر والفعل والعمل المتوارثة . والسدانة من السادن بكسر الدال ، خادم الكعبة . والسقاية : موضع السقي والقود محركة القصاص .

(٣) النسيء مصدر بمعنى التأخير من نسا الشيء أي أخره . والمراد تأخير أهل الجاهلية الحج . والكلام من الآية ٣٧ في سورة التوبة .

أيُّها النَّاسُ ، إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً ، حقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم وألا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهم وتهجروهم في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(١) ، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً .

أيُّها النَّاسُ ، ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ولا يحل لمؤمن ماله أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ؟ اللَّهُمَّ اشهد ؟ فلا ترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . ألا هل بلغت ؟ اللَّهُمَّ اشهد .

أيُّها النَّاسُ ، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيُّها النَّاسُ ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث . والولد للفراس وللعاشر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، ومن تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً والسَّلام عليكم ورحمة الله .

وروي عنه (ص) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : كفى بالموت واعظاً وكفى بالتقى غنىً وكفى بالعبادة شغلاً وكفى بالقيامة موثلاً وبالله مجازياً^(٢) .

وقال عليه السلام : خصلتان ليس فوقهما من البر شيء : الإيمان بالله والنفع لعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء : الشرك بالله والضرر لعباد الله .

وقال له رجل : أوصني بشيء ينفعني الله به ، فقال عليه السلام : أكثر ذكر الموت

-
- (١) العضل : المنع والتضييق . والهجر : الترك والإعتزال وضد الوصل ، والمبرح بكسر الراء من البرح أي الشدة والأذى وقد يكون بمعنى الغضب .
(٢) الموثل : الملجأ من آل إليه والأولاء إذا لجأ إليه وطلب النجاة منه .

يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فإنه يزيد في النعمة ، وأكثر من الدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك ، وإيّاك والبغي فإن الله قضى أنه من بغي عليه لينصرنه الله ، وقال : ﴿أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾^(١) ، وإيّاك والمكر ، فإن الله قضى أن ﴿لا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾^(٢) .

وقال عليه السلام : ستحرصون على الإمارة ، ثم تكون عليكم حسرة وندامة ، فنعمت المرضعة وبشت الفاطمة^(٣) .

وقال عليه السلام : لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

وقيل له عليه السلام أي الأصحاب أفضل ؟ قال : من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك . وقيل : أي الناس شر ، قال : العلماء إذا فسدوا .

وقال عليه السلام : أوصاني ربي بتسع ، أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمي وأصل من قطعني وأن يكون صمتي فكراً ومنطقي ذكراً ونظري عبداً^(٤) .

وقال عليه السلام : قيدوا العلم بالكتاب .

وقال عليه السلام : إذا ساد القوم فاسقهم وكان زعيم القوم أذلهم وأكرم الرجل الفاسق فليتنظر البلاء .

وقال عليه السلام : سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن .

وقال عليه السلام : لا يزال المسروق منه في تهمة من هو بريء ، حتى يكون أعظم جرماً من السارق .

وقال عليه السلام : إن الله يحب الجواد في حقه .

وقال عليه السلام : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شوري

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٢٣ والآية هكذا يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٤ . قوله : لا يحق أي لا يحيط إلا بأهله أي إلا بالماكر .

(٣) الفطم : القطع وفصل الولد عن الرضاع .

(٤) أي اعتباراً وموعظة العبر جمع العبرة وهي العظة .

بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسايتكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .

وقال ﷺ : من أمسى وأصبح عنده ثلاث فقد تمت عليه النعمة في الدنيا : من أصبح وأمسى معافى في بدنه ، آمناً في سربه^(١) ، عنده قوت يومه ، فإن كانت عنده الرابعة ، فقد تمت عليه النعمة في الدنيا والآخرة وهو الإيمان .

وقال ﷺ : ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع في زمن جهال .

وقال ﷺ : خلطان كثير من الناس فيها مفتون ، الصحة والفراغ .

وقال ﷺ : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

وقال ﷺ : إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .

وقال ﷺ : ملعون من ألقى كله على الناس^(٢) .

وقال ﷺ : العبادة سبعة أجزاء ، أفضلها طلب الحلال .

وقال ﷺ : إن الله لا يُطاع جبراً ولا يعصى مغلوباً ولم يهمل العباد من المملكة ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه والمالك لما ملّكهم إياه ، فإن العباد إن استمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع ولا عنها صاد وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل ، وليس من [إن] شاء أن يحول بينك وبين شيء [فعل] ولم يفعله فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه .

وقال ﷺ لابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه : لولا أن الماضي فرط الباقي^(٣) وأن الآخر لاحق بالأول لحزننا عليك يا إبراهيم ، ثم دمعت عينه وقال ﷺ : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون .

وقال ﷺ : الجمال في اللسان .

وقال ﷺ : لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكنه يقبض العلماء حتى إذا

(١) السرب بفتح السين وسكون الراء : الوجهة والطريق .

(٢) الكل بفتح الكاف وشد اللام : الثقل والعيال .

(٣) الفرط بفتح الحاء : ما تقدم من الأجر .

لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، إستفتوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

وقال ﷺ : أفضل جهاد أمتي إنتظار الفرج .

وقال ﷺ : مروءتنا أهل البيت العفو عمن ظلمنا وإعطاء من حرمنا .

وقال ﷺ : أغبط أوليائي عندي من أمتي ، رجلٌ خفيف الحال ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه في الغيب وكان غامضاً في الناس وكان رزقه كفافاً فصبر عليه ومات ، قل ترائه وقل بواكيه^(١) .

وقال ﷺ : ما أصاب المؤمن من نصب ولا وَصَب^(٢) ولا حُزن حتى الهَمَّ يهَمُّه إلا كفر الله به سيئاته .

وقال ﷺ : من أكل ما يشتهي ولبس ما يشتهي وركب ما يشتهي ، لم ينظر الله إليه حتى ينزع أو يترك .

وقال ﷺ : مثل المؤمن كمثل السنبلة ، تخر مرة ، وتستقيم مرة ، ومثل الكافر مثل الأرزة ، لا يزال مستقيماً لا يشعر .

وسئل ﷺ : من أشد الناس بلاءاً في الدنيا ، فقال ﷺ : النبيون ثم الأمائل فالأماثل وبيتلى المؤمن على قدر إيمانه وحسن عمله ، فمن صحَّ إيمانه وحسن عمله اشتد بلاءه ومن سخط إيمانه وضعف عمله قل بلاءه .

وقال ﷺ : لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثل جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً .

وقال ﷺ : الدنيا دُولٌ^(٣) فما كان لك ، أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ، ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه ، ومن رضي بما

(١) الغبطة : حسن الحال والمسرة وأصله من غبطه غبطاً إذا عظم نعمة في عينه وتمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه . ورجل خفيف الحال يعني قليل المال والحظ من الدنيا .

(٢) النصب محركة : التعب ، والوصب أيضاً محركة : الوجع والمرض .

(٣) الدول : جمع الدولة وهي ما يتداول من المال والغلبة . والدنيا دول يعني لا ثبات لها ولا قرار بل تتغير فتكون مرة لهذا ومرة لذلك .

قسمه الله قرأت عينه .

وقال ﷺ : إنه والله ما من عمل يقربكم من النار إلا وقد نبأتكم به ونهيتمكم عنه وما من عمل يقربكم من الجنة إلا وقد نبأتكم به وأمرتكم به ، فإن الروح الأمين نفث في روعي (١) : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوا ما عند الله بمعاصيه ، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته .

وقال ﷺ : صوتان يبغضهما الله : أحوال عند مصيبة ، ومزمار عند نعمة (٢) .

وقال ﷺ : علامة رضى الله عن خلقه رخص أسعارهم وعدل سلطانهم وعلامة غضب الله على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم .

وقال ﷺ : أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم ، من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ومن إذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ومن إذا أصاب خيراً قال : الحمد لله ومن إذا أصاب خطيئة قال : استغفر الله وأتوب إليه .

وقال ﷺ : من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً : من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة .

وقال ﷺ : العلم خزان ومفاتيحه السؤال ، فاسألوا رحمكم الله ، فإنه تؤجر أربعة : السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم .

وقال ﷺ : سألوا العلماء وخاطبوا الحكماء وجالسوا الفقراء .

وقال ﷺ : فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وأفضل دينكم الورع .

وقال ﷺ : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض .

(١) النفث : الإلقاء والإلهام . والروع بالفتح : الفزع . وبالضم موضع الفزع أي القلب .

(٢) العول والعولة بالفتح فالسكون : رفع الصوت بالبكاء . والمزمار : ما يترنم به من الأشعار ، والآلة التي يزمر فيها .

وقال ﷺ : إن عظيم البلاء يكافئ به عظيم الجزاء ، فإذا أحب الله عبداً ابتلاه فمن رضي قلبه فله عند الله الرضى ومن سخط فله السخط .

وأناه رجل فقال : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وإن عذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان ، ووالديك فأطعهما وبرهما حيئن أو ميتين فإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فإن ذلك من الإيمان والصلاة المفروضة فلا تدعها متعمداً ، فإنه من ترك صلاة فريضة متعمداً فإن ذمة الله منه بريئة ، وإياك وشرب الخمر وكل مسكر فإنهما مفتاحا كل شر .

وأناه رجل من بني تميم يقال له : أبو أمية ، فقال : إلى ما تدعو الناس يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»^(١) وأدعو إلى من إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك وإن استعنت به وأنت مكروب أعانك وإن سألته وأنت مقل أغناك ، فقال : أوصني يا محمد ، فقال : لا تغضب ، قال : زدني ، قال : إرض من الناس بما ترضى لهم به من نفسك ، فقال : زدني ، فقال : لا تسب الناس فتكتسب العداوة منهم ، قال زدني ، قال : لا تزهّد في المعروف عند أهله ، قال : زدني ، قال : تحب الناس يحبوك والحق أخاك بوجه مبسط ولا تضجر فيمنعك الضجر من الآخرة والدنيا وأتزر إلى نصف الساق وإياك وإسبال الإزار والقميص ، فإن ذلك من المخيلة والله لا يحب المخيلة^(٢) .

وقال ﷺ : إن الله يبغيض الشيخ الزّان والغنيّ الظّلم والفقر المختال والسائل الملحف ويحبّ أجر المعطي المنان ويمقت البذخ الجري الكذاب^(٣) .

وقال ﷺ : من تفاجر افتقر .

وقال ﷺ : مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش .

وقال ﷺ : رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق ومن سعادة المرء خفة لحيته .

(١) سورة يوسف من الآية : ١٠٨ .

(٢) يُقال أسبل إزاره إذا أرخاه وأسدله . والمخيلة : الكبر .

(٣) المختال : المتكبر . والملحف : الملح في السؤال . والبذخ : الفخر والكبر .

وقال عليه السلام : ما نهيت عن شيء بعد عبادة الأوثان ما نهيت عن ملاحاة الرجال^(١) .

وقال عليه السلام : ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره .

وقام عليه السلام في مسجد الخيف فقال : نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه إلى غير فقيهه . ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرء مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين والزموم لجماعتهم . المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم .

وقال عليه السلام : إذا بايع المسلم الذمي فليقل ، اللهم خر لي عليه ، وإذا بايع المسلم فليقل : اللهم خر لي وله .

وقال عليه السلام : رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت عن سوء فسلم .

وقال عليه السلام : ثلاث من كن فيه استكمل خصال الإيمان : الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق ، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له .

وقال عليه السلام : من بلغ حداً في غير حق فهو من المعتدين .

وقال عليه السلام : قراءة القرآن في صلاة أفضل من قراءة القرآن في غير صلاة وذكر الله أفضل من الصدقة والصدقة أفضل من الصوم والصوم حسنة ، ثم قال : لا قول إلا بعمل ، ولا قول ولا عمل إلا بنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة .

وقال عليه السلام : الأناة من الله والعجلة من الشيطان^(٢) .

وقال عليه السلام : إن من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظموه فليتبوء مقعده من النار ، فإن الرئاسة لا تصلح إلا لله ولأهلها ومن وضع نفسه في غير الموضع الذي وضعه الله فيه مقته الله ومن دعا إلى

(١) الملاحاة : المنازعة والمخاصمة والمجادلة ، ومنه «من لاحاك فقد عاداك» .

(٢) الأناة كقناة : الوقار والحلم .

نفسه ، فقال : أنا رئيسكم وليس هو كذلك لم ينظر الله إليه حتى يرجع عما قال ويتوب إلى الله مما ادّعى .

وقال عليه السلام : قال عيسى بن مريم للحواريين : تحببوا إلى الله وتقربوا إليه ، قالوا : يا روح الله بماذا نتحبب إلى الله ونتقرب ؟ قال : بغض أهل المعاصي والتمسوا رضى الله بسخطهم ، قالوا : يا روح الله فمن نجالس إذا ؟ قال : من يذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله .

وقال عليه السلام : أبعدكم بي شهماً البخيل البذي الفاحش .

وقال عليه السلام : سوء الخلق شؤم .

وقال عليه السلام : إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال وما قيل فيه فإنه لبغي أو شيطان .

وقال عليه السلام : إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذى قليل الحياء لا يبالي ما قال وما قيل فيه ، أما إنه إن تنسبه لم تجده إلا لبغي أو شرك شيطان .

قيل : يا رسول الله وفي الناس شياطين ؟ قال : نعم أو ما تقرأ قول الله ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾^(١) .

وقال عليه السلام : من تنفعه ينفعك ، ومن لا يُعَدّ الصبر لنوائب الدهر يعجز ، ومن قرض الناس قرضوه ومن تركهم لم يتركوه^(٢) قيل : فأصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : أقرضهم من عرضك ليوم ففرك^(٣) .

وقال عليه السلام : ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة ؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

وخرج عليه السلام يوماً وقوم يدحون حجراً ، فقال : أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحملكم من عفا بعد المقدرة .

وقال عليه السلام : قال الله : هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٦٤ .

(٢) قرض فلاناً : مده أو ذمه .

(٣) العرض بالفتح : المتاع ، يقال : اشتريت المتاع بعرض أي بمتاع مثله .

الخلق ، فأكرموا بهما ما صحبتهموه .

وقال ﷺ : أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً .

وقال ﷺ : حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، فقيل له : ما أفضل ما أعطي العبد ، قال حسن الخلق .

وقال ﷺ : حسن الخلق يثبت المودة .

وقال ﷺ : حسن البشر يُذهب بالسخيمة^(١) .

وقال ﷺ : خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون .

وقال ﷺ : الأيدي ثلاثة : سائلة ومنفقة وممسكة وخير الأيدي المنفقة .

وقال ﷺ : الحياء حياءان : حياء عقل وحياء حمق ، فحياء العقل العلم وحياء الحمق الجهل .

وقال ﷺ : من ألقى جلباب الحياء لا غيبة له .

وقال ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد .

وقال ﷺ : الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر .

وقال ﷺ : نظر الولد إلى والديه حباً لهما عبادة .

وقال ﷺ : جهد البلاء أن يقدم الرجل فتضرب رقبته صبراً والأسير ما دام في وثاق العدو والرجل يجد على بطن امرأته رجلاً .

وقال ﷺ : العلم خدين المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والصبر أمير جنوده ، والرفق والده ، والبر أخوه ، والنسب آدم ، والحسب التقوى ، والمروءة إصلاح المال .

وجاءه رجل بلبن وعسل ليشربه ، فقال ﷺ : شرابان يكتفى بأحدهما عن صاحبه لا أشربه ولا أحرمه ولكني أتواضع لله ، فإنه من تواضع لله رفعه الله ومن ذكر الله آجره الله .

(١) السخيمة : الضغينة والحقد والموجدة في النفس من السخمة وهي السواد .

وقال ﷺ : أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث وأداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس .

وقال ﷺ : إذا مدح الفاجر اهتزّ العرش وغضب الرب .

وقال له رجل : ما الحزم ؟ قال ﷺ : تُشاور امرءاً ذا رأي ثم تطيعه .

وقال ﷺ يوماً : أيها الناس ما الرقوب فيكم ؟ قالوا : الرجل يموت ولم يترك ولداً ، فقال ﷺ بل الرقوب حق الرقوب رجل مات ولم يقدم من ولده أحداً يحتسبه عند الله وإن كانوا كثيراً بعده ، ثم قال ﷺ : ما الصعلوك فيكم ؟ قالوا : الرجل الذي لا مال له ، فقال ﷺ : بل الصعلوك حق الصعلوك من لم يقدم من ماله شيئاً يحتسبه عند الله وإن كان كثيراً من بعده ، ثم قال ﷺ : ما الصرعة فيكم ؟ قالوا : الشديد القوي الذي لا يوضع جنبه ، فقال : بل الصرعة حق الصرعة رجل وكز الشيطان في قلبه فاشتد غضبه وظهر دمه ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه .

وقال ﷺ : من عمل على غير علم كان ما يُفسد أكثر مما يصلح .

وقال ﷺ : الجلوس في المسجد في انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث ، قيل : يا رسول الله : وما يحدث ؟ قال ﷺ : الإغتياب .

وقال ﷺ : الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغترب مسلماً .

وقال ﷺ : من أذاع فاحشة كان كمبيد لها ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه .

وقال ﷺ : ثلاثة وإن لم تظلمهم ظلموك : السفلة وزوجتك وخادمك (١) .

وقال ﷺ : أربع من علامات الشقاء جمود العين ، وقسوة القلب ، وشدة الحرص في طلب الدنيا ، والإصرار على الذنب .

وقال رجل أوصني ، فقال ﷺ : لا تغضب ، ثم أعاد عليه ، فقال : لا تغضب ثم قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .

وقال ﷺ : إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً .

(١) المراد بالظلم فهنا ليس هو بمعنى المشهور بل بمعنى التسلط أي تسلط ما .

وقال ﷺ : ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان الخرق في شيء إلا شانه (١) .

وقال ﷺ : الكسوة تظهر الغنى والإحسان إلى الخادم يكبت العدو .

وقال ﷺ : أمرت بمدارة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة .

وقال ﷺ : استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود .

وقال ﷺ : الإيمان نصفان : نصف في الصبر ونصف في الشكر .

وقال ﷺ : حسن العهد من الإيمان .

وقال ﷺ : الأكل في السوق دناءة .

وقال ﷺ : الحوائج إلى الله (و) أسبابها فاطلبوها إلى الله بهم فمن أعطاكموها فخذوها عن الله بصبر .

وقال ﷺ : عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاءً إلا كان خيراً له ، سره أو ساءه إن ابتلاه كان كفارة لذنبيه وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه .

وقال ﷺ : من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له .

وقال ﷺ لرجل سأل عن جماعة أمته ، فقال : جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا .

وقال ﷺ : من وعد الله على عمل ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو بالخيار .

وقال ﷺ : ألا أخبركم بأشبهكم بي أخلاقاً؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : أحسنكم أخلاقاً وأعظمكم حلماً وأبركم بقرابته وأشدكم إنصافاً من نفسه في الغضب والرضا .

(١) الخرق بضم الخاء المعجمة : ضد الرفق ، وفي الحديث «الخرق شوم والرفق يمن» .

وقال عليه السلام : الطاعم الشاكر أفضل من الصائم الصامت .

وقال عليه السلام : ود المؤمن المؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من الأصفياء .

وقال عليه السلام : أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده وأقومهم بحقه الذين يحب إليهم المعروف وفعاله .

وقال عليه السلام : من أتى إليكم معروفاً فكافوه ، فإن لم تجدوا فأنثوه فإن الثناء جزاء .

وقال عليه السلام : من حرم الرفق فقد حرم الخير كله .

وقال عليه السلام : لا تمار أخاك وتمازحه ولا تعده فتخلفه .

وقال عليه السلام : الحرمات التي تلزم كل مؤمن رعايتها والوفاء بها : حرمة الدين وحرمة الأدب ، وحرمة الطعام .

وقال عليه السلام : المؤمن دعب لعب ، والمنافق قطب غضب^(١) .

وقال عليه السلام : نعم العون على تقوى الله الغنى .

وقال عليه السلام : أعجل الشر عقوبة البغي .

وقال عليه السلام : الهدية على ثلاثة وجوه : هدية مكافأة ، وهدية مصانعة وهدية لله .

وقال عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره .

وقال عليه السلام : من عدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت .

وقال عليه السلام : كيف بكم إذا فسد نساؤكم وفسق شبانكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ ! قيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، وكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ ! قيل : يا رسول الله

(١) الدعب ككتف : اللاعب والممازح ، والقطب أيضاً ككتف : العبوس والذي زوي ما بين عينيه وكلح .

ويكون ذلك ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، وكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

وقال ﷺ : إذا تطيرت فامض ، وإذا ظننت فلا تقص ، وإذا حسدت فلا تبغ .

وقال ﷺ : رفع عن أمتي [تسع] : الخطأ ، والنسيان ، وما أكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون وما اضطروا إليه ، والحسد ، والطيرة ، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة ولا لسان^(١) .

وقال ﷺ : لا يحزن أحدكم أن ترفع عنه الرؤيا فإنه إذا رسخ في العلم رفعت عنه الرؤيا .

وقال ﷺ : صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي ، قيل : يا رسول الله ومن هم ؟ قال الفقهاء والأمرء .

وقال ﷺ : أكمل الناس عقلاً أخوفهم لله وأطوعهم له ، وأنقص الناس عقلاً أخوفهم للسلطان وأطوعهم له .

وقال ﷺ : ثلاثة مجالستهم تميم القلب : الجلوس مع الأنذال ، والحديث مع النساء ، والجلوس مع الأغنياء^(٢) .

وقال ﷺ : إذا غضب الله على أمة ، لم ينزل العذاب عليهم ، غلت أسعارها وقصرت أعمارها ، ولم تربح تجارها ، ولم ترك ثمارها ، ولم تغزر أنهارها ، وحبس عنها أمطارها وسلط عليها [أ] شرارها .

وقال ﷺ : إذا كثرت الزنا بعدي كثرت موت الفجأة وإذا طففت المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن وإذا جاروا في الحكم تعاونوا على الظلم والعدوان ، وإذا نقضوا العهود سلط الله عليهم عدوهم ، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم

(١) الطيرة - بكسر الطاء وفتح الباء وسكونها - : ما يتشأم به من الفال الردي .

(٢) الأنذال - جمع النذل والنذيل : الخسيس والمحتقر في جميع أحواله .

أشراهم فيدعوا عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم .

ولما نزلت عليه ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ - إلى آخر الآية - قال ﷺ : من لم يتعزَّ بعزاء الله انقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن مد عينه إلى ما في أيدي الناس من دنياهم طال حزنه وسخط ما قسم الله له من رزقه وتنغص عليه عيشه ولم ير أن الله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد جهل وكفر نعم الله وضل سعيه ودنا منه عذابه .

وقال ﷺ : لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً ، فقال أبو ذر : يا رسول الله وما الإسلام ؟ فقال : الإسلام عريان ولباسه التقوى وشعاره الهدى وديارته الحياء^(١) وملاكه الورع وكماله الدين وثمرته العمل الصالح ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت .

وقال ﷺ : من طلب رضى مخلوق بسخط الخالق سلط الله عز وجل عليه ذلك المخلوق .

وقال ﷺ : إن الله خلق عبيداً من خلقه لحوائج الناس يرغبون في المعروف ويعدون الجود مجدداً والله يحب مكارم الأخلاق .

وقال ﷺ : إن لله عبداً يفرع إليهم الناس في حوائجهم أولئك هم الأمنون من عذاب الله يوم القيامة .

وقال ﷺ : إن المؤمن يأخذ بأدب الله ، إذا أوسع الله عليه اتسع وإذا أمسك عنه أمسك .

وقال ﷺ : يأتي على الناس زمان لا يبالي الرجل ما تلف من دينه إذا سلمت له دنياه .

وقال ﷺ : إن الله جعل قلوب عباده على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

وقال ﷺ : إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل : يا

(١) الشعار بالكسر : ما يلي شعر الجسد ، والدثار - بالكسر - ما يتدثر به الإنسان من كساء أو غيره فالشعار تحت الدثار والدثار فوق الشعار . والهدى - بالضم - : الرشاد .

رسول الله ما هن ؟ قال إذا أخذوا المغنم دولاً^(١) نوالاً مائة مغنماً والزكاة مغرمأ وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وأكرم الرجل مخافة شره ، وكان زعيم القوم أرذلهم وإذا لبس الحرير وشربت الخمر واتخذ القيان والمعازف^(٢) ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليترقبوا بعد ذلك ثلاث خصال : ريحاً حمراء ومسحاً وفسخاً .

وقال ﷺ : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

وقال ﷺ : يأتي على الناس زمان يكون الناس فيه ذئاباً، فمن لم يكن ذئباً أكلته الذئاب .

وقال ﷺ : أقل ما يكون في آخر الزمان أخ يوثق به أو درهم من حلال .

وقال ﷺ : إحترسوا من الناس بسوء الظن .

وقال ﷺ : إنما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له .

وأثنى قوم بحضرته على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير ، فقال رسول الله ﷺ : كيف عقل الرجل ؟ فقالوا : يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ، فقال : إن الأحق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر ؛ وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزُلْفَى من ربهم على قدر عقولهم .

وقال ﷺ : قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة لله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله .

وقدم المدينة رجل نصراني من أهل نجران وكان فيه بيان وله وقار وهيبة ، فقيل يا رسول الله ما أعقل هذا النصراني ؟ ! فزجر القائل وقال : مه^(٣) إن العاقل من وحد الله وعمل بطاعته .

(١) المغنم : الغنيمة . والدول : جمع دولة وهو ما يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك .

(٢) القيان - جمع القينة - : المغنية . والمعازف جمع معزف وهي من آلات الطرب .

(٣) مه : بالفتح اسم فعل بمعنى انكف .

وقال ﷺ : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قِيَمُه ، والصبر أمير جنوده ، والرفق والده ، والبرُّ أخوه ، والنسب آدم ، والحسب التقوى ، والمروءة إصلاح المال .

وقال ﷺ : من تقدمت إليه يد ، كان عليه من الحق أن يكافئ . فإن لم يفعل فالثناء ، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة .

وقال ﷺ : يطبع المؤمن على كل خصلة ولا يطبع على الكذب ولا على الخيانة .

وقال ﷺ : إن من الشعر حكماً - وروي حكمة - وإن من البيان سحراً .

وقال ﷺ لأبي ذر : أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : الموالاة في الله والمعاداة في الله والبغض في الله .

وقال ﷺ : من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله وسخطه بما قضى الله .

وقال ﷺ : الندم توبة .

وقال ﷺ : ما آمن بالقرآن من استحل حرامه .

وقال له رجل : أوصني ؟ فقال ﷺ : احفظ لسانك ، ثم قال له : يا رسول الله أوصني ؟ قال ﷺ : احفظ لسانك ، ثم قال : يا رسول الله أوصني ؟ فقال : ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم^(١) ؟ .

وقال ﷺ : صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة الخفية تطفئ غضب الله وصللة الرحم زيادة في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف .

وقال ﷺ : إن الله يحب إذا أنعم على عبد أن يرى أثر نعمته عليه ويبغض البؤس والتبؤس .

(١) يقال كب على وجهه : أي صرعه وقلبه . والمناخر جمع المنخر بفتح الميم والخاء : وهو الأنف .

- وقال عليه السلام : حسن المسألة نصف العلم والرفق نصف العيش .
- وقال عليه السلام : ويهرم ابن آدم وتشب منه اثنان : الحرص والأمل .
- وقال عليه السلام : الحياء من الإيمان .
- وقال عليه السلام : إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعما اكتسبه من أين اكتسبه وفيما أنفقته وعن حبنا أهل البيت
- وقال عليه السلام : من عامل الناس فلم يظلمهم وحذّثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته وظهرت عدالته ووجب أجره وحرمت غيبته .
- وقال عليه السلام : المؤمن حرام كله : عرضه وماله ودمه .
- وقال عليه السلام : صلوا أرحامكم ولو بالسلاط .
- وقال عليه السلام : الإيمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان .
- وقال عليه السلام : ليس الغنى عن كثرة العرض^(١) ولكن الغنى غنى النفس .
- وقال عليه السلام : ترك الشر صدقة .
- وقال عليه السلام : أربعة تلزم كل ذي حجب وعقل من أمتي^(٢) ، قيل : يا رسول الله ما هن ؟ قال : إستماع العلم ، وحفظه ، ونشره ، والعمل به .
- وقال عليه السلام : إن من البيان سحراً ومن العلم جهلاً ومن القول عياً^(٣) .
- وقال عليه السلام : السنة ستان ، سنة في فريضة الأخذ بعدي بها هدى وتركها ضلالة وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها غير خطيئة .
- وقال عليه السلام : من أرضى سلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله .
- وقال عليه السلام : خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله .

(١) العرض - محرقة - المتاع وحطام الدنيا .
 (٢) الحجى بالكسر والقصر : العقل والفطنة . وأصله الستر .
 (٣) عى في المنطق : حصر . وعيا تعية الرجل : أتى بكلام لا يهتدي إليه .

وقال عليه السلام : من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس ومن خاف الله أخاف منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل ومن لم يستحي من طلب الحلال من المعيشة خفت مؤنته ورخى باله ونعم عياله . ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار .

وقال عليه السلام : أقبلوا ذوي الهناة عثراتهم^(١) .

وقال عليه السلام : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، وشكر كل نعمة ، والورع عن كل ما حرم الله .

وقال عليه السلام : لا تعمل شيئاً من الخير رثاءً ولا تدعه حياءً .

وقال عليه السلام : إنما أخاف على أمتي ثلاثاً : شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإماماً ضاللاً .

وقال عليه السلام : من كثر همه سقم بدنه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه ، ومن لاحي الرجال ذهب مروته وكرامته .

وقال عليه السلام : ألا إن شر أمتي الذين يكرمون مخافة شهرهم ، ألا ومن أكرمهم الناس اتقاء شره فليس مني .

وقال عليه السلام : من أصبح من أمتي وهمته غير الله فليس من الله ومن لم يهتم بأمور المؤمنين فليس منهم ومن أقر بالذل طائعاً فليس منا أهل البيت .

وكتب عليه السلام إلى معاذ يعزيه بابه : «من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل : سلام عليك فياني أحمد الله الذي لا إله إلا هو - أما بعد - فقد بلغني جزعك على ولدك الذي قضى الله عليه وإنما كان ابنك من مواهب الله الهيئته وعواريه المستودعة عندك فمتعك الله به إلى أجل وقبضه لوقت معلوم فينا لله وإنا إليه راجعون لا يحبطن

(١) الهناة : الداهية وهي المصيبة وجمعها هنوات . والعثرات جمع العثرة وهي السقطة والزلة والخطيئة والمعنى : تجاوزوا واصفحوا عن زلات صاحب المصيبة .

جزعك أجرك ولو قدمت على ثواب مصيبتك لعلمت أن المصيبة قد قصرت لعظيم ما أعد الله عليها من الثواب لأهل التسليم والصبر ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع قدراً فأحسن العزاء وتنجز الموعود فلا يذهبن أسفك على ما لازم لك ولجميع الخلق نازل بقدرة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وقال عليه السلام : من أشراط الساعة كثرة القراء وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء وكثرة المطر وقلة النبات .

وقال عليه السلام : أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة .

وقال عليه السلام : غريبتان : كلمة حكمة من سفیه فاقبلوها ، وكلمة سيئة من حكيم فاغفروها .

وقال عليه السلام : للكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يائس .

وقال عليه السلام : من لم يستحي من الحلال نفع نفسه وخفت مؤنته ونفى عنه الكبر ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل ومن [بـ] رغب في الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها ومن زهد فيها فقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فأذهب عنه العناء وجعله بصيراً ، إلا أنه سيكون بعدي أقوام لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل ولا يستقيم لهم المحبة في الناس إلا باتباع الهوى والتيسير في الدين ألا فمن أدرك ذلك فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على الذل وهو يقدر على العز وصبر على البغضاء في الناس وهو يقدر على المحبة لا يريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً .

وقال عليه السلام : إياكم وتخشع النفاق وهو أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع .

وقال عليه السلام : المحسن المذموم مرحوم .

وقال عليه السلام : اقبلوا الكرامة وأفضل الكرامة الطيب ، أخفه محملاً وأطيبه ريحاً .

وقال عليه السلام : إنما تكون الصنعة إلى ذي دين أو ذي حسب^(١) . وجهاد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها . والتودد نصف الدين . [و] ما عال امرء قط على اقتصاد ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، أبى الله أن يجعل رزق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون .

وقال عليه السلام : لا يبلغ عبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس .

باب ما روي عن أمير المؤمنين (ع)^(٢)

وروي عن أمير المؤمنين الوصي المرتضى ، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في طوال هذه المعاني ، على أننا لو استغرقتنا جميع ما وصل إلينا من خطبه وكلامه في التوحيد خاصة دون ما سواه من المعاني لكان مثل جميع هذا الكتاب ولكننا ابتدأنا الرواية عنه بخطبة واحدة في التوحيد وقع الاقتصار عليها ، ثم ذكرنا بعدها ما اقتضاه الكتاب مقتصرين مما ورد عنه في هذه المعاني على ما غرب منها وأجمع على تفضيله الخاص والعام وفيه مقنع إن شاء الله تعالى .

خطبته (ع) في إخلاص التوحيد

إن أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالإقتران ، وشهادة الإقتران بالحدث وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من حدثه ، فليس الله عرف من عرف ذاته ، ولا له وحد من نهاه^(٣) ولا به صدق من مثله ولا حقيقته أصاب من شبهه ، ولا إياه أراد من توهمه ، ولا له وحد من اكتنّه^(٤) ولا به آمن من جعل له نهاية ولا

(١) الصنعة : الإحسان . وجمعه الصنائع . وفي الروايات لا يصلح الصنعة إلا عند ذي حسب أو دين .

(٢) العنوان زائد منا ولم يكن في النسخ .

(٣) «من نهاه» بالتشديد أي جعل له حداً ونهاية .

(٤) «ومن مثله» أي من جعل له شخصاً ومثالاً في ذهنه وجعل الصورة الذهنية مثالاً له فهو لا يصدق بوجوده ولا يصاب بحقيقته لأن كلما توهمه المتوهم فهو مخلوقه ومصنوع وهمه ، «من اكتنّه» أي بين كنه ذاته أو طلب الوصول إلى كنهه .

صمده من أشار إليه^(١) ولا إياه عنى من حده ولا له تذلل من بَعْضه^(٢) ، كل قائم بنفسه مصنوع وكل موجود في سواه معلول .

بصنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالفكرة تثبت حجته ، وبآياته احتج على خلقه ، خلق الله الخلق فخلق حجاباً بينه وبينهم فيما ينته إياهم مفارقتة إليهم وإبداءه إياهم ، شاهد على ألا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المؤدين وابتدائه إياهم دليل على ألا ابتداء له لعجز كل مبتدء عن إبداء غيره .

أسماءه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفرقة بينه وبين خلقه ، قد جهل من استوصفه وتعداه من مثله وأخطأه من اكنهه ، فمن قال : أين فقد بَوَّاه ومن قال : فيم فقد ضمنه ، ومن قال إلى مَ فقد نهَّاه ومن قال : لَمَ فقد علَّله ومن قال : كيف ، فقد شبهه ومن قال : إذ ، فقد وقته ، ومن قال : حتى فقد غَيَّاه ومن غَيَّاه فقد جزاه ومن جزاه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ومن بَعْضه فقد عدل عنه .

لا يتغير الله بتغيير المخلوق كما لا يتحدد بتحديد المحدود ، أحد لا بتأويل عدد ، صمد لا بتبعيض بدد ، باطن لا بمدخله ، ظاهر لا بمزايلة متجل لا باشتمال رؤية ، لطيف لا بتجسم ، فاعل لا باضطراب حركة ، مقدر لا بجول فكر [ة] مدبر لا بحركة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، قريب لا بمدانة ، بعيد لا بمسافة ، موجود لا بعد عدم ، لا تصحبه الأوقات ولا تتضمنه الأماكن ولا تأخذه السنة^(٣) ولا تحده الصفات ولا تقيد الأدوات سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده والابتداء أزاله .

بتشعيره المشاعر عُلِمَ أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عُلِمَ أن لا جوهر له ، وبإنشائه البرايا عُلِمَ أن لا منشاء له ، وبمضاداته بين الأمور عُرِفَ أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأشياء عُلِمَ أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة والصرد بالحرور ، مؤلفاً بين متعدياتها مقارباً بين متبايناتها ، دالة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها ، جعلها سبحانه دلائل على ربوبيته وشواهد على غيبته ونواطق عن حكمتها إذ ينطق

(١) أي لا قصد نحوه من أشار إليه بإشارة حسية أو الأعم منها ومن الوهمية والعقلية .

(٢) أي حكم بأن له أجزاءً وأبعاضاً .

(٣) قوله «متجل لا باشتمال رؤية» التجلي : الإنكشاف والظهور . وقوله : «لا بمزايلة» أي لا بمفارقة مكان بأن انتقل عن مكان إلى مكان حتى خفي عنهم ، والسنة : جمع السنة وهي العناس .

تكونهن عن حدثهن ويخبرن بوجودهن عن عدمهن ، وينبئن بتقيلهن عن زوالهن ويعلن بأفولهن أن لا أفول لخالقهن ، وذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾^(١) ففرق بين هاتين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرّزها^(٢) دالة بتفاوتها أن لا تفاوت في متفاوتها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها ، ثبت له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية ولا مألوه وتأويل السمع ولا مسموع ، ومعنى العلم ولا معلوم ، ووجوب القدرة ولا مقدور عليه ، ليس مذ خلق الخلق استحق اسم الخالق ولا بإحداثه البرايا استحق اسم الباريء فرقتها لا من شيء وألفها لا بشيء وقدرها لا باهتمام ، لا تقع الأوهام على كنهه ولا تحيط الأفهام بذاته لا تفوته متى ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا تقارنه مع ولا تشتمله هو ، إنما تحدد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء توجد أفعالها وعن الفاقة تخبر الأداة وعن الضد يخبر التضاد وإلى شبهه يؤول الشبيه ومع الأحداث أوقاتها وبالأسماء تفرق صفاتها ومنها فصلت قراينها وإليها آلت أحداثها^(٣) ، منعها مذ القدمة وحمتها قد الأزلية ونفت عنها لولا الجبرية ، افرقت فدلّت على مفرقتها وتباينت فأعربت عن مباينها بها تجلى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبتت العبرة ومنها أنيط الدليل بالعقول ، يعتقد التصديق بالله وبالإقرار يكون الإيمان^(٤) .

لا دين إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بتصديق ولا تصديق إلا بتجريد التوحيد ولا توحيد إلا بالإخلاص ولا إخلاص مع التشبيه ولا نفي مع إثبات الصفات ولا تجريد إلا باستقصاء النفي كله ، إثبات بعض التشبيه يوجب الكل ولا يستوجب كل التوحيد

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

(٢) الغرائز الطباع والمغرّز : موجد الغرائز ومفيضها عليه ، والمفاوت - على صيغة اسم الفاعل - من جعل بينها التفاوت .

(٣) «ولا تدنيه قد» يعني لما لم يكن زمانياً لا تدنيه كلمة قد التي هي لتقريب الماضي إلى الحال .

(٤) «مذ» و«قد» و«لولا» كلها فواعل لأفعال قبلها ، ومذ وقد للإبتداء والتقريب ولا تكونان إلا في الزمان المتناهي وهذا مانع للقدم والأزلية .

ببعض النفي دون الكل والإقرار نفي الإنكار ولا ينال الإخلاص بشيء من الإنكار ، كل موجود في الخلق لا يوجد في خالقه وكلما يمكن فيه يمتنع في صانعه ، لا تجري عليه الحركة ولا يمكن فيه التجزية ولا الإتصال وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود عليه ما هو ابتدأه ويحدث فيه ما هو أحدثه إذا لتفاوتت ذاته ولتجزء كنهه ولا يمتنع من الأزل معناه ، ولما كان للأزل معنى إلا معنى الحدث ، ولا للباريء إلا معنى المبروء ، لو كان له وراءه لكان له أمام ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان ، وكيف يستحق اسم الأزل من لا يمتنع من الحدث وكيف يستأهل الدوام من تنقله الأحوال والأعوام وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الأشياء إذا لقامت فيه آلة المصنوع ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه ولا اقترنت صفاته بصفات ما دونه ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنها جواب - هذا مختصر منها (١) .

كتابه إلى ابنه الحسن (عليهما السلام)

من الوالد الفان المقرّ للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الدام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الطاعن عنها إليهم غداً إلى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من [قد] هلك ، غرض الأسقام ورهينة الأيام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الأموات - أما بعد - فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني وجموح الدهر علي وإقبال الآخرة إلى ما يزعمني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير أنه حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رأيي وصرفني هواي وصرح لي محض أمري فأفضى بي إلى ، جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب [و] وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً [لو] أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي فكتبت إليك كتابي هذا مستظهِراً به إن أنا بقيت لك أو فُتيت .

فإني أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والإعتصام بحبله وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن [أت] أخذت به .

(١) هذه الخطبة منقولة في النهج مع اختلاف وزيادات ورواها الصدوق طاب ثراه بتمامها في التوحيد والعيون عن علي بن موسى الرضا عليه السلام بأدنى تفاوت .

أحي قلبك بالموعظة وموتّه بالزهد وقوّه باليقين وذلّله بالموت وقرّره بالفناء وبصّره فجائع الدنيا وحذّره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام^(١) واعرض عليه أخبار الماضين وذكّره بما أصاب من كان قبله وسر في بلادهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعمن انتقلوا فإنك تجدهم انتقلوا عن الأحبة وحلوا دار الغربية ، وناد في ديارهم : أيتها الديار الخالية أين أهلك ، ثم قف على قبورهم فقل : أيتها الأجساد البالية والأعضاء المتفرقة كيف وجدتم الديار التي أنتم بها ، أي بني وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلف وأمسك عن طريق إذا خفت ضلاله فإن الكف عن حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال ، وأتمر بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بلسانك ويدك ، وبأين من فعله بجهدك وجاهد في الله حقّ جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخُض الغمرات إلى الحقّ حيث كان وتفقه في الدين وعوّد نفسك التصبّر وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز^(٢) ومانع عزيز وأخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر الإستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن [عنها] صفحاً ، فإن خير القول ما نفع واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم حتى لا يُقال به .

أي بني إني لما رأيته قد بلغت سنّاً ورأيتني أزداد وهناً ، بادرت بوصيتي إياك خصلاً منهم أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي أو أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك لتستقبل بجذ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كُفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأناك من ذلك ما قد كنا نأثيه واستبان لك منه ما ربما أظلم علينا فيه .

أي بني : وإني وإن لم أكن عمّرت عُمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من

(١) الفحش بمعنى الزيادة والكثرة .

(٢) الكهف : الملجأ ، والحريز : الحصين .

ضره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله^(١) وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل بين ذي النقية والنية ، وأن أبدأك بتعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ، ثم أشفقت أن يلبسك ما اختلف الناس فيه أهواءهم مثل الذي لبسهم وكان إحكام ذلك لك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك وأن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتي هذه واحكم مع ذلك .

أي بني إن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والإقتصار على ما افترض عليك والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك والصالحون من أهل ملتك فإنهم لم يدعوا أن [يـ] نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمسك عما لم يكتفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما كانوا علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وأبدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة باللهك عليه والرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة أدخلت عليك شبهة وأسلمتك إلى ضلالة وإذا أنت أيقنت أن قد صفا [لك] قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك همًا واحدًا فانظر فيما فسرت لك وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك من فراق فكرك ونظرك فاعلم أنك إنما تخطب خطب العشواء^(٢) وليس طالب الدين من خبط ولا خلط والإمسك عند ذلك أمثل .

وإن أول ما أبدأ به من ذلك وآخره أني أحمد إليك إلهي وإلهك وإله آباءك الأولين والآخرين ورب من في السماوات والأرضين بما هو أهله [و] كما هو أهله وكما يحب وينبغي ونسأله أن يصلي عنا على نبينا ﷺ وعلى أهل بيته وعلى أنبياء الله ورسله بصلاة جميع من صلى عليه من خلقه وأن يتم نعمه علينا فيما وفقنا له من مسألته بالإجابة لنا فإن بنعمته تتم الصالحات .

(١) النخيل : المختار المصفي ، وتوخيت أي تحريت .

(٢) العشواء : الضعيفة البصر أي تخطب خطب الناقة العشواء لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه .

فتفهم أي بني وصيتي واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المفني هو المعيد وأن المبتي هو المعافي وأن الدنيا لم تكن لتستقيم إلا على ما خلقها الله تبارك وتعالى عليه من النعماء والإبتلاء والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به وأنك أول ما خلقت [خلقت] جاهلاً ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك فليكن له تعمدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك ، واعلم [يا بني] أن أحداً لم ينبي عن الله تبارك وتعالى كما أنبأ عنه نبينا ﷺ فارض به رائداً [والى النجاة قائداً] فإني لم آلك نصيحة (١) وإنك لم تبلغ في النظر لنفسك [وإن اجتهدت مبلغ] نظري لك ، واعلم : [يا بني] أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت صفته وفعاله ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ذلك أحد ولا يحاجه ، وأنه خالق كل شيء وأنه أجل من أن يثبت لربوبيته بالإحاطة قلب أو بصر وإذا أنت عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك في صغر خطرك وقلة مقدرتك وعظم حاجتك إليه أن يفعل مثله في طلب طاعته والرغبة له والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح .

أي بني : إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها بأهلها وأنباتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها وضربت لك فيها الأمثال ، إنما مثل من أبصر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جدد فأموأ منزلاً خصباً [وجناباً مريعاً] فاحتملوا وعشاء الطريق (٢) وفراق الصديق وخشونة السفر في الطعام والمنام ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ولا يرون نفقة مغرم ولا شيئاً أحب إليهم مما قربهم من منزلهم ، ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصب فنبا بهم إلى منزل جدد فليس شيء أكره إليهم ولا أهول لديهم من مفارقة ما هم فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه ، وقرعتك بأنواع الجهالات لثلاث تعد نفسك عالماً فإن ورد عليك شيء تعرفه أكبرت ذلك فإن العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل فعده نفسه بذلك جاهلاً فازداد بما عرف من ذلك في طلب العلم اجتهداً ، فما يزال للعلم طالباً وفيه

(١) أي لم أقصر في نصيحتك .

(٢) الجناب : الناحية . والريع : كثير العشب . ووعشاء الطريق : مشقته .

راغباً وله مستفيداً ولأهله خاشعاً مهتماً وللصمت لازماً وللخطأ حاذراً ومنه مستحيماً وإن ورد عليه ما لا يعرف لم ينكر ذلك لما قرّر به نفسه من الجهالة وإن الجاهل من عدّ نفسه بما جهل من معرفة العلم عالماً وبرأيه مكتفياً فما يزال للعلماء مباعداً وعليهم زارياً ولمن خالفه مخطئاً ولما لم يعرف من الأمور مضللاً فإذا ورد عليه من الأمور ما لم يعرفه أنكره وكذّب به وقال بجهالته : ما أعرف هذا وما أراه كان وما أظن أن يكون وأنى كان ، وذلك لثقتة برأيه وقلة معرفته بجهالته ، فما ينفك بما يرى مما يلتبس عليه رأيه مما لا يعرف للجهل مستفيداً وللحق منكراً وفي الجهالة متحيراً وعن طلب العلم مستكبراً .

أي بني تفهم وصيتي واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لنفسك ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقيح من نفسك ما تستقيح من غيرك وارضَ من الناس لك ما ترضى به لهم منك ، ولا تقل بما لا تعلم بل لا تقل كلما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الإعجاب ضدّ الصواب وآفة الأبواب^(١) فإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مشقة بعيدة وأهوال شديدة وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الإرتياد وقدّر بلاغك من الزاد^(٢) وخفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق بلاغك ، فيكون ثقلًا ووبالاً عليك ، وإذا وجدت من أهل الحاجة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج إليه فاغتنمه ، واغتنم من استقرضك في حال غناك واجعل وقت قضائك في يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً لا محالة مهبطاً بك على جنة أو على نار ، المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل^(٣) فارتد لنفسك قبل نزولك واعلم أن الذي بيده ملكوت

(١) الإعجاب : استحسان ما يصدر عن النفس .

(٢) البلاغ بالفتح : الكفاية أي ما يكفي من العيش ولا يفضل .

(٣) الكؤود : صعبة شاقة المصعد . والمخف بالضم فالكسر : الذي خفف حملة ، بعكس المثقل

خزائن الدنيا والآخرة قد أذن بدعائك وتكفل بإجابتك وأمرك أن تسأله ليعطيك وهو رحيم ، لم يجعل بينك وبينه ترجماناً ولم يحجبك عنه ولم يلجئك إلى من يشفع إليه لك ولم يمنحك إن أسأت التوبة ولم يعيرك بالإنابة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة ولم يشدد عليك في التوبة فجعل النزوع عن الذنب حسنة^(١) وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً وفتح لك باب المتاب والاستيناف^(٢) فمتى شئت سمع نداءك ونجواك فأفضيت إليه بحاجتك وأنبأته عن ذات نفسك وشكوت إليه همومك واستعنته على أمورك وناجيته بما تستخفي به من الخلق من سرّك ثم جعل بيدك مفاتيح خزائنه فألحج في المسألة يفتح لك باب الرحمة بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه ، فألحج ولا يقنطك إن أبطأت عنك الإجابة فإن العطية على قدر المسألة وربما أخرت عنك الإجابة ليكون أطول للمسألة وأجزل للعطية ، وربما سألت الشيء فلم تؤته وأوتيت خيراً منه عاجلاً وآجلاً ، أو صرّفت عنك لما هو خير لك فلبّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ولتكن مسألتك فيما يعينك مما يبقى لك جماله [أ] وينفي عنك وباله ، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له ، فإنه يوشك أن ترى عاقبة أمرك حسناً أو سيئاً أو يعفو العفو الكريم .

واعلم أنك خلقت للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للموت لا للحياة وأنك في منزل قلعة ودار بلغة^(٣) وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو [منه] هاربه ولا بد أنه يدرك يوماً ، فكن منه على حذر أن يدركك على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك فيها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

أي بني أكثر ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه واجعله أمامك حتى يأتبك وقد أخذت منه حذر^(٤) ولا يأخذك على غرّتك وأكثر ذكر الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم فإن ذلك يزهّدك في الدنيا ويصغّرُها عندك وقد نبأك

(١) النزوع : الرجوع والكف .

(٢) المتاب : التوبة . والاستيناف : الأخذ في الشيء وابتدأه .

(٣) القلعة - بالضم فالسكون - أي لا يصلح للإستيطان والإقامة . والبلغة ما يبلغ به من العيش .

(٤) الحذر - بالكسر - : الإحتراز والإحتراس . والغرة - بالكسر فالتشديد - : الغفلة .

الله عنها ونعتت لك نفسها وكشفت عن مساويها ، فيإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها إليها وتكالبههم عليها^(١) وإنما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية ، يهرُّ بعضها على بعض ، يأكل عزيزها ذليلها وكبيرها صغيرها قد أضلَّت أهلها عن قصد السبيل وسلكت بهم طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منهج الصواب فتأهوا في حيرتها وغرقوا في فتنتها واتخذوها ربّاً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها .

فيإياك يا بنيّ أن تكون قد شانتته كثرة عيوبها ؛ نعمّ معقّلة وأخرى مهملة قد أضلّت عقولها وركبت مجهولها سروج عاهة بواد وعث^(٢) ليس لها راع يقيهما ، رويداً حتى يسفر الظلام كان قد وردت الطعينة^(٣) يوشك من أسرع أن يؤوب .

واعلم أن من كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان لا يسير ، أبى الله إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة .

أي بنيّ : فإن تزهد فيما زهدك الله فيه من الدنيا وتعزف نفسك عنها فهي أهل ذلك وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك فيها فاعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وأنك في سبيل من كان قبلك ، فاخفض في الطلب وأجمل في المكتسب فإنه ربّ طلب قد جر إلى حرب^(٤) وليس كلُّ طالب بناج وكل مجمل بمحتاج ، وأكرم نفسك عن كل دنيّة^(٥) وإن ساقتك إلى رغبة فإنك لن تعتاض بما تبدل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً وما خيرٌ خيرٍ لا ينال إلا بشرٍّ ويسر لا ينال إلا بعسر .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مدرّكٌ قسمك وأخذٌ سهمك ، وإن اليسير من الله تبارك وتعالى أكثر وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كلُّ منه ولو نظرت - والله

(١) التكالب : التوائب وتكالبههم عليها أي شديد حرصهم عليها .

(٢) السروج بالضم - جمع سرح يفتح السين وسكون الراء : المال السائم من إبل ونحوها الماشية . والعاهة : الآفة . والوعث : الطريق الغليظ العسر .

(٣) الطعينة : اليهودج . عبر به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة كان حالهم أن وردوا على غاية سيرهم . وقوله : «يؤوب» أي يرجع .

(٤) الحرب - محرّكة - : سلب المال من حرب الرجل : سلبه ماله وتركه بلا شيء .

(٥) الدنية : مؤنث الدنيّ ، الساقط الضعيف ، الخصلة المذمومة المحقورة وأيضاً النقيصة .

المثل الأعلى - فيما تطلب من الملوك ومن دونهم من السفلة لعرفت أن لك في سير ما تصيب من الملوك افتخاراً وأن عليك في كثير ما تصيب من الذئاة عاراً ، فاقصد في أمرك تحمد مغبة علمك أنك لست بائعاً شيئاً من دينك وعرضك بثمان والمغبون من غبن نصيبه من الله ، فخذ من الدنيا ما أتاك ، واترك ما تولّى فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب .

وإياك ومقارنة من رهته على دينك وباعد السلطان ولا تأمن خدع الشيطان وتقول : متى أرى ما أنكر نزعْتُ ، فإنه كذا هلك من كان قبلك من أهل القبلة وقد أيقنوا بالمعاد ، فلو سُمت^(١) بعضهم بيع آخرته بالدنيا لم يطب بذلك نفساً ، ثم قد يتخيله الشيطان بخدعه ومكره حتى يورطه في هلكته بعرض من الدنيا حقير وينقله من شر إلى شر حتى يؤيسه من رحمة الله ويدخله في القنوط فيجد الوجه إلى ما خالف الإسلام وأحكامه ، فإن أبت نفسك إلا حب الدنيا وقرب السلطان فخالفت ما نهيتك عنه بما فيه رشذك ؛ فأملك عليك لسانك فإنه لا بقية للملوك عند الغضب ولا تسأل عن أخبارهم ولا تنطق عن أسرارهم ولا تدخل فيما بينك وبينهم .

وفي الصمت السلامة من الندامة وتلافيك ما فرط^(٢) من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء وحفظ ما في يديك أحب إليّ من طلب ما في يد غيرك ، ولا تحدّث إلا عن ثقة فتكون كاذباً والكذب ذلّ . وحسن التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الإسراف وحسن اليأس خير من الطلب إلى الناس . والعفة مع الحرفة خير من سرور مع فجور والمرء أحفظ لسه . وربّ ساع فيما يضره . من أكثر [أ] هجر^(٣) ومن تفكّر أبصر . ومن خير حظ امرئ قرين صالح ، ففارق أهل الخير تكن منهم وياين أهل الشرّ تبين عنهم^(٤) ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لا يدع بينك وبين خليل صلحاً ، وقد يقال : من الحزم سوء الظن . بشس الطعام الحرام . وظلم الضعيف أفحش الظلم والفاحشة كاسمها ، التصبر على المكروه نقص للقلب . وإن كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً^(٥) وربما كان الدواء

(١) «فلو سُمت» أي فلو عرضت للبيع من سام السلعة يسوم أي عرضها وذكر ثمنها .

(٢) التلافي : التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد . والفرط : القصر .

(٣) يقال : فلان أهجر في منطق أي تكلم بالهذيان ، وكثير الكلام لا يخلو من الإهجار .

(٤) أي تبين عنهم والفعل مجزوم لجواب الشرط .

(٥) الخرق - بالضم - : العنف أي الشدة وضد الرفق .

داءاً والداء دواءً . وربما نصيح غير الناصح وغشّ المستنصح . وإيّاك والانتكال على
المنى فإنها بضائع النوكى^(١) وتثبّط عن خير الآخرة والدنيا ، ذكّ قلبك بالأدب كما
تذكى النار بالحطب . ولا تكن كحاطب الليل في وعشاء السبيل وكفر النعمة لؤم وصحبة
الجاهل شؤم . والعقل حفظ التجارب . وخير ما جربت ما وعظك ومن الكرم لين
السيم^(٢) بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة . من الحزم العزم . من سبب الحرمان
التواني . ليس كل طالب يصيب . ولا كل راكب يؤوب . ومن الفساد إضاعة الزاد
ولكل أمر عاقبة . ربّ يسير أنمى من كثير . سوف يأتيك ما قدّر لك . التاجر مخاطر
ولا خيسر في معين مهين . لا تبيتنّ من أمر على غرر . من حكم ساد . ومن تفهّم
ازداد . ولقاء أهل الخير عمارة القلوب . ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده . وإيّاك أن
تجمع بك مطية اللجاج وإن قارفت سيّئة فعجّل محوها بالتوبة . ولا تخن من ائتمنك
وإن خانك ولا تدع سره وإن أذاعه . ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه . واطلب فإنه
يأتيك ما قسّم لك ، خذ بالفضل وأحسن البذل . وقل للناس حسناً .

وأى كلمة حكم جامعة أن تُحبّ للناس ما تحبّ لنفسك وتكره لهم ما تكره لها .
إنك قلّ ما تسلم ممن تسرعت إليه أن تندم أو تتفضل عليه .

واعلم أن من الكرم الوفاء بالذمم والدفع عن الحرم^(٣) والصدود آية المقت وكثرة
العلل آية البخل . ولبعض إمساكك عن أخيك مع لطف خير من بذل مع جف^(٤) .
ومن التكرم صلة الرحم ومن يرجوك أو يثق بصلتك إذا قطعت قرابتك ؟ والتحريم وجه
القطيعة . احمل نفسك مع أخيك عند صرمة على الصلة وعند صدوده على اللطف
والمسألة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند

(١) المنى : جمع منية - بالضم فالسكون - : ما يتمناه الإنسان لنفسه ويعمل نفسه باحتمال
الوصول إليه . والبضائع : جمع بضاعة وهي من المال ما أعد للتجارة . والنوكى
- كسكرى - : جمع الأنوك أي الأحمق .

(٢) السيم - بالكسر والفتح - : جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة . والمراد به الأخلاق
الحسنة .

(٣) الذمم - بكسر الأول وفتح الثاني - : جمع الذمة : العهد والأمان والضمان . والحرم
بالضم : جمع الحرم - : ما يدافع عنه ويحميه . والصدود : الإعراض . والمقت شدة
البغض .

(٤) الجف : الجور ، ربما كان الإمساك مع حسن الخلق خير من البذل مع الجور .

جرمه على الاعتذار حتى كأنك له عبدٌ وكأنه ذو نعمة عليك . وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه وأن تفعله بغير أهله . لا تتخذنَّ عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ولا تعمل بالخديعة فإنها خلقت للثيم . وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة . وساعده على كل حال وزل معه حيث زال ولا تطلبن مجازاة أخيك ، ولو حثا التراب بفيك^(١) وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحرى للظفر وتسلم من الناس بحسن الخلق . وتجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة^(٢) ولا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب^(٣) . ولئن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك . ما أقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعد الإخاء والعداوة بعد المودة والخيانة لمن اتّمتك وخلف الظن لمن ارتجأك والغدر بمن استأمن إليك . فإن أنت غلبتكَ قطيعة أخيك فاستبق لها من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا ذلك له يوماً . ومن ظن بك خيراً فصّدق ظنه . ولا تُضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه . ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك . ولا ترغبين فيمن زهد فيك . ولا تزهدن فيمن رغب إليك إذا كان للخلطة موضعاً ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان . ولا على البخل أقوى منك على البذل . ولا على التقصير أقوى منك على الفضل . ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه إنما يسعى في مضرتّه ونفعك . وليس جزاء من سرّك أن تسوّه ، والرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك .

واعلم أي بني : أن الدهر ذو صروف فلا تكونن ممن تشتد لائمته ويقلّ عند الناس عذره . ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ! إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، فأنفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك . وإن كنت جازعاً على ما تفلّت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك^(٤) . واستدل على ما لم يكن بما كان ، فإنما الأمور أشباه ، ولا تكفرن ذا نعمة ، فإن كفر النعمة من الأم الكفر . واقبل العذر . ولا تكونن ممن لا ينتفع من العظة إلا بما لزمه فإن العاقل ينتفع بالأدب

(١) حثا التراب أي صبه .

(٢) المغبة - بفتحيتين وتشديد الباء - : العاقبة .

(٣) الإرتياب : الإتهام والشك . الاستعتاب طلب العتبي أي الإسترضاء .

(٤) تفلّت - بتشديد اللام - أي تملص وتخلص من اليد فلم يمكن أن يحفظه .

والبهايم لا تتعظ إلا بالضرب . اعرف الحق لمن عرفه لك رفيعاً كان أو وضيعاً
واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين^(١) . من ترك القصد جار^(٢) .
ونعم حظ المرء القناعة . ومن شر ما صحب المرء الحسد وفي القنوط التفريط .
والشح يجلب الملامة . والصاحب مناسب . والصديق من صدق غيبه^(٣) . والهوى
شريك العمى^(٤) . ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة . ونعم طارد الهمم اليقين . وعاقبة
الكذب الذم . وفي الصدق السلامة . وعاقبة الكذب شر عاقبة . رب بعيد أقرب من
قريب وقريب أبعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب . لا يعدمك من حبيب سوء
ظن . ومن حمى طنى . ومن تعدى الحق ضاق مذهبه . ومن اقتصر على قدره كان أبقي
له . نعم الخلق التكرم^(٥) . وألم اللؤم البغي عند القدرة . والحياء سبب إلى كل
جميل . وأوثق العرى التقوى . وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله . ومنك
من أعتبك^(٦) . والإفراط في الملامة تشب نيران اللجاج . وكمن من دنف قد نجا^(٧)
وصحيح قد هوى . فقد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً . وليس كل عورة
[تظهر ولا كل فريضة] تصاب . وربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده .
ليس كل من طلب وجد ولا كل من توفى نجا . أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته .
وأحسن إن أحببت أن يحسن إليك . واحتمل أخطاك على ما فيه . ولا تكثر العتاب فإنه
يورث الضغينة . ويجر إلى البغضة . واستعجب من رجوت إعتابه . وقطيعه الجاهل
تعدل صلة العاقل ومن الكرم منع الحزم . من كابر الزمان عطب ومن ينقم عليه
غضب . ما أقرب النعمة من أهل البغي . وأخلق بمن غدر ألا يوفى له^(٨) .

زلة المتوفى أشد زلة . وعلة الكذب أقبح علة . والفساد يبير الكثير . والاقتصاد

-
- (١) العزائم : جمع العزيمة وهي ما جزمت بها ولزمتها من الإرادة المؤكدة .
(٢) القصد : الاعتدال . وجار : مال على الحق .
(٣) أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك .
(٤) في كونهما موجبين للضلال وعدم الإهتمام معهما إلى ما ينبغي من المصلحة . وفي
بعض نسخ الحديث «الهوى شريك العناء» . والعناء الشقاء والتعب .
(٥) التكرم : تكلف الكرم وتكرم عنه : تنزه .
(٦) أعتبه : أعطاه العتبي وأرضاه أي ترك ما كان يغضب عليه من أجله .
(٧) الدنف - محركة - : المرض اللازم . والمريض الذي لزمه المرض .
(٨) الأخلق : الأجدر . يقال : هو خليف به أي جدير .

يشمر اليسير . والقلة ذلة . وبر الوالدين من كرم الطبيعة . والزلل مع العجل . ولا خير في لذة تعقب ندماً . والعاقل من وعظته التجارب . والهدى يجلو العمى ولسانك ترجمان عقلك . ليس مع الاختلاف ائتلاف . من حسن الجوار تفقد الجار . لن يهلك من اقتصد ولن يفتقر من زهد . بين عن امرىء دخيله ، ربّ باحث عن حتفه^(١) . لا تشتري بثقة رجاء . ما كل ما يخشى يضرب . ربّ هزل عاد جداً ، من أمن الزمان خانته ، ومن تعظم عليه أهانه ، ومن تزعم عليه أرغمه ، ومن لجأ إليه أسلمه . وليس كل من رمى أصاب . إذا تغير السلطان تغير الزمان . وخير أهلك من كفاك . والمزاح يورث الضغائن . وربما أكسب الحريص^(٢) . رأس الدين صحة اليقين . وتنام الإخلاص تجنبك المعاصي . وخير المقال ما صدقه الفعال . والسلامة مع الاستقامة . والدعاء مفتاح الرحمة . سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار . وكن من الدنيا على قلعة . احمل لمن أدلّ عليك . واقبل عذر من اعتذر إليك . وخذ العفو من الناس . ولا تبلغ إلى أحد مكروهه . أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك . وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه ، فإن الخير عادة . وإياك أن تذكر من الكلام قذراً أو يكون مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك . وأنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك^(٣) . وإياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن^(٤) . واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك إياهن فإن الحجاب خير لك ولهن وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها^(٥) . ولا تطمعها أن تشفع لغيرها فتميل مغضبة عليك معها . ولا تطل الخلوة مع النساء فيملكنك أو تملهن واستبق من نفسك بقية من إمساكك عنهن وهن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يظهرن منك على انتشار ، وإياك والتغايير في غير موضع غيره فإن ذلك

(١) بحث في الأرض : حفرها . والحتف : الموت .

(٢) يقال أكسب الرجل أي لم يظفر بحاجته .

(٣) أي عامل الناس بالإنصاف قبل أن يطلبوا منك النصف .

(٤) الأفن بالتحريك - : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

(٥) أي لا تكرمها بكرامة تتعدى صلاحها أو لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها .

يدعو الصحيحة منهن إلى السقم ولكن أحكم أمرهن ؛ فإن رأيت ذنباً فعاجل النكير على الكبير والصغير ، وإياك أن تعاقب فتعظم الذنب وتهون العتب وأحسن للممالك الأدب . وأقلل الغضب ولا تكثر العتب في غير ذنب ، فإذا صدر أحد منهم ذنباً فأحسن العدل فإن العدل مع العفو أشد من الضرب لمن كان له عقل والتمسك بمن لا عقل له أوجب القصاص . واجعل لكل امرئ منهم عملاً تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير وبهم وصول^(١) وهم العدة عند الشدة فأكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورهم وتيسر عند معسور [لـ]هم . واستعن بالله على أمورك ، فإنه أكفى معين .

أستودع الله دينك ودينك وأسأله خير القضاء لك في الدنيا والآخرة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وصيته لابنه الحسين (عليهما السلام)

يا بني : أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وبالعدل على الصديق والعدو وبالعلم في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدة والرخاء .

أي بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محذور وكل بلاء دون النار عافية .

واعلم أي بني : أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن تعرض من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس . ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاتته . ومن سل سيف البغي قتل به . ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها . ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن نسي خطيئته استعظم خطيئته غيره . ومن كابد الأمور عطب^(٢) . ومن اقتحم الغمرات غرق . ومن أعجب برأيه ضل . ومن استغنى بعقله زل . ومن تكبر على الناس ذل . ومن خالط العلماء وقّر . ومن خالط الأندال حقر . ومن سفه على الناس شتم . ومن دخل مداخل السوء اتهم . ومن مزح استخف به . ومن أكثر من شيء عرف به . ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ، ومن كثر خطاؤه قلّ حياؤه .

(١) الصولة : السطوة والقدرة أي بهم تسطو وتغلب على الغير .

(٢) كابدها أي قاساها وتحمل المشاق في فعلها بلا إعداد أسبابها .

ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

أي بُنيّ : من نظر في عيوب النَّاس ورَضِيَ لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه . ومن تفكّر اعتبر ، ومن اعتبر اعتزل ، ومن اعتزل سلم . ومن ترك الشّهوات كان حُرّاً . ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس .

أي بُنيّ : عزّ المؤمن غناه عن الناس . والقناعة مالٌ لا ينفد . ومن أكثر ذكر الموت رَضِيَ من الدنيا باليسير ومن علم أن كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما ينفعه .

أي بُنيّ : العجب ممن يخاف العقاب فلم يكفّ ؛ ورجا الثواب فلم يتب ويعمل .

أي بُنيّ : الفكرة تورث نوراً والغفلة ظلمة والجدال [ة] ضلالة . والسعيد من وعظ بغيره . والأدب خير ميراث . وحُسن الخلق خير قرين . ليس مع قطيعة الرحم نماء ، ولا مع الفجور غنى .

أي بُنيّ : العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء .

أي بُنيّ : من تزيّأ بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلاً ؛ ومن طلب العلم علّم .

أي بُنيّ : رأس العلم الرِّفْق وآفته الخُرق^(١) . ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب . والعفاف زينة الفقر . والشكر زينة الغنى . كثرة الزيارة تورث الملالة والطمأنينة قبل الخبرة ضدّ الحزم . وإعجاب المرء بنفسه يدلُّ على ضعف عقله .

أي بُنيّ : كم نظرة جلبت حسرة . وكم من كلمة سلبت نعمة .

أي بُنيّ : لا شرف أعلى من الإسلام . ولا كرم أعزّ من التقوى . ولا معقِل أحرز من الورع^(٢) . ولا شفيح أنجح من التوبة . ولا لباس أجمل من العافية . ولا مال

(١) الخرق : الشدة ، ضد الرفق .

(٢) المعقل : الحصن والملجأ . والورع أمنع الحصون وأحرزها عن وساوس الشيطان .

أذهب بالفاقة من الرضى بالقوت . ومن اقتصر على بلغة^(١) الكفاف تعجّل الراحة وتبوّأ .
خفض الدعة .

أي بُنيّ : الحرص مفتاح التعب ومطية النصب^(٢) وداع إلى التقم في الذنوب
والشرة جامع لمساوي العيوب^(٣) وكفّك تأديباً لنفسك ما كرهته من غيرك . لأخيك
عليك مثل الذي لك عليه . ومن تورّط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرّض
للنوائب . التدبير قبل العمل يؤمنك الندم . من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع
الخطأ . الصبر جنة من الفاقة . البخل جلباب المسكنة . الحرص علامة الفقر .
وصول مُعِدِّم^(٤) خير من جاف مُكثّر . لكل شيء قوت وابن آدم قوت الموت .

أي بُنيّ : لا تؤيس ملذناً ، فكم من عاكف على ذنبه خُتم له بخير ، وكم من
مقبل على عمله مفسد في آخر عمره ، صائر إلى النار ، نعوذ بالله منها .

أي بُنيّ : كم من عاص نجا ، وكم من عامل هوى . من تحرّى الصدق خُفّت
عليه المؤن^(٥) . في خلاف النفس رشدها . الساعات تنتقص الأعمار . ويلّ للباغين
من أحكم الحاكمين وعالم ضمير المضميرين .

أي بُنيّ : بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد . في كل جرعة شرق وفي
كل أكلة غصص^(٦) . لن تنال نعمة إلا بفراق أخرى . ما أقرب الراحة من النصب ،
والبؤس من النعيم ، والموت من الحياة ، والسقم من الصحة . فطوبى لمن أخلص لله
عمله وعلمه وحبه وبغضه وأخذَه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله . ويخّ بخّ لعالم
عمل فجّد وخاف البيات فأعدّ واستعدّ ، إن سئل نصّح وإن ترك صمت ، كلامه
صواب وسكوته من غير عيّ جواب^(٧) . والويل لمن بُلي بحرمان وخذلان وعصيان

(١) البلغة - بالضم - ما يتبلغ به من القوت ولا فضل فيه .

(٢) النصب - بالتحريك - أشد التعب .

(٣) الشرة - بكسر الشين وشدّ الراء - الحرص والغضب والطيش والعطب .

(٤) الوصول - بفتح الواو - الكثير الإعطاء . والمعدم : الفقير .

(٥) التحري : القصد والإجتهاد في الطلب . والمؤن - بضم الميم وفتح الهمزة - جمع
المؤونة وهي القوت أو الشدة والثقل .

(٦) الشرق : الغصة وهي اعتراض الشيء في الحلق وعدم إساغته .

(٧) العي : العجز عن الكلام .

فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غيره وأزرى على الناس بمثل ما يأتي .
واعلم أي بُني : أنه من لانت كلمته وجبت محبته . وفكك الله لرشده وجعلك
من أهل طاعته بقدرته إنه جواد كريم .

خطبته المعروفة بالوسيلة - كتبنا منه ما اقتضاه الكتاب دون غيره -

الحمد لله الذي أعدم الأوهام أن تنال إلى وجوده وَحَبَّ العقول أن تختال ذاته
لامتناعها من الشبه والتشاكل بل هو الذي لا تتفاوت ذاته ولا تتبعض بتجزية العدد في
كمالها . فارق الأشياء لا باختلاف الأماكن ويكون فيها لا على الممازجة . وعلمها لا
بأداة . لا يكون العلم إلا بها . وليس بينه وبين معلومه علم غيره كان عالمًا لمعلومه .
إن قيل : كان فعلى تأويل أزلية الوجود ، وإن قيل : لم يزل فعلى تأويل نفي العدم .
فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه فاتخذ إلهًا غيره علواً كبيراً ، نحمده بالحمد
الذي ارتضاه من خلقه وأوجب قبوله على نفسه ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . شهادتان ترفعان القول وتضعان العمل
خف ميزان ترفعان منه ، وثقل ميزان توضعان فيه وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار
والجواز على الصراط . وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة . فأكثروا من
الصلاة على نبيكم : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) .

أيها الناس : إنه لا شرف أعلى من الإسلام . ولا كرم أعز من التقوى . ولا
معقل أحرز من الورع ولا شفيح أنجع من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا
وقاية أمنع من السلامة ، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى والفنوع . ومن اقتصر على
بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة . والرغبة مفتاح التعب . والإحتكار مطية النصب^(٢) .
والحسد آفة الدين . والحرص داع إلى التحم في الذنوب وهو داع إلى الحرمان .
والبغي سائق إلى الحين^(٣) . والشره جامع لمساوي العيوب . رب طمع خائب . وأمل

(١) سورة الأحزاب؛ الآية : ٥٦ .

(٢) قد مضى بعض هذه الكلمات مع اختلاف يسير في وصيته لابنه الحسين عليه السلام .

(٣) الحين - بفتح المهملة والمثناة التحتانية - : الهلاك والمحنة والشره غلبة الحرص .

كاذب . ورجاء يؤدي إلى الحرمان ، وتجارة تؤول إلى الخسران ، ألا ومن تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمفضحات النوائب . وبشت القلادة الدين للمؤمن .

أيها الناس : إنه لا كنز أنفع من العلم . ولا عز أنفع من الحلم . ولا حسب أبلغ من الأدب . ولا نصب أوجع من الغضب . ولا جمال أحسن من العقل . ولا قرين شر من الجهل . ولا سواة أسوء من الكذب^(١) . ولا حافظ أحفظ من الصمت . ولا غائب أقرب من الموت .

أيها الناس : إنه من نظر في عيب نفسه شغل عن عيب غيره . ومن رضي برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره . ومن سل سيف البغي قتل به . ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها . ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته . ومن نسي زلته^(٢) استعظم زلل غيره . ومن أعجب برأيه ضل . ومن استغنى بعقله زل . ومن تكبر على الناس ذل . ومن سفه على الناس شتم . ومن خالط العلماء وقر . ومن خالط الأندال حقر . ومن حمل ما لا يطيق عجز .

أيها الناس : إنه لا مال [هو] أعود من العقل . ولا فقر هو أشد من الجهل . ولا واعظ هو أبلغ من النصيح . ولا عقل كالتيدير . ولا عبادة كالتيكر . ولا مظاهرة أوثق من المشاورة . ولا وحدة أوحش من العجب . ولا ورع كالکف . ولا حلم كالصبر والصمت .

أيها الناس : إن في الإنسان عشر خصال يظهرها لسانه ، شاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل بين الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، وأمير يأمر بالحسن ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومعز تسكن به الأحزان ، وحامد تجلى به الضغائن ، ومونق يلهي الأسماع .

أيها الناس : [إنه] لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل .

(١) السواة : الخلطة القبيحة والجمع سوءات .

(٢) الزلة : السقطة والخطيئة ، وفي بعض النسخ والروضة «ومن نسي زلله» .

اعلموا أيُّها النَّاسُ : أنه من لم يملك لسانه يندم ، ومن لا يتعلم يجهل ، ومن لا يتحلم لا يحلم ، ومن لا يرتدع لا يعقل ، ومن لا يعقل يهن ، ومن يهن لا يوقر ، ومن يتقَيَّ ينج ، ومن يكسب مالاً من غير حقه يصرفه في غير أجره ، ومن لا يدع وهو محمودٌ يدع وهو مذمومٌ ، ومن لم يعط قاعداً مُنِعَ قائماً ، ومن يطلب العزَّ بغير حق يذلُّ ، ومن عاند الحق لزمه الوهن ، ومن تفقه وقَّر ، ومن تكبَّر حُقِّر ، ومن لا يحسن لا يُحمد .

أيُّها النَّاسُ : إن المنيَّة قبل الدنية ، والتجلد قبل التبلد ، والحساب قبل العقاب ، والقبر خيرٌ من الفقر ، وعمى البصر خيرٌ من كثيرٍ من النظر ، والدهر يوم لك ويوم عليك ، فاصبر فبكليهما تتمتعن .

أيُّها النَّاسُ : أعجب ما في الإنسان قلبه ، وله موادٌ من الحكمة وأضداد من خلافها . فإن سَنَحَ له الرجاء أذله الطمع^(١) ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عُرِضَ له الغضب اشتدَّ به الغيظ ، وإن أسعد بالرضى نسي التحفظ^(٢) ، وإن ناله الخوف شغله الحزن ، وإن اتسع بالأمن استلبته الغرَّة^(٣) ، وإن جدَّدت له نعمة أخذته العزة ، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة شغله البلاء ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن أجهدته الجزع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة^(٤) ، فكلُّ تقصير به مضرٌّ ، وكلُّ إفراط له مفسدٌ

أيُّها النَّاسُ : من قلَّ ذلٌّ ، ومن جاد ساد ، ومن كثر ماله رأس^(٥) ، ومن كثر حلمه نبه ، ومن فكر في ذات الله تزندق ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر مزاحه استخف به ، ومن كثر ضحكته ذهب هيبته ، فسد حسب [من] ليس له أدب . إن أفضل الفعال صيانة العرض بالمال ، ليس من جالس الجاهل بلذي معقول ، من جالس الجاهل فليستعد لقييل وقال ، لن ينجو من الموت غني بماله ، ولا فقير لإفلاله .

(١) سَنَحَ له : بدا وظهر .

(٢) التحفظ : التوقي والتحرز من المضرات .

(٣) الغرة - بالكسر - الإغترار والغفلة . واستلبته أي سلبته عن رشده .

(٤) الكظة بالكسر : ما يعتري الإنسان عند امتلائه من الطعام ، والبطنة : الإمتلاء المفرط .

(٥) رأس بفتح الهمزة أي هو رئيس للقوم .

أيها الناس : إن للقلوب شواهد تجري الأنفس عن مدرجة أهل التفريط^(١) ،
فطنة الفهم للمواعظ مما يدعو النفس إلى الحذر من الخطأ ، وللنفوس خواطر للهوى ،
والعقول تزجر وتنهى ، وفي التجارب علم مستأنف ، والاعتبار يقود إلى الرشاد ،
وكفك أدباً لنفسك ما تكرهه من غيرك ، عليك لأخيك المؤمن مثل الذي لك عليه ،
لقد خاطر من استغنى برأيه .

[و] التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ، ومن استقبال وجوه الآراء عرف مواقف
الخطأ ، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول ، ومن حصر شهوته فقد صان
قدره ، ومن أمسك نسانه أمنه قومه ونال حاجته ، وفي تقلب الأحوال علم جواهر
الرجال ، والأيام توضح لك السرائر الكامنة ، وليس في البرق الخاطف مستمتع لمن
يخوض في الظلمة^(٢) ، ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة ، وأشرف
الغنى ترك المنى ، والصبر جنة من الفاقة ، والحرص علامة الفقر ، والبخل جلباب
المسكنة ، والمودة قرابة مستفادة ، ووصول معدم خير من جاف مكث^(٣) ، والموعظة
كهف لمن وعها ، ومن أطلق طرفه كثر أسفه^(٤) ، ومن ضاق خلقه مله أهله ، ومن نال
استطال^(٥) ، قل ما تصدقك الأمنية ، التواضع يكسوك المهابة ، وفي سعة الأخلاق
كنوز الأرزاق ، من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه ، تحرر القصد من القول
فإنه من تحرر القصد خفت عليه المؤن ، في خلاف النفس رشدها ، من عرف الأيام
لم يغفل عن الاستعداد ، ألا وإن مع كل جرعة شرقاً وفي كل أكلة غصصاً ، لا تنال
نعمة إلا بزوال أخرى ، لكل ذي رفق قوت ، ولكل حبة أكل ، وأنت قوت الموت .

اعلموا أيها الناس : أنه من مشى على وجه الأرض فإنه يصير إلى بطنها ،
والليل والنهار يتسارعان في هدم الأعمار .

أيها الناس : كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، من الكرم لين الكلام ،

(١) المدرج والمدرجة : المذهب والمسلك .

(٢) يقال : خطف البرق البصر : استلبه بسرعة وذهب به . والمستمتع : المتمتع والمتلذذ .

(٣) قد مضت هذه العبارة وبيان ما فيها في وصيته ﷺ لابنه الحسين سلام الله عليه .

(٤) الطرف - بسكون الراء - : العين ، و - بالتحريك - : اللسان أي ومن أطلق عينه ونظره كثر
أسفه .

(٥) النيل : إصابة الشيء ، يقال : نال من عدوه أي بلغ منه مقصوده .

إياك والخديعة فإنها من خلق اللثام ، ليس كل طالب يُصيب ، ولا كل غائب يؤوب ، لا ترغب فيمن زهد فيك ، ربّ بعيد هو أقرب من قريب ، سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، استر عورة أخيك لما تعلمه فيك ، اغتفر زلة صديقك ليوم يركبك عدوك ، من غضب على من لا يقدر أن يضره طال حزنه وعذّب نفسه ، من خاف ربه كفّ ظلمه ، ومن لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة ، إن من الفساد إضاعة الزاد ، ما أصغر المصيبة مع عظم الفاقة غداً ، وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب ، ما أقرب الراحة من التعب ، والبؤس من التغيير ، ما شرُّ بشرٍ بعده الجنة ، وما خير بخير بعده النار . وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية ، عند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر ، تصفية العمل أشدُّ من العمل ، تخلص النية عن الفساد أشدُّ على العاملين من طول الجهاد ، هيهات لولا التقى كنت أدهى العرب^(١) عليكم بتقوى الله في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضى والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وبالعديل على العدو والصديق ، وبالعقل في النشاط والكسل ، والرضى عن الله في الشدة والرخاء ، ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ، ومن كثر خطاؤه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار ، ومن تفكر اعتبر ، ومن اعتبر اعتزل ، ومن اعتزل سلم ، ومن ترك الشهوات كان حرّاً ، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس ، عزّ المؤمن غناه عن الناس ، القناعة مال لا ينفد ، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه ، العجب ممن يخاف العقاب فلا يكفّ ، ويرجو الثواب ولا يتوب ، وعمل الفكر يورث نوراً ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، [و] السعيد من وعظ بغيره ، والأدب خير ميراث ، حسن الخلق خير قرين ، ليس مع قطيعة الرحم نماء ، ولا مع الفجور غنى ، العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء ، رأس العلم الرفق وآفته الخرق ، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب ، والعفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى ، كثرة الزيارة تورث الملالة ، والطمأنينة قبل الخبرة ضدّ الحزم ، إعجاب المرء بنفسه يدلّ على ضعف عقله ، لا تؤيس مذنباً ، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير ، وكم من مقبل على عمله مفسدٌ في آخر عمره ، صائر

(١) الدهاء : جودة الرأي ، والحنق ، وبمعنى المكر والإحتيال وهو المراد ههنا .

إلى النار ، بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد ، طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه ويغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله ، لا يكون المسلم مسلماً حتى يكون ورعاً ، ولن يكون ورعاً حتى يكون زاهداً ، ولن يكون زاهداً حتى يكون حازماً ، ولن يكون حازماً حتى يكون عاقلاً ، وما العاقل إلا من عقل عن الله وعمل للدار الآخرة ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين .

آدابه (ع) لأصحابه - وهي أربعمائة باب للدين والدنيا -

الحجامة تصحُّ البدن وتشدُّ العقل ، أخذ الشارب من النظافة وهو من السنة ، الطيب في الشارب كرامة للكاتبين وهو من السنة ، الدهن يلين البشرة ويزيد في الدماغ والعقل ، ويسهل موضع الطهور ويذهب بالشعث ويصفي اللون . السواك مرضاة للرب وطيبة للفم وهو من السنة ، غسل الرأس بالخطمي يذهب بالدرن وينقي الأقدار^(١) . المضمضة والاستنشاق بالماء عند الطهور طهور للفم والأنف ، السعوط مصححة للرأس^(٢) وشفاء للبدن وسائر أوجاع الرأس ، النورة مشددة للبدن وطهور للجسد ، وتقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم ويجلب الرزق ويدبره ، نتف الإبط ينفي الرائحة المنكرة وهو طهور وسنة ، غسل اليدين قبل الطعام وبعده زيادة في الرزق ، غسل الأعياد طهور لمن أراد طلب الحوائج بين يدي الله عز وجل واتباع السنة ، قيام الليل مصححة للبدن ورضى للرب وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين ، أكل التفاح نضوح للمعدة ، مضغ اللبان يشدُّ الأضراس وينفي البلغم ويقطع ريح الفم ، الجلوس في المسجد بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أسرع في طلب الرزق من الضرب في الأرض . أكل السفرجل قوة للقلب الضعيف وهو يطيب المعدة ويذكي الفؤاد ويشجع الجبان ويحسن الولد . أكل إحدى وعشرين زبينة حمراء على الريق^(٣) في كل يوم تدفع الأمراض إلا مرض الموت ، يستحب للمسلم أن يأتي أهله في أول ليلة من شهر رمضان لقول الله : ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(٤) ، لا تختموا

(١) الخطمي بالكسر : نبت معروف ، والدرن - بفتحيتين - الوسخ .

(٢) السعوط : دواء الذي يصب في الأنف ومجلبة للصحة .

(٣) الريق من كل شيء أوله وعلى الريق ، أي قبل أن أكل شيئاً .

(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٧ .

بغير الفضّة فإن رسول الله ﷺ قال : ما طهّر الله يداً فيها خاتم حديد ، من نقش على خاتمه إسماً من أسماء الله فليحوّله عن اليد التي يستنجي بها ، إذا نظر أحدكم إلى المرأة فليقل : «الحمد لله الذي خلّقني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري وأكرمني بالإسلام» ، ليتزّين أحدكم لأخيه المسلم إذا أتاه كما تزّين للغريب الذي يحبُّ أن يراه في أحسن هيئة ، صوم ثلاثة أيام في كل شهر وصوم شعبان يذهب بوسواس الصدر وبلابل القلب ، الإستنجاء بالماء البارد يقطع البواسير ، غسل الثياب يذهب بالهمّ وظهر للصلاة ، لا تنتفوا الشيب فإنه نورٌ ومن شاب شيبته في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ، لا ينام المسلم وهو جنب ، ولا ينام إلّا على طهور ، فإن لم يجد الماء فليتيّم بالصعيد ، فإن روح المؤمن ترتفع إلى الله عزّ وجلّ فيقبلها ويبارك عليها ، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في صورة حسنة وإن لم يحضر أجلها بعث بها مع أمنائه من الملائكة فردّها في جسده . لا يتفل المسلم في القبلة^(١) ، فإن فعل ناسياً فليستغفر الله . لا ينفخ المرء موضع سجوده ولا في طعامه ولا في شرابه ولا في تعويذه . لا يتغوّظ أحدكم على المحجّة ، ولا يبيل على سطح في الهواء ولا في ماء جار ، فمن فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلوّم إلّا نفسه ، فإن للماء أهلاً وللhواء أهلاً . وإذا بال أحدكم فلا يطمحن ببوله^(٢) ، ولا يستقبل به الريح ، لا ينام مستلقياً على ظهره . لا يقوم الرجل في الصلاة متكاسلاً ولا متقاعساً^(٣) . ليقُل العبد الفكر إذا قام بين يدي الله ، فإنما له من صلاته ما أقبل عليه . لا تدعوا ذكر الله في كل مكان ولا على كل حال . لا يلتفت أحدكم في صلاته ، فإن العبد إذا التفت فيها قال الله له : إليّ عبدي خير لك ممّن تلتفت إليه كلوا ما يسقط من الخوان^(٤) فإنه شفاء من كل داء بإذن الله لمن أراد أن يستشفى به . البسوا ثياب القطن فإنه لباس رسول الله ﷺ ، ولم يكن يلبس الصّوف ولا الشعر إلّا من علة ، إذا أكل أحدكم الطعام فمضّ أصابعه التي أكل بها ، قال الله عزّ وجلّ ذكره : بارك الله فيك ، إن الله ليحبُّ الجمال وأن يرى أثر نعمته على عبده . صلوا

(١) التفل : البصاق ، يقال : تفل في الأرض ، أي طرح البصاق فيها .

(٢) أي يرفع ببوله ويرمي به في الهواء .

(٣) المتكاسل : المتناقل . والمتقاعس من تقاعس الرجل من الأمر إذا تأخر .

(٤) الخوان : ما يوضع عليه الطعام ، ويقال لها «سفرة» أيضاً .

أرحامكم ولو بالسلام لقول الله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١) . ولا تقطعوا نهاركم بكيت وكيت ، وفعلنا كذا وكذا ، فإنَّ معكم حفظة يحفظون عليكم . واذكروا الله عزَّ وجلَّ بكل مكان . صلوا على النبي وآله صلى الله عليه وعليهم ، فإن الله يتقبل دعاءكم عند ذكره ورعايتكم له . أقرُّوا الحارَّ حتى يبرد ويمكن ، فإن رسول الله ﷺ قال - وقد قرب إليه طعام حارَّ - أقرُّوه حتى يبرد ويمكن وما كان الله ليطلعنا الحارَّ والبركة في البارد والحارُّ غير ذي بركة . علِّموا صبيانكم ما ينفعهم الله به ، لا تغلب عليه المرجئة .

أيُّها النَّاسُ : كفُّوا ألسنتكم وسلِّموا تسليماً ، أدِّوا الأمانات ولو إلى قتلة الأنبياء . أكثرُوا ذكر الله إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس بالتجارات ، فإنه كفَّارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكونوا من الغافلين . ليس للعبد أن يسافر إذا حضر شهر رمضان لقول الله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢) . ليس في شرب المسكر والمسح على الخفَّين تقية . إياكم والغلوِّ فينا ، قولوا : إِنَّا عباد مرَبوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم . من أحبَّنَا فليعمل بعملنا ويستعن بالورع ، فإنه أفضل ما يستعان به في الدنيا والآخرة . لا تجالسوا لنا عائباً ولا تمدحونا معلنين عند عدونا فتظهروا حبَّنَا وتذلُّوا أنفسكم عند سلطانكم . الزموا الصَّدق فإنه منجاة ، ارغبوا فيما عند الله واطلبوا مرضاته وطاعته ، واصبروا عليهما . فما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك الستر لا تعينوا^(٣) في طلب الشفاعة لكم يوم القيامة بسبب ما قدَّمتم ولا تفضحوا أنفسكم عند عدوِّكم يوم القيامة . ولا تكذبوا أنفسكم في منزلتكم عند الله بالحقيير من الدنيا . تمسكوا بما أمركم الله به فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحبُّ إلا أن يحضره رسول الله ، وما عند الله خيرٌ وأبقى وتأتيه البشارة والله فتقرُّ عينه ويحبُّ لقاء الله . لا تحقروا ضعفاء إخوانكم ، فإنه من احتقر مؤمناً حقَّره الله ولم يجمع بينهما يوم القيامة إلا أن يتوب . ولا يكلف المرء أخاه الطَّلَب إليه إذا عرف حاجته . تزاوروا وتعاطفوا وتبادلوا ولا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل . تزوجوا فإن رسول الله ﷺ قال : من كان يحب أن يستنَّ بسنتي فليتزوِّج ، فإن من سنتي التزوُّج .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٥ أي السفر بعد الرؤية كأنه فرار عن أمر المولى سبحانه .

(٣) أي لا تتعبونا . من أعياه أي أتعبه وأكله (بشد اللام) وفي الخصال (لا تعنونا) .

اطلبوا الولد فإنني مكاشر بكم الأمم ، توقّوا على أولادكم من لبن البغي من النساء والمجنونة^(١) ، فإن اللبن يُعدي . تنزّوها عن أكل الطير الذي ليس له قانصة ولا صيصية ولا حوصلة ولا كابة^(٢) . اتقوا أكل كلّ ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير . ولا تأكلوا الطّحال ، فإنه ينبت من الدم الفاسد . ولا تلبسوا السواد فإنه لباس فرعون . اتقوا الغُدد من اللحم ، فإنها تحرّك عرق الجذام . لا تقيسوا الدين فإنه لا يُقاس ، وسيأتي قوم يقيسون الدين هم أعداؤه وأول من قاس إبليس ، لا تتخذوا الملسن فإنه حذاء فرعون وهو أول من حذا الملسن^(٣) . خالفوا أصحاب المسكر . وكلوا الثمر فإنه فيه شفاء من الأدواء . اتبعوا قول رسول الله ﷺ فإنه قال : من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه باب فقر . أكثروا الاستغفار فإنه يجلب الرزق . قدّموا ما استطعتم من عمل الخير تجدوه غداً . إياكم والجدال فإنه يورث الشك . من كانت له إلى الله حاجة فليطلبها في ثلاث ساعات من يوم الجمعة : ساعة الزّوال حين تهب الرياح وتفتح أبواب السماء وتنزل الرحمة وتصوت الطير ، وساعة في آخر الليل عند طلوع الفجر ، فإن ملكين يناديان : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من طالب حاجة ؟ فأجيبوا داعي الله ، واطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإنه أسرع لطلب الرزق من الضرب في الأرض وهي الساعة التي يقسم الله جلّ وعزّ فيها الأرزاق بين عباده . انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله فإن أحب الأمور إلى الله انتظار الفرج وما داوم عليه المؤمن . توكّلوا على الله عند ركعتي الفجر بعد فراغكم منها ، ففيها تعطى الرغائب . لا تخرجوا بالسيوف إلى الحرم ولا يصل أحدكم وبين يديه سيف ، فإن القبلة آمنٌ . ألّموا برسول الله ﷺ إذا حججتم ، فإن تركه جفاءً ، وبذلك أمرتم ألّموا بالقبور التي يلزمكم حق سكانها وزوروا واطلبوا الرزق عندها ،

(١) البغي : المرأة الزانية الفاجرة .

(٢) القانصة للطير بمنزلة المعاليغيره . والصيصية - بكسر أوله بغير همزة - الأصبع الزائد في باطن رجل الطائر بمنزلة الإبهام من بني آدم لأنها شوكته فإن الصيصية يقال للشوكة . والحوصلة للطير مكان المعدة لغيره .

(٣) الحذاء والحدو : النعل . والملسن منها كمعظم : ما جعل طرفه كطرف اللسان والملسنة من النعال : ما فيها طول ولطافة كهيئة اللسان .

فإنهم يفرحون بزيارتكم ، ليطلب الرجل الحاجة عند قبر أبيه وأمه بعدما يدعوا لهما .
لا تستصغروا قليل الإثم لما لم تقدروا على الكبير ، فإن الصغير يحصى ويرجع إلى
الكبير . أطيلوا السجود فمن أطاله أطاع ونجا . أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من
القبور ويوم قيامكم بين يدي الله تهن عليكم المصائب . إذا اشتكى أحدكم عينه فليقرأ
آية الكرسي وليضمّر في نفسه أنها تبرء فإنه يعافي إن شاء الله . توقّوا الذنوب فما من
بليّة ولا نقص رزق إلا بذنب حتى الخدش والنكبة والمصيبة ، فإن الله جلّ ذكره
يقول : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾^(١) . أكثروا ذكر
الله جلّ وعزّ على الطعام ولا تلفظوا فيه فإنه نعمة من نعم الله ورزق من رزقه يجب
عليكم شكره وحمده . أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها فإنها تزول وتشهد على صاحبها
بما عمل فيها . من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل .
إياكم والتفريط ، فإنه يورث الحسرة حين لا تنفع الحسرة . إذا لقيتم عدوكم في
الحرب فأقلّوا الكلام ، أكثروا ذكر الله جلّ وعزّ ، ولا تولّوا الأدبار فتسخطوا الله
وتستوجبوا غضبه . إذا رأيتم من إخوانكم المجروح في الحرب أو من قد نكل أو طمع
عدوكم فيه ففوّه بأنفسكم . اصطنعوا المعروف بما قدرتم عليه ، فإنه بقي مصارع
السوء . من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند
الذنوب . أفضل ما يتخذ الرجل في منزله الشاة ، فمن كانت في منزله شاة قدّست
عليه الملائكة كلّ يوم مرّة ، ومن كان عنده شاتان قدّست عليه الملائكة كلّ يوم
مرتين ، وكذلك في الثلاث ، ويقول الله : بورك فيكم . إذا ضعف المسلم فليأكل
اللحم باللبن ، فإن الله جعل القوّة فيهما . إذا أردتم الحج فتقدموا في شراء بعض
حوائجكم بأنفسكم فإن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له
عدة ﴾^(٢) . إذا جلس أحدكم في الشمس فليستدبرها لظهره فإنها تظهر الداء الدفين .
إذا حججتم فأكثروا النظر إلى بيت الله ، فإن الله مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام ،
منها ستون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين . أقرّوا بيت الله الحرام بما
حفظتموه من ذنوبكم وما لم تحفظوه فقولوا : ما حفظته يا ربّ علينا ونسيناه فاغفر لنا .
فإنه من أقرّ بذنوبه في ذلك الموضع وعدّها وذكرها واستغفر الله جلّ وعزّ منها كان حقاً

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٣٠ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٧ .

على الله أن يغفرها له . تقدموا في الدعاء قبل نزول البلاء فإنه تفتح أبواب السماء في ستة مواقف : عند نزول الغيث وعند الزحف^(١) وعند الأذان وعند قراءة القرآن ومع زوال الشمس وعند طلوع الفجر . من مسَّ جسد ميت بعدما يبرد لزمه الغسل . من غسَّ مؤمناً فليغتسل بعدما يلبسه أكفانه ولا يمسه بعد ذلك فيجب عليه الغسل ولا تجمروا الأكفان ، ولا تمسوا موتاكم الطيب إلا الكافور ، فإن الميت بمنزلة المحرم . مروا أهاليكم بالقول الحسن عند الميت ، فإن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لما قبض أبوها ﷺ أشعرا بنات هاشم فقالت : اتركوا الحداد . وعليكم بالدعاء . المسلم مرآة أخيه فإذا رأيتم من أخيك هفوة فلا تكونوا عليه إلباً^(٢) وأرشدوه وانصحو له وترفقوا به . وإياكم والخلاف فإنه مروقٌ وعليكم بالقصد . تراءفوا وتراحموا ، من سافر بدابته بدأ بعلفها وسقيها . لا تضربوا الدواب على حرٍّ وجوهها فإنها تسبح ربها . من ضلَّ منكم في سفر أو خاف على نفسه فليناد : «يا صالح أغثني» فإن في إخوانكم الجن من إذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضالَّ منكم وحس عليه دابته . ومن خاف منكم الأسد على نفسه ودابته وغنمه فليخط عليها خطة وليقل : «اللَّهُمَّ رَبِّ دَانِيَالِ وَالْجَبِّ»^(٣) وكل أسد مستأسد ، احفظني وغنمي» . ومن خاف منكم الغرق فليقل : «بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» . ومن خاف العقرب فليقرأ : «سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين»^(٤) عقوا عن أولادكم في اليوم السابع وتصدقوا إذا حلقتهم رؤوسهم بوزن شعورهم فضة ، فإنه واجب على كل مسلم ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ بالحسن والحسين . إذا ناولتم سائلاً شيئاً فاسألوه أن يدعولكم فإنه يستجاب فيكم ولا يجاب في نفسه لأنهم يكذبون ، ويردّ الذي يناوله يده إلى فيه فليقبلها فإن الله يأخذها قبل أن تقع في يد السائل . قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ﴾ . تصدّقوا بالليل فإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب . احسبوا كلامكم

(١) الزحف : الجيش الكثير يمشي ويزحف إلى العدو والمراد به ههنا الجهاد .

(٢) الهفوة : الزلة والسقطة ، والإلب : القوم يجمعهم عداوة واحد .

(٣) الجب : البئر العميقة ، ودانيال النبي عليه السلام كان من أنبياء بني إسرائيل محبوساً في الجب

زمن «بخت النصر» على ما قيل .

(٤) سورة الصافات ؛ الآيات : ٧٩ - ٨١ .

من أعمالكم يقلّ كلامكم إلا في الخير . أنفقوا مما رزقكم الله ، فإن المنفق في بمنزلة المجاهد في سبيل الله . فمن أيقن بالخلف أنفق-وسخت نفسه بذلك . من كان على يقين فأصابه ما يشك فليمض على يقينه ، فإن الشك لا يدفع اليقين ولا ينقضه . ولا تشهدوا قول الزور . ولا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر ، فإن العبد لا يدري متى يؤخذ ، وإذا جلس أحدكم على الطعام فليجلس جلسة العبد ويأكل على الأرض ، ولا يضع إحدى رجليه على الأخرى ولا يتربع ، فإنها جلسة يبغضها الله ويمقت صاحبها . عشاء الأنبياء بعد العتمة^(١) فلا تدعوا العشاء ، فإن تركه يُخرّب البدن . الحمى رائد الموت^(٢) وسجن الله في الأرض . يحبس بها من يشاء من عباده وهي تحت الذنوب ، كما يحاتّ الوبر عن سنام البعير ، ليس من داء إلا وهو داخل الجوف إلا الجراحة والحمى ، فإنهما يردان على الجسد وروداً ، أكسروا حرّ الحمى بالبنفسج والماء البارد ، فإن حرّها من فيح جهنم^(٣) لا يتداوى المسلم حتى يغلب مرضه صحته . الدعاء يرُدّ القضاء المبرم فأعدوه واستعملوه . الوضوء بعد الطهر عشر حسنات فتطهروا . إياكم والكسل فإنه من كسل لم يؤدّ حق الله ، تنظفوا بالماء من الريح الممتنة وتعهدوا أنفسكم فإن الله يبغض من عباده القاذورة الذي يتأفف به من جلس إليه^(٤) . لا يعبت أحدكم بلحيته في الصلاة ، ولا بما يشغله عنها . بادروا بعمل الخير قبل أن تشغلوا عنه بغيره .

المؤمن نفسه منه في تعب والناس منه في راحة . ليكن جلّ كلامكم ذكر الله . احذروا الذنوب ، فإن العبد يذنب فيحبس عنه الرزق . داووا مرضاكم بالصدقة وحصّنوا أموالكم بالزكاة . الصلاة قربان كل تقي . والحج جهاد كل ضعيف . حسن التبعل جهاد المرأة . الفقر الموت الأكبر . قلة العيال أحد اليسارين . التقدير نصف المعيشة . الهم نصف الهرم . ما عال امرؤ اقتصد . ما عطب امرؤ استشار . لا تصلح الصنيعة إلا عند ذي حسب ودين . لكل شيء ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح . من أيقن بالخلف جاد بالعطية . من ضرب على فخذه عند المصيبة فقد حبط أجره .

-
- (١) العشاء - بالفتح - طعام العشيّ ، العتمة - بالتحريك - : ظلمة الليل .
 (٢) الرائد : الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه ، أو ليخبرهم بما خفي عليهم .
 (٣) فاح يفوح فوحاً وفاح يفوح فيحاً : انتشر . وقيل الفيح : شيوع الحر .
 (٤) التعهد : التحفظ وتجديد العهد ويتأفف أي يقول أف من كرب أو ضجر .

أفضل عمل المؤمن انتظار الفرج . من أحزن والديه فقد عقهما . استنزّلوا الرزق بالصدقة . ادفعوا أنواع البلاء بالدُّعاء ، عليكم به قبل نزول البلاء ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة^(١) للبلاء أسرع إلى المؤمن من السيل من أعلى التلعة إلى أسفلها أو من ركض البراذين . سلوا العافية من جُهد البلاء ، فإن جُهد البلاء ذهاب الدّين . السعيد من وعظ بغيره واتعظ . روضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة فإن العبد المؤمن يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم . من شرب الخمر وهو يعلم أنها خمر سقاه الله من طينة الخبال وإن كان مغفوراً له . لا نذر في معصية ولا يمين في قطيعة . الدّاعي بلا عمل كالرامي بلا وتر . لتطيب المرأة لزوجها . المقتول دون ماله شهيد . المغبون لا محمود ولا محاور . لا يمين للولد مع والده ولا للمرأة مع زوجها . لا صمت إلى الليل إلا في ذكر الله . لا تعرب بعد الهجرة ولا هجرة بعد الفتح . تعرّضوا لما عند الله عزّ وجلّ فإن فيه غنى عما في أيدي الناس . الله يحبّ المحترفين^(٢) . ليس من عمل أحبّ إلى الله من الصلاة ، لا تشغلنكم عن أوقاتها أمور الدنيا ، فإن الله ذمّ أقواماً استهانوا بأوقاتها فقال : ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾^(٣) يعني غافلين . اعلموا أن صالحى عدوكم يراي بعضهم من بعض وذلك أن الله عزّ وجلّ لا يوفقهم ولا يقبل إلا ما كان له . البرّ لا يبلّى والذنّب لا ينسى . ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾^(٤) . المؤمن لا يعبّر أخاه ولا يخونه ولا يتهمه ولا يخذله ولا يتبرّ منه . إقبل عذر أخيك فإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً . مزاوله قلع الجبال أيسر من مزاوله ملك مؤجل ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾^(٥) . لا تعجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا . ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم . ارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله عزّ وجلّ . إياكم

(١) النسمة : كل ذي روح من إنسان وغيره . والتلعة : ما علا من الأرض . والبراذين : جمع البرذون - بكسر الباء وفتح الذال المعجمة - : التركي من الخيل والدابة الحمل الثقيلة وأصلها من برذن أي أثقلي . وركضها : سرعتها .

(٢) الإحتراف : الإكتساب .

(٣) سورة الماعون ؛ الآية : ٥ .

(٤) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٨ .

(٥) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢٨ .

والغبية فإن المسلم لا يغتاب أخاه وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(١) لا يجمع المؤمن يديه في الصلاة وهو قائم يتشبه بأهل الكفر . لا يشرب أحدكم الماء قائماً ، فإنه يورث الذاء الذي لا دواء له إلا أن يعافي الله . إذا أصاب أحدكم في الصلاة الذابة فليدفعها [أ] ويتفل عليها أو يضمها في ثوبه حتى ينصرف . والاتفات الفاحش يقطع الصلاة ومن فعل فعله عليه الابتداء بالأذان والإقامة والتكبير . من قرأ قل هو الله أحد إلى أن تطلع الشمس عشر مرات ومثلها إنا أنزلناه في ليلة القدر ومثلها آية الكرسي منع ما له مما يخاف عليه . ومن قرأ قل هو الله أحد وإنا أنزلناه في ليلة القدر قبل طلوع الشمس لم يصب ذنباً وإن اجتهد فيه إبليس . استعينوا بالله عز وجل من غلبة الدين . مثل أهل البيت سفينة نوح من تخلف عنها هلك . تشمير الثياب طهور للصلاة ، قال الله تعالى : ﴿وَيُثَابِكُ فَطْهَرُ﴾^(٢) . أي فشمّر . لعق العسل شفاء ، قال الله : ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣) . ابدؤوا بالملح في أول طعامكم واختموا به فلو يعلم الناس ما في الملح لاختراره على الدرياق^(٤) ، من ابتداء طعامه به أذهب الله عنه سبعين داءً لا يعلمه إلا الله . صوموا ثلاثة أيام كل شهر فهي تعدل صوم الدهر ونحن نصوم خميسين وأربعاء بينهما لأن الله خلق جهنم يوم الأربعاء فتعوذوا بالله جل وعز منها . إذا أراد أحدكم الحاجة فليذكر فيها يوم الخميس ، فإن رسول الله ﷺ : قال : «اللهم بارك لأمتي في بكرتها يوم الخميس» . وليقرأ إذا خرج من بيته ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ - إلى قوله - : ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ الْمِيعَادَ﴾^(٥) وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فإن فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة . عليكم بالصّفيق من الثياب ، فإنه من رُق ثوبه رُق دينه . لا يقوم أحدكم بين يدي ربّه جل وعزّ وعليه ثوب يصفه . توبوا إلى الله وادخلوا في محبته فإن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين والمؤمن منيب وتواب . إذا قال المؤمن لأخيه : أف انقطع ما بينهما

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٢ .

(٢) سورة المدثر ؛ الآية : ٤ .

(٣) سورة النحل ؛ الآية : ٦٩ .

(٤) الدرياق : لغة في الترياق وهو دواء يدفع السموم .

(٥) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩٣ .

وإذا قال له : أنت كافرٌ كفر أحدهما ولا ينبغي له أن يتهمه فإن اتهمه انماث الإيمان بينهما كما ينماث الملح في الماء . باب التوبة مفتوحة لمن أرادها فتوبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم . أوفوا بالعهود إذا عاهدتم فما زالت نعمة عن قوم ولا عيش إلا بذنوب اجترحوها ، إن الله ليس بظلام للعبيد ، ولو استقبلوا ذلك بالدعاء لم تزل ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم أو زالت عنهم النعم فزعوا إلى الله عز وجل بصدق من نياتهم ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح لهم كل فاسد ورد عليهم كل ضائع ، إذا ضاق المسلم فلا يشكون ربّه ولكن يشكوا إليه ، فإن بيده مقاليد الأمور وتدبيرها في السماوات والأرضين وما فيهن وهو رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين . وإذا جلس العبد من نومه فليقل قبل أن يقنوم : «حسبي الرب من العباد ، حسبي هو حسبي ونعم الوكيل»^(١) وإذا قام أحدكم من الليل فليتنظر إلى أكناف السماء وليقرأ ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار - إلى قوله - : لا تخلف الميعاد﴾ . الإطلاع في بئر زمزم يذهب بالداء فاشربوا من مائها مما يلي الركن الذي فيه حجر الأسود . أربعة أنهار من الجنة : الفرات ، والنيل ، وسيحان ، وجيحان وهما نهران^(٢) . لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفتنة أمر الله جلّ وعزّ وإن مات في ذلك كان معيناً لعدونا في حبس حقنا والإشابة^(٣) بدماثنا وميته ميتة جاهلية . ذكرنا - أهل البيت - شفاء من الوغل^(٤) والأسقام ووسواس الدنّب وحبنا رضى الرب . والآخذ بأمرنا وطريقتنا ومذهبنا معنا غداً في حظيرة الفردوس والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله . من شهدنا في حربنا وسمع واعيتنا فلم ينصبرنا أكبه الله على منخريه في النار . نحن باب الجنة إذا بعثوا وضائق المذاهب . ونحن باب حطة وهو السّلم ، من دخل نجاً ومن تخلف عنه هوى . بنا فتح الله جلّ وعزّ وبنا يختم الله وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يدفع الله الزمان الكلب ، وبنا ينزل الغيث^(٥) ولا يغرّنكم بالله الغرور . لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت

(١) من قوله : «وتدبيرها» إلى هنا مشوه والصحيح ما في الخصال ولا يسعنا تصحيحه .

(٢) الفرات بالعراق . والنيل بمصر . وسيحان وجيحان ببلخ .

(٣) أشاط السطان دمه وبدمه : عرضه للقتل وأهدر دمه .

(٤) الوغل : الخبائة ، الإغتيال ، الإفساد .

(٥) «بنا فتح الله - إلى قوله - : ينزل الغيث» إنما ذلك لكونهم المقصود من الوجود والإيجاد .

والزمان الكلب : الشديد الصعب .

الأرض نباتها وزهبت الشحنة من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات وعلى رأسها زنبيلها ، لا يهيجها سبيح ولا تخافه . لو تعلمون ما في مقامكم بين عدوكم وصبركم على ما تسمعون من الأذى لقرت أعينكم . لو قد فقدتموني لرأيتم بعدي أشياء يتمنى أحدكم الموت مما يرى من الجور والعدوان والأثرة والاستخفاف بحق الله والخوف على نفسه ، فإذا كان ذلك فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وعليكم بالصبر والصلاة والتقية ، واعلموا أن الله عز وجل ييغض من عباده التلوث لا تزولوا عن الحق وأهله فإن من استبدل بنا هلك وفاتته الدنيا وخرج منها آثماً . . إذا دخل أحدكم منزله فليُسَلِّم على أهله ، فإن لم يكن له أهل فليقل : «السلام علينا من ربنا» ويقرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله ، فإنه ينفي الفقر . علّموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا ثمانين سنين . تنزّوها عن قرب الكلاب ، فمن أصابه كلب جاف فلينضح ثوبه بالماء وإن كان الكلب رطباً فليغسله . إذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفونه فردّوه إلينا وقفوا عنده وسلّموا إذا تبين لكم الحق ولا تكونوا مذاييع عجلى^(١) . فإلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر . من تمسك بنا لحق ومن تخلف عنا محق ، من اتّبع أمرنا لحق ، من سلك غير طريقنا سحق . لمحبينا أفواج من رحمة الله ولمبغضينا أفواج من سخط الله . طريقنا القصد وأمرنا الرشد ، لا يجوز السهو في خمس : الوتر والركعتين الأوليين من كل صلاة مفروضة التي تكون فيهما القراءة والصبح والمغرب وكل ثنائية مفروضة وإن كانت سفراً . ولا يقرأ العاقل القرآن إذا كان على غير طهر حتى يتطهر له . أعطوا كل سورة حقها من الركوع والسجود إذا كنتم في الصلاة . لا يصلّي الرجل في قميص متوشحاً به ، فإنه من فعال أهل لوط . تجزي للرجل الصلاة في ثوب واحد ، يعقد طرفيه على عنقه وفي القميص الصفيق يزّره عليه^(٢) ؛ لا يسجد الرجل على صورة ولا على بساط هي فيه . ويجوز أن يكون الصورة تحت قدميه أو يطرح عليها ما يواريهما . ولا يعقد الرجل الدرهم الذي فيه الصورة في ثوبه وهو يصلّي ، ويجوز أن يكون الدرهم في هميان أو في ثوب إن كان ظاهراً . لا يسجد الرجل على كدس حنطة^(٣) ولا على شعير

(١) المذاييع جمع مذاييع : الذي لا يكتم السر ، من الإذاعة بمعنى الإفشاء .
(٢) الصفيق من الثوب خلاف السخيف . ويزره أي يشد أزواره وأدخلها في العرى والأزرار جمع الزر وهو ما يجعل في العروة . وعروة الثوب ما يدخل فيه الزر عند شده .
(٣) الكدس - بالضم - : الحب المحصود المجموع .

ولا على شيء مما يؤكل ولا على الخبز . إذا أراد أحدكم الخلاء فليقل : «بسم الله اللهم أمط عني الأذى وأعذني من الشيطان الرجيم» ، وليقل إذا جلس : «اللهم كما أطعمتني طيباً وسوّغتني فاكفني» . فإذا نظر إلى حدثه بعد فراغه فليقل : «اللهم ارزقني الحلال وجنّبني الحرام» ، فإن رسول الله ﷺ قال : ما من عبد إلا وقد وكل الله به ملكاً يلوي عنقه إذا أحدث حتى ينظر إليه فعند ذلك ينبغي له أن يسأل الله الحلال ، فإن الملك يقول : يا ابن آدم هذا ما حرصت عليه ، انظر من أين أخذته وإلى ماذا صار . لا يتوضأ الرجل حتى يسمّي قبل أن يمس الماء ، يقول : «بسم الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» . فإذا فرغ من طهوره قال : «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ» . فعندها يستحقّ المغفرة ، من أتى الصلاة عارفاً بحقها غفر الله له . ولا يصل الرجل نافلة في وقت فريضة ولا يتركها إلا من عذر وليقض بعد ذلك إذا أمكنه القضاء ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿الذين على صلاتهم دائمون﴾^(١) ، هم الذين يقضون ما فاتهم من الليل بالنهار ومن النهار بالليل . لا تقضوا النافلة في وقت الفريضة ولكن ابدؤوا بالفريضة ثم صلوا ما بدا لكم . الصلاة في الحرمين تعدل ألف صلاة . درهم ينفقه الرجل في الحج يعدل ألف درهم . ليخضع الرجل في صلاته فإنه من خضع لله في الركعة فلا يعبث بشيء في صلاة . القنوت في كل صلاة ثنائية قبل الركوع في الركعة الثانية إلا الجمعة فإن فيها قنوتان أحدهما قبل الركوع في الركعة الأولى والآخر بعده في الركعة الثانية . والقراءة في الجمعة في الركعة الأولى بسورة الجمعة بعد فاتحة الكتاب وإذا جاءك المنافقون^(٢) . اجلسوا بعد السجدين حتى تسكن جوارحك ، ثم قوموا فإن ذلك من فعلنا . إذا افتتح أحدكم الصلاة فليرفع يديه بحذاء صدره . إذا قام أحدكم بين يدي الله فليتجاوز وليقم صلبه ولا ينحني . إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء في الدعاء وليتضبب ، فقال ابن سبا^(٣) : يا أمير المؤمنين أليس الله بكل مكان ؟ قال : بلى ، قال : فلم نرفع أيدينا إلى السماء ؟ فقال : ويحك أما تقرأ :

(١) سورة المعارج ؛ الآية : ٢٣ .

(٢) أي في الركعة الثانية بعد الفاتحة .

(٣) ابن سبا هو عبد الله بن سبا الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو وإنه كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان ممن يهيج الناس على عثمان ويعين عليه ويقول بإمرة علي بن أبي طالب .

﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾^(١) فمن أين نطلب الرزق إلا من موضعه وهو ما وعد الله في السماء . لا تقبل من عبد صلاة حتى يسأل الله الجنة ويستجير به من النار ويسأله أن يزوجه من الحور العين ، إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليصل صلاة مودع ، لا يقطع الصلاة التبسم وتقطعها القهقهة ، إذا خالط النوم القلب فقد وجب الوضوء إذا غلبتك عينك وأنت في الصلاة فاقطعها ونم ، فإنك لا تدري لعلك أن تدعو على نفسك ، من أحبنا بقلبه وأعانا بلسانه وقاتل معنا بيده فهو معنا في الجنة في درجتنا ، ومن أحبنا بقلبه ولم يعنا بلسانه ولم يقاتل معنا فهو أسفل من ذلك بدرجة ومن أحبنا بقلبه ولم يعنا بلسانه ولا بيده فهو معنا في الجنة . ومن أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه ويده فهو في أسفل درك من النار . ومن أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه ولم يعن علينا بيده فهو فوق ذلك بدرجة . ومن أبغضنا بقلبه ولم يعن علينا بلسانه ولا يده فهو في النار . إن أهل الجنة لينظرون إلى منازل شيعتنا كما ينظر الإنسان إلى الكواكب التي في السماء . إذا قرأتم من المسبحات شيئاً فقولوا : سبحان ربّي الأعلى . [وإذا قرأتم ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ فصلّوا عليه في الصلاة كثيراً وفي غيرها . ليس في البدن أقل شكراً من العين فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله جلّ وعزّ . إذا قرأتم والتين فقولوا [في آخرها] : ﴿ونحن على ذلك من الشاهدين﴾ . إذا قرأتم ﴿قولوا آمنا بالله﴾ فقولوا : ﴿آمنا بالله - حتى تبلغوا إلى قوله - : ونحن له مسلمون﴾^(٢) . إذا قال العبد في التشهد الأخير من الصلاة المكتوبة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ثم أحدث حدثاً فقد تمت صلاته . ما عبد الله جلّ وعزّ بشيء هو أشدّ من المشي إلى الصلاة . اطلبوا الخير في أعناق الإبل وأخفافها صادرة وواردة . إنما سمي نبيذ السقاية لأن رسول الله ﷺ أتى بزبيب من الطائف فأمر أن ينبذ وي طرح في ماء زمزم لأنه مرّ فأراد أن تسكن مرارته ، فلا تشربوا إذا أعتق . إذا تعرّى الرجل نظر إليه الشيطان فطمع فيه ، فاستروا . ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذله ويجلس بين يدي قوم . من أكل شيئاً من المؤذيات^(٣) فلا يقرب المسجد .

(١) سورة الذاريات ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣٦ .

(٣) كالثوم والبصل .

ليرفع الساجد مؤخره في الصلاة . إذا أراد أحدكم الغسل فليبدأ بذراعيه فليغسلهما .
 إذا صليت وحدك فأسمع نفسك القراءة والتكبير والتسبيح . إذا انفتلت من صلاتك (١)
 فعن يمينك . تزودوا من الدنيا التقوى فإنها خير ما تزودتموه منها . من كتم وجعاً
 أصابه ثلاثة أيام من الناس وشكا إلى الله كان حقاً على الله أن يعافيه منه . أبعد ما
 يكون العبد من الله إذا كانت همته بطنه وفرجه . لا يخرج الرجل في سفر يخاف على
 دينه منه . أعط السَّمع أربعة في الدعاء : الصلاة على النبي وآله واطلب من ربك
 الجنة والتعوذ من النار وسؤالك إياه الحور العين . إذا فرغ الرجل من صلاته فليصل
 على النبي ﷺ وليسأل الله الجنة ويستجير به من النار ويسأله أن يزوجه الحور
 العين ، فإنه من لم يصل على النبي رجعت دعوته ومن سأل الله الجنة سمعت الجنة
 فقالت : يا رب أعط عبدك ما سأل ومن استجار به من النار قالت النار : يا رب أجر
 عبدك مما استجار منه ومن سأل الحور العين سمعت الحور العين فقالت : أعط عبدك
 ما سأل . الغناء نوح إبليس على الجنة إذا أراد أحدكم النوم فليضع يده اليمنى تحت
 خده الأيمن وليقل : « بسم الله وضعت جنبي الله على ملّة إبراهيم ودين محمد وولاية
 من افترض الله طاعته ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » من قال ذلك عند منامه
 حفظ من اللّص المُغِير والهدم واستغفرت له الملائكة حتى ينتبه . ومن قرأ قل هو الله
 أحد حين يأخذ مضجعه وكَلَّ الله به خمسين ألف ملك يحرسونه ليلته . إذا نام أحدكم
 فلا يضع جنبيه حتى يقول : « أعيد نفسي وأهلي وديني ومالي وولدي وخواتيم عملي
 وما خولني ربي ورزقني بعزة الله وعظمة الله وجبروت الله وسلطان الله ورحمة الله ورأفة
 الله وغفران الله وقوة الله وقدره الله ولا إله إلا الله وأركان الله وصنع الله وجمع الله
 وبرسول الله ﷺ وبقدرته على ما يشاء من شرّ السَّامة والهامة (٢) ومن شرّ الجنّ
 والإنس ومن شرّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شرّ ما ينزل من السماء وما
 يعرج فيها ومن شرّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وهو على
 كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله » فإن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن
 والحسين بها وبذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين . نحن الخزّان لدين الله

(١) انفتل من الصلاة أي انصرف عنها .

(٢) السامة : ما يسم ولا يقتل مثل العقرب والزنبور . والهامة : ما يسم ويقتل وقد تطلق على ما يدب وإن لم يقتل كالحشرات .

ونحن مصابيح العلم . إذا مضى منا علمٌ بدا علمٌ ، لا يضلُّ من اتبعنا ولا يهتدي من أنكرنا ولا ينجو من أعان علينا عدونا ؛ ولا يعان من أسلمنا ؛ ولا يخلو عنا بطمع في حطام الدنيا الزائلة عنه ، فإنه من أثر الدنيا علينا عظمت حسرته غداً وذلك قول الله : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساعرين ﴾ (١) . اغسلوا صبيانكم من الغمر فإن الشيطان يشمُّ الغمر (٢) فيفزع الصبي في رقاده ويتأذى به الكاتبان . لكم من النساء أول نظرة فلا تتبعوها واحذروا الفتنة . مدمن الخمر يلقي الله عزَّ وجلَّ حين يلقاه كعابد وثن فقال له حجر بن عدي (٣) : يا أمير المؤمنين من المدمن الخمر ؟ قال : الذي إذا وجدها شربها . من شرب مسكر لم تقبل صلاته أربعين ليلة . من قال لمسلم قولاً يريد به انتقاص مروءته حبسه الله في طينة خبال حتى يأتي مما قال بمخرج . لا ينم الرجل مع الرجل في ثوب واحد ، ولا

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٥٦ . وقوله : فرطت أي قصرت .

(٢) الغمر - بالتحريك - : الدسم والزهومة من اللحم والوضر من السمن .

(٣) حجر بتقديم الحاء المهملة على الجيم المعجمة الساكنة من قبيلة كندة وكان رحمه الله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بل من خواصه وكان مقيماً بالكوفة إلى زمن زياد بن أبيه فأخذه زياد وحبسه وأصحابه ثم بعث بهم إلى معاوية بن أبي سفيان حتى انتهوا إلى مرج عذراء (قرية بغوطة دمشق على أميال منها) وحبسوا به وكانوا أربعة عشر رجلاً فجاء رسل معاوية إليهم فقالوا لهم : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه عفى عن ذلك فابروا من هذا الرجل يخل سبيلكم ، قالوا : لسنا فاعلين ، فأمرنا بقيودهم فحلت وأتى بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسستم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق ، فقالوا : أمير المؤمنين أعرف بكم ، ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرؤون من هذا الرجل قالوا : بل نتولاه فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله فقال لهم حجر : دعوني أصلي ركعتين فأني والله ما توضأت قط إلا صليت فقالوا له : صل فصلي ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها فمشى إليه هذبة بن الفياض الأعور بالسيف فأرعدت فرائضه فقال : كلا زعمت أنك لا تجزع من الموت فإننا ندعك فابره من صاحبك فقال : ما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب ، ثم قتله رضوان الله عليه وقد عظم قتله على قلوب المسلمين وعابوا معاوية على ذلك .

المرأة مع المرأة في ثوب واحد ، ومن فعل ذلك وجب عليه الأدب وهو التعزير . كلوا
الدُّبَاء فإنه يزيد في الدماغ وكان يعجب النبي ﷺ . كلوا الأترج قبل الطعام وبعده
فإن آل محمد ﷺ يأكلونه . الكمثرى يجلو القلب ويسكن أوجاعه بإذن الله . إذا
قام الرجل في الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسداً لما يرى من رحمة الله التي تغشاه .
شرُّ الأمور محدثاتها . خير الأمور ما كان لله جلَّ وعزَّ رضىً . من عبد الدنيا وآثرها
على الآخرة استوخم العقاب . لو يعلم المصلِّي ما يغشاه من رحمة الله ما انتفل ولا
سرَّه أن يرفع رأسه من السجدة . إياكم والتسويف في العمل ، بادروا به إذا أمكنكم .
ما كان لكم من رزق فسيأتيكم على ضعفكم ، وما كان عليكم فلن تقدروا على دفعه
بحيلة . مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . إذا وضع الرجل في الركاب يقال :
«سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون»^(١) . وإذا خرج
أحدكم في سفر فليقل : «اللهم أنت الصاحب في السفر والحامل على الظهر والخليفة
في الأهل والمال والولد» . وإذا نزلتم فقولوا : «اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير
المنزلين» . إذا دخلتم الأسواق لحاجة فقولوا : «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، اللهم إني أعوذ بك من صفقة خاسرة ويمين
فاجرة وأعوذ بك من بواء الإثم . المنتظر وقت الصلاة بعد العصر زائرٌ لله وحق على
الله جلَّ وعزَّ أن يكرم زائره ويعطيه ما سأل . الحاجُّ والمعتمر وفد الله وحق على الله أن
يكرم وفده ويحبوه بالمغفرة . من سقى صبيّاً مسكراً وهو لا يعقل حبسه الله في طينة
خبال حتى يأتي مما فعل بمخرج . الصدقة جُنة عظيمة وحجاب للمؤمن من النار
ووقاية للكافر من تلف المال ويعجل له الخلف ويدفع السقم عن بدنه وما له في الآخرة
من نصيب . باللسان يكب أهل النار في النار وباللسان يستوجب أهل القبور النور ،
فاحفظوا ألسنتكم واشغلوها بذكر الله . من عمل الصور سئل عنها يوم القيامة . إذا
أخذت من أحدكم قذاه^(٢) فليقل : أماط الله عنك ما تكره . إذا خرج أحدكم من
الحمام فقال له أخوه : طاب حميمك ، فليقل : أنعم الله بالك . وإذا قال له : حياك
الله بالسلام فليقل : وأنت فحيّاك الله بالسلام وأحلك دار المقام . السؤال بعد المدح
فامدحوا الله ثم سلوه الحوائج وأثنوا عليه قبل طلبها . يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا

(١) سورة الزخرف ؛ الآيات : ١٢ ، ١٤ .

(٢) القذى والقذاة : ما يقع في العين أو في الشرب من تراب وتبن ونحوهما .

يكون ولا يحلّ . إذا هنأتم الرجل من مولود ذكر فقولوا : بارك الله لك في هبته وبلغ أشده ورزقت برّه . إذا قدم أحدكم من مكة فقبل عينيه وقمه الذي قبل الحجر الأسود الذي قبله رسول الله ﷺ وقبل موضع سجوده وجبهته ، وإذا هنأتموه فقولوا : قبل الله نسكك وشكر سعيك وأخلف عليك نفقتك ولا جعله آخر عهدك ببيته الحرام . احذروا السفلة فإن السفلة لا يخاف الله جلّ وعزّ . إن الله اطلع فاختارنا واختار لنا شيعتنا ، ينصروننا ويفرحون بفرحنا ويحزنون بحزننا ويذلون أموالهم وأنفسهم فينا ، أولئك منا وإلينا . ما من شيعتنا أحد يقارف امرأة نهيناه عنه فيموت حتى يتلى ببلية تمحص بها ذنوبه ، إما في مال أو ولد ، وإما في نفسه حتى يلقي الله محبنا وما له ذنب وإنه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدّد عليه عند الموت فيمحصّ ذنوبه . الميت من شيعتنا صديق شهيد ، صدّق بأمرنا وأحبّ فينا وأبغض فينا ، يريد بذلك وجه الله ، مؤمناً بالله ورسوله . من أذاع سرنا أذاقه الله بأس الحديد . اختنوا أولادكم يوم السابع ولا يمنعكم حرّ ولا بردّ ، فإنه طهر للجسد وإن الأرض لتضجّ إلى الله من بول الأقف^(١) . أصناف السكر أربعة : سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر النوم ، وسكر الملك . أحب للمؤمن أن يطلي في كل خمسة عشر يوماً مرة بالنورة . أقلوا أكل الحيتان فإنها تذيب البدن وتكثر البلغم وتغلظ النفس . الحسو باللبن^(٢) . شفاء من كل داء إلا الموت . كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ للمعدة وحياة للقلب ويذهب بوسواس الشيطان . كلوا الهندباء فإنه ما من صباح إلا وعليه قطرة من قطر الجنة . اشربوا ماء السماء فإنه ظهور للبدن ويدفع الأسقام ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾^(٣) . الحبة السوداء ما من داء إلا وفيها منه شفاء إلا السّام . لحوم البقر داء وألبانها شفاء وكذلك أسمانها . ما تأكل الحامل شيئاً ولا تبدأ به أفضل من الرطب ، قال الله : ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾^(٤) . حنكوا أولادكم بالتمر . فهكذا فعل رسول الله ﷺ بالحسن والحسين ، إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعاجلنها وليمكث يكن منها مثل الذي يكون منه . إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليلقِ أهله فإن عندها مثل الذي رأى ولا

(١) الأقف : الذي لم يختن .

(٢) الحسو من اللبن : شربه شيئاً بعد الشيء والحسوة - بالضم والفتح - الجرعة .

(٣) سورة الأنفال ؛ الآية : ١١ .

(٤) سورة مريم ؛ الآية : ٢٥ .

يجعل للشيطان على قلبه سبيلاً وليصرف بصره عنها ، فإن لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيراً . إذا أراد أحدكم غشيان زوجته فليقل الكلام فإن الكلام عند ذلك يورث الخرس^(١) . لا ينظرن أحدكم إلى باطن فرج المرأة ، فإنه يورث البرص وإذا أتى أحدكم زوجته فليقل : « اللهم إني استحللت فرجها بأمرك وقبلتها بأمانك فإن قضيت منها ولداً فاجعله ذكراً سوياً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ونصبياً » . الحقنة من الأربعة التي قال رسول الله ﷺ فيها ما قال وأفضل ما تداويتم به الحقنة وهي تعظم البطن وتنقي داء الخوف وتقوي الجسد . استعطوا بالبنفسج ، فإن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم الناس ما في البنفسج لحسوه حسواً » . إذا أراد أحدكم إتيان أهله فليتوق الأهله وأنصاف الشهور فإن الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين . توقوا الحجامه يوم الأربعاء ويوم الجمعة ، فإن الأربعاء نحس مستمر وفيه خلقت جهنم ، وفي يوم الجمعة ساعة لا يحتجم فيه أحد إلا مات .

«(١) الغشيان - بالكسر - الإتيان بالمجامعة . والخرس - بالتحريك - آفة تصيب اللسان .

عهده (ع) إلى الأشر حين ولاه مصر وأعمالها

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها ومجاهدة عدوّها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر الله به في كتابه : من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحدٌ إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله بيده وقلبه ولسانه ، فإنه قد تكفل بنصر من نصره إنه قوي عزيز ، وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات فإن النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفورٌ رحيم . وأن يعتمد كتاب الله عند الشبهات ، فإن فيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . وأن يتحرّى رضى الله ولا يتعرض لسخطه ، ولا يصبر على معصيته ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

ثم أعلم يا مالك أنني وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دُولٌ قبلك من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك . ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يستدلُّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيتك . فاملِكْ هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت وكرهت . وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بالإحسان إليهم . ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق ، تفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ،

ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه [هـ] فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من والاك بما عرفك من كتابه وبصرك من سنن نبيه ﷺ . عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا لا تنصب نفسك لحرب الله ، فإنه لا يدي لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، فلا تندم على عفوه ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع^(١) فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الفتن ، فتعوذ بالله من درك الشقاء ، وإذا أعجبك ما أنت فيه من سلطانك فحدثت لك به أبهة ، أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك^(٢) ويكف عنك من غربك وفيء إليك ما عزب من عقلك . وإياك ومساماته في عظمته أو التشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال فخور .

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصتك ومن أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إن لا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خصمه الله أدهض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب . وليس شيء أدهى إلى تغيير نعمة من إقامة على ظلم ، فإن الله يسمع دعوة المظلومين ، وهو للظالمين بمرصاد ومن يكن كذلك فهو رهين هلاك في الدنيا والآخرة .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها للرعية فإن سخط العامة يُجحف برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على السوالي مؤونة في الرخاء وأقل له معونة في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف^(٣) وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملّات الأمور من الخاصّة ، وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعُدّة للأعداء أهل العامة من الأمة فليكن لهم صغوك^(٤) واعمد لأعم

(١) البادرة : حدة الغضب . والمندوحة : السعة والفسحة . والمؤمر - كمعظم - : المسلط ، والإدغال : الإفساد . والنهك : الضعف ونهكه أضعفه .

(٢) يطامن أي يخفض ويسكن . والطماح : الفخر والنشوز والجماع . وارتفاع البصر ، والغرب : الحدة وفيء : يرجع ما غاب عن عقلك .

(٣) الإلحاف : الإلحاح والشدة في السؤال .

(٤) الصغو : الميل ، وفي بعض النسخ «صفوك» .

الأمور منفعة وخيرها عاقبة ولا قوة إلا بالله .

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لعيوب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن ما غاب عنك واستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك ، وأطلق عن الناس عُقد كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر ، واقبل العذر وادراً الحدود بالشبهات . وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبهه بالناصحين^(١) .

لا تدخِلن في مشورتك بخيلاً يخذلك عن الفضل ويعدك الفقر . ولا جباناً يضعف عليك الأمور ، ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور ، فإن البخل والجور والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله كمونها في الأشرار . أيقن أن شر وزرائك من كان للأشرار وزيراً ومن شركهم في الآثام وقام بأمورهم في عباد الله . فلا يكونن لك بطانة تُشركهم في أمانتك ، كما شركوا في سلطان غيرهم فأوردوهم وأوردوهم مصارع السوء ولا يعجبك شاهد ما يحضرونك به ، فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة وعباب كل طمح ودغل ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل أدبهم ونفاذهم ممن قد تصفح الأمور فعرف مساوئها بما جرى عليه منها ، فأولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغريك إلفاءً . لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه . ولم يكن مع غيرك له سيرة أجحفت^(٢) بالمسلمين والمعاهدين فاتخذ أولئك خاصة لخلوتك وملائك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق وأحوطهم على الضعفاء بالإنصاف وأقلهم لك مناظرة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، فإنهم يقفونك على الحق ويبصرونك ما يعود عليك نفعه والصق بأهل الورع ، والصدق وذوي العقول والأحساب ، ثم رضهم على أن لا يُطروك ، ولا يبيجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة والإقرار بذلك يوجب المقت من الله .

لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن ذلك تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة فالزم كلاً منهم ما ألزم نفسه

(١) الساعي : المنام بمعائب الناس . والغاش : الخائن .

(٢) أجحفت بهم : استأصلهم وأهلكهم .

أدباً منك ينفعك الله به وتنفع به أعوانك .

ثم اعلم أنه ليس شيء بأدعى لحسن ظن والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وقلة استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن في ذلك أمر يجتمع لك به حسن ظنك برعيته ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وأحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده . فاعرف هذه المنزلة لك وعليك لتزد بصيرة في حُسن الصنع واستكثار حُسن البلاء عند العامة مع ما يوجب الله بها لك في المعاد .

ولا تنقض سنة صالحة عميل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية . ولا تُحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارس العلماء ومثافنة الحكماء^(١) في تثبيت ما صلح عليه أهل بلادك وإقامة ما استقام به الناس من قبلك ، فإن ذلك يحق الحق ويدفع الباطل ويكتفى به دليلاً ومثالاً لأن السنن الصالحة هي السبيل إلى طاعة الله .

ثم اعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة . ومنها قضاة العدل . ومنها عمال الإنصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها طبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حد فريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ وعهد عندنا محفوظ .

فالجند بإذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبيل الأمن والخفض ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجند إلا بما يُخرج الله لهم من الخراج الذي يصلون به إلى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه ويكون من وراء حاجاتهم ثم لا بقاء لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لمن يحكمون من الأمور ويظهرون من الإنصاف ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجمعون من مرافقهم ،

(١) المثافنة : المجالسة والملازمة . وفي بعض نسخ النهج و«منافة» أي محادثة .

ويقيمون من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق ردهم^(١) وفي فيء الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر فيما خف عليه وثقل . فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأتقاهم جيئاً^(٢) وأفضلهم حلماً وأجمعهم علماً وسياسة ممن يبطئ عن الغضب ويسرع إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبئ على الأقوياء^(٣) ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بدوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة . ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ، يهدون إلى حسن الظن بالله والإيمان بقدره . ثم تفقد أمورهم بما يفقد الوالد من ولده ولا يتفان في نفسك شيء قويتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل ، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة وحسن الظن بك ، فلا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها ، فإن ليسير من لطفك موضعاً يتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن أثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم في بذله ممن يسعهم ويسع من ورائهم من الخلو من أهلهم حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو . ثم واتر إعلامهم^(٤) ذات نفسك في إشارهم والتكرمة لهم والإرصاد بالتوسعة . وحقق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك . وإن أفضل قرّة العيون للولاة استفاضة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية لأنه لا يظهر مودتهم إلا سلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحوطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استئصال دولتهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم . ثم لا تكلن جنودك إلى مغنم وزعته بينهم بل أحدث لهم مع كل مغنم بدلاً مما سواه مما أفاء الله عليهم ، تستنصر بهم به ويكون داعية لهم إلى العودة لنصر الله ولدينه . واخصص أهل

(١) الرد : العطاء والمعونة .

(٢) الجيب من القميص ؛ طوقه . وأيضاً : الصدر والقلب .

(٣) النبو : العلو والإرتفاع وينبئ أي يشتد ويعلو عليهم ليكف أيديهم عن الظلم .

(٤) واتر : أمر من المواترة وهي إرسال الكتب بعضها إثر بعض .

النجدة^(١) في أملهم إلى منتهى غاية آمالك من النصيحة بالبذل وحسن الثناء عليهم ولطيف التعهد لهم رجلاً رجلاً وما أبلئ في كل مشهد ، فإن كثرة الذكر منك لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله . ثم لا تدع أن يكون لك عليهم عيون^(٢) من أهل الأمانة والقول بالحق عند الناس فيشتبون بلاء كل ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم . ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلئ ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، وكاف كلاً منهم بما كان منه واخصه منك بهزه . ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ على أن تصغر من بلائه ما كان عظيماً ، ولا يفسدن امرئاً عندك علة إن عرضت له ، ولا نبوة حديث له ، قد كان له فيها حسن بلاء ، فإن العزة لله يؤتيه من يشاء ، والعاقبة للمتقين .

وإن استشهد أحد من جنودك وأهل النكاية في عدوك فاخلفه في عياله بما يخلف به الوصي الشفيق الموثق به حتى لا يرى عليهم أثر فقده ، فإن ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك ويستشعرون به طاعتك ، ويسلسون لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك .

وقد كانت من رسول الله ﷺ سنن في المشركين ومما بعده سنن ، قد جرت بها سنن وأمثال في الظالمين ومن توجه قبلتنا وتسمى بديننا . وقد قال الله لقوم أحب إرشادهم : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾^(٣) . وقال : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾^(٤) . فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة ، ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ونميز المتشابه منه ونعرف الناسخ مما نسخ الله ووضع إصره^(٥) .

(١) النجدة : الشدة والبأس والشجاعة . والناكل : الجبان الضعيف .

(٢) العين : الرقيب والناظر والجاسوس .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٤) سورة النساء ؛ الآية : ٨٣ .

(٥) الإصر : الثقل أي ثقل التكليف .

فسر في عدوك بمثل ما شاهدت منا في مثلهم من الأعداء وواتر إلينا الكتب بالأخبار بكل حدث يأتك منا أمر عام والله المستعان .

ثم انظر في أمر الأحكام بين الناس بنية صالحة فإن الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القوي وإقامة حدود الله على سنتها ومنهاجها مما يصلح عباد الله وبلاده . فاختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم^(١) ولا يتمادى في إثبات الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم^(٢) وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرهم^(٣) عند انضاح الحكم ، ممن لا يزدحمه إطرأ ولا يستميله إغراء ولا يصغي للتبليغ . فولّ قضاءك من كان كذلك وهم قليل . ثم أكثر تعهد قضائه^(٤) وافتح له في البذل ما يزيح علته^(٥) ويستعين به وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال إياه عندك . وأحسن توقيره في صحبتك وقربه في مجلسك وأمض قضاءه وأنفذ حكمه واشدد عضده واجعل أعوانه خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله ، لينظرهم فيما شبّه عليه ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه ويكونون شهداء على قضائه بين الناس إن شاء الله .

ثم حملة الأخبار لأطرافك قضاة تجتهد فيهم نفسه ، لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنة رسول الله ﷺ فإن الاختلاف في الحكم إضاعة للعدل وغرّة في الدين وسبب من الفرقة . وقد بين الله ما يأتون وما ينفقون وأمر برّد ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه واستحفظه الحكم فيه ، فإنما اختلاف القضاة في دخول البغي بينهم واكتفاء كل امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولايته ، ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك . ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر

(١) لا تمحكه : لا تغضبه - من محك الرجل : نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة .

(٢) التبرم : الضجر . والملل .

(٣) وأصرهم : أقطعهم للخصومة عند وضوح الحكم .

(٤) تعهد : تفقد وتحفظ .

(٥) يزيح : يبعد ويزول وفي النهج «يزيل» . أي وسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشته .

والسنة ، فإذا أعياه ذلك ردَّ الحكم إلى أهله ، فإن غاب أهله عنه ناظر غيره من فقهاء المسلمين ليس له ترك ذلك إلى غيره . وليس لقاضيين من أهل الملة أن يقيما على اختلاف في [الـ] حكم دون ما رفع ذلك إلى وليّ الأمر فيكم فيكون هو الحاكم بما علمه الله ، ثم يجتمعان على حكمه فيما وافقهما أو خالفهما فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا . واكتب إلى قضاة بلدانك فليرفعوا إليك كل حكم اختلفوا فيه على حقوقه . ثم تصفح تلك الأحكام فما وافق كتاب الله وسنة نبيّه والأثر من إمامك فأمضه واحملهم عليه . وما اشتبه عليك فاجمع له الفقهاء بحضرتك فناظرهم فيه ثم أمض ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بحضرتك من المسلمين ، فإن كل أمر اختلف فيه الرعية مردود إلى حكم الإمام وعلى الإمام الاستعانة بالله والاجتهاد في إقامة الحدود وجبر الرعية على أمره ، ولا قوة إلا بالله .

ثم انظر إلى أمور عمالك واستعملهم اختباراً ولا تولّهم أموراً محاباة^(١) وأثرة ، فإن المحاباة والأثرة جماع الجور والخيانة وإدخال الضرورة على الناس وليست تصلح الأمور بالإدغال^(٢) فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة ؛ وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقَدَم في الإسلام . فإنهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً وأقلّ في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً من غيرهم فليكونوا أعوانك على ما تقلدت . ثم أسبغ عليهم في العملات ووسّع عليهم في الأرزاق فإن في ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى عن تناول ما تحت أيديهم وحبّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك . ثم تفقّد أعمالهم وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء ، فإن تعهدك في السرّ أمورهم حدوداً لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية . وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة فوسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة .

(١) «محاباة» أي اختصاصاً وميلاً . والأثرة - بالتحريك - : اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره ويعمل كيف يشاء ، يعني استعمل عمالك بالاختبار والامتحان لا اختصاصاً واستبداداً .

(٢) الإدغال : الإفساد وإدخال في الأمر بما يخالفه ويفسده .

وتفقد ما يصلح أهل الخراج فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، فليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج فإن الجلب لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم له أمره إلا قليلاً ، فاجمع إليك أهل الخراج من كل بلدانك ومرهم فليعلموك حال بلادهم وما فيه صلاحهم ورخاء جبايتهم ، ثم سل عما يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم ، فإن كانوا شكوا ثقلًا أو علة من انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بهم العطش أو آفة خفف عنهم ما ترجو أن يصلح الله به أمرهم . وإن سألوا معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مؤنته ، فإن في عاقبة كفايتك إياهم صلاحاً . فلا يثقلن عليك شيء خففت به عنهم المؤنات ، فإنه ذخري يعودون به عليك لعمارة بلادك وتزيين ولايتك مع اقتنائك مودتهم وحسن نياتهم واستفاضة الخير وما يسهل الله به من جلبهم ، فإن الخراج لا يستخرج بالكد والإتعاب مع أنها عقد تعتمد عليها إن حدث حدث كنت عليهم معتمداً لفضل قوتهم بما ذخرت عنهم من الحمام والثقة منهم بما عودتهم من عدلك ورفقك ومعرفتهم بعذرِكَ فيما حدث من الأمر الذي اتكلت به عليهم فاحتملوه بطيب أنفسهم . فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض لإعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإسراف الولاة وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر . فاعمل فيما وليت عمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية والمثوبة من الله والرضا من الإمام . ولا قوة إلا بالله .

ثم انظر في حال كتابك فاعرف حال كل امرئ منهم فيما يحتاج إليه منهم ، فاجعل لهم منازل ورتباً ، فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكيدتك وأسراك بأجمعهم لوجوه صالح الأدب ممن يصلح للمناظرة في جلائل الأمور من ذوي الرأي والنصيحة والذهن ، أطواهم عنك لمكنون الأسرار كشحاً ممن لا تبطره الكرامة ولا تمحق به الدالة فيجترىء بها عليك في خلاء أو يلتمس إظهارها في بلاء ، ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد كتب الأطراف عليك وإصدار جواباتك على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل . وول ما دون ذلك من رسائلك وجماعات كتب خرجك ودواوين جنودك قوماً تجتهد نفسك في اختيارهم ، فإنها رؤوس أمرك أجمعها لنفعك

وأعمّها لنفع رعيتك . ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك^(١) وحسن الظن بهم ، فإن الرجال يعرفون فراسة الولاة بتضرّعهم وخدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة ، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم فيها بالنبل والأمانة^(٢) ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله وللمن وليت أمره . ثم مرهم بحسن الولاية ولين الكلمة واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم ، لا يقهره كبيرها ، ولا يتشت عليه كثيرها . ثم تفقد ما غاب عنك من حالاتهم وأمر من يرد عليك رسله وذوي الحاجة وكيف ولايتهم وقبولهم وليّهم وحجّتهم فإن التبرّم والعزّ والنخوة من كثير من الكتّاب إلا من عصم الله وليس للناس بُدّ من طلب حاجاتهم ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته أو فضل نسب إليك مع ما لك عند الله في ذلك من حسن الثواب .

ثم التجار وذوي الصناعات فاستوص وأوص بهم خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله^(٣) والمترفق بيده فإنهم موادّ للمنافع وجلابها في البلاد في برك وبعرك وسهلك وجبك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها^(٤) ولا يجترئون عليها من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم فاحفظ حرمتهم وآمن سبلهم وخذ لهم بحقوقهم فإنهم سلم لا يخاف بائقته^(٥) ، وصُلح لا تحذر غائلته ، أحبّ الأمور إليهم أجمعها للأمن وأجمعها للسلطان ، فتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك . واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرّة للعامة وعيب على الولاية ، فامنع الإحتكار فإن رسول الله ﷺ نهى عنه وليكن البيع والشراء بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع^(٦) ، فمن قارف حكرة بعد نهيك فنكّل

(١) الفراسة - بالكسر - : حسن النظر في الأمور ، والإستنامة . السكون والإستيناس .

(٢) النبل - بالضم - الذكاء والنجابة والفضل .

(٣) المضطرب بماله : المتردد بأمواله في الأطراف والبلدان . والمترفق بيده : المكتسب به .

(٤) يلتئم : يجتمع وينضم أي بحيث لا يمكن اجتماع الناس في مواضع تلك المرافق .

(٥) البائقة . الداهية والشر . والغائلة . الفتنة والفساد والشر .

(٦) المبتاع : المشتري . وقارف . قارط وخالط . والحكرة - بالضم - اسم من الإحتكار .

وعاقب في غير إسراف . فإن رسول الله ﷺ فعل ذلك .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وذوي البؤسى والزمنى^(١) ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزلاً فاحفظ الله ما استحفظك من حقه فيها واجعل لهم قسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكلاً قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم نظر ، فإنك لا تعذر بتضييع الصغير لإحكام الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم . ولا تصغر خدك لهم وتواضع لله يرفعك الله واخلض جناحك للضعفاء وابيهم إلى ذلك منك حاجة وتفقد من أمورهم ما لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه . وتعهد أهل اليتيم والزمانة والرقة في السن ممن لا حيلة له . ولا بنصب للمسألة نفسه فأجر لهم أرزاقاً فإنهم عباد الله فتقرب إلى الله بتخلصهم ووضعهم مواضعهم في أوقاتهم وحقوقهم ، فإن الأعمال تخلص بصدق النيات . ثم إنه لا تسكن نفوس الناس أو بعضهم إلى أنك قد قضيت حقوقهم بظهر الغيب دون مشافهتك بالحاجات^(٢) وذلك على الولاة ثقیل . والحق كله ثقیل . وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا نفوسهم ووثقوا بصدق موعود الله لمن صبر واحتسب فكن منهم واستعن بالله . واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرِّغ لهم فيه شخصك وذهنك من كل شغل ، ثم تأذن لهم عليك وحاس لهم مجلساً توضع فيه لدى رفعك وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك خفض لهم في مجلسك ذلك جناحين وتلين لهم كنفك^(٣) في مراجعتك ووجهك حتى يكلمك ، متكلمهم غير متعتع^(٤) ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن : «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع» . ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونح عنك الضيق والأنف يسط الله

(١) البؤسى : شدة الفقر . والزمنى - بالفتح - المصاب بـ مائة - بالفتح وهي العاهة .

(٢) المشافهة : المخاطبة بالشفة أي من فيه إلى فيه والمراد حضورهم .

(٣) الكنف - بالتحريك - الجانب ، الظل .

(٤) التعتع في الكلام : التردد فيه من وعي أو عجز والمراد غير خائف منك ومن أعوانك .

عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب أهل طاعته ، فأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار ، وتواضع هناك فإن الله يحب المتواضعين . وليكن أكرم أعوانك عليك أليهم جانباً وأحسنهم مراجعة والطفهم بالضعفاء ، إن شاء الله .

ثم إن أموراً من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها إجابة عمالك ما يعيا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس في قصصهم ، ومنها معرفة ما يصل إلى الكتاب والخزان مما تحت أيديهم ، فلا تتوان فيما هنالك ولا تغتتم تأخيرها واجعل لكل أمر منها من ينظر فيه ولاته بتفريغ لقلبك وهمك ، فكلما أمضيت أمراً فأمضه بعد التروية^(١) ومراجعة نفسك ومشاورة وليّ ذلك ، بغير احتشام ولا رأي^(٢) يكسب به عليك نقيضه . ثم أمض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صحت فيها النية وسلمت منها الرعية . وليكن في خاص ما تخلص الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجب ، فإن الله جعل النافلة لنيته خاصة دون خلقه فقال : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾^(٣) ، فذلك أمرٌ اختص الله به نبيه وأكرمه به ليس لأحد سواه وهو لمن سواه تطوع فإنه يقول : ﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾^(٤) فوفر ما تقرب به إلى الله وكرمه وأد فرائضه إلى الله كاملاً غير مثلوب ولا منقوص^(٥) بالغاً ذلك من بدنك ما بلغ . فإذا قمت في صلاتك فلا تطولن ولا تكونن منفراً ولا مضيعاً ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن : كيف نصلي بهم ؟ فقال : «صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً» .

وبعد هذا فلا تطولن احتجاجك عن رعيته . فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور . والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه

(١) التروية : النظر في الأمر والتفكير فيه .

(٢) الإحتشام من الحشمة - بالكسر - الاستحياء والإنقباض والغضب .

(٣) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧٩ .

(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٨ وفي النهج «ووف ما تقربت» .

(٥) المثلوب : المعيوب . وفي النهج «المثلوب» أي المخدوش .

فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على القول سمات^(١) يعرف بها الصدق من الكذب ، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب^(٢) فإنما أنت أحد رجلين : إما امرء سخط نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجابك ؟ من واجب حق تعطيه ؟ أو خلق كريم تُسديه ؟ وإما مبتلى بالمنع فما أسرع كفَّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بَذْلِكَ ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة عليك فيه من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف . فانتفع بما وصفت لك واقتصر فيه على حظك ورشدك إن شاء الله .

ثم إن للملوك خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأشياء ، ولا تقطعن لأحد من حشمك ولا حامتك قطيعة ولا تعتمد في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونتهم على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة . عليك بالعدل في حكمك إذا انتهت الأمور إليك وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، وافعل ذلك بقرابتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليه منه فإن مغبة ذلك محمودة .

وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذر^(٣) واعدل عنك ظنونهم بإصهارك فإن تلك رياضة منك لنفسك ورفق منك برعيتك وإعذار تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق في خفض وإجمال .

لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك فيه رضي فإن في الصلح دعةً لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم وتحصن كل مخوف تؤتى منه . وبالله الثقة في جميع الأمور . وإن لجت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بها صلحاً أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دونه ،

(١) سمات : جمع سمة - بكسر السين - : العلامة .

(٢) الإدخال في الحقوق : الإفساد فيها . ومن المحتمل «الإدغال في الحقوق» .

(٣) الحيف : الظلم ، والإصهار : الإبراز والظهور .

فإنه ليس شيء من فرائض الله جلَّ وعزَّ الناس أشدُّ عليه اجتماعاً في تفريق أهوائهم وتشتيت أديانهم من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا^(١) من الغدر والختر فلا تغدرنَّ بدمتك ولا تخفر بعهدك ولا تختلنَّ عدوك ، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون به إلى جواره ، فلا خداع ولا مدالسة ولا إدغال فيه^(٢) .

فلا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله على طلب انفساخه فإن صبرك على ضيق ترجو انفرجه وفضل عاقبته خيرٌ من غدر تخاف تبعته^(٣) وأن تحيط بك من الله طلباً ، ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .

وإياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى لزوال نعمة وانقطاع مدَّة من سفك الدماء بغير الحقِّ . والله مبتدئ بالحكم بين العباد فيما يتسافكون من الدماء . فلا تصوننَّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك يخلقه ويزيله ، وإياك والتعرض لسخط الله فإن الله قد جعل لوليٍّ من قُتل مظلوماً سلطاناً قال الله : ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لولِيّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾^(٤) . ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن^(٥) . فإن ابتليت بخطأ وفرط عليك سوطك أو يدك لعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتل فلا تطمحنَّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدِّي إلى أهل المقتول حقَّهم دية مسلَّمة يتقرَّب بها إلى الله زلفى .

إياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن .

إياك والمنُّ على رعيك بإحسان أو التزئيد فيما كان من فعلك أو تعدهم فتتبع

(١) استولوا : استوخموا من عواقب الغدر والخطر .

(٢) المدالسة : الخيانة . والإدغال : الإفساد .

(٣) التبعة : ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر واستعماله في الشر أكثر .

(٤) سورة الإسراء ؛ الآية : ٣٣ .

(٥) القود - بالتحريك - القصاص .

موعدك بخلفك أو التسرع إلى الرعية بلسانك : فإن المن يطل الإحسان والخلف
يوجب المقت . وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون﴾^(١) .

إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها واللجاجة فيها إذا
تنكرت والوهن فيها إذا أوضحت ، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه .

وإياك والاستئثار بما للناس فيه الأسوة والاعتراض فيما يعينك والتغابي عما يعنى
به^(٢) مما قد وضح لعيون الناظرين ، فإنه مأخوذ منك لغيرك . وعما قليل تكشف عنك
أغطية الأمور ويبرز الجبار بعظمته فينتصف المظلومون من الظالمين ، ثم أملك حمية
أنفك وسورة حدثك وسطوة يدك وغرب لسانك . واحترس كل ذلك بكف البادرة^(٣)
وتأخير السطوة وارفع بصرك إلى السماء عندما يحضرك منه حتى يسكن غضبك فتملك
الإختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد .

ثم اعلم أنه قد جمع ما في هذا العهد من صنوف ما لم آلك فيه رشداً إن أحب
الله إرشادك وتوفيقك أن تذكر ما كان من كل ما شاهدت منا فتكون ولايتك هذه من
حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبيك ﷺ أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما
شاهدت مما عملنا به منها . وتجتهد نفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي
واستوثقت من الحجة لنفسي لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .
فليس يعصم من السوء ولا يوفق للخير إلا الله جل ثناؤه . وقد كان مما عهد إلي رسول
الله ﷺ في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيماكم . فبذلك أختتم
لك ما عهدت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأنا أسأل الله سعة رحمته وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني
وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في
العباد وحسن الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك
بالسعادة والشهادة ، وإنا إليه راغبون ، والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين
الطاهرين ، وسلم كثيراً .

(١) سورة الصف ؛ الآية : ٤ .

(٢) التغابي : التغافل عما يهتم به و (يعنى) بصيغة المفعول .

(٣) البادرة : الحدة أو ما يبدر من اللسان عند الغضب من السب ونحوه .

خطبته (ع) المعروفة بالديباج

الحمد لله فاطر الخلق وخالق الإصباح ، ومنشر الموتى ، وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

عباد الله ! إن أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلى الله جلَّ ذكره الإيمان بالله وبرسوله ، وما جاءت به من عند الله والجهد في سبيله ، فإنه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص ، فإنها الفطرة ، وإقامة الصَّلَاة ، فإنها المِلَّة . وإيتاء الزكاة ، فإنها فريضة . وصوم شهر رمضان فإنه جُنَّة حصينة . وحج البيت والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر ويكفران الذنب ويوجبان الجنة . وصلة الرحم ، فإنها ثروة في المال ، ومنسأة في الأجل وتكثير للعدد . والصدقة في السر فإنها تكفر الخطأ وتطفئ غضب الرب تبارك وتعالى . والصدقة في العلانية فإنها تدفع ميتة السوء . وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع السوء .

وأفيضوا في ذكر الله جلَّ ذكره فإنه أحسن الذكر وهو أمان من النفاق وبراءة من النار وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه الله جلَّ وعزَّ وله دويٌّ تحت العرش . وارغبوا فيما وعد المتقون ، فإن وعد الله أصدق الوعد ، وكلما وعد فهو آت كما وعد ، فاقْتَدُوا بهدى رسول الله ﷺ فإنه أفضل الهدى واستنُّوا بسُنَّته ، فإنها أشرف السنن . وتعلَّمُوا كتاب الله تبارك وتعالى ، فإنه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة ، وتفقهوا فيه ، فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور وأحسنوا تلاوته ، فإنه أحسن القصص : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمْ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(١) وإذا هُديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم منه لعلَّكم تفلحون . فاعلموا عباد الله ! أن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم وهو عند الله ألوم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على هذا الجاهل المتحير في جهله وكلاهما حائرٌ بائرٌ مضلٌ مفتونٌ مبتورٌ ما هم فيه ^(٢) وباطل ما كانوا يعملون .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٠٣ .

(٢) البائر : الفاسد ، الهالك الذي لا خير فيه . والمبتور : المقطوع .

عباد الله ! لا ترتابوا فتشكُّوا . ولا تشكُّوا فتكفروا . ولا تكفروا فتندموا . ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ، وتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة فتهلكوا ولا تدهنوا في الحق إذا ورد عليكم وعرفتموه فتخسروا خسراناً مبيئاً .

عباد الله ! إن من الحزم أن تتقوا الله . وإن من العصمة ألا تغتروا بالله .

عباد الله ! إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ، وأغشهم لنفسه أعصاهم له .

عباد الله ! إنه من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعصه يخب ويندم ولا يسلم .

عباد الله ! سلوا الله اليقين ، فإن اليقين رأس الدين وارغبوا إليه في العافية ، فإن أعظم النعمة العافية ، فاغتنموها للدنيا والآخرة ، وارغبوا إليه في التوفيق ، فإنه أسّ وثيق ، واعلموا أن خير ما لزم القلب اليقين وأحسن اليقين التقى ، وأفضل أمور الحق عزائمها وشرها محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وبالبدع هدم السنن . المغبون من غبن دينه ، والمغبوط من سلم له دينه وحسن يقينه . والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه .

عباد الله ! اعلموا أن يسير الرياء شرك . وأن إخلاص العمل اليقين . والهوى يقود إلى النار ، ومجالسة أهل اللهوينسي القرآن ويحضر الشيطان ، والنسيء زيادة في الكفر وأعمال العصاة تدعو إلى سخط الرحمن ، وسخط الرحمن يدعو إلى النار . ومحادثة النساء تدعو إلى البلاء وزيف القلوب ، والرمق لهن يخطف نور أبصار القلوب^(١) ولمح العيون مصائد الشيطان ، ومجالسة السلطان يهيج النيران .

عباد الله ! اصدقوا ، فإن الله مع الصادقين . وجانبوا الكذب ، فإنه مجانب للإيمان وإن الصادق على شرف منجاة وكرامة . والكاذب على شفا مهواة وهلكة . وقولوا الحق تعرفوا به . واعملوا به تكونوا من أهله . وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها . وصلوا أرحام من قطعكم . وعودوا بالفضل على من حرّمكم . وإذا عاقدتم فأوفوا . وإذا حكمتهم فاعدلوا . وإذا ظلمتم فاصبروا . وإذا أسيء إليكم فاعفوا واصفحوا كما تحبون أن يعفى عنكم . ولا تفاخروا بالأبواء ، ﴿ولا تتابزوا بالألقاب﴾ بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴿﴾ . ولا تمازحوا ولا تغضبوا ولا تباذخوا^(٢) . ولا

(١) والرمق : طول النظر إلى الشيء . واللمحة - بالفتح - : النظرة بالعجلة .

(٢) التمازح : التداعب والتلاعب . والتباذخ : التفاخر .

يغتب بعضكم بعضاً : ﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾^(١) ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان ، كما تأكل النار الحطب ، ولا تباغضوا فإنها الحالقة ، وافشوا السُّلام في العالم وردُّوا التحية على أهلها بأحسن منها ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب والمكاتب والمساكين وانصروا المظلوم وأعطوا الفروض وجاهدوا أنفسكم في الله حق جهاده ، فإنه شديد العقاب ، وجاهدوا في سبيل الله وأقروا الضيف . وأحسنوا الوضوء ، وحافظوا على الصلوات الخمس في أوقاتها فإنها من الله جلَّ وعزَّ بمكان : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا - فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ - فَإِنْ اللَّهُ شَاكَرَ عَليْمٍ﴾^(٢) . ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣) . ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤) .

واعلموا عباد الله ! أن الأمل يذهب العقل ويكذب الوعد ويحث على الغفلة ويورث الحسرة فأكذبوا الأمل فإنه غرور وإن صاحبه مأزور . فاعملوا في الرغبة والرغبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا واجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأذَّن للمسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة فإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مكتسباً ممن كسبه اليوم تَذَخَّرَ فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر . وإن من لا ينفعه الحق يضرُّه الباطل . ومن لا يستقيم به الهدى تضرُّه الضلالة . ومن لا ينفعه اليقين يضرُّه الشك وإنكم قد أمرتم بالظعن^(٥) ودلتم على الزاد ، ألا إن أخوف ما أتخوف عليكم إثنان : طول الأمل واتباع الهوى . ألا وإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بانقلاع ، ألا وإن الآخرة قد أقبلت وأذنت باطلاع . ألا وإن المضممار اليوم والسباق غداً ، ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار . ألا وإنكم في أيام مهل من ورائه أجل ، يحثُّه [الـ] معجل . فمن أخلص لله عمله في أيامه قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله ، ومن لم يعمل في أيام مهله ضره أجله ، ولم ينفعه عمله .

(١) سورة الحجرات ؛ الآيات : ١١ - ١٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٨ ، وقوله : «تطوع» أي تبرع .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٢ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٢ .

(٥) الظعن : الرحيل والأمر تكويني والمراد بالزاد عمل الصالحات وترك السيئات .

عباد الله ! افزعوا إلى قوام دينكم بإقام الصلوة لوقتها . وإيتاء الزكاة في حينها ، والتضرع والخشوع . وصلّة الرحم . وخوف المعاد . وإعطاء السائل . وإكرام الضعفة [والضعيف] وتعلم القرآن والعمل به . وصدق الحديث . والوفاء بالعهد . وأداء الأمانة إذا ائتمنتم . وارغبوا في ثواب الله وارهبوا عذابه . وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . وتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم . واعملوا بالخير تجزوا بالخير ، يوم يفوز بالخير من قدّم الخير . أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم .

ومن حكمه صلوات الله عليه وترغيبه وترهيبه ووعظه

أما بعد فإن المكر والخديعة في النار فكونوا من الله على وجل ومن صولته على حذر . إن الله لا يرضى لعباده بعد إعذاره وإنذاره استطراداً واستدراجاً من حيث لا يعلمون^(١) ولهذا يضلل سعي العبد حتى ينسى الوفاء بالعهد ويظن أنه قد أحسن صنعا ولا يزال كذلك في ظن ورجاء وغفلة عما جاءه من النبا يعقد على نفسه العقد ويهلكها بكل جهد وهو في مهلة من الله على عهد ، يهوى مع الغافلين ويغدو مع المذنبين ويجادل في طاعة الله المؤمنين ويستحسن تمويه المترفين^(٢) فهؤلاء قوم شرحت قلوبهم بالشبهة وتناولوا على غيرهم بالفرية وحسبوا أنها لله قرينة وذلك لأنهم عملوا بالهوى وغيروا كلام الحكماء وحرفوه بجهل وعمى وطلبوا به السمعة والرّياء ، بلا سبل قاصدة ولا أعلام جارية ولا منار معلوم إلى أمدهم وإلى منهل هم واردوه حتى إذا كشف الله لهم عن ثواب سياستهم واستخرجهم من جلايب غفلتهم ، استقبلوا مدبراً واستدبروا مقبلاً ، فلم ينتفعوا بما أدركوا من أمنيته ولا بما نالوا من طلبتهم ولا ما قضوا من وطهرهم^(٣) وصار ذلك عليهم وبالاً فصاروا يهربون مما كانوا يطلبون .

وإني أحذركم هذه المزلّة وأمركم بتقوى الله الذي لا ينفع غيره فليتنفع بنفسه إن كان صادقاً على ما يجن ضميره ، فإنما البصير من سمع وتفكر ونظر وأبصر وانتفع

(١) الإستدراج : الإرتقاء من درجة إلى درجة . وأيضاً : الخدعة .

(٢) التّمويه : التلبيس والمزج من الحق والباطل . والمترف : المتنم .

(٣) الأمانة : البغية وما يتمنى ، والطلبة - بالكسر - : الإسم من المطالبة - وبالفتح - : المرة . والوطر - بفتحتين - : الحاجة .

بالعبر وسلك جدداً واضحاً^(١) يتجنب فيه الصرعة في الهوى ويتنكب طريق العمى ولا يعين على فساد نفسه الغواة بتعسف في حق أو تحريف في نطق أو تغيير في صدق ولا قوة إلا بالله .

قولوا ما قيل لكم وسلّموا لما روي لكم ولا تكلفوا ما لم تُكلفوا فإنما تبعته عليكم فيما كسبت أيديكم ولفظت ألسنتكم أو سبقت إليه غايبتكم واحذروا الشبهة فإنها وضعت للفتنة واقصدوا السهولة واعملوا فيما بينكم بالمعروف من القول والفعل واستعملوا الخضوع واستشعروا الخوف والإستكانة لله . واعملوا فيما بينكم بالتواضع والتناصف والتبازل وكظم الغيظ ، فإنها وصية الله . وإياكم والتحاسد والأحقاد ، فإنهما من فعل الجاهلية ﴿ولتتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾^(٢) .

أيها الناس اعلّموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن اشتدّ جهده وعظمت حيلته وكثرت نكايته أكثر مما قدر له في الذكر الحكيم ولم يحل بين المرء على ضعفه وقلة حيلته وبين ما كتب له في الذكر الحكيم . أيها الناس إنه لن يزداد امرؤ نقيراً بحذقه ولن يتقصّ نقيراً بحمقه ، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة والتارك له أكثر الناس شغلاً في مضرة . ربّ منعم عليه في نفسه مستدرج بالإحسان إليه . وربّ مبتلى عند الناس مصنوع له . فأفق أيها المستمتع من سكرك وانتبه من غفلتك وقصّر من عجلتك وتفكّر فيما جاء عن الله تبارك وتعالى فيما لا خلف فيه ولا محيص عنه ولا بدّ منه ، ثم ضع فخرك ودع كبرك وأحضر ذهنك واذكر قبرك ومنزلك ، فإن عليه ممرك وإليه مصيرك . وكما تدّين تدان . وكما تزرع تحصد . وكما تصنع يصنع بك . وما قدّمت إليه تقدم عليه غداً لا محالة . فلينفك النظر فيما وعظت به . وع ما سمعت ووعدت ، فقد اكتنفتك بذلك خصلتان ولا بدّ أن تقوم بأحدهما : إما طاعة الله تقوم لها بما سمعت وإما حجة الله تقوم لها بما علمت .

فالحذر الحذر والعجّد العجّد ، فإنه لا ينبئك مثل خبير إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي لها يرضى ولها يسخط ولها يثيب وعليها يُعاقب أنه ليس بمؤمن وإن حسن قوله وزين وصفه وفضله غيره إذا خرج من الدنيا فلقى الله بخصلة من هذه الخصال لم

(١) الجدد - بفتحيتين - : الأرض الصلبة المستوية التي يسهل المشي فيها . ويتنكب : عدل وتجنب .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ١٨ .

يتب منها : الشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته ، أو شفاء غيظ بهلاك نفسه أو يقر بعمل فعل بغيره ، أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه أو سره أن يحمده الناس بما لم يفعل من خير ، أو مشى في الناس بوجهين ولسانين والتجبر والأبهة . واعلم [وأعقل ذلك فـ] إن المثل دليل على شبهه إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها التعدي والظلم وإن النساء همهن زينة الدنيا والفساد فيها وإن المؤمنين مشفقون مستكينون خائفون .

موعظته (ع) ووصفه المقصرين

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجو التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا قول الزاهدين ، ويعمل فيها عمل الراغبين ، إن أعطي منها لم يشبع وإن منع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ويتغنى الزيادة فيما بقي ، ينهى الناس ولا ينتهي ، ويأمر الناس ما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم . ويكره الموت لكثرة سيئاته ولا يدعها في حياته ، يقول : كم أعمل فأتعنى ، ألا أجلس فأتمنى فهو يتمنى المغفرة ويدأب في المعصية . وقد عمر ما يتذكر فيه من تذكر ، يقول فيما ذهب : لو كنت عملت ونصبت لكان خيراً لي ويضيعه غير مكثر لاهياً . إن سقم ندم على التفريط في العمل . وإن صح أمن مغترأ . يؤخر العمل ، تعجبه نفسه ما عوفي ويقنط إذا ابتلي ، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن . ولا يقنع من الرزق بما قسم له ولا يثق منه بما قد ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، فهو من نفسه في شك ، إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن ، فهو من الذنب والنعمة موفر ، ويتغنى الزيادة ولا يشكر ويتكلف من الناس ما لا يعنيه ويصنع من نفسه ما هو أكثر . إن عرضت له شهوة واقعها باتكال على التوبة وهو لا يدري كيف يكون ذلك . لا تغنيه رغبته ولا تمنعه رهبته . ثم يبالغ في المسألة حين يسأل ويقصر في العمل ، فهو بالقول مدل^(١) ومن العمل مقل ، يرجو نفع عمل ما لم يعمل . ويأمن عقاب جرم قد عمله . يبادر من الدنيا إلى ما يفنى ، ويدع جاهداً ما يبقى ، وهو يخشى الموت ولا يخاف الفوت . يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه . ويستكثر من طاعته ما يحتقر من غيره . يخاف على غيره بأدنى من

(١) يقال : أدل على فلان أي أخذه من فوقه واستعلى عليه .

ذنبه . ويرجو لنفسه بأدنى من عمله ، فهو على الناس طاعنٌ ولنفسه مداهنٌ . يؤدي الأمانة ما عوفي وأرضي والخيانة إذا سخط وابتلي . إذا عوفي ظن أنه قد تاب . وإن ابتلي ظن أنه قد عوقب . يؤخر الصوم ويعجل النوم ، لا يبيت قائماً ولا يصبح صائماً . يصبح وهمته الصبح ولم يسهر . ويمسي وهمته العشاء وهو معطر . يتعوذ بالله ممن هو دونه ولا يتعوذ ممن هو فوقه . ينصب الناس لنفسه ولا ينصب نفسه لربه . النوم مع الأغنياء أحب إليه من الركوع مع الضعفاء يغضب من السير ويعصي في الكثير ، يعزف لنفسه على غيره^(١) ولا يعزف عليها لغيره . فهو يحب أن يطاع ولا يعصى ويستوفي ولا يوفي . يرشد غيره ويغوي نفسه . ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه . يعرف ما أنكر وينكر ما عرف . ولا يحمد ربه على نعمه . ولا يشكره على مزيد ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر فهو دهره في لبس^(٢) إن مرض أخلص وتاب ، وإن عوفي قسا وعاد ، فهو أبداً عليه ولا له ، لا يدري عمله إلى ما يؤديه إليه ، حتى متى وإلى متى . اللهم اجعلنا منك على حذر . احفظ وع انصرف إذا شئت .

وصفه (ع) المتقين

قال - بعد حمد الله والثناء عليه - : إن المتقين في الدنيا هم أهل الفضائل ، منقطعهم الصواب وملبسهم الإقتصاد ومشيمهم التواضع ، خضعوا لله بالطاعة ، غاضين أبصارهم عما حرم الله جل وعز ، واقفين أسمعهم على العلم ، نزلت منهم أنفسهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء رضى بالقضاء ، لولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الشواب وخوفاً من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها وهم فيها يعذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم غفيفة ومعونتهم للإسلام عظيمة . صبروا أياماً قصاراً فأعقبتهم راحة طويلة مربحة يسرها لهم رب كريم . أرادتهم الدنيا ولم يريدوها . وطلبتهم فأعجزوها . أما الليل فصاقون أقدامهم ، تالون لأجزاء القرآن

(١) يعزف : يزهد ويمنع .

(٢) أي كان في مدة عمره الذي يعيش في خلط واشتباه .

يرتلونه ترتيلاً يحزنون به أنفسهم ويستشيرون به دواء دائهم . وتهيج أحزانهم بكاءً على ذنوبهم . ووجع كلومهم^(١) وجراحهم . فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم . وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم ومفترشون جباههم وأكفهم وأطراف الأقدام يطلبون إلى الله العظيم في فكاك رقابهم .

أما النهار فحكماء علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف أمثال القداح^(٢) ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم أمرٌ عظيم إذا هم ذكروا عظمة الله تعالى وشدة سلطانه ، مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة أفرع ذلك قلوبهم وطاشت له أحلامهم وذهلت له عقولهم فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله بالأعمال الزاكية لا يرضون باليسير ولا يستكثرون له الكثير . هم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحدهم خاف مما يقولون ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري وربّي أعلم بي مني . اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون إنك علام الغيوب .

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين . وخوفاً في لين . وإيماناً في يقين . وحرصاً في علم . وكيساً في رفق^(٣) وشفقة في نفقة ، وفهماً في فقه . وعلماً في حلم . وقصداً في غنى . وخشوعاً في عبادة . وتجمللاً في فاقة وصبراً في شدة . ورحمة للمجهود وإعطاءً في حق . ورفقاً في كسب . وطلباً في حلال . ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع وبرأ في استقامة وإعتصاماً عند شهوة . لا يغره ثناء من جهله . ولا يدع إحصاء عمله مستبثاً لنفسه في العمل . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر . يصبح وهمه الذكر ، يبيت حذراً ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة . فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطيها سؤلها فيما هويت فرحه فيما يحذر وقرة عينه فيما لا يزول . وزهادته

(١) الكلوم : جمع كلم - بالفتح - العرج .

(٢) القداح : جمع قدح - بالكسر - : السهم قبل أن يراش .

(٣) الكيس : العقل ، الفطنة ، جودة القريحة ، خلاف الحمق . والشفقة - بالتحريك - : الرحمة .

فيما يفنى . يمزج الحلم بالعلم ويمزج العلم بالعمل . تراه بعيداً كسله ، دائماً نشاطه ، قريباً أمله ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعةً نفسه ، متغيباً جهله ، سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، ميثّةً شهوته ، مكظوماً غيظه ، صافياً خلقه ، لا يحدث الأصدقاء بالذي يؤتمن عليه ، ولا يكتم شهادة الأعداء ، لا يعمل شيئاً رثاءً ولا يتركه استحياءً : الخير منه مأمولٌ والشرُّ منه مأمون . إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين . يعفو عن ظلمه ويعطي من حرمة ويصل من قطعه . لا يعزب حلمه . ولا يعجز فيما يزينه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً مكره ، كثيراً معروفه ، حسناً فعله ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره . فهو في الزلازل وقورٌ . وفي المكاره صبور . وفي الرُخاء شكورٌ . لا يحيف على من ييغض . ولا يائثم فيمن يحب . ولا يدعي ما ليس له . ولا يجحد حقاً هو عليه . يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه . لا يضيع ما استحفظ . ولا ينازب بالألقاب . لا يبغي ولا يهيم به . ولا يضارُّ بالجار . ولا يشمت بالمصائب ، سريعٌ إلى الصواب ، مؤدٍّ للأمانات . بطيءٌ عن المنكرات . يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . لا يدخل في الدنيا بجهل . ولا يخرج من الحق . إن صمت لم يغمه الصمت وإن ضحك لم يعل به الصوت . قانع بالذي له . لا يجمع^(١) به الغيظ . ولا يغلبه الهوى . ولا يقهره الشخ . ولا يطمع فيما ليس له . يخالط الناس ليعلم . ويصمت ليسلم . ويسأل ليفهم . لا ينصت للخير ليعجز به . ولا يتكلم به ليتجبر على من سواه ، إن بُغي عليه صبر حتى يكون الله جلُّ ذكره ينتقم له . نفسه منه في عناء والناس منه في رجاء . أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه . بعده عن تباعد عنه بغض ونزاهة . ودنؤه ممن دنا منه لينٌ ورحمة ، ليس تباعده تكبراً ولا عظمة . ولا دنؤه خديعة ولا خلافة^(٢) ، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير . وهو إمام لمن خلفه من أهل البر .

خطبته (ع) التي يذكر فيها الايمان ودعائمه وشعبها والكفر ودعائمه وشعبها

إن الله ابتدأ الأمور فاصطفى لنفسه منها ما شاء . واستخلص منها ما أحب ، فكان مما أحب أنه ارتضى الإيمان فاشتقه من اسمه ، فنحله من أحب من خلقه ، ثم

(١) جمع الرجل : إذا ركب هواه وأسرع إلى الشيء فلم يمكن رده .

(٢) الخلافة - مصدر - : الخديعة بالقول اللطيف .

بَيْنَهُ فَسَهِّلْ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَأَعِزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ جَانَبَهُ وَجْعَلْهُ عَزْزاً لِمَنْ وَالَاهُ وَأَمْنًا لِمَنْ دَخَلَهُ . وَهْدَى لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ . وَزِينَةً لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ . وَدِينًا لِمَنْ ائْتَحَلَّهُ . وَعَصْمَةً لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ . وَجِبَلًا لِمَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ . وَبِرَهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ . وَشَرَفًا لِمَنْ عَرَفَهُ . وَحِكْمَةً لِمَنْ نَطَقَ بِهِ وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ . وَحِجَّةً لِمَنْ خَاصِمَ بِهِ . وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ^(١) . وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى . وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى . وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى . وَحِلْمًا لِمَنْ حَدَّثَ . وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ . وَفَهْمًا لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَيَقِينًا لِمَنْ عَقَلَ . وَبَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ . وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ . وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ . وَنَجَاةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ . وَمَوَدَّةً مِنَ اللَّهِ لِمَنْ صَلَحَ . وَزُلْفَى لِمَنْ ارْتَقَبَ . وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ . وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ . وَصِبْغَةً لِمَنْ أَحْسَنَ . وَخَيْرًا لِمَنْ سَارَعَ . وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ . وَلِبَاسًا لِمَنْ اتَّقَى . وَتَطْهِيرًا لِمَنْ رَشَدَ . وَأَمْنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ . وَرُوحًا لِلصَّادِقِينَ . فَالْإِيمَانُ أَصْلُ الْحَقِّ . وَأَصْلُ الْحَقِّ سَبِيلُهُ الْهُدَى وَصِفَتُهُ الْحُسْنَى . وَمَأْثَرَتُهُ الْمَجْدُ^(٢) . فَهُوَ أَبْلَجُ الْمُنْهَاجِ مَشْرِقُ الْمَنَارِ . مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ . رَفِيعُ الْغَايَةِ . يَسِيرُ الْمَضْمَارِ . جَامِعُ الْحَلَبَةِ . مُتَنَافِسُ السَّبْقَةِ . قَدِيمُ الْعَدَّةِ . كَرِيمُ الْفَرَسَانِ . الصَّالِحَاتِ مَنَارُهُ ، وَالْعَفَّةِ مَصَابِيحُهُ . وَالْمَوْتِ غَايَتُهُ . وَالْدُنْيَا مَضْمَارُهُ . وَالْقِيَامَةِ حَلَبَتُهُ . وَالْجَنَّةِ سَبْقَتُهُ . وَالنَّارِ نَقْمَتُهُ . وَالتَّقْوَى عَدَّتُهُ . وَالْمُحْسِنُونَ فَرَسَانُهُ . فَبِالْإِيمَانِ يَسْتَدِلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ . وَبِالصَّالِحَاتِ يَعْمُرُ الْفَقْهَ . وَبِالْفَقْهِ يَرْهَبُ الْمَوْتَ . وَبِالْمَوْتِ تَخْتِمُ الدُّنْيَا . وَبِالدُّنْيَا تَحْذُو الْآخِرَةَ . وَبِالْقِيَامَةِ تَزْلِفُ الْجَنَّةَ وَالْجَنَّةُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ . وَالنَّارُ مَوْعِظَةُ التَّقْوَى . وَالتَّقْوَى سِنَخُ الْإِحْسَانِ . وَالتَّقْوَى غَايَةُ لَا يَهْلِكُ مِنْ تَبْعِهَا وَلَا يَنْدَمُ مِنْ يَعْمَلُ بِهَا ، لِأَنَّ التَّقْوَى فَازُ الْفَائِزِينَ . وَبِالْمَعْصِيَةِ خَسِرُ الْخَاسِرِينَ . فَلْيَزِدْجِرْ أَوَّلُو النِّهْيِ . وَلْيَتَذَكَّرْ أَهْلُ التَّقْوَى .

فَالْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ .

فَالصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الشُّوقِ وَالشَّفَقِ^(٣) وَالزَّهْدِ وَالتَّرَقُّبِ . فَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ^(٤) ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْحَرَمَاتِ . وَمَنْ زَهَدَ

(١) الْفَلَجُ : الظَّفَرُ وَالْفَوْزُ .

(٢) الْمَأْثَرَةُ - بَضْمُ الثَّاءِ وَفَتْحُهَا - الْمَكْرَمَةُ وَالْفِعْلُ الْحَمِيدُ وَأَبْلَجُ أَيُّ أَوْضَحَ وَالْمُنْهَاجُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ .

(٣) الشَّفَقُ : بِالْتَّحْرِيكِ : الْخَوْفُ .

(٤) سَلَا عَنْهُ : أَيُّ نَسِيَ وَذَهَلَ عَنْ ذِكْرِهِ .

في الدنيا هانت عليه المصيبات . ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

واليقين على أربع شعب : على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ^(١) . وموعظة العبرة وسنة الأولين . فمن تبصر في الفطنة تأول الحكمة . ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما عاش في الأولين .

والعدل على أربع شعب : على غائص الفهم وغمرة العلم ^(٢) وزهرة الحكم وروضة الحلم . فمن فهم فسر جميع العلم . ومن عرف الحكم لم يضل . ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش به في الناس حميداً .

والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق عند المواطن ^(٣) وشنان الفاسقين فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن . ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافرين . ومن صدق في المواطن قضى ما عليه . ومن شنأ الفاسقين غضب الله ومن غضب الله غضب الله له فذلك الإيمان ودعائمه وشعبه .

والكفر على أربع دعائم : على الفسق والغلو والشك والشبهة .

فالفسق من ذلك على أربع شعب : الجفاء والعمى والغفلة والعتو . فمن جفا حقر المؤمن ومقت الفقهاء وأصر على الحنث . ومن عمى نسي الذكر ، بذى خلقه وبارز خالقه وألح عليه الشيطان . ومن غفل جنى على نفسه وانقلب على ظهره وحسب غيه رشداً وغرته الأماني ، وأخذته الحسرة إذا انقضى الأمر ، وانكشف عنه الغطاء ، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب . ومن عتا عن أمر الله شك . ومن شك تعالى الله عليه ثم أذله بسلطانه وصغره بجلاله . كما فرط في حياته واغتر بربه الكريم .

والغلو على أربع شعب : على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق . فمن تعمق لم ينته إلى الحق ولم يزد إلا غرقاً في الغمرات ، لا تنحسر عنه فتنة إلا غشيته أخرى ، فهو يهوي في أمر مريج ^(٤) . ومن نازع وخاصم قطع بينهم الفشل وبلي أمرهم من

(١) التبصرة : التعرف أي الوصول إلى دقائقها . والعبرة : الاعتبار والإعطاء .

(٢) الغمرة : بالفتح : الشدة والجمع . والمراد غور العلم أي سره وباطنه .

(٣) المواطن : مشاهد الحرب في سبيل الحق أو المواطن المكروهة . والشنان : بالتحريك : البغض .

(٤) الإنحسار : الإنكشاف . ومريج أي مختلط أو مضطرب . وزاد في الكافي (وانخرق دينه) .

طول اللجاج . ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلال . ومن شاق اعورث عليه طُرقه^(١) واعترض عليه أمره وضاق مخرجه . وحرام أن ينزع من دينه من أتبع غير سبيل المؤمنين .

والشك على أربع شعب : على المرية والهول والتردد والاستسلام^(٢) ، فبأي آلاء ربك يتمارى الممترون . ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه . ومن تردد في دينه سبقه الأولون وأدركه الآخرون ووطئته سنايك الشياطين . ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما . ومن نجا من ذلك فبفضل اليقين .

والشبهة على أربع شعب : على إعجاب بالزينة وتسويل النفس وتأول العوج ولبس الحق بالباطل . وذلك أن الزينة تصدف عن البيئة . وتسويل النفس تقحم إلى الشهوة^(٣) . والعوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً . واللبس ظلمات بعضها فوق بعض فذلك الكفر ودعائمه وشعبه .

والنفاق على أربع دعائم : على الهوى والهونا^(٤) والحفيظة والطمع .

والهوى من ذلك على أربع شعب : على البغي والعدوان والشهوة والعصيان ، فمن بغى كثرت غوائله^(٥) وتخلي عنه ونصر عليه ومن اعتدى لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه . ومن لم يعدل^(٦) نفسه عن الشهوات خاض في الحسرات وسبح فيها . ومن عصى ضلّ عمداً بلا عذر ولا حجة .

وأما شعب الهونا : فالهيبة والغرة والمماطلة والأمل^(٧) . وذلك أن الهيبة ترد عن

(١) شاق أي خالف وعاند . واعورث عليه : أي صارت أعور لا علم لها .

(٢) المرية - بكسر أو ضم - الجدل والشك والامتراء : الشك . والهول - بالفتح - : المخالفة .

(٣) تسويل النفس : تزيينها . وتأول العوج : تأويل المعوج والباطل بوجه يخفى عوجه ويبرز استقامته فيظن أنه حق ومستقيم . والصدف : الصرف .

(٤) الهونا : تصغير الهوني تأنيث الأهون وهو من الهون : الرفق واللين والمراد هنا التهاون في أمر الدين وترك الاهتمام فيه . والحفيظة : الغضب والحمية .

(٥) الغوائل : جمع غائلة : الداهية والمهلكة . والبوائق : جمع البائقة : الشر والداهية .

(٦) العذل : اللوم .

(٧) الهيبة : المخافة والمهابة . والمماطلة : التعلل والتسويق .

الحق والإغترار بالعاجل وتفريط الآجل وتفريط المماطلة موزّط في العمى ولولا الأمل علم الإنسان حساب ما هو فيه . ولو علم حساب ما هو فيه مات خفتاً من الهول والوجل^(١) .

وأما شعب الحفيظة : فالكبر والفخر والحمية والعصبية . فمن استكبر أدبر . ومن فخر فجر ومن حمى أصرّ . ومن أخذته العصبية جار ، فبئس الأمر بين إدبار وفجور وإصرار .

وشعب الطمع : الفرح والمرح واللجاجة والتكبر . فالفرح مكروه عند الله والمرح خيلاء . واللجاجة بلائ لمن اضطرتته إلى حمل الآثام . والتكبر لهو ولعب وشغل واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

فذلك النفاق ودعائمه وشعبه . والله قاهر فوق عباده تعالى ذكره . واستوت به مرّته . واشتدت قوّته . وفاضت بركته . واستضاءت حكمته . وفلجت حجّته^(٢) . وخلص دينه . وحقت كلمته . وسبقت حسناته . وصفت نسبته . وأقسطت موازينه . وبلغت رسالاته وحضرت حفظته . ثم جعل السيئة ذنباً والذنب فتنة . والفتنة دنساً وجعل الحسنى غنماً . والعنبي توبة^(٣) والتوبة طهوراً ، فمن تاب اهتدى ، ومن افتتن غوى ما لم يتب إلى الله ويعترف بذنبه ويصدق بالحسنى ولا يهلك على الله إلا هالك .

فالله الله ما أوسع ما لديه من التوبة والرحمة والبشرى والحلم العظيم ، وما أنكر ما لديه من الأنكال والجحيم والعزّة والقدرة والبطش الشديد ، فمن ظفر بطاعة الله إختار كرامته ، ومن لم يزل في معصية الله ذاق وبيل نقمته . هنالك عقبي الدار .

ومن كلامه (ع) لكميل بن زياد^(٤)

بعد أشياء ذكرها

إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها . احفظ عني ما أقول لك :

(١) الخفات بضم الخاء المعجمة : الموت فجأة .

(٢) فليج : ظفر وفاز .

(٣) الدنس : الوسخ . « غنماً » - بضم الغين مصدر - أي فوزاً . والعنبي : الرضا أي سبباً له .

(٤) كميل كان من أكابر أصحاب علي عليه السلام من اليمن شهد صفين مع علي ، وكان شريفاً ثقة عابداً قليل الحديث ، قتله الحجاج الثقفي سنة ٨٣ هـ .

الناس ثلاثة : عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع^(١) أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم فيهندوا ولم يلجأوا إلى ركن وثيق فينجوا .

يا كميل : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنفيه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، العلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل بن زياد : محبة العالم دين يدان به يكسب الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثلتهم في القلوب موجودة . ها ، إن ههنا لعلماً جماً - وأشار إلى صدره - لم أصب له خزنة بلى أصيب لقناً^(٢) غير مأمون ، مستعملاً آله الدين في طلب الدنيا ، يستظهر بحجج الله على أوليائه وينعمة الله على معاصيه أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، اللهم لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة^(٣) سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والإدخار ليسا من رعاة الدين ولا من ذوي البصائر واليقين ، أقرب شبيهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حملته .

اللهم بلى ، لا يخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً . لئلا تبطل حجج الله وبيّناته ورواة كتابه . وأين أولئك ؟ هم الأقلون عدداً ، الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله حججه حتى يودعه نظراءهم ويزرعها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقائق الإيمان ، فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر منه المترفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون : صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى .

يا كميل : أولئك أمناء الله في خلقه وخلفاؤه في أرضه وسرجه في بلاده^(٤)

(١) الهمج : الذي لا خير فيه والحمقى . والرعا - بالفتح - : سفلة الناس .

(٢) واللقن - بفتح فكسر - : سريع الفهم .

(٣) المنهزم : المفرط في شهوة الطعام . والسلس : السهل . والقياد : حبل يقاد به .

والمغرم - بفتح الراء - : المولع به .

(٤) السرج - بضم السين والراء المهملة - جمع سراج .

والدُّعاء إلى دينه . واشوقاه إلى رؤيتهم ، أستغفر الله لي ولك .

وصيته (ع) لكميل بن زياد مختصرة

يا كميل : سمَّ كلَّ يوم باسم الله ، وقل لا حول ولا قوَّة إلا بالله . وتوكل على الله واذكرنا وسمَّ بأسمائنا وصلِّ علينا . وادرِ بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك ، تكف شرَّ ذلك اليوم إن شاء الله .

يا كميل : إن رسول الله ﷺ أدَّبَه الله وهو ﷺ أدَّبني وأنا أدَّب المؤمنين وأورث الآداب المكرمين .

يا كميل : ما من علم إلا وأنا أفتحه ، وما من سر إلا والقائم ﷻ يخرمه .

يا كميل : ذرية بعضها من بعض ، والله سميعٌ عليمٌ .

يا كميل : لا تأخذ إلا عنا تكن منا .

يا كميل : ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة .

يا كميل : إذا أكلت الطعام فسمَّ باسم الذي لا يضرُّ مع اسمه داء وفيه شفاءٌ من كل الأسواء .

يا كميل : وأكل الطعام ولا تبخل عليه ، فإنك لن ترزق الناس شيئاً ، والله يجزل لك الثواب بذلك . أحسن عليه خلقك . وابسط جليسك . ولا تتهم خادمك .

يا كميل : إذا أكلت فطوّل أكلك ليستوفي من معك ويُرزق منه غيرك .

يا كميل : إذا استوفيت طعامك فاحمد الله على ما رزقك وارفع بذلك صوتك يحمد سواك فيعظم بذلك أجرك .

يا كميل : لا توقرنْ معدتك طعاماً ودع فيها للماء موضعاً وللريح مجالاً . ولا ترفع يدك من الطعام إلا وأنت تشتهيهِ ، فإن فعلت ذلك فأنت تستمرئه ، فإن صحة الجسم من قلة الطعام وقلة الماء .

يا كميل : البركة في مال من آتى الزكاة وواسى المؤمنين ووصل الأقربين .

يا كميل : زد قرابتك المؤمن على ما تعطي سواه من المؤمنين وكن بهم أرفع وعليهم أعطف . وتصدَّق على المساكين .

يا كميل : لا تردّ سائلاً ولو من شطر حبة عنب أو شقّ تمرّة ، فإن الصدقة تنمو عند الله .

يا كميل : أحسن حلية المؤمن التواضع ، وجماله التّعفّف ، وشرفه التّفقّه ، وعزّه ترك القال والقيّل .

يا كميل : في كلّ صنف قومٌ أرفع من قوم ، فيأياك ومناظرة الخسيس منهم وإن أسمعوك واحتمل ، وكن من الذين وصفهم الله : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾^(١) .

يا كميل : قل الحق على كلّ حال وواذّ المتقين ، واهجر الفاسقين ، وجانب المنافقين ، ولا تصاحب الخائنين .

يا كميل : لا تطرق أبواب الظالمين للاختلاط بهم والاكسبب معهم ، وإياك أن تعظّمهم وأن تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك وإن اضطرت إلى حضورهم فداوم ذكر الله والتوكل عليه واستعد بالله من شرورهم واطرق عنهم وأنكر بقلبك فعلهم واجهر بتعظيم الله تُسمعهم ، فإنك بها تؤيد وتكفي شرهم .

يا كميل : إن أحب ما تمثله العباد إلى الله بعد الإقرار به وبأوليائه التعفّف والتحمل والإصطبار .

يا كميل : لا تُر الناس إقتارك واصبر عليه احتساباً بعزّ وتسرّ .

يا كميل : لا بأس أن تُعلم أخاك سرّك ، ومَنْ أخوك ؟ أخوك ، الذي لا يخذلك عند الشديدة ، ولا يقعد عنك عند الجريّة^(٢) ، ولا يدعك حتى تسأله ، ولا يدرك وأمرّك حتى تعلمه ، فإن كان مميلاً أصلحه^(٣) .

يا كميل : المؤمن مرآة المؤمن ، لأنه يتأمله فيسُدّ فاقته ويجمّل حالته .

يا كميل : المؤمنون إخوة ولا شيء آثر عند أخ من أخيه .

يا كميل : إن لم تحبّ أخاك فلست أخاه ، إن المؤمن من قال بقولنا ، فمن

(١) سورة الفرقان ؛ الآية : ٦٤ .

(٢) الجريّة : الجنابة ، لأنها تجر العقوبة إلى الجاني . ولا يدرك أي لا يدعك .

(٣) المميل - اسم فاعل من أمال - : صاحب ثروة ومال كثير .

تخلف عنه قصّر عنا ، ومن قصّر عنا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار .

يا كميل : كلّ مصدور ينفث^(١) فمن نفث إليك منا بأمر أمرك بستره فإياك أن تبديه وليس لك من إبدائه توبة ، وإذا لم يكن توبة فالمصير إلى لظى .

يا كميل : إذاعة سرّ آل محمد [صلوات الله عليهم] لا يقبل منها ولا يحتمل أحد عليها وما قالوه فلا تعلم إلا مؤمناً موفقاً .

يا كميل : قل عند كل شدة : (لا حول ولا قوة إلا بالله) تكفها وقل عند كل نعمة : (الحمد لله) تردد منها . وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفر الله يوسع عليك فيها .

يا كميل : انج بولايتنا من أن يشركك الشيطان في مالك وولدك .

يا كميل : إنه مستقرّ ومستودع فاحذر أن تكون من المستودعين وإنما يستحق أن يكون مستقراً إذا لزمّت العجدة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ولا تزيلك عن منهج .

يا كميل : لا رخصة في فرض ولا شدة في نافلة .

يا كميل : إن ذنوبك أكثر من حسناتك ، وغفلتك أكثر من ذكرك ، ونعم الله عليك أكثر من عملك .

يا كميل : إنك لا تخلو من نعم الله عندك وعافيته إياك ، فلا تخل من تحميده وتمجيده وتسبيحه وتقديسه [وشكره] وذكره على كل حال .

يا كميل : لا تكونن من الذين قال الله : ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾^(٢) ونسبهم إلى الفسق فهم فاسقون .

يا كميل : ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق ، الشأن أن تكون الصلاة بقلب نقي وعمل عند الله مرضي وخشوع سوي ، وانظر فيما تصلي وعلى ما تصلي إن لم يكن من وجهه وجهه فلا قبول .

(١) المصدور : الذي يشتكي من صدره ، وينفث المصدور أي رمى بالنفثاء .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ١٩ .

يا كميل : اللسان ينزح القلب ، والقلب يقوم بالغذاء فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك فإن لم يكن ذلك حلالاً لم يقبل الله تسبيحك ولا شكرك .

يا كميل : إفهم واعلم أنا لا نرخص في ترك أداء الأمانة لأحد من الخلق ، فمن روى عني في ذلك رخصة فقد أبطل وأثم وجزاؤه النار بما كذب ، أقسم لسمعت رسول الله ﷺ يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثاً : يا أبا الحسن أد [ء] الأمانة إلى البرِّ والفاجر فيما جُلَّ وقلَّ حتى الخيط والمخيطة .

يا كميل : لا غزو إلا مع إمام عادل ولا نفل إلا من إمام فاضل^(١) .

يا كميل : لو لم يظهر نبيٌّ وكان في الأرض مؤمناً تقيّاً لكان في دعائه إلى الله مخطئاً أو مصيباً ، بل والله مخطئاً حتى ينصبه الله لذلك ويؤهله له .

يا كميل : الدين لله فلا يقبل الله من أحد القيام به إلا رسولاً أو نبياً أو وصياً .

يا كميل : هي نبوة ورسالة وإمامة ، وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين أو عامهين مبتدعين ، إنما يتقبل الله من المتقين .

يا كميل : إن الله كريمٌ حلِيمٌ عظيمٌ رحيمٌ دلّنا على أخلاقه وأمرنا بالأخذ بها وحمل الناس عليها ، فقد أدبناها غير متخلفين وأرسلناها غير منافقين وصدقناها غير مكذّبين وقبلناها غير مرتابين .

يا كميل : لستُ والله متملقاً حتى أطاع ولا ممّنياً حتى لا أعصى ولا مائلاً لطعام الأعراب حتى أنحل^(٢) إمرة المؤمنين وأدعى بها .

يا كميل : إنما حظي من حظي بدنيا زائلة مدبرة ونحظي بأخرة باقية ثابتة .

يا كميل : إن كلاً يصير إلى الآخرة والذي نرغب فيه منها رضى الله والدرجات العلى من الجنة التي يورثها من كان تقيّاً .

يا كميل : من لا يسكن الجنة فبشره بعذاب أليم وخزي مقيم .

يا كميل : أنا أحمد الله على توفيقه ، وعلى كل حال ، إذا شئت فقم .

(١) النفل - محرقة - الغنيمة وفي بشارة المصطفى (نقل) .

(٢) أنحل فلاناً شيئاً : أعطاه إياه وخصه به . وفي بشارة المصطفى (حتى أنتحل) .

وصيته (ع) لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر

هذا ما عهد عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر^(١) حين ولاه مصر أمره بتقوى الله والطاعة له في السر والعلانية وخوف الله في الغيب والمشهد وبإلئين للمسلم وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبإنصاف المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين .

وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة ، فإن لهم في ذلك من العافية وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه . وأمره أن يلين لهم جناحه وأن يساوي بينهم في مجلسه ووجهه ويكون القريب والبعيد عنده في الحق سواء . وأمره أن يحكم بين الناس بالعدل وأن يقيم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته وأمره على من سواه . وكتب عبيد الله بن أبي رافع^(٢) .

ثم كتب إلى أهل مصر بعد مسيره ما اختصرناه

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر سلام عليكم :
أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما سألت عنه ، وأعجبني اهتمامك بما لا بدّ لك منه وما لا يصلح المسلمين غيره وظننت أن الذي أخرج ذلك منك نية صالحة ورأي غير مدخول .

أما بعد فعليك بتقوى الله في مقامك ومقعدك وسرّك وعلانيّتك ، وإذا أنت

(١) ولد في حجة الوداع وقتل بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في خلافته عليه السلام وكان عاملاً عليها من قبله جليل القدر عظيم المنزلة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام ، وروى الكشي روايات كثيرة تدل على جلالته .

(٢) عبيد الله بن أبي رافع من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بل من خواصه ، وله كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب تسمية من شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من الصحابة الجمل والصفين والنهروان . وأخوه علي بن أبي رافع من خيار الشيعة وكاتب له عليه السلام وكان له حفظ كثير وجمع كتاباً في فنون من الفقه . وأبوه إبراهيم أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهد مع علي عليه السلام حروبه ، وكان صاحب ماله بالكوفة .

قضيت بين الناس فاخفض لهم جناحك ولين لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا يأيس الضعفاء من عدلك عليهم ، وأن تسأل المدعي البينة وعلى المدعى عليه اليمين ، ومن صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلا أن يكون صلحاً يحرم حلالاً أو يحلل حراماً . وأثر الفقهاء وأهل الصدق والوفاء والحياء والورع على أهل الفجور والكذب والغدر . وليكن الصالحون الأبرار إخوانك والفاجرون الغادرون أعداءك ، فإن أحب إخواني إلي أكثرهم لله ذكراً وأشدُّهم منه خوفاً . وأنا أرجو أن تكون منهم إن شاء الله .

وإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون وعما أنتم إليه صائرون ، فإن الله قال في كتابه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١) . وقال : ﴿وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) وقال : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) فعليكم بتقوى الله فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا وخير الآخرة ، قال الله : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ مِنَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤) .

اعلموا عباد الله : أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، قال الله عز وجل : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . .﴾ الآية^(٥) . سكنوا الدنيا بأحسن ما سكنت وأكلوها بأحسن ما أكلت .

واعلموا عباد الله : أنكم إذا اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكركموه بأفضل ما شكر ، وقد أخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم بأفضل الاجتهاد وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم

(١) سورة المدثر ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الحجر ؛ الآيتان : ٩٢ - ٩٣ .

(٤) سورة النحل ؛ الآية : ٣٠ .

(٥) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٢ .

صياماً وصدقة ، إذ كنتم أنتم أوفى الله وأنصح لأولياء الله ومن هو ولي الأمر من آل رسول الله ﷺ .

واحذروا عباد الله الموت وقُربه وكربه^(١) وسكراته وأعدوا له عُدته فإنه يأتي بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرٌ وبشرٌ لا يكون معه خيرٌ أبداً . فمن أقرب إلى الجنة من عاملها وأقرب إلى النار من أهلها ، فأكثرُوا ذكر الموت عندما تُتازعكم إليه أنفسكم ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أكثرُوا ذكر هادم اللذات »^(٢) . واعلموا أن ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشدُّ من الموت .

واعلم يا محمد أنني وليّك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر وأنت محقّق أن تخاف على نفسك وأن تحذر فيه على دينك ، وإن لم تكن إلا ساعة من النهار . فإن استطعت أن لا تسخط ربك برضى أحد من خلقه فافعل ، فإن في الله خلفاً من غيره ولا في شيء خلفٌ من الله . أشدُّ على الظالم وخذ على يديه . ولين لأهل الخير وقربهم منك واجعلهم بطانتك وإخوانك .

ثم انظر صلاتك كيف هي ، فإنك إمام . وليس من إمام يصلي بقوم فيكون في صلاتهم تقصيرٌ إلا كان عليه أوزارهم ولا ينتقص من صلاتهم شيء ولا يتممها إلا كان له مثل أجورهم ولا ينتقص من أجورهم شيء ، وانظر الوضوء ، فإنه تمام الصلاة ، ولا صلاة لمن لا وضوء له . واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تابع لصلاتك . واعلم أنه من ضيّع الصلاة ، فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع .

وإن استطعتم يا أهل مصر أن يصدّق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تُخالف ألسنتكم أفعالكم فافعلوا . وقال رسول الله ﷺ : « إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأما المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ولكني أخاف عليكم كلّ منافق حلو اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » . ليس به خفاء . وقد قال النبي ﷺ : « من سرّته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن حقاً » . وكان يقول ﷺ : « خصلتان لا يجتمعان في منافق : حُسن سَمْت وفقه في سَنَة » .

واعلم يا محمد بن أبي بكر أن أفضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعة

(١) الكرب - بالفتح - الحزن والمشقة ويحتمل أن يكون - بالضم فالفتح - جمع كربة .

(٢) الهادم . الناقض ، وهادم اللذات : كناية عن الموت .

الله ، أعاننا الله وإياك على شكره وذكره وأداء حقه والعمل بطاعته ، إنه سميع قريب .

واعلم أن الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار بقاء وجزاء . فإن استطعت أن تزين ما يبقى على ما يفنى فافعل رزقنا الله بصر ما بصرنا وفهم ما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه ، فإنه لا بد من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج . فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة . وإن استطعت أن تعظم رغبتك في الخير وتحسن فيه نيتك فافعل ، فإن الله يُعطي العبد على قدر نيته إذا أحب الخير وأهله وإن لم يفعله كان إن شاء الله كمن فعله .

ثم إني أوصيك بتقوى الله ، ثم بسبع خصال هن جوامع الإسلام : تخشى الله ولا تخشى الناس في الله فإن خير القول ما صدقه الفعل . ولا تقض في أمر واحد بقضائين فيختلف عليك أمرك وتزل عن الحق . وأحب لعامة رعيته ما تحب لنفسك وأهل بيتك واكمره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك وألزم الحجة عند الله وأصلح رعيته . وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وأقم وجهك . وانصح للمرء المسلم إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر . واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾^(١) . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ومن كلامه (ع) في الزهد وذم الدنيا وعاجلها

إني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وعمّرت بالآمال وتزينت بالغرور . لا تدوم حبرتها^(٢) ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ، ضرارة زائلة ، نافذة أكالة ، غوالة^(٣) ، لا تعدو - إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها - أن تكون كما قال سبحانه : ﴿كساء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾^(٤) . مع أن امرءاً لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته عبرة ، ولم يلق من سرائها بطلاً إلا منحت من ضرائها ظهراً ، ولم

(١) سورة لقمان ؛ الآية : ١٧ .

(٢) الحبرة - بالفتح - السرور والنعمة . وفي بعض نسخ الحديث «لا تدوم خيرها» .

(٣) نافذة : فانية . أكالة : كثيرة الأكل ، وغوالة أي مهلكة .

(٤) سورة الكهف ؛ الآية : ٤٤ .

تطلّهُ فيها ديمة رخاء^(١) إلا هتفت عليه مُزنة بلاء . إذا هي أصبحت منتصرة أن تُمسي له منكراً . وإن جانبُ منها اعذوب لامرئٍ واحلولي أمرٌ عليه جانبُ منها فأوبى ، وإن لبس امرؤُ منها في جناح أمنٍ إلا أصبح في أخوف خوف غرارة ، غرورٌ ما فيها ، فانية فان من عليها . لا خير في شيء من زادها إلا التقوى من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها لم يدم له وزال عما قليل عنه . كم من واثق بها قد فجّعتَه وذِي طمأنينةٍ إليها قد صرعتَه . وذِي حذرٍ قد خدعتَه . وكم ذِي أبهةٍ فيها قد صيرتَه حقيراً . وذِي نخوةٍ قد ردّتَه جائعاً فقيراً . وكم ذِي تاجٍ قد أكبّته لليدين والفم . سلطانها ذلٌّ وعيشها رنق . وعذبها أجاج وحلوها صبر^(٢) . حيّها بعرض موت . وصحيحها بعرض سقم . ومنيعها بعرض اهتضام . وملكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وأمنها منكوب وجارها محروب ، ومن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول المطّلع والوقوف بين يدي الحاكم العدل ﴿ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^(٣) . ألسنم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأبين آثاراً وأعدّ منكم وأكثف منكم جنوداً وأشد منكم عنوداً . تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد ، وآثروها أيّ إيثار . ثم ظعنوا عنها بالصغار . أفهذه تؤثرون ؟ أم على هذه تحرصون ؟ أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾^(٤) فبُست الدار لمن لا يتهيأها ولم يكن فيها على وجَل ، واعلموا - وأنتم تعلمون - أنكم تاركوها لا بدّ وإنما هي كما نعت الله : ﴿لعبّ ولهو وزينة وتفاجر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾^(٥) . فاتعظوا فيها بالذين كانوا بكل ريع آية يعبثون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون ، وبالذين ﴿قالوا من أشدّ منا قوّة﴾^(٥) واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُمِلوا إلى قبورهم ولا يُدعّون ركبناً وأنزلوا ولا

(١) الديمة - بالكسر - مطر يدوم في سكون ولا رعد . الرخاء - بالفتح - السعة في العيش .

والمزنة - بالضم - : القطعة من المزن أي السحاب .

(٢) رنق : ككدر لفظاً ومعنى . والصبر - ككتف - : عصارة شجر مر .

(٣) سورة هود ؛ الآيتان ١٦ - ١٥ .

(٤) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٠ .

(٥) سورة فصلت ؛ الآية : ١٥ .

يُدْعُونَ ضِعْفَانًا . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ^(١) وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانٌ . وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ . فَهَمْ جِيرَةٌ لَا يَجْبِيُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا . لَا يَزُورُونَ وَلَا يَزَارُونَ . حُلَمَاءٌ قَدْ بَارَتْ أَضْغَانُهُمْ جُهْلَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا تُخْشَى فُجْعَتُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ . وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَكَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿فَتَلَكُ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢) . اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . جَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا ، حِفَاةً عَرَاءً . قَدْ ظَنَعُوا مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَإِلَى خُلُودِ أَيْدٍ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ ، وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٣) .

خطبته (ع) عندما أنكر عليه قوم تسويته بين الناس في الفياء

أما بعد أيها الناس : فإننا نحمد ربنا وإلهنا ووليَّ النعمة علينا ، ظاهرة وباطنة بغير حول منا ولا قُوَّةٍ إِلَّا اِمْتِنَانًا عَلَيْنَا وَفَضْلًا لِيَلْبِسُنَا أَنْشُكَرَ أَمْ نَكْفُرَ فَمِنْ شُكْرِ زَادِهِ وَمِنْ كُفْرٍ عَذْبِهِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَحَدًا صَمَدًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ بَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْأَنْعَامِ ، نِعْمَةً أَنْعَمَ بِهَا وَمَنًّا وَفَضْلًا ﷺ .

فأفضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة وأعظمهم عند الله خطراً أطوعهم لأمر الله وأعلمهم بطاعة الله وأتبعهم لسنة رسول الله ﷺ وأحياهم لكتاب الله فليس لأحد من خلق الله عندنا فضل إِلَّا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ . هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد نبيِّ الله وسيرته فينا ، لَا يَجْهَلُهَا إِلَّا جَاهِلٌ مُخَالَفٌ معاندٌ عن الله عزَّ وجلَّ يقول الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٤) فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فَهُوَ الشَّرِيفُ

(١) الضريح القبر . والشق في وسط القبر ، والأكنان جمع كن بالكسر : البيت ووقاء كل شيء وستره .

(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٥٨ .

(٣) سورة الأنبياء ؛ الآية : ١٠٤ .

(٤) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٣ .

المكرم المحب ، وكذلك أهل طاعته وطاعة رسول الله ، يقول الله في كتابه : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) . وقال : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ .

ثم صاح بأعلى صوته : يا معاشر المهاجرين والأنصار ، ويا معاشر المسلمين أتمنّون على الله وعلى رسوله بإسلامكم ، والله ولرسوله المنّ عليكم إن كنتم صادقين .

ثم قال : ألا إنه من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أجرنا عليه أحكام القرآن وأقسام الإسلام ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله وطاعته ، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأوليائه وأحبائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال : ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تمنّونها وترغبون فيها وأصبحت تعظّمكم وترميكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتكم له ولا الذي دُعيت إليه . ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها ، فلا يغرّنكم عاجلها فقد حذّرتموها ووصفت لكم وجربتموها ، فأصبحتم لا تحمدون عاقبتها . فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها فهي العامرة التي لا تخرب أبداً والباقية التي لا تنفد . رغبكم الله فيها ودعاكم إليها وجعل لكم الثواب فيها .

فانظروا يا معاشر المهاجرين والأنصار وأهل دين الله ما وصفتكم به في كتاب الله ونزلتم به عند رسول الله ﷺ وجاهدتم عليه فيما فُضّلتم به بالحسب والنسب ؟ أم بعمل وطاعة ؟ فاستتمّوا نعمه عليكم - رحمكم الله - بالصبر لأنفسكم والمحافظة على من استحفظكم الله من كتابه . ألا وإنه لا يضرّكم تواضع شيء من دنياكم بعد حفظكم وصية الله والتقوى . ولا ينفعكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى ، فعليكم عباد الله بالتسليم لأمره والرضا بقضائه والصبر على بلائه .

فأما هذا الفيء فليس لأحد فيه على أحد أثره (٢) قد فرغ الله عز وجل من قسمه فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله به أقررنا وعليه شهدنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فسلموا - رحمكم الله - فمن لم يرض بهذا فليتولّ كيف

(١) سورة آل عمران ؛ الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) الأثره - محرّكة - : الاختيار واختصاص المرء بأحسن شيء دون غيره .

شاء . فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه : ﴿أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ . ﴿أولئك هم المفلحون﴾ . ونسأل الله ربنا وإلهنا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته ، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده . أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم .

ومن كلامه (ع) في وضع المال مواضعه

لما رأت طائفة من أصحابه بصفين ما يفعله معاوية بمن انقطع إليه ويذله لهم الأموال - والناس أصحاب دنيا - قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام : «أعط هذا المال وفضل الأشراف ومن تخوف خلافة وفراقه حتى إذا استتب^(١) لك ما تريد عُدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسوية» .

فقال : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام والله لا أطور به ما سمر به سمير ، وما أمّ نجم في السماء نجماً ولو كان مالهم مالي لسويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم . ثم أزم طويلاً ساكتاً ، ثم قال : من كان له مال فإياه والفساد ، فإن إعطاءك المال في غير وجهه تبذير وإسراف وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله . ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه شكرهم وكان خيره لغيره . فإن بقي معه منهم من يُريه الودَّ ويظهر له الشكر فإنما هو مَلَقٌ وكذب وإنما يقرب لينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه قبل . فإن زلت بصاحبه النعل واحتاج إلى معونته ومكافأته فأشُرُّ خليلي وألم خديني ، مقالة جهال ما دام عليهم مُنعماً وهو عن ذات الله بخيل فأَيُّ حظ أبور وأخس من هذا الحظ ؟ ١ . وأيُّ معروف أضيع وأقلُّ عائدة من هذا المعروف ؟ ١ . فمن أتاه مال فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة وليفك به العاني والأسير ، وليعن به الغارمين وابن السبيل والفقراء والمهاجرين وليصبر نفسه على الثواب والحقوق فإنه يحوز بهذه الخصال شرفاً في الدنيا ودرك فضائل الآخرة .

وصفه (ع) الدنيا للمتقين

قال جابر بن عبد الله الأنصاري : كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فلما فرغ

(١) استتب : استقام واطرد واستمر .

من قتال من قاتله أشرف علينا من آخر الليل فقال : ما أنتم فيه ؟ . فقلنا : في ذمّ الدنيا . فقال : على مَ تَدمّ الدنيا يا جابر ؟ ! .

ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فما بال أقوام يذمّون الدنيا ؟ انتحلوا الزُّهد فيها . الدنيا منزل صدق لمن صدّقها ومسكن عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومسكن أحبائه ومتجر أوليائه ، إكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمّ الدنيا يا جابر ؟ وقد آذنت بينها ونادت بانقطاعها ونعت نفسها بالزوال ومثلت ببلائها البلاء ، وشوّقت بسرورها إلى السرور راحت بفجيرة وابتكرت^(١) بنعمة وعافية ترهيباً وترغيباً ، يذمّها قومٌ عند الندامة . خدمتهم جميعاً فصدّقتهم وذكّرتهم فذكروا ووعظتهم فاعتظروا ، وخوّفهم فخافوا . وشوقهم فاشتاقوا فأثّمتهم للذمّ الدنيا المغتر بغيرورها متى استدّمت إليك بل متى غرّتك بنفسها ؟ بمصارع آبائك من البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك من الثرى ؟ . كم مرّضت يديك وعللت بكفيك ، تستوصف لهم الدواء . وتطلب لهم الأطباء ، لم تدرك فيه طليبتك ولم تُسعف فيه بحاجتك ، بل مثلت الدنيا به نفسك وبحاله حالك غدا لا ينفك أحباؤك ولا يغني عنك نداؤك ، حين يشتدّ من الموت أعانين المرض وأليم لوعات المضض ، حين لا ينفع الأليل ، ولا يدفع العويل ، يحفز بها الحيزوم ويغص بها الحلقوم ، لا يُسمعه النداء ولا يروعه الدعاء ، فيا طول الحزن عند انقطاع الأجل . ثم يُراح به على شرجع نقله أكفّ أربع ، فيضجع في قبره في لبث وضيق جدت فذهبت الجدة وانقطعت المدة ورفضته العطفة وقطعته اللطفة لا تقاربه الأخلاء ولا يلتمّ به الزوار ولا اتسقت به الدار ، انقطع دونه الأثر واستعجم دونه الخبر^(٢) . وبكرت ورثته فأقسمت تركته ولحقه الحوب وأحاطت به الذنوب . فإن يكن قدّم خيراً طاب مكسبه . وإن يكن قدّم شراً تبّ منقلبه . وكيف ينفع نفساً قرارها والموت قصارها^(٣) والقبر مزارها ، فكفى بهذا واعظاً .

كفى يا جابر ، إمضِ معي ، فمضيت معه حتى أتينا القبور ، فقال : يا أهل

(١) راحت : وافت وقت العشي . وابتكرت : أصبحت .

(٢) استعجم : سكت عجزاً ولم يقدر عليه . بكرت : أسرع وتقدمت . والحوب : الإثم .

(٣) تب : خسر . قصارها - بفتح وضم - غاية جهدها وآخر أمرها .

التربة ، يا أهل الغربة أما المنازل فقد سُكنت . وأما الموارد فقد قُسمت ، وأما الأزواج فقد نكحت . هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟ ثم أمسك عني ملياً . ثم رفع رأسه فقال : والذي أقل السماء فعلت وسطح الأرض قدحت لوأذن للقوم في الكلام . لقالوا : إننا وجدنا خير الزاد التقوى . ثم قال : يا جابر إذا شئت فارجع .

ذكره (ع) الإيمان والأرواح واختلافها

أتاه رجل فقال له : إن أناساً يزعمون أن العبد لا يزني وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر وهو مؤمن . ولا يأكل الربا وهو مؤمن . ولا يسفك دماً حراماً وهو مؤمن . فقد كبر هذا عليّ وخرج منه صدري حتى أزعج أن هذا العبد الذي يصلي ويؤتي وأوابه ، أخرجه من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه ، فقال ﷺ : صدقك أخوك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلق الله الخلق على ثلاث طبقات فأنزلهم ثلاث منازل ، فذلك قوله : ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ (١) .

فأما ما ذكره الله جلّ وعزّ من السابقين السابقين ، فإنهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح : روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن ، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين ، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذيق المطعم والمشرّب ونكحوا الحلال من النساء ، وبروح البدن دبّوا ودرجوا ، فهؤلاء مغفورٌ لهم مصفوح عن ذنبهم . ثم قال : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (٢) . ثم قال في جماعتهم : ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ (٣) يقول : أكرمهم بها وفضلهم على سواهم فهؤلاء مغفور لهم .

ثم ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقاً بأعيانهم فجعل فيهم أربعة أرواح :

(١) سورة الواقعة ؛ الآيات : ٩ - ١٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٣ .

(٣) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

روح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، فلا يزال العبد مستكماً
هذه الأرواح الأربعة حتى تأتي عليه حالات ، فقال : وما هذه الحالات ؟ فقال
عليه السلام : أما أولهنّ فما قال الله : ﴿ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من
بعد علم شيئاً﴾^(١) ، فهذا تنقص منه جميع الأرواح وليس بالذي يخرج من الإيمان ،
لأن الله الفاعل به ذلك وراده إلى أرذل العمر ، فهو لا يعرف للصلاة وقتاً ولا يستطيع
التهجد بالليل ولا الصيام بالنهار ، فهذا نقصان من روح الإيمان وليس بضاره شيئاً إن
شاء الله . وتنقص منه روح الشهوة فلو مرّت به أصبح بنات آدم ما حنّ إليها وتبقى فيه
روح البدن فهو يدبّ بها ويدرج حتى يأتيه الموت فهذا بحال خير ، الله الفاعل به ذلك
وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه يهيم بالخطيئة فتشجعه روح القوة ، وتزين له
روح الشهوة ، وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة ، فإذا لامسها تفصّى من
الإيمان ، وتفصّى الإيمان منه ، فليس بعائد أبداً أو يتوب ، فإن تاب وعرف الولاية
تاب الله عليه وإن عاد فهو تارك للولاية أدخله الله نار جهنم .

وأما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى ، يقول الله سبحانه : ﴿الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه (يعني محمداً والولاية في التوراة والإنجيل) كما يعرفون
أبنائهم (في منازلهم) وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك
فلا تكوننّ من الممترين﴾^(٢) . فلما جحدوا ما عرفوا ابتلاهم الله بذلك فسلبهم روح
الإيمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح : روح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن . ثم
أضافهم إلى الأنعام فقال : ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾^(٣) لأن الدابة تحمل بروح القوة
وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن . قال له السائل : «أحييت قلبي» .

وصيته (ع) لزياد بن النضر^(٤)

حين أنفذه على مقدمته إلى صفين

إتقى الله في كل ممسى ومصبح ، وخف على نفسك الغرور ولا تأمنها على حال

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٧٠ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآيتان : ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) سورة الفرقان ؛ الآية : ٤٤ ، وفي الكافي «لأن الدابة إنما تحمل» .

(٤) زياد بن النضر الحارثي - بالضاد المعجمة - وقيل ابن النصر - بالصاد المهملة - كان من
أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ولاه على مقدمة جيشه عند مسيره إلى صفين وكانت =

من البلاء . واعلم أنك لم تزع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه ، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضر حتى تظعن فكن لنفسك مانعاً وازعاً عن الظلم والغني والبغي والعدوان . قد وليت هذا الجند ، فلا تستذلّهم ولا تستطل عليهم ، فإن خيركم أتقاكم . تعلم من عالمهم وعلم جاهلهم واحلم عن سفيهم ، فإنك إنما تدرك الخير بالعلم وكف الأذى والجهل ثم أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذره :

إعلم أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم . فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر^(١) وفي كل جانب حتى لا يغيركم عدوكم ويكون لكم كمين . ولا تسير الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا تعبياً ، فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية . وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في أقبال الأشرف أو في سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كي ما تكون لكم رداءً ودونكم مرداً . ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد واثنين . واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال^(٢) وبأعلى الأشراف وبمناكب الأنهار ، يرقبون لكم لثلاً يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن . وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً . وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً . وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ، واجعلوا رماثكم يلوون ترستكم كيلا تُصاب لكم غرة ، ولا تلقى لكم غفلة . واحرس عسكرك بنفسك ، وإياك أن ترقد أو تصبح إلا غراً أو مضمضة^(٣) . ثم ليكن ذلك شأنك ودأبك حتى تنتهي إلى عدوك . وعليك بالتأني في حربك . وإياك والعجلة إلا أن تتمكنك فرصة^(٤) . وإياك أن تقاتل إلا أن يبدؤك أو يأتيك أمري ، والسلام عليك ورحمة الله .

وصفه (ع) لنقلة الحديث

قال له سليم بن قيس : إني سمعت سلمان وأبا ذرّ والمقداد يتحدثون بأشياء من

= مقدمته اثنا عشر ألفاً وأوصاه عند عزمه على المسير بوصية ذكرها المؤلف رحمه الله في المتن .

- (١) الخمر - بالتحريك - : كل ما وارك من جبل أو غيره .
- (٢) الصياصي : الحصون والقلاع وكل ما امتنع بها . وصياصي الجبال : أطرافها العالية .
- (٣) ترقد : تنام . والغرار : بالكسر : النوم القليل . وتمضمض النعاس في عينيه . دب .
- (٤) الفرصة - بالضم - : النوبة .

تفسير القرآن والأحاديث والروايات عن رسول الله ﷺ ثم سمعت منك تصديق ذلك ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث والروايات عن رسول الله ﷺ يخالفونها فيكذب الناس متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام قد سألت فافهم الجواب ، إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً ؛ وقد كذب على رسول الله ﷺ في حياته كذباً كثيراً حتى قام خطيباً فقال : «أيها الناس قد كثر عليّ الكذابة ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار» ، وكذلك كذب عليه بعده .

إنما أذاك بالحديث أربعة ليس لهم خامس :

رجلٌ منافق يظهر الإيمان مُتصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً ، ولو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يُصدقوه ، ولكنهم قالوا: قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه ، فأخذوا منه وهم لا يعرفون حاله . وقد أخبر الله جلّ وعزّ عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بأحسن الهيئة فقال : ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَّبَكُ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^(١) ثم تفرقوا من بعده ويقوا واختلّفوا وتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب فولّوهم الأعمال والأحكام والقضاء ، وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا^(٢) . وقد علمت أن الناس مع الملوك أتباع الدنيا وهي غايتهم التي يطلبون إلا

(١) سورة المنافقون ؛ الآية : ٤ . ﴿إِنْ يَقُولُوا﴾ أي إذا قالوا شيئاً أصغيت إلى كلامهم .
(٢) كأبي هريرة الذي من الضعة والهوان بأقصى مكان وقضى شطراً من حياته وهو معدم فقير خادم في البيوت يستأجر نفسه لشيع بطنه فلما أسلم أدرج نفسه بفقره الصفة ، يعيش بصدقات المسلمين على ما نقله البخاري في الصحيح وكان ملازماً لرسول الله ﷺ ليشتبع بطنه ويسد خلته كما في الإصابة ، وعلى هذا الحال المريس إلى أن انتهت الخلافة إلى الثاني فتفضل عليه واستعمله على البحرين سنة إحدى وعشرين ثم عزله بعد عامين لخيانته واستنفذ منه ما اختلسه من أموال المسلمين وقال له : «إني أستعملك على البحرين وأنت بلا نعلين ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار ، وضربه بالدرّة حتى أدماه فرجع إلى حاله الأول وقد وصم بالخيانة والاختلاس إلى أن أن الأمر إلى الثالث انضم إليه وصار من أعوانه وأنصاره وأخذ يفتعل الأحاديث في فضله فقال : قال رسول الله ﷺ : «إن لكل نبي خليلاً من أمته وإن خليلي عثمان» كما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وجزم ببطلانه وقال أيضاً : «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان» وعده =

من عصم الله فهذا أحد الأربعة .

والثاني : رجل سمع [من] رسول الله شيئاً ووهِم فيه ولم يحفظه على وجهه ولم يتعمد كذباً ، فهو في يده يعمل به ويقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ ولو علم الناس أنه وهم لم يقبلوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه ولم يعمل به فهذا الثاني .

والثالث : رجل سمع من رسول الله ﷺ أشياء أمر بها ثم نهى عنها وهو لم يعلم النهي ، أو نهى عن شيء ثم أمر به ولم يعلم الأمر ، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم الناس أنه منسوخ لرفضه الناس ورفضه هو ، فهذا الرجل الثالث .

والرابع : رجل لم يكذب على الله وعلى رسوله : يبغض الكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ ولم يتوهم ولم ينس ، بل حفظ ما سمع فجاء به على وجهه لم يزد فيه ولم ينقص ، حفظ الناسخ وعمل به والمنسوخ ورفضه . فإن أمر الرسول ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، يكون من رسول الله ﷺ الأمر له وجهان : عام وكلام خاص مثل القرآن ، وقد قال الله جل وعز : ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(١) فكان يسمع قوله من لم يعرفه ومن لم يعلم ما عنى الله به ورسوله ﷺ ويحفظ ولم يفهم . وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء ويستفهمه . كان منهم من لا يسأل ولا يستفهم حتى لقد كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري أو الدمي فيسأل حتى يسمعوها ويفهموا .

ولقد كنتُ أنا أدخل كل يوم دخلة فيخليني معه أدور فيها معه حيثما دار علم ذلك أصحابه أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري ، ولربما أتاني في بيتي وإذا دخلت عليه منزله أخلاني وأقام نساءه فلا يبقى أحدٌ عنده غيري ، كنت إذا سألت أجباني ، وإذا سكْتُ وفنيت مسألتي ابتدأني وما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ، ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرانيها وأملاها عليّ فكتبتها بيدي وعلمي تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها

= الذهبي أيضاً من منكراته : إلى غير ذلك من الأحاديث التي افتعلها على رسول الله ﷺ في فضل عثمان والأمويين .
(١) سورة الحشر ؛ الآية : ٧ .

وخاصها وعامها وأين نزلت وفيه نزلت إلى يوم القيامة .

كلامه (ع) في قواعد الإسلام وحقيقة التوبة والاستغفار - اختصرناه -

قال كميل بن زياد : سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن قواعد الإسلام ما هي ؟ .

فقال : قواعد الإسلام سبعة :

فأولها : العقل وعليه بني الصبر .

والثانية : صون العرض وصدق اللهجة .

والثالثة : تلاوة القرآن على جهته .

والرابعة : الحب في الله والبغض في الله .

والخامسة : حق آل محمد عليهم السلام ومعرفة ولايتهم .

والسادسة : حق الإخوان والمحاماة عليهم .

والسابعة : مجاورة الناس بالحسنى .

قلت : يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه ، فما حد الاستغفار ؟ .

قال : يا ابن زياد التوبة . قلت : بس ؟ قال لا . قلت : فكيف ؟ قال : إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول : أستغفر الله بالتحريك . قلت : وما التحريك قال : الشفتان واللسان ، يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة ، قلت : وما الحقيقة ؟ قال : تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه . قال كميل : فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال : لا . قال كميل : فكيف ذاك ؟ قال : لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد . قال كميل : فأصل الاستغفار ما هو؟ قال : الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه وهي أول درجة العابدين وترك الذنب والاستغفار اسم واقع لمعانٍ ست : أولها : الندم على ما مضى . والثاني : العزم على ترك العود أبداً . والثالث : أن تؤذي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم . والرابع : أن تؤذي حق الله

في كل فرض . والخامس : أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم تنشأ فيما بينهما لحماً جديداً . والسادس : أن تذيق البدن ألم الطاعات ، كما أذقته لذات المعاصي .

وصيته إلى الحسن (ع)

- لما حضرته الوفاة -

كتبنا منها ما اقتضاه الكتاب

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب . أوصى المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وصلى الله على محمد وسلّم ، ثم ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

ثم إني أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلوة والصوم ، وإن المبيرة وهي الحالقة للدين فساد ذات البين ، ولا قوة إلا بالله . انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب» .

الله الله : في الأيتام لا يضيعوا بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة ، كما أوجب لأكل مال اليتيم النار» .

الله الله : في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم .

الله الله : في جيرانكم ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم .

الله الله : في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا . وأدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف .

الله الله : في الصلوة فإنها خير العمل ، إنها عماد دينكم .

الله الله : في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم .

الله الله : في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار .

الله الله : في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معاشكم .

الله الله : في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأستتكم ، فإنما يجاهد رجلان إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه .

الله الله : في ذرية نبيكم ، لا تظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم .

الله الله : في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يأووا محدثاً ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدثين .

الله الله : في النساء وما ملكت أيما نكم ، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال : «أوصيكم بالضعيفين : النساء وما ملكت أيما نكم» .

الصلاة ، الصلاة ، الصلاة : لا تخافوا في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم ويغني عليكم . قولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلي الله أمركم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم عليهم .

عليكم يا بني بالتواصل والتبازل والتبادر وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، وحفظكم الله من أهل بيت وحفظ نبيكم فيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ثم لم يزل يقول لا إله إلا الله حتى مضى .

تفضيله (ع) العلم

أيها الناس : اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به . وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال أن المال مقسوم بينكم ، مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم وضمه سيفي لكم به ، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم ، فاطلبوه واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب ، وأن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين ، سبب إلى الجنة . والنفقات تنقص المال ، والعلم يزكو على إنفاقه ، فإنفاقه بثه إلى حفظته ورواته . واعلموا أن صحبة العلم واتباعه دين يدان الله به .

وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة في حياتهم وجميل الأحداث عمنهم بعد موتهم^(١) . وأن العلم ذو فضائل كثيرة فأرأسه التواضع . وعينه البراءة من الحسد . وأذنه الفهم . ولسانه الصدق . وحفظه الفحص . وقلبه حسن النية . وعقله معرفة الأسباب بالأمور . ويده الرحمة . وهمة السلامة . ورجله زيارة العلماء . وحكمته الورع . ومستقره النجاة . وقائده العافية . ومركبه الوفاء . وسلاحه لين الكلام . وسيفه الرضى . وقوسه المداراة . وجيشه محاربة العلماء . وماله الأدب . وذخيرته اجتناب الذنوب . وزاده المعروف . ومأواه الموادة^(٢) . ودليله الهدى . ووفيقه صحبة الأخيار .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : من كنوز الجنة البر وإخفاء العمل والصبر على الرزايا وكتمان المصائب .

وقال عليه السلام : حسن الخلق خير قرين ، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه .

وقال عليه السلام : الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره .

وكتب إلى عبد الله بن عباس : أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها . وما نلت من الدنيا فلا تكثرن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأسفن عليه حزناً . وليكن همك فيما بعد الموت .

وقال عليه السلام في ذم الدنيا : أولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب . من صبح فيها أمن . ومن مرض فيها ندم . من استغنى فيها فتن . ومن افتقر فيها حزن . من ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها أته . ومن نظر إليها أعمته . ومن أبصر بها بصرتة .

(١) الأحداث : ما يتحدث به الناس والمراد الثناء والكلام الجميل .

(٢) الموادة : المصالحة والمسالمة .

وقال **عليه السلام** : أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يعصيك يوماً ما^(١) . وأبغض
بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما . -

وقال **عليه السلام** : لا غنى مثل العقل . ولا فقر أشد من الجهل .

وقال **عليه السلام** : قيمة كل امرئ ما يُحسن .

وقال **عليه السلام** : قرنت الهيبة^(٢) بالخيبة . والحياء بالحرمان . والحكمة ضالة
المؤمن فليطلبها ولو في أيدي أهل الشر .

وقال **عليه السلام** : لو أن حملة العلم حملوه بحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من
خلقه . ولكنهم حملوه لطلب الدنيا . فمقتهم الله وهانوا على الناس .

وقال **عليه السلام** : أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج .

وقال **عليه السلام** : إن للنكبات غايات لا بد أن تنتهي إليها فإذا حكم على أحدكم بها
فليطأطأ لها ويصبر حتى تجوز ، فإن إعمال الحيلة فيها عند إقبالها زائد في مكروهاها .

وقال **عليه السلام** للأشتر : يا مالك احفظ عني هذا الكلام وعه . يا مالك بخس
مروته من ضعف يقينه . وأزرى بنفسه من استشعر الطمع . ورضي (ب) - الذل من
كشف (عن) ضره . وهانت عليه نفسه من أطلع على سره . وأهلكها من أمر عليه
لسانه الشره جزار الخطر . من أهوى إلى متفاوت خذلته الرغبة . البخل عار . والجبن
منقصة . والورع جنة . والشكر ثروة . والصبر شجاعة . والمُقل غريب في بلده .
والفقر يخرس الفطن عن حاجته . ونعم القرين الرضى . الأدب حُلل جدد . ومرتبة
الرجل عقله وصدرة خزانة سره . والتثبت حزم . والفكر مرآة صافية . والحلم سجية
فاضلة . والصدقة دواء منج . وأعمال القوم في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم .
والاعتبار تدبر صلح . والبشاشة فح المودة .

وقال **عليه السلام** : الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له ، لا
إيمان له .

(١) الهون : الرفق ، السهل ، السكينة والمراد أحبه حباً مقتصداً لا إفراط فيه . وأبغضه
بغضاً مقتصداً .

(٢) الهيبة : المخافة . والخيبة : عدم الظفر بالمطلوب .

وقال ﷺ : أنتم في مهل من ورائه أجلٌ ومعكم أملٌ يعترض دون العمل فاعثموا المهل وبادروا الأجل ، وكذبوا الأمل وتزودوا من العمل ، هل من خلاص أو مناص أو فرار ، أو مجاز ، أو معاذ ، أو ملاذ أولاً ، فأني توفكون ؟ .

وقال ﷺ : أوصيكم بتقوى الله ، فإنها غبطة للطالب الراجي وثقة للهارب اللاجي استشعروا التقوى شعاراً باطناً . واذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسلخوا به طرق النجاة . وانظروا إلى الدنيا نظر الزاهد المفاقر . فإنها تزيل الثاوي الساكن^(١) . وتُفجع المُتَرَف الآمن . لا يرجى منها ما ولّى فأدبر . ولا يدرى ما هو آت منها فيستنظر . وصل الرخاء منها بالبلاء . والبقاء منها إلى الفناء . سرورها مشوب بالحزن والبقاء منها إلى الضعف والوهن .

وقال ﷺ : إن الخيلاء من التجبر والتجبر من النخوة والنخوة من التكبر . وإن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل . إن المسلم أخ المسلم فلا تخاذلوا ولا تنازروا فإن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة ، فمن أخذ بها لحق ومن فارقها محق . ومن تركها مرق . ليس المسلم بالكذوب إذا نطق . ولا بالمخلف إذا وعد . ولا بالخائن إذا آثمن .

وقال ﷺ : العقل خليل المؤمن . والحلم وزيره . والرفق والده . واللين أخوه . ولا بد للعاقل من ثلاث : أن ينظر في شأنه ويحفظ لسانه ويعرف زمانه ، ألا وإن من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن ، وأشد من مرض البدن مرض القلب ، ألا وإن من النعم سعة المال ، وأفضل من سعة المال صحة البدن ، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب .

وقال ﷺ : إن للمؤمن ثلاث ساعات : فساعة ينجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل ، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث : مرمة لمعاشه ، وخطوة لمعاده ، أولذة في غير محرم .

وقال ﷺ : كم مستدرج بالإحسان إليه ، وكم من مغرور بالستر عليه ، وكم

(١) الثاوي : القائم . يعني أن الدنيا تزيل من قام بها واتخذها وطناً .

من مفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله عبداً بمثل الإملاء له . قال الله عز وجل : ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾^(١) .

وقال ﷺ : ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم ، يكون افتقارك إليهم في لين كلامك ؛ وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك .

وقال ﷺ : لا تغضبوا . ولا تغضبوا . افشوا السلام . وأطيبوا الكلام .

وقال ﷺ : الكريم يلين إذا استعطف ؛ واللثيم يقسو إذا ألطف .

وقال ﷺ : ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يرتخص الناس في معاصي الله ولم يقنطهم من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه . ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه . ولا خير في علم ليس فيه تفكر ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر .

وقال ﷺ : إن الله إذا جمع الناس نادى فيهم منادٍ أيها الناس إن أقربكم اليوم من الله أشدكم منه خوفاً ، وإن أحبكم إلى الله أحسنكم له عملاً ، وإن أفضلكم عنده منصباً أعملكم فيما عنده رغبة ، وإن أكرمكم عليه أتقاكم .

وقال ﷺ : عجبٌ لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى ، كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار . وعجبٌ ممن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه فيملكهم . ثم قال : إن الخير والشر لا يعرفان إلا بالناس ، فإذا أردت أن تعرف الخير فاعمل الخير تعرف أهله . وإذا أردت أن تعرف الشر فاعمل الشر تعرف أهله .

وقال ﷺ : إنما أخشى عليكم إثنين : طول الأمل واتباع الهوى ، أما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى ، فإنه يصد عن الحق . وسأله رجل بالبصرة عن الإخوان فقال : الإخوان صنفان : إخوان الثقة وإخوان المكاشرة^(٢) ، فأما إخوان

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٨ .

(٢) المكاشرة - مفاعلة من كثر كضرب - وكثر الرجل عن أسنانه ، أي أبدى وأظهر ويكون في الضحك . والمكاشر : المبتسم في وجهه . والكهف : الملقب .

الثقة فهم الكهف والجناح ، والأهل والمال فإن كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك ويدك وصاف من صافه ، وعاد من عاداه ، واكتم سره وعييه وأظهر منه الحسن .
إعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر ، وأما إخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك ، فلا تقطعنّ منهم لذتك ، ولا تطلبينّ ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا من طلاقة الوجه ، وحلاوة اللسان .

وقال **عليه السلام** : لا تتخذنّ عدوً صديقك صديقاً فتعدي صديقك .

وقال **عليه السلام** : لا تصرم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب .

وقال **عليه السلام** : ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة : الفاجر ، والأحمق ، والكذاب ، فأما الفاجر فيزين لك فعله ويحبّ أنك مثله ، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ، فمقارنته جفاء وقسوة ، ومدخله عار عليك . وأما الأحمق فإنه لا يُشير عليك بخير ولا يرجه لصرف السوء عنك ولو جَهد نفسه ، وربما أراد نفعك فضرّك . فموته خير من حياته ، وسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه . وأما الكذاب فإنه لا يهتلك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث . كلما أفنى أحداثة مطاها بأخرى مثلها حتى أنه يُحدث بالصدق فلا يصدق ، يغري بين الناس بالعداوة فيبث الشحناء في الصدور . فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم .

وقال **عليه السلام** : لا عليك أن تصحب ذا العقل ، وإن لم تجد كرمه ، ولكن انتفع بعقله ، واحترس من سىء أخلاقه ، ولا تدعنّ صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله ، ولكن انتفع بكرمه بعقلك ، وافرر الفرار كله من اللئيم الأحمق .

وقال **عليه السلام** : الصبر ثلاثة : الصبر على المصيبة ، والصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية .

وقال **عليه السلام** : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبداً ، قيل : وما هنّ ؟ قال : العجلة واللجاجة والعجب والتواني .

وقال **عليه السلام** : الأعمال ثلاثة : فرائض وفضائل ومعاصي . فأما الفرائض فبأمر الله ومشيتته وبرضاه وبعلمه وقدره يعملها العبد فينجو من الله بها . وأما الفضائل فليس بأمر الله لكن بمشيئته وبرضاه وبعلمه ويقدره يعملها العبد فيثاب عليها . وأما المعاصي فليس بأمر الله ولا بمشيئته ولا برضاه ، لكن بعلمه ويقدره يقدرها لوقتها فيفعلها العبد

باختياره فيعاقبه الله عليها ، لأنه قد نهاه عنها فلم ينته .

وقال عليه السلام : يا أيها الناس إن الله في كل نعمة حقاً ، فمن أذاه زاده ، ومن قصر عنه خاطر بزوال النعمة وتعجل العقوبة ، فليراكم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم من الذنوب فرقين .

وقال عليه السلام : من ضيق عليه في ذات يده فلم يظن أن ذلك حسن نظر من الله [له] فقد ضيع مأمولاً ، ومن وسع عليه في ذات يده فلم يظن أن ذلك استدراج من الله فقد أمن مخوفاً .

وقال عليه السلام : يا أيها الناس : سلوا الله اليقين ، وارغبوا إليه في العافية ، فإن أجل النعم العافية ، وخير ما دام في القلب اليقين ، والمغبون من غبن دينه ، والمغبوط من حسن يقينه .

وقال عليه السلام : لا يجد رجل طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه .

وقال عليه السلام : ما ابتلي المؤمن بشيء هو أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها ، قيل : وما هن ؟ قال : المواساة في ذات يده ، والإنصاف من نفسه وذكر الله كثيراً . أما إني لا أقول لكم : سبحان الله والحمد لله ، ولكن ذكر الله عند ما أحل له ، وذكر الله عند ما حرم عليه .

وقال عليه السلام : من رضي من الدنيا بما يعجزه كان أيسر ما فيه يكفيه ، ومن لم يرض من الدنيا بما يعجزه لم يكن فيها شيء يكفيه .

وقال عليه السلام : المنيّة لا الدنيّة ، والتجلد لا التبلّد ، والدهر يومان : فيوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فلا تحزن فبكليهما ستختبر .

وقال عليه السلام : أفضل على من شئت يكن أسيرك .

وقال عليه السلام : ليس من أخلاق المؤمن الملق ، ولا الحسد إلا في طلب العلم .

وقال عليه السلام : أركان الكفر أربعة : الرغبة ، والرغبة ، والسخط ، والغضب .

وقال عليه السلام : الصبر مفتاح الدرك ، والنجاح عقى من صبر ، ولكل طالب حاجة وقت يحركه القدر .

وقال عليه السلام : اللسان معيار أطاشه الجهل ، وأرجحه العقل .
 وقال عليه السلام : من طلب شفاء غيظ بغير حق أذاقه الله هواناً بحق . إن الله عدو ما
 كره .

وقال عليه السلام : ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار .
 وقال عليه السلام : عمرت البلدان بحب الأوطان .
 وقال عليه السلام : ثلاث من حافظ عليها سعد : إذا ظهرت عليك نعمة فاحمد الله
 وإذا أبطأ عنك الرزق فاستغفر الله ، وإذا أصابك شدة فأكثر من قول : « لا حول ولا
 قوة إلا بالله » .

وقال عليه السلام : العلم ثلاثة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنحو للسان .
 وقال عليه السلام : حق الله في العسر الرضى والصبر ، وحقه في اليسر الحمد
 والشكر .

وقال عليه السلام : ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة . وكم من شهوة ساعة قد أورثت
 حزناً طويلاً . والموت فضح الدنيا ، فلم يترك لذي لب فيها فرحاً ، ولا لعاقل لذة .
 وقال عليه السلام : العلم قائد ، والعلم سائق ، والنفس حرون^(١) .

وقال عليه السلام : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى عليه السلام خرج
 يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله ورجع نبياً . وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع
 سليمان عليه السلام . وخرجت سحرة فرعون يطلبون العز لفرعون ، فرجعوا مؤمنين .
 وقال عليه السلام : الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم .

وقال عليه السلام : أيها الناس اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا
 بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه . الناس أبناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يُحسن
 فتكلموا في العلم تبين أقداركم .

وقال عليه السلام : رحم الله امرءاً راغب ربه وتوكف ذنبه ، وكابر هواه وكذب مناه . زم

(١) الحرون من الخيل : الذي لا ينقاد لراكبه فإذا استدر جريه وقف .

نفسه من التقوى بزمام وألجمها من خشية ربها بلجام ، فقادها إلى الطاعة بزمامها .
وقدعها عن المعصية بلجامها ، رافعاً إلى المعاد طرفه ، متوقفاً في كل أوان حتفه ،
دائم الفكر ، طويل السهر ، عزوفاً عن الدنيا ، كدوحاً لآخرته ، جعل الصبر مطية
نجاته ، والتقوى عتة وفاته ودواء [داء] جواه ، فاعتبر وقاس فوتر الدنيا والناس يتعلم
للتفقه والسداد ، قد وقر قلبه ذكر المعاد ، فطوى مهاده ، وهجر وساده ، قد عظمت
فيما عند الله رغبته ، واشتدت منه رهبته ، يظهر دون ما يكتم ، ويكتفي بأقل مما
يعلم ، أولئك ودائع الله في بلاده ، المدفوع بهم عن عبادته ، لو أقسم أحدهم على
الله لأبره ، آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وقال عليه السلام : وكل الرزق بالحق ، وكل الحرمان بالعقل ، ووكّل البلاء
بالصبر .

وقال عليه السلام : للأشعث^(١) يعزيه بأخيه عبد الرحمن : إن جزعت فحقّ عبد
الرحمن وفيت ، وإن صبرت فحقّ الله أدبت ، على أنك إن صبرت جرى عليك
القضاء وأنت محمود ، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم . فقال الأشعث :
إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتدري ما تأويلها ؟ . فقال
الأشعث : لأنت غاية العلم ومنتهاه ، فقال عليه السلام : أما قولك : «إنا لله» فيأقر منك
بالمملك . وأما قولك : «إنا إليه راجعون» ، فيأقر منك بالهلك .

وركب يوماً فمشى معه قوم فقال عليه السلام لهم : أما علمتم أن مشي الماشي مع
الراكب مفسدة للراكب ، ومذلة للماشي ، انصرفوا .

وقال عليه السلام : الأمور ثلاثة : أمر بان لك رشده فاتبعه ، وأمر بان لك غيّه

(١) الظاهر هو أشعث بن قيس المكنى بأبي محمد ، ذكروه في جملة أصحاب رسول
الله ﷺ وكان أسر بعد النبي ﷺ في ردة أهل يأسر وعفى عنه أبو بكر وزوجه أخته أم
فروة ، وكانت عوراء فولدت له محمد . وكان أشعث سكن الكوفة وهو عامل عثمان على
أذربيجان ، وكان أباً زوجة عمر بن عثمان ، وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إليه بعد فتح
البصرة فسار وقدم على علي عليه السلام وحضر صفين ثم صار خارجياً ملعوناً ، وقال ابن أبي
الحديد كل فساد كان في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث
وهو الذي شرك في دمه عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم
الحسين عليه السلام .

فاجتنبه ، وأمر أشكل عليك فرددته إلى عالمه .

وقال له جابر يوماً : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال ﷺ : أصبحنا وبنا من نعم الله ربنا ما لا نُحصيه مع كثرة ما نعصيه ، فلا ندري ما نشكر أجميل ما ينشر ، أم قبيح ما يستر .

وعزى عبد الله بن عباس عن مولود صغير مات له فقال ﷺ : لمصيبة في غيرك لك أجرها أحبُّ إليَّ من مصيبة فيك لغيرك ثوابها ، فكان لك الأجر لا بك ، وحسن لك العزاء لا عنك ، وعوضك الله عنه مثل الذي عوضه منك .

وقيل له : ما التوبة النصوح ؟ . فقال ﷺ : ندم بالقلب واستغفار باللسان والقصد على أن لا يعود .

وقال ﷺ : إنكم مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ، ومضمونون أجدائاً ، وكائنون رفاتاً ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون حساباً ، فرحم الله عبداً اقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر . وعمر فاعتبر ، وحذر فازدجر ، وأجاب فأناب ، وراجع فتاب ، واقتدى فاحتذى ، فباحث طلباً ، ونجا هرباً ، وأفاد ذخيرة ، وأطاب سريرة ، وتأهب للمعاد ، واستظهر بالزاد ليوم رحيله ، ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقته ، فقدّم أمامه لداء مقامه ، فمهدوا لأنفسكم ، فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا حواني الهرم وأهل بضاضة الصحة^(١) إلا نوازل السقم ، وأهل مدّة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراف الفوت ، ودنو الموت .

وقال ﷺ : اتقوا الله تقيّة من شمر تجريداً ووحد تشميراً وانكمش في مهل ، وأشفق في وجل^(٢) ونظر في كثرة المال وعاقبة الصبر ومغبة المرجع ، فكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى بالجنة ثواباً ونوالاً ، وكفى بالنار عقاباً ونكالاً ، وكفى بكتاب الله حجيجاً وخصيماً .

وسأله رجل عن السنّة والبدعة والفرقة والجماعة . فقال ﷺ : أما السنّة فسنة رسول الله ﷺ ؛ وأما البدعة فما خالفها . وأما الفرقة فأهل الباطل وإن كثروا وأما

(١) البضاضة : رقة اللون وصفائه .

(٢) التشمير : السرعة والخفة . وانكمش أي أسرع وجد فيه . والمهل . الرفق والإمهال .

الجماعة فأهل الحق وإن قلُّوا ، وقال عليه السلام : «لا يرجو العبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحيي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

وقال له رجلٌ : أوصني . فقال عليه السلام : أوصيك أن لا يكوننَّ لعمل الخير عندك غاية في الكثرة ولا لعمل الإثم عندك غاية في القلة .

وقال له آخر : أوصني ، فقال عليه السلام : لا تحدِّث نفسك بفقر ولا طول عمر .

وقال عليه السلام : إن لأهل الدين علامات يعرفون بها : صدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء بالعهد وصلة للأرحام ورحمة للضعفاء وقلة مواتاة للنساء وبذل المعروف وحسن الخلق وسعة الحلم واتباع العلم وما يقرب من الله زلفى ، فطوبى لهم وحسن مآب .

وقال عليه السلام : ما أطال [الـ] عبد الأمل إلا أنسا [هـ] العمل .

وقال عليه السلام : ابن آدم أشبه شيء بالمعيار ، إما ناقص بجهل أو راجح بعلم .

وقال عليه السلام : سبب المؤمن فسق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه .

وقال عليه السلام : ابذل لأخيك دمك ومالك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، وللعمامة بشرك وإحسانك تسلّم على الناس يُسلموا عليك .

وقال عليه السلام : سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

وقال عليه السلام : الشيء شيثان ، فشيء لم أرزقه فيما مضى ولا آمله فيما بقي ، وشيء لا أناله دون وقته ، ولو أجلبت عليه بقوة السماوات والأرض ، فبأيّ هذين أفني عمري .

وقال عليه السلام : إن المؤمن إذا نظر اعتبر . وإذا سكت تفكّر . وإذا تكلم ذكر . وإذا استغنى شكر . وإذا أصابته شدّة صبر ، فهو قريب الرضى ، بعيد السخط ، يرضيه عن الله اليسير ولا يسخطه الكثير ، ولا يبلغ بنيته إرادته في الخير ، ينوي كثيراً من الخير ويعمل بطائفة منه ويتلهف على ما فاتته من الخير كيف لم يعمل به . والمنافق إذا نظر لها وإذا سكت سها ، وإذا تكلم لغا ، وإذا استغنى طغا ، وإذا أصابته شدة ضغا ، فهو قريب السخط بعيد الرضى ، يسخطه على الله اليسير ولا يرضيه

الكثير ، ينوي كثيراً من الشر ويعمل بطائفة منه ويتلهف على ما فاتته من الشر كيف لم يعمل به .

وقال عليه السلام : الدنيا والآخرة عدوان متعاديان وسيلان مختلفان ، من أحب الدنيا ووالاها أبغض الآخرة وعادها ، مثلهما مثل المشرق والمغرب والماشي بينهما لا يزداد من أحدهما قرباً إلا أزداد من الآخر بعداً .

وقال عليه السلام : من خاف الوعيد قرب عليه البعيد . ومن كان من قوت الدنيا لا يشبع لم يكفه منها ما يجمع . ومن سعى للدنيا فاتته . ومن قعد عنها أتته ، إنما الدنيا ظل ممدود إلى أجل معدود . رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ، ودعي إلى الرشيد فدنا ، وأخذ بحجزة ناج هاد فنجا ، قدّم صالحاً وعمل صالحاً [قدّم] مدخوراً واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً [وقدّم عوضاً] ، كابر هواه وكذب مناه ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ، لزم الطريقة الغراء والحجّة البيضاء واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزوّد من العمل .

وقال عليه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ . فقال : نرجو ونخاف ، فقال عليه السلام : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، ما أدري ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما خوف منه ، وما أدري ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو .

وقال عليه السلام : لعباية بن ربيعي^(١) ، وقد سأله عن الإستطاعة التي تقوم ونقعد ونفعل : إنك سألت عن الإستطاعة فهل تملكها من دون الله ، أو مع الله ، فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن قلت : تملكها مع الله قتلتك وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك ، [فـ] قال عباية : فما أقول ؟ قال عليه السلام تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك فإن ملكك إياها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، فهو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك .

قال الأصمعي بن نباتة^(٢) : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أحدثكم بحديث

(١) هو عباية بن عمر بن ربيعي الأسدي من أصحاب أمير المؤمنين والحسن عليه السلام بل من خواصهما عليه السلام ومعتمد عليه .

(٢) أصمعي بن نباتة المجاشعي كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده ، وروى عهده =

ينبغي لكل مسلم أن يعيه ، ثم أقبل علينا ، فقال عليه السلام : ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا إلا كان أجود وأمجّد من أن يعود في عقابه يوم القيامة . ولا ستر الله على عبد مؤمن في هذه الدنيا وعفا عنه إلا كان أكرم وأجود وأكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة ، ثم قال عليه السلام : وقد يتلى الله المؤمن بالبلية في بدنه أو ماله أو ولده أو أهله وتلا هذه الآية : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ ^(١) وضم يده ثلاث مرّات ، وهو يقول : ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ .

وقال عليه السلام : أول القطيعة السجا . ولا تأس أحداً إذا كان ملولاً ^(٢) . أقبح المكافات المجازاة بالإساءة .

وقال عليه السلام : أول إعجاب المرء بنفسه فساد عقله . من غلب لسانه آمنه . من لم يصلح خلّاقه كثرت بوائقه . من ساء خلقه مله أهله . ربّ كلمة سلبت نعمة . الشكر عصمة من الفتنة . الصيانة رأس المروّة . شفيح المذنب خضوعه . أصل الحزم الوقوف عند الشبهة . في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

وقال عليه السلام : المصائب بالسوية مقسومة بين البرية . لا تياس لذنبك وباب التوبة مفتوح . الرشد في خلاف الشهوة . تأريخ المني الموت . النظر إلى البخيل يقسي القلب . النظر إلى الأحمق يسخن العين . السخاء فطنة واللؤم تغافل .

وقال عليه السلام : الفقر الموت الأكبر . وقلة العيال أحد اليسارين وهو نصف العيش . والهم نصف الهرم . وما عال امرؤ اقتصد . وما عطب امرؤ استشار . والصنيعة لا تصلح إلا عند ذي حسب أو دين . والسعيد من وعظ بغيره . والمغبون لا محمود ولا مأجور . البر لا يبلى . والذنب لا ينسى .

= لمالك الأشتر الذي عهد إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ، وروى أيضاً وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد الحنفية وكان يوم صفين على شرطة الخميس وكان شيخاً شريفاً ناسكاً عابداً ، وكان من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه على الموت وهو من فرسان أهل العراق وكان عند سلمان رضي الله عنه وقت وفاته وبكائه على أمير المؤمنين عليه السلام عند بابه لما ضرب به ابن ملجم ، لعنه الله ودخله عليه - وهو معصوب الرأس بعمامة صفراء وقد نرف الدم واصفر وجهه - مشهور .

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٣٠ .

(٢) السجا : الستر ، سجا الليل يسجو : ستر بظلمته . وفي النهج (ولا تأمن ملولا) .

وقال ﷺ : اصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد . واستشعروا الحمد يؤنس بكم [العقلاء] . ودعوا الفضول يجانبكم السفهاء . وأكرموا المجلس تعمّر ناديككم . وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم . وأنصفوا الناس من أنفسكم يوثق بكم . وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة . وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشريف وتهدم المعجّد . وقال ﷺ : اقنع تُعزّز .

وقال ﷺ : الصبر جُنة من الفاقة . والحرص علامة الفقر . والتجمل اجتناب المسكنة . والموعظة كهف لمن لجأ إليها .

وقال ﷺ : من كساه العلم ثوبه اختفى عن الناس عيبه .

وقال ﷺ : لا عيش لحسود . ولا مودة لملوك . ولا مروءة لكذوب .

وقال ﷺ : تروّج إلى بقاء عزك بالوحدة .

وقال ﷺ : كلّ عزيز داخل تحت القدرة فذلّيل .

وقال ﷺ : أهلك الناس اثنان : خوف الفقر وطلب الفخر .

وقال ﷺ : أيها الناس إياكم وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة وباب كل بلية ، وقران كل فتنة ، وداعي كل رزية .

وقال ﷺ : جماع الخير كله في ثلاث خصال : النظر ، والسكوت ، والكلام ، فكلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو . وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة . وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو لغو ، فطوبى لمن كان نظره عبثاً ، وسكوته فقرة ، وكلامه ذكراً وبكى على خطيئته ، وأمن الناس من شره .

وقال ﷺ : ما أعجب هذا الإنسان مسروراً بدرك ما لم يكن ليفوته ، محزوناً على فوت ما لم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لأبصر وعلم أنه مدبّر وأن الرزق عليه مقدر ولاقتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسّر .

وقال ﷺ : إذا طاف في الأسواق ووعظهم قال : يا معشر التجار قدّموا الإستخارة وتبرّكوا بالسهولة واقربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجاّفوا عن الظلم ، وأنصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين .

وسئل أيُّ شيء مما خلق الله أحسن ؟ فقال ﷺ : الكلام . فقيل : أيُّ شيء مما خلق الله أقيس ؟ قال : الكلام ، ثم قال : بالكلام ابيضَّت الوجوه ، وبالكلام اسودَّت الوجوه .

وقال ﷺ : قولوا الخير تعرفوا [به] واعملوا به تكونوا من أهله .

وقال ﷺ : إذا حضرت بلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم . وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم . واعلموا أن الهالك من هلك دينه . والحرب من سلب دينه . ألا وإنه لا فقر بعد الجنة ، ولا غنى بعد النار ؛

وقال ﷺ : لا يجد عبدٌ طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده .

وقال ﷺ : ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذّاب ، إنه يكذب حتى يجيء بالصدق فما يُصدق .

وقال ﷺ : أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق .

وقال ﷺ : من خاف القصاص كفَّ عن ظلم الناس .

وقال ﷺ : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد .

وقال ﷺ : العامل بالظلم ، والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثة .

وقال ﷺ : الصبر صبران : صبرٌ عند المصيبة حسن [جميل] وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك . والذكر ذكران : ذكر عند المصيبة حسن جميل ، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم [الله] عليك فيكون ذلك حاجزاً .

وقال ﷺ : اللَّهُمَّ لا تجعل بي حاجة إلى أحد من شرار خلقك وما جعلت بي من حاجة فاجعلها إلى أحسنهم وجهاً وأسأخهم بها نفساً ، وأطلقهم بها لساناً ، وأقلهم عليّ بها مناً .

وقال ﷺ : طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله .

وقال ﷺ : إن من حقيقة الإيمان أن يؤثر العبد الصدق حيث يضرّ على الكذب حيث ينفع ولا يعد المرء بمقالته علمه .

وقال ﷺ : أدوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء .

وقال عليه السلام : التقوى سنخ الإيمان .

وقال عليه السلام : ألا إن الدُّل في طاعة الله أقرب إلى العز من التعاون بمعصية الله .

وقال عليه السلام : المال والبنون حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد جمعهما الله لأقوام .

وقال عليه السلام : مكتوب في التوراة في صحتين ، إحداهما : من أصبح على الدنيا حزناً فقد أصبح لقضاء الله سائطاً . ومن أصبح من المؤمنين يشكو مصيبة نزلت به إلى من يخالفه على دينه فإنما يشكوره إلى عدوه . ومن تواضع لغني طلباً لما عنده ذهب ثلثا دينه . ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فو ممن يتخذ آيات الله هزواً .

وقال عليه السلام : في الصحيفة الأخرى : من لم يستشير يندم ، ومن يستأثر من الأموال يهلك . والفقر الموت الأكبر .

وقال عليه السلام : الإنسان لَبَّ لسانه . وعقله دينه . ومروءته حيث يجعل نفسه ، والرزق مقسوم ، والأيام دُول ، والناس إلى آدم شرع سواء^(١) .

وقال عليه السلام لكميل بن زياد : رويدك لا تشهر ، وأخف شخصك لا تذكر . تَعْلَم تعلم . واصمت تَسْلَم . لا عليك إذا عرَّفَكَ دينه لا تعرف الناس ولا يعرفونك .

وقال عليه السلام : ليس الحكيم من لم يُدار من لا يجد بدءاً من مداراته .

وقال عليه السلام : أربع لو ضربتكم فيهنَّ أكباد الإبل^(٢) لكان ذلك يسيراً : لا يرجو أحداً إلا ربه . ولا يخافن إلا ذنبه . ولا يستحي أن يقول : لا أعلم إذا هو لم يعلم . ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم .

وكتب إلى عبد الله بن العباس : أما بعد ، فاطلب ما يعينك واترك ما لا يعينك ، فإن في ترك ما لا يعينك درك ما يعينك ، وإنما تقدم على ما أسلفت لا على ما خلفت . وابن ما تلقاه غداً على ما تلقاه ، والسلام .

وقال عليه السلام : إن أحسن ما يَأْلَف به الناس قلوب أودائهم ونفوسا به الضغن عن

(١) «دول» أي لا ثبات فيها ولا قرار . والشرع - بكسر فسكون ويفتحين - : المثل .

(٢) ضرب أكباد الإبل في طلب الشيء كناية من أن يرحل إليه .

قلوب أعدائهم ، حسن البشر عند لقائهم والتفقد في غيبتهم والبشاشة بهم عند حضورهم .

وقال عليه السلام : لا يجد عبدٌ طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وقال عليه السلام : يا رب ما أشقى جدّ من لم يعظم في عينه وقلبه ما رأى من ملكك وسلطانك في جنب ما لم ترّ عينه وقلبه من ملكك وسلطانك . وأشقى منه من لم يصغر في عينه وقلبه ما رأى وما لم يرّ من ملكك وسلطانك في جنب عظمتك وجلالك . لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وقال عليه السلام : إنما الدنيا فناءٌ وعناءٌ وغيرٌ وعبرٌ فمن فنائها أنك ترى الدهر موتراً قوسه مفوّقاً نبهه لا تخطيء سهامه ولا تشفى جراحه ، يرمي الصحيح بالسقم والحيّ بالموت . ومن عنائها أن المرء يجمع ما لا يأكل ، ويبني ما لا يسكن ، ثم يخرج إلى الله لا مალًا حمل ولا بناءً نقل . ومن غيرها أنك ترى المغبوط مرحوماً والمرحوم مغبوطاً ليس بينهم إلا نعيم زال وبؤس نزل ، ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيتخطفه أجله فلا أمل مدرك ولا مؤمل متروك ، فسبحان [الله] ما أعز سرورها ، وأظلم ربيها ، وأضحى فيئها ، فكأنّ ما كان من الدنيا لم يكن ، وكأنّ ما هو كائن قد كان . [و] إن الدار الآخرة هي دار المقام ودار القرار وجنة ونار . صار أولياء الله إلى الأجر بالصبر وإلى الأمل بالعمل .

وقال عليه السلام : من أحب السبل إلى الله جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم وجرعة حزن تردّها بصبر . ومن أحبّ السبل إلى الله قطرتان : قطرة دموع في جوف الليل ، وقطرة دم في سبيل الله ، ومن أحبّ السبل إلى الله خطوتان : خطوة امرئ مسلم يشدّ بها صفّاً في سبيل الله ، وخ خطوة في صلة الرحم [وهي] أفضل من خطوة يشدّ بها صفّاً في سبيل الله .

وقال عليه السلام : لا يكون الصديق لأخيه صديقاً حتى يحفظه في نكته وغيبته ، وبعد وفاته .

وقال عليه السلام : إن قلوب الجهّال تستفزّها الأطماع ، وترهنها المنى ، وتستعلقها الخدائع .

وقال عليه السلام : من استحكمت فيه خصلة من خصال الخير اغتفرت ما سواها ، ولا اغتفر فقد عقل ولا دين ، مفارقة الدين مفارقة الأمن . ولا حياة مع مخافة . وفقد العقل فقد الحياة ، ولا يقاس بالأموات .

وقال عليه السلام : من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن ، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده^(١) .

وقال عليه السلام : إن الله يعذب ستة ستة : العرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والأمراء بالجور والفقهاء بالحسد ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرُستاق بالجهل .

وقال عليه السلام : أيها الناس اتقوا الله ، فإن الصبر على التقوى أهون من الصبر على عذاب الله .

وقال عليه السلام : الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كلّ نعمة ، والورع عن كلّ ما حرّم الله .

وقال عليه السلام : إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج منهما الفقر .

وقال عليه السلام : ألا إن الأيام ثلاثة : يوم مضى لا ترجوه ، ويوم بقي لا بدّ منه ، ويوم يأتي لا تأمنه فالأمس موعظة ، واليوم غنيمة ، وغداً لا تدري من أهله ، أمس شاهد مقبول واليوم أمين مؤدّ . وغداً يجعل بنفسك سريع الظعن ، طويل الغيبة أذاك ولم تأت . أيها الناس إن البقاء بعد الفناء ولم تكن إلّا وقد ورثنا من كان قبلنا ولنا وارثون بعدنا فاستصلحوا ما تقدمون عليه بما تطعنون عنه . واسلكوا سبل الخير ولا تستوحشوا فيها لقلّة أهلها واذكروا حسن صحبة الله لكم فيها . ألا وإن العواري اليوم والهيات غداً . وإنما نحن فروع لأصول قد مضت ، فما بقاء الفروع بعد أصولها . أيها الناس إنكم إن آثرتم الدنيا على الآخرة أسرعتم إجابتها إلى العرض الأدنى ورحلت مطايا آمالكم إلى الغاية القصوى ، يورد مناهل عاقبتها الندم وتذيقكم ما فعلت بالأمم الخالية والقرون الماضية من تغير الحالات وتكوّن المثالات .

وقال عليه السلام : الصلوة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف . ولكل شيء

(١) الخيرة : الخيار ، وذلك لأن من أسر عزيمة فله الخيار بخلاف من أفشاها .

زكاة وزكاة البدن الصيام . وأفضل عمل المرء انتظاره فرج الله والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر ، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية . استنزلوا الرزق بالصدقة . وحصّنوا أموالكم بالزكاة . وما عال امرؤ اقتصد . والتقدير نصف العيش . والتودّد نصف العقل . والهّم نصف الهرم . وقلة العيال أحد اليسارين . ومن أساء والديه عقهما . ومن ضرب بيده على فخذة عند المصيبة حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلاّ عند ذي حسب أو دين . والله ينزل الرزق على قدر المصيبة . فمن قدر رزقه الله ومن بدّر حرمة الله . والأمانة تجرّ الرزق . والخيانة تجرّ الفقر ، ولو أراد الله بالتملة صلاحاً ما أنبت [لها] جناحاً .

وقال عليه السلام : متاع الدنيا حطام وتراثها كباب ، بلغتها أفضل من أثرتها . وقُلعتها أركن من طمأنينتها^(١) ، حكم بالفاقة على مكثرها . وأعين بالراحة من رغب عنها ، من راقه رواؤها أعقت ناظره كمهاً^(٢) . ومن استشعر شعفها ملأت قلبه أشجاناً ، لهنّ رقص على سويداء قلبه كرقيص الزبدة على أعراض المدرجة همّ يحزنه وهمّ يشغله ، كذلك حتى يؤخذ بكظمه ويقطع أبهره ويلقى هاماً للقضاء ، طريحاً هيئاً على الله مداه^(٣) وعلى الأبرر لقاء وإنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن اضطرار ويسمع فيها بأذن النفث .

وقال عليه السلام : تعلموا الحلم فإن الحلم خليل المؤمن ووزيره ، والعلم دليله ، والرفق أخوه ، والعقل رفيقه ، والصبر أمير جنوده .

وقال عليه السلام : لرجل تجاوز الحد في التقشف : يا هذا أما سمعت قول الله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤) ، فوالله لا بتذالك نعم الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذالكها بالمقال .

(١) الحطام - كغراب - : ما تكسر من يبس النبات . والكباب - كغراب - الكثير من الإبل والغنم والتراب والطين اللازب وأمثالها . والبلغة : الكفاف . والأثرة - كقصبة - : الاختيار واختصاص المرء بالشيء دون غيره . والقلة : الرحلة .

(٢) الكمه - محرّكة - العمى .

(٣) الكظم - بالضم والتنحيك - : مخرج النفس . والأبهران : العرقان اللذان يخرجان من القلب . والهامة : الجثة . والمدى : الغاية والمنتهى .

(٤) سورة الضحى : الآية : ١١ .

وقال لابنه الحسن عليه السلام : أوصيك بتقوى الله وإقام الصلاة، لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها . وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عند الجاهل والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتعهد للقرآن وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش كلها في كل ما عصي الله فيه .

وقال عليه السلام : قوام الدنيا بأربعة : بعالم مستعمل لعلمه . وبغني باذل لمعروفه ، وبجاهل لا يتكبر أن يتعلم . وبفقر لا يبيع آخرته بدنياه غيره . وإذا عطّل العالم علمه وأمسك الغني معروفه ، وتكبر الجاهل أن يتعلم ، وباع الفقير آخرته بدنياه غيره فعليهم الثبور .

وقال عليه السلام : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خالق بأن لا ينزل به مكروه أبداً ، قيل : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ . قال : العجلة واللجاجة والعجب والتواني .

وقال عليه السلام : اعلّموا عباد الله أن التقوى حصن حصين ، والفجور حصن ذليل . لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه ، ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا ، وبالصبر على طاعة الله ينال ثواب الله . وباليقين تدرك الغاية القصوى . عباد الله إن الله لم يحظر على أوليائه ما فيه نجاتهم ، إذا دلّهم عليه ولم يقنطهم من رحمته لعصيانهم إياه إن تابوا إليه .

وقال عليه السلام : الصمت حكم ، والسكوت سلامة ، والكتمان طرف من السعادة .

وقال عليه السلام : تدلّ الأمور للمقدور حتى تصير الآفة في التدبير .

وقال عليه السلام : لا تتم مروءة الرجل حتى يتفقه [في دينه] ويقتصد في معيشته ، ويصبر على النائبة إذا نزلت به ، ويستعذب مرارة إخوانه .

وسئل عليه السلام : ما المروءة ؟ فقال : لا تفعل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية .

وقال عليه السلام : الاستغفار مع الإصرار ذنوبٌ مجددة .

وقال عليه السلام : سكّنوا في أنفسكم معرفة ما تعبدون حتى ينفعكم ما تحرّكون من الجوارح بعبادة من تعرفون .

وقال عليه السلام : المستأكل بدينه حظه من دينه ما يأكله .

وقال عليه السلام : الإيمان قول مقبول ، وعمل معمول ، وعرفان بالعقول .

وقال عليه السلام : الإيمان على أربعة أركان التوكل على الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله والرضى بقضاء الله وأركان الكفر أربعة : الرغبة والرهبة والغضب والشهوة .

وقال عليه السلام : من زهد في الدنيا ولم يجزع من دُلَّها ولم ينافس في عزَّها . هداها الله بغير هداية من مخلوق وعلمه بغير تعليم ، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه .

وقال عليه السلام : إن لله عبداً عاملوه بخالص من سرِّه ، فشكر لهم بخالص من شكره ، فأولئك تمرَّ صحفهم يوم القيامة فرَّغاً ، فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرِّ ما أسروا إليه .

وقال عليه السلام : ذَلُّوا أخلاقكم بالمحاسن وقوِّدوها إلى المكارم . وعودوا أنفسكم الحلم واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون عنه ولا تدأقوا الناس وزناً بوزن . وعظِّموا أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور . وأمسكوا رَمَقَ الضعيف بجاهكم ، وبالمعونة له إن عجزتم عما رجاه عندكم . ولا تكونوا بَحَّاثين عما غاب عنكم فيكثر غائبكم . وتحفظوا من الكذب ، فإنه من أدنى الأخلاق قدراً ، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة . وتكرَّموا بالتعامي عن الاستقصاء - وروي بالتعاس من الاستقصاء^(١) - .

وقال عليه السلام : كفى بالأجل حرزاً . إنه ليس أحد من الناس إلا ومعه حفظة من الله يحفظونه أن لا يتردَّى في بئر ، ولا يقع عليه حائط ، ولا يصيبه سبع ، فإذا جاء أجله خلَّوا بينه وبين أجله .

(١) تعامى فلان : أظهر من نفسه العمى ، والمراد التغافل عنه والتعاس : التغافل .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام السبط التقي أبي محمد
الحسن بن علي صلوات الله عليهما ورحمته
وبركاته في طوال هذه المعاني في أجوبته عن
مسائل سأله عنها أمير المؤمنين عليه السلام
أو غيره في معان مختلفة :

قيل له ^(١) : ما الزُّهد ؟ قال الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا . قيل : فما
الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس . قيل : ما السداد ؟ قال : دفع المنكر
بالمعروف . قيل : فما الشرف ؟ قال : إصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قيل : فما
النجدة ؟ قال : الذبُّ عن الجار والصبر في المواطن والإقدام عند الكريهة . قيل :
فما المجد ؟ . قال : أن تُعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم . قيل : فما المروءة ؟
قال : حفظ الدين وإعزاز النفس ولين الكنف^(٢) وتعهد الصنعة وأداء الحقوق والتحبب
إلى الناس . قيل : فما الكرم ؟ قال : الإبتداء بالعطية قبل المسألة وإطعام الطعام في
المحل^(٣) . قيل : فما الدنيئة ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير . قيل : فما اللؤم ؟
قال : قلّة الندى وأن ينطق بالخنثى . قيل : فما السماح ؟ قال : البذل في السراء
والضراء . قيل : فما الشُّحُّ ؟ قال : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً . قيل :
فما الإخاء ؟ قال : الإخاء في الشدة والرخاء . قيل : فما الجبن ؟ قال : الجرأة على
الصديق والنكول عن العدو . قيل : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم لها وإن
قلَّ : قيل : فما الفقر ؟ قال : شره النفس إلى كلِّ شيء . قيل : فما الجود ؟ قال :
بذل المجهود . قيل : فما الكرم ؟ قال : الحفاظ في الشدة والرخاء . قيل : فما

(١) الكنف - محرّكة - الجانب والناحية . وكنف الإنسان : حضنه والعضدان والصدر .

(٢) المحل - بالفتح - الشدة والجذب . يقال : زمان ماحل ، أي مجذب .

الجرأة؟ قال : موافقة الأقران . قيل : فما المنعة^(١)؟ قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس قيل : فما الدُّلُّ قال : الفرق عند المصدوقة . قيل : فما الخرق؟ قال مناوأتك أميرك ومن يقدر على ضررك . قيل : فما السناء^(٢)؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح . قيل : فما الحزم؟ قال : طول الأناة والرفق بالولاة والاحتباس من جميع الناس . قيل : فما الشرف؟ قال : موافقة الإخوان وحفظ الجيران . قيل : فما الحرمان؟ قال : تركك حظك وقد عرض عليك . قيل : فما السفه؟ قال : اتباع الدناءة ومصاحبة الغواة . قيل : فما العي؟ قال : العبث باللحمة وكثرة التنحنح عند المنطق . قيل : فما الشجاعة؟ قال : موافقة الأقران والصبر عند الطعان . قيل : فما الكلفة؟ قال : كلامك فيما لا يعينك . قيل : وما السفاهة؟ قال : الأحمق في أماله المتهاون بعرضه . قيل : فما اللؤم؟ قال : إحراز المرء نفسه ، وإسلامه عرسه .

ومن حكمه(ع)

أيها الناس إنه من نصيح الله وأخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم ، ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى فإن جار الله آمنٌ محفوظ وعدوه خائف مخذول فاحترسوا من الله بكثرة الذكر . واخشوا الله بالتقوى وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنه قريب مجيب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٣) . فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم ، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا و[عز] الذين يعرفون ما جلال الله أن يتدللوا [له] وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يسلموا له ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى . واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى . ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه . ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه . فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف . ورأيتم كيف يهوى من يهوى . ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون . والتمسوا ذلك عند أهله ، فإنهم خاصة نور

(١) المنعة : العز والقوة . ولعل المراد بالبأس والمنازعة : الجهاد في الله أو الهيبة في أعين الناس .

(٢) السناء - بالمهملة ممدوداً - : الرفعة .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٦ .

يُستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم ، بهم عيش العلم وموت الجهل ، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم ، وحكم منطقتهم عن صمتهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه . وقد خلت لهم من الله سنة . ومضى فيهم من الله حكم إن في ذلك الذكرى للذاكرين واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعايته ولا تعقلوه عقل روايته ، فإن رواية الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، والله المستعان .

جوابه (ع) عن مسائل سئل عنها في خبر طويل كتبنا منه موضع الحاجة

بعث معاوية رجلاً متكرراً يسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل سأله عنها ملك الروم ، فلما دخل الكوفة وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام أنكره فقررته فاعترف له بالحال فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضله وضل من معه ، قاتله الله لقد أعتق جارية ما أحسن أن يتزوجها ، حكم الله بيني وبين هذه الأمة قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وأضاعوا أيامي . علي بالحسن والحسين ومحمد ، فدعوا ، فقال عليه السلام : يا أخا أهل الشام هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا إبني فاسأل أيهم أحببت ، فقال الشامي : أسأل هذا ، يعني الحسن عليه السلام . ثم قال :

كم بين الحق والباطل ؟ وكم بين السماء والأرض ؟ وكم بين المشرق والمغرب ؟ وعن هذا المحو الذي في القمر ، وعن قوس قزح وعن هذه المجرة ، وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض ، وعن أول شيء اهتز عليها ، وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين والمشركون . وعن المؤنث ، وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض ؟ .

فقال الحسن عليه السلام : يا أخا أهل الشام بين الحق والباطل أربع أصابع ، ما رأيت بعينك فهو الحق ، وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً . وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر ، فمن قال غير هذا فكذب . وبين المشرق والمغرب يوم مطرد للشمس تنظر إلى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب من قال غير هذا فكذب . وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء ، مهبط الماء المنهمر على نوح عليه السلام (١) . وأما قوس

(١) المجرة : هي البياض المعترض في السماء والسود من جانبيها ، قوامها نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ، والعامية يسميها درب =

قُزَح^(١): فلا تقل: قرح فإن قرح شيطانٌ ولكنها قوس الله وأمان من الغرق. وأما المحو الذي في القمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحا الله. وقال في كتابه: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(٢).

وأما أول شيء انتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس. وأما أول شيء اهتزَّ على وجه الأرض فهي النخلة. وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يُقال لها سلمى. وأما العين التي تأوي إليها أرواح الكافرين فهي عين يقال لها: برهوت^(٣). وأما المؤنث فإنسانٌ لا يدرى امرأة هو أو رجلٌ فينتظر به الحلم، فإن كانت امرأة بانث، ثدياها وإن كان رجلاً خرجت لحيته، وإلا قيل له يسول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجلٌ وإن نكص كما ينكص بول البعير فهي امرأة. وأما عشرة أشياء بعضها أشدُّ من بعض: فأشدُّ شيء خلق الله الحجر وأشدُّ من الحجر الحديد وأشدُّ من الحديد النار وأشدُّ من النار الماء، وأشدُّ من الماء السحاب، وأشدُّ من السحاب الريح، وأشدُّ من الريح الملك، وأشدُّ من الملك ملك الموت، وأشدُّ من ملك الموت، الموت، وأشدُّ من الموت أمر الله.

قال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ وأن علياً وصيُّ محمد ثم كتب هذا الجواب ومضى به إلى معاوية وأنفذه إلى ابن الأصفر^(٤) فلما أتاه قال: أشهد أن هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلا من معدن النبوة.

= التبانة، ويقال لها بالفارسية: «كهكشان». والأشراج جمع الشرج - بالتحريك - : عرى العيبة والإنشاق في القوس. والهمر: صب الماء بشدة، والإنهمار: الإنصباب. ومهبط الماء المنهمر.

(١) قوس قزح: طرائق منقوشة بألوان من صفرة وخضرة وحمرة تبدو في السماء. ولا يفصل قزح من قوس ولا تنصرف لأنه اسم شيطان قاله ابن عباس رضي الله عنه. وهو يتكون من تكسر أشعة النور على قطرات الماء أو البخار، ويظهر من الجهة المقابلة للشمس من الفلك.

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ١٢.

(٣) برهوت - كجبروت - : واد باليمن أو بشر بحضر موت، وقيل: هو اسم البلد الذي فيه البئر رائجتها متنتة فظيعة جداً.

(٤) ابن الأصفر ملك الروم وإنما سمي الروم بنو الأصفر لأن أباهم الأول كان أصفر اللون وهو روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم. ذكره الجزري.

كلامه (ع) في الاستطاعة

كتب الحسن بن أبي الحسن البصري^(١) إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام :
أما بعد ، فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة والأعلام النيرة
الشاهرة أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون ، كتبت إليك يا
ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في الاستطاعة ، فأخبرنا بالذي عليه رأيك
ورأي آبائك عليهم السلام ، فإن من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد
عليكم ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم .

فأجابه الحسن عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل إلي كتابك ، ولولا ما
ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك ، أما بعد ، فمن لم يؤمن
بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر ، إن
الله لم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك
لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخيراً ونهاهم تحذيراً فإن اتتمروا
بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم بأن يحول
بينهم وبينها فعل وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ولا ألزموها كرهاً بل
من عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم لا جبلاً لهم على ما أمرهم به
فيكون كالملائكة ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ، والله المحجة البالغة ، فلو شاء
لهذاكم أجمعين ، والسلام على من اتبع الهدى .

موعظة

إعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً ، وليس بشاركم سدى ، كتب آجالكم وقسم
بينكم معاشكم ليعرف كل ذي لب منزلته ، وأن ما قدر له أصابه وما صرف عنه فلن
يصيبه ، قد كفاكم مؤونة الدنيا وفرغكم لعبادته . وحثكم على الشكر وافترض عليكم
الذكر ، وأوصاكم بالتقوى ، وجعل التقوى منتهى رضاه والتقوى باب كل توبة ورأس

(١) هو الحسن بن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري سعيده وعمارة المعروف بالحسن البصري وهو
من رؤساء القدرية والمنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقعد في منزله ولم ينصر
الإمام عليه السلام وكان من تلامذته ابن أبي العوجاء مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانون سنة .

كل حكمة وشرف كل عمل ، بالتقوى فاز من فاز من المتقين . قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(١) . وقال : ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ، لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) . فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره ويهيئ له رشده ويفلجه بحجته ويبيض وجهه ويعطيه رغبته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

خطبته (٤)

حين قال له معاوية بعد الصلح : اذكر فضلنا

حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي وآله ، ثم قال : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن ابن رسول الله ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن المصطفى بالرسالة ، أنا ابن من صلت عليه الملائكة ، أنا ابن من شرفت به الأمة ، أنا ابن من كان جبريل السفير من الله إليه ، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين [صلى الله عليه وآله أجمعين] . فلم يقدر معاوية أن يكتم عداوته وحسده ، فقال : يا حسن ، عليك بالرطب فأنعته لنا . قال : نعم يا معاوية الريح تلقحه ، والشمس تُنفخه ، والقمر يلونه ، والحر ينضجه ، والليل يبرده ، ثم أقبل على منطقه فقال : أنا ابن المستجاب الدعوة ، أنا ابن من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن الشفيح المطاع ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن من خضعت له قریش رغماً ، أنا ابن من سعد تابعه وشقي خاذله ، أنا ابن من جعلت الأرض له طهوراً ومسجداً ، أنا ابن من كانت أخبار السماء إليه تترى ، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . فقال معاوية : أظن نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة ؟ فقال : ويلك يا معاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعة الله ، ولعمري إنا لأعلام الهدى ومنار التقى ، ولكنك يا معاوية ممن أبار السنن وأحيا البدع واتخذ عباد الله خولاً ، ودين الله لعباً فكان قد أحمل ما أنت فيه ، فعشت يسيراً وبقيت عليك تبعاته . يا معاوية والله لقد خلق الله مدينتين إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب أسماهما جابلقا

(١) سورة النبأ ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الزمر ؛ الآية : ٦١ .

وجابلسبا ، ما بعث الله إليهما أحداً غير جدِّي رسول الله ﷺ . فقال معاوية : يا أبا محمد أخبرنا عن ليلة القدر ، قال : نعم عن مثل هذا فاسأل ، إن الله خلق السماوات سبعا والأرضين سبعا والجن من سبع والإنس من سبع فتطلب من ليلة ثلاث وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين . ثم نهض ﷺ .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال ﷺ : ما تشاور قوم إلا هُودوا إلى رشدهم .

وقال ﷺ : اللؤم أن لا تشكر النعمة .

وقال ﷺ : لبعض ولده : يا بُني لا تواخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره ، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العثرة فأخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة .

وقال ﷺ : لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة بدافعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً ، فإن الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المآثم .

وقال ﷺ : القريب من قرْبته المودة وإن بعد نسبه . والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه ، لا شيء أقرب من يد إلى جسد ، وإن اليد تفل فتقطع وتحسم .

وقال ﷺ : من اتكل على حُسن الاختيار من الله له لم يتمنَّ أنه في غير الحال التي اختارها الله له .

وقال ﷺ : الخير الذي لا شَرَّ فيه : الشكر مع النعمة والصبر على النازلة .

وقال ﷺ : لرجل أبل من علة : إن الله قد ذكرك فاذكره وأفالك فاشكره .

وقال ﷺ : العار أهون من النار .

وقال ﷺ : عند صلحه لمعاوية : إنا والله ما ثننا عن أهل الشام بالسلامة والصبر ، فسلبت السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع وكنتم في مبدأكم إلى صفيين ، ودينكم أمام دنياكم وقد أصبحتم اليوم وديناكم أمام دينكم .

وقال ﷺ : ما أعرف أحداً إلا وهو أحق فيما بينه وبين ربه .

وقيل له : فيك عظمة ، فقال ﷺ : بل في عزة ، قال الله : ﴿ والله المعزّة
ولرسوله وللمؤمنين ﴾^(١) .

وقال (ع) في وصف أخ كان له صالح

كان من أعظم الناس في عيني . وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في
عينه كان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يمدّ يداً إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يشتكي
ولا يتسخط ولا يتبرّم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذّ القائلين^(٢) كان ضعيفاً
مستضعفاً ، فإذا جاء الجدّ فهو الليث عادياً ، كان إذا جامع العلماء على أن يستمع
أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت ، كان
لا يقول ما لا يفعل ، ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب
إلى ربه نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في
مثله .

وقال ﷺ : من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان : آية محكمة
وأخاً مستفاداً ، وعلماً مستطرفاً ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن
رديّ وترك الذنوب حياءً أو خشيةً .

ورزق غلاماً فأنته قريش تهنيه فقالوا : يهنيك الفارس ، فقال ﷺ : أي شيء
هذا القول ؟ ولعله يكون راجلاً ، فقال له جابر : كيف نقول يا ابن رسول الله ؟ .
فقال ﷺ : إذا ولد لأحدكم غلامٌ فأتيتموه فقولوا له : شكرت الواهب ، وبورك لك
في الموهوب ، بلغ الله به أشدّه ، ورزقك به .

وسئل عن المرأة ؟ فقال : شحّ الرجل على دينه . وإصلاحه ماله وقيامه
بالحقوق .

وقال ﷺ : إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه . وأسمع الأسماع ما وعى
التذكير وانتفع به . أسلم القلوب ما طهر من الشبهات .

(١) سورة المنافقون ؛ الآية : ٨ . في نسخة « فيكم » ورواه الساروي في المناقب وفيه :
« فيك عظمة » .

(٢) لا يتبرّم أي لا يشأم ولا يتضجر ولا يغتم . وبذّ القائلين . أي غلبهم وسبقهم وفاقهم .

وسأله رجل أن يخليه . قال عليه السلام : إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسك أنك أو تكذبني فإنه لا رأي لمكذوب . أو تغتاب عندي أحداً ، فقال له الرجل : أتأذن لي في الانصراف ، فقال عليه السلام : نعم إذا شئت .

وقال عليه السلام : إن من طلب العبادة تزكى لها . إذا أضرت النوافل بالفريضة فافضوها . اليقين معاذ للسلامة . من تذكّر بعد السفر اعتد . ولا يغش العاقل من استنصحه . بينكم وبين الموعظة حجاب العزّة . قطع العلم عذر المتعلمين . كل معاجل يسأل النظرة^(١) . وكل مؤجل يتعلل بالتسويق .

وقال عليه السلام : اتقوا الله ، عباد الله ، وجدوا في الطلب ، وتجاه الهرب ، وبادروا العمل قبل مقطّعات النقمات ، وهادم اللذات فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعةها ، ولا تتوقى في مساوئها ، غرور حائل ، وسناد مائل^(٢) ، فاتعظوا عباد الله بالعبر ، واعتبروا بالآثر ، وازدجروا بالنعيم . وانتفعوا بالمواعظ ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً ، وكفى بالجنة ثواباً ، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً .

وقال عليه السلام : إذا لقي أحدكم أخاه فليقبل موضع النور من جبهته .

ومرّ عليه السلام في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون ، فوقف على رؤوسهم فقال : إن الله جعل شهر رمضان مضمّاراً لخلقه فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وقصّر آخرون فخابوا ، فالعجب كل العجب من ضاحك لاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبتطلون وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته ، ثم مضى .

(١) النظرة : الإمهال والتأخير .

(٢) السناد : ككتاب الناقة الشديدة القوة ، ومن الشيء عماده .

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

وروي عن الإمام التقي السبط الشهيد أبي
عبد الله ، الحسين بن علي عليه السلام في
طوال هذه المعاني :

من كلامه (ع)

(في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام) .

اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول :
﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم﴾^(١) وقال : ﴿لعن الذين كفروا من
بني إسرائيل - إلى قوله - لبئس ما كانوا يفعلون﴾^(٢) وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم
كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة
فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول : ﴿فلا تخشوا الناس
واخشون﴾^(٣) وقال : ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف
وينهون عن المنكر﴾^(٤) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه ،
لعلمه بأنها إذا أُديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئها وصعبها وذلك أن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظلوم ومخالفة الظالم وقسمة
الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها ، ثم أنتم أيتها العصابة

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٣ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٤ .

(٤) سورة التوبة ؛ الآية : ٧٢ .

عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس مهابة . يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر ، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتكم بحق الأئمة ، فأما حق الضعفاء فضيقتكم وأما حقكم بزعمكم فطلبتكم . فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتكم بها للذي خلقها ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه . لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل لكم نقمة من نعماته لأنكم بلغتكم من كرامة الله منزلة فضلتكم بها ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم بالله في عباده تكرمون وقد ترون عهود الله منقوصة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله ﷺ محقورة والعمي والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعنون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون ، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون . وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسمعون ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمانة على حلاله وحرامه فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وتسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسировون في الشهوات ، سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشتة مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداء بالأشرار وجراً على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس ، فمن بين جبار عنيد وذو سطوة على الضعفة شديد ، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد ، فيا عجباً وما لي (لا) أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تنازعا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول

الحطام ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير .

مه عظة

أوصيكم بتقوى الله وأحذرکم أيامه وأرفع لكم أعلامه فكأنّ المخوف قد أفد^(١) بمهول وروده ونكير حلوله وبشع مذاقه فاعتلق مهجكم وحال بين العمل وبينكم ، فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار كأنكم ببغيات طوارقه فتتقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها ومن علوها إلى أسفلها ومن أنسها إلى وحشتها ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها ومن سعتها إلى ضيقها . حيث لا يزار حميم ولا يُعاد سقيم ولا يجاب صريخ . أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم ونجّانا وإياكم من عقابه وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه عباد الله فلو كان قصر مرامكم ومدى مظعنكم كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه ويذهله عن دنياه ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه ، فكيف وهو بعد ذلك مرتبهن باكتسابه مستوقف على حسابه لا وزير له يمنعه ولا ظهير عنه يدفعه ، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون . أوصيكم بتقوى الله فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه ، فإن الله تبارك وتعالى لا يخذع عن جنته ولا ينال ما عنده إلاّ بطاعته إن شاء الله .

كتابه (ع)

إلى أهل الكوفة لما سار ورأى خذلانهم إياه

أما بعد فتباً لكم أيتها الجماعة وترحاً ، حين استصرختمونا ولهين فأصبرخناكم موجفين سلّتم علينا سيفاً كان في إيماننا وحششتهم ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألماً لفأ على أوليائكم ويدا لأعدائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ولا

(١) أفد - كفرج - : عجل ودنى وأزف . والمهول : ذو الهول وبشع : ضد حسن وطيب .
والمهج الدم أو دم القلب والمراد به الروح .

لأمل أصبح لكم فيهم وعن غير حدث كان منا ولا رأي يفيل عنا . فهلا لكم الولايات ، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لم يستحصف ولكن استسرعتم إليها كتطايير الدبا وتداعيتم عنها كتداعي الفراش . فسحقاً وبعداً لطواغيت الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان ومحرفي الكلام ومطفئي السنن وملحقي العبرة بالنسب ، المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضيّن . والله إنه لخذل فيكم معروف ، قد وشجت عليه عُروقكم وتأذرت عليه أصولكم^(١) فكنتم أخبث ثمرة شجا للناظر ، وأكلة للغاصب ، ألا فلعنة الله على الناكثين الذي ينقضون الإيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً . ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز منا^(٢) بين اثنتين بين الملة والذلة ، وهيهات منا الدنيئة يأبى ذلك الله ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وأنوف حمية ونفوس أبيّة ، وأن نؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام وإني زاحف إليهم بهذه الأسرة على كلب العدو وكثرة العدد وخذلة الناصر . ألا وما يلبثون إلا كريشما يُركب الفرس حتى تدور رحا الحرب وتعلق النحور . عهدٌ عهد هذه إليّ أبي ﷺ فاجمعوا أمركم ثم كيدون فلا تنظرون ، إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم .

جوابه (ع) عن مسائل سأله عنها ملك الروم حين وفد إليه ويزيد بن معاوية في خبر طويل - اختصرنا منه موضع الحاجة -

سأله عن المجرة وعن سبعة أشياء خلقها الله ، لم تخلق في رحم ؟ . فضحك الحسين ﷺ فقال له : ما أضحكك ؟ قال ﷺ : لأنك سألتني عن أشياء ما هي من منتهى العلم إلا كالقذى في عرض البحر ، أما المجرة فهي قوس الله . وسبعة أشياء لم تخلق في رحم ، فأولها آدم ثم حوّا والغراب وكبش إبراهيم ﷺ وناقّة الله وعصا موسى ﷺ والطير الذي خلقه عيسى بن مريم ﷺ .

ثم سأله عن أرزاق العباد فقال ﷺ : أرزاق العباد في السماء الرابعة ينزلها الله

(١) عضيّن - جمع عضة وأصله عضوة فنقصت الواو وكذلك جمعت عضيّن والتعضية - : التفريق أي جعلوه جزءاً جزءاً .

(٢) الدعي : الذي يدعي غير أبيه والمتهم في نسبه . وركز منا أي أقامنا بين الأمرين .

بقدر ويبسطها بقدر .

ثم سأله عن أرواح المؤمنين أين تجتمع ؟ قال : تجتمع تحت صخرة بيت المقدس ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى منها بسط الأرض وإليها يطويها ومنها استوى إلى السماء ، وأما أرواح الكفار فتجتمع في دار الدنيا في حضرموت وراء مدينة اليمن ، ثم يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب بينهما ريحان فيحشران الناس إلى تلك الصخرة في بيت المقدس فتحبس في يمين الصخرة وتزلف الجنة للمتقين وجهنم في يسار الصخرة في تخوم الأرضين وفيها الفلق والسَّجِّين فتفرق الخلائق من عند الصخرة ، فمن وجبت له الجنة دخلها من عند الصخرة ومن وجبت له النار دخلها من عند الصخرة .

وجوه الجهاد

سئل عن الجهاد سنة أو فريضة ؟ فقال عليه السلام : الجهاد على أربعة أوجه :
فجهادان فرض وجهاد سنة لا يُقام إلا مع فرض وجهاد سنة ، فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض ، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يُقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة لو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب ، وهذا هو من عذاب الأمة وهو سنة على الإمام . وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم . وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها إحياء سنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً» .

توحيد

أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم ، يضاهون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . استخلص الوحداية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن . لا منازع له في شيء من أمره ولا كفور له يعادله ولا ضد له ينازعه ، ولا سمِّي له يشابهه ولا مثل له يشاكله . لا تتداوله الأمور ولا تجري عليه الأحوال ولا تنزل عليه الأحداث ، ولا يقدر الواصفون

كنه عظمته ، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته ، لأنه ليس له في الأشياء عديل ، ولا تدركه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد ، ما تُصور في الأوهام فهو خلافه . ليس برب من طُرح تحت البلاغ ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء . هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه^(١) ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها ، ليس بقادر من قارنه ضد أو ساواه ند . ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية أممه ، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار . وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض ، قُربه كرامته وبعده إهانته ، لا يحله في ولا توقته إذ ولا تؤامره إن . علوه من غير توقل ، ومجيئه من غير تنقل ، يوجد المفقود ويفقد الموجود ، ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت . يصيب الفكر منه الإيمان به موجوداً ووجود الإيمان لا وجود صفة . به توصف الصفات لا بها يُوصف ، وبه تُعرف المعارف لا بها يُعرف ، فذلك الله لا سمّي له ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وعنه (ع) في قصار هذه المعاني

وقال عليه السلام في مسيره إلى كربلاء : إن هذه الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها ، فلم يبقَ منها إلا صُبابَة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا ينتهي عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فأني لا أرى الموت إلا سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً . إن الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون .

وقال عليه السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً : يا هذا كفّ عن الغيبة فإنها أدام كلاب النار .

وقال عنده رجل : إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع^(٢) فقال الحسين عليه السلام : ليس كذلك ، ولكن تكون الصنعة مثل وإبل المطر تصيب البر والفاجر .

(١) في بعض النسخ «لا كينونية محظور بها عليه» .

(٢) أسدى إليه : أحسن إليه . والوابل : المطر الشديد .

وقال عليه السلام : ما أخذ الله طاقة أحد إلا وضع عنده طاعته . ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته .

وقال عليه السلام : إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة .

وقال له رجل ابتداءً : كيف أنت عافاك الله ؟ فقال عليه السلام له : السَّلام قبل الكلام عافاك الله ، ثم قال عليه السلام : لا تأذنوا لأحد حتى يُسَلِّم .

وقال عليه السلام : الإستدراج من الله سبحانه لعبده أن يسبغ عليه النعم ، ويسلبه الشكر .

وكتب إلى عبد الله بن العباس حين سيَّره عبد الله بن الزبير إلى اليمن : أما بعد ، بلغني أن ابن الزبير سيَّرك إلى الطائف فرفع الله لك بذلك ذكراً وحطَّ به عنك وزراً وإنما يبتلى الصالحون . ولو لم توجر إلا فيما تحب لقلَّ الأجر ، عزم الله لنا ولك بالصبر عند البلوى والشكر عند النعمى ولا أشمت بنا ولا بك عدواً حاسداً أبداً والسَّلام .

وأناه رجل فسأله فقال عليه السلام : إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح^(١) ، أو فقر مدقع ، أو حمالة مفضعة ، فقال الرجل : ما جئت إلا في إحداهن ، فأمر له بمائة دينار .

وقال لابنه عليّ بن الحسين عليه السلام : أي بني ، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله جلَّ وعزَّ .

وسأله رجل عن معنى قول الله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢) . قال عليه السلام : أمره أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه .

وجاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة فقال عليه السلام : يا أخا الأنصار صن

(١) الغرم : أداء شيء لازم . وما يلزم أداؤه ، والضرر والمشقة ، والفادح : الصعب المثقل .

(٢) سورة الضحى ؛ الآية : ١١ .

وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة فإني آت فيها ما سارَك إن شاء الله ، فكتب : يا أبا عبد الله إن لفلان عليَّ خمسمائة دينار وقد ألحَّ بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة . فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة^(١) فيها ألف دينار ، وقال عليه السلام له : أما خمسمائة فاقض بها دينك ، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ، ولا ترفع حاجتك إلَّا إلى أحد ثلاثة : إلى ذي دين ، أو مروءة ، أو حسب ، فأما ذو الدين فيصون دينه ، وأما ذو المروءة فإنه يستحيي لمروءته ، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبدله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردَّك بغير قضاء حاجتك .

وقال عليه السلام : الإخوان أربعة : فأخ لك وله ، وأخ لك ، وأخ عليك ، وأخ لا لك ولا له ، فسئل عن معنى ذلك ؟ فقال عليه السلام : الأخ الذي هلك وله فهو الأخ الذي يطلب بإخائه بقاء الإخاء ، ولا يطلب بإخائه موت الإخاء فهذا لك وله لأنه إذا تم الإخاء طابت حياتهما جميعاً ، وإذا دخل الإخاء في حال التناقض بطل جميعاً . والأخ الذي هلك هو لك فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع إلى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا إذا رغب في الإخاء فهذا موفرٌ عليك بكلية . والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر^(٢) ويغشى السرائر ويكذب عليك بين العشائر وينظر في وجهك نظر الحاسد فعليه لعنة الواحد . والأخ الذي لا لك ولا له فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك ويطلب شحاً ما لديك .

وقال عليه السلام : من دلائل علامات القبول : الجلوس إلى أهل العقول . ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر^(٣) . ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر .

وقال عليه السلام : إن المؤمن اتخذ الله عصمته وقوله مرآته ، فمرة ينظر في نعت المؤمنين ، وتارة ينظر في وصف المتجبرين ، فهو منه في لطائف ، ومن نفسه في تعارف ، ومن فطنته في يقين ، ومن قُدسه على تمكين .

(١) الصرة - بالضم فالتشديد - ما يصرف فيه الدرهم والدينار .

(٢) الدوائر : النوائب ، يقال : دارت الدوائر ، أي نزلت الدواهي والنوائب .

(٣) المماراة : المجادلة والمنازعة . وفي بعض النسخ «لغير أهل الفكر» .

وقال عليه السلام : إياك وما تعتذر منه ، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر .

وقال عليه السلام : للسلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد .

وقال عليه السلام : البخيل من بخل بالسلام .

وقال عليه السلام : من حاول امرءاً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو ، وأسرع لما يحذر^(١) .

(١) في بعض النسخ «أسرع لمجيء ما يحذر» .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام في طوال هذه المعاني .

موعظته (ع) لسائر أصحابه وشيعته وتذكيره إياهم كل يوم جمعة

أيها الناس اتقوا الله واعلموا أنكم إليه راجعون ، فتجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، ويحك يا ابن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه ، إن أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حيثاً ، يطلبك ويوشك أن يدركك فكأن قد أوفيت أجلك وقد قبض الملك روحك وصيرت إلى قبرك وحيداً ، فردّ إليك روحك واقتحم عليك ملكاك منكرونيكير لمساءلتك وشديد امتحانك . ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبه ، وعن نبيك الذي أرسل إليك ، وعن دينك الذي كنت تدّين به ، وعن كتابك الذي كنت تتلوه ، وعن إمامك الذي كنت تتولاه وعن عمرك فيما أفنيت ، وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته ، فخذ جذرك ، وانظر لنفسك وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار ، فإن تك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين ، موالياً لأولياء الله لقاءك الله حجتك ، وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب وبشّرت بالجنة والرضوان من الله ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك ، وعييت عن الجواب ، وبشّرت بالنار ، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم .

واعلم يا ابن آدم أن ما وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يجمع الله فيه الأولين والآخرين يوم ينفخ في

الصور ويبعثر فيه القبور ذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ذلك يوم لا تقال فيه عثرة ولا تؤخذ من أحد فدية ولا تقبل من أحد معذرة ، ولا لأحد فيه مستقبل توبة ، ليس إلا الجزء بالحسنات والجزاء بالسيئات ، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده .

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها وحذركموها في الكتاب الصادق والبيان الناطق ولا تأمنوا مكر الله وتدميره^(١) عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا ، فإن الله يقول : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾^(٢) وأشعروا قلوبكم خوف الله وتذكروا ما [قد] وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه كما قد خوفكم من شديد عقابه ، فإنه من خاف شيئاً حذره ومن حذر شيئاً تركه ، ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الحياة الدنيا الذين مكروا السيئات وقد قال الله تعالى : ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات ، أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾^(٣) أو يأخذهم على تخوف ، فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما توعده به القوم الظالمين في كتابه لقد وعظكم الله بغيركم وإن السعيد من وعظ بغيره . ولقد أسمعكم الله في كتابه ما فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال : ﴿وأنشأنا بعدها قومًا آخرين﴾^(٤) وقال : ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾^(٥) يعني يهربون . قال : ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾^(٦) فلما أتاهم العذاب ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾^(٧) فإن قلت أيها الناس : إن الله إنما عني بهذا أهل الشرك ، فكيف ذاك وهو يقول : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾^(٨) . اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما

(١) التدمير : الإهلاك ، وفي الأمالي ولا تأمنوا مكر الله وشدة أخذه وتدميره .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية ٢٠١ .

(٣) سورة النحل ؛ الآيتان : ٤٥ - ٤٦ .

(٤) سورة الأنبياء ؛ الآيات : ١١ - ١٤ .

(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٤٧ .

يحشرون إلى جهنم زمراً وإنما تنصب الموازين وتنتشر الدواوين لأهل الإسلام ، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الله تعالى لم يحب زهرة الدنيا لأحد من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لأخترته ، وأيم الله لقد ضربت لكم فيه الأمثال وصرفت الآيات لقوم يعقلون ، فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون ولا قوة إلا بالله . وازهدوا فيما زهدكم الله فيه من عاجل الحياة الدنيا فإن الله يقول - وقوله الحق - : ﴿ وإنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) ولا تركزوا إلى الدنيا فإن الله قال لمحمد ﷺ : ﴿ ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (٢) ولا تركزوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان ، فإنها دار قلعة ومنزل بلغة ودار عمل ، فتزودوا الأعمال الصالحة قبل تفرق أيامها وقبل الإذن من الله في خرابها ، فكأن قد أخبرها الذي عمرها أول مرة وابتدأها وهو ولي ميراثها . وأسأل الله لنا ولكم العون على تزود التقوى والزهد في الدنيا جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل هذه الحياة الدنيا ، الراغبين في أجل ثواب الآخرة فإنما نحن له وبه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

موعظة وزهد وحكمة

كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين أيها المؤمنون لا يفتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها ، المفتنون بها ، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غداً (٣) . واحذروا ما حذركم الله منها وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها . ولا تركزوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدها داراً وقراراً وبالله إن لكم مما فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها وتغيير انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها ، إنها لترفع الخميل وتضع الشريف وتورد النار أقواماً غداً ، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمتبته . وإن الأمور الواردة عليكم في كل يوم

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٢٥ . وهنا أيضاً سقط (فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون) .

(٢) سورة هود ؛ الآية : ١١٣ .

(٣) الهامد : البالي المسود المتغير واليابس من النبات والشجر . والهشيم : اليابس المتكسر من كل شجر وكلاء أصله المكسور . والبائد : الهالك .

وليلة من مظلمات الفتن وحوادث البدع وسنن الجور وبوائق الزمان وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان لتثبط القلوب عن نيتها وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله جل وعزّ فليس يعرف تصرف أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله ونهج سبيل الرشد وسلك طريق القصد . ثم استعان على ذلك بالزهد ، فكرر الفكر واتعظ بالعبر وازدجر ، فزهد في عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذاتها ورغب في دائم نعيم الآخرة وسعى لها سعيها وراقب الموت وشأ الحياة مع القوم الظالمين فعند ذلك نظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة النظر وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة ، فقد لعمرى استدبرتم من الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق . فاستعينوا بالله وارجعوا إلى طاعته وطاعة من هو أولى بالطاعة من طاعة من اتبع وأطيع .

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة والقعود على الله والوقوف بين يديه . وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم وساء مصيرهم . وما العلم بالله والعمل بطاعته إلا لفان مؤتلفان ، فمن عرف الله خافه فحثة الخوف على العمل بطاعة الله وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه وقد قال الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) فلا تلتمسوا شيئاً في هذه الدنيا بمعصية الله واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله واغتنموا أيامها واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله ، فإن ذلك أقل للتبعة وأدنى من العذر وأرجا للنجاة . فقدموا أمر الله وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلها ولا تقدموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت وفتنة زهرة الدنيا بين يدي أمر الله وطاعته وطاعة أولي الأمر منكم . واعلموا أنكم عبيد الله ونحن معكم ، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً وهو موقفكم ومسائلكم ، فأعدوا الجواب قبل الوقوف والمسائلة والعرض على رب العالمين ، يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه . واعلموا أن الله لا يصدق كاذباً ولا يكذب صادقاً ولا يرد عذر مستحق ولا يعذر غير معذور بل لله الحجة على خلقه بالرسول والأوصياء بعد الرسل . فاتقوا الله واستقبلوا من

(١) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٥ .

إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولونه فيها . لعل نادماً قد ندم على ما قد فرط بالأمس في جنب الله وضيع من حق الله واستغفروا الله وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وإياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين احذروا فتنهم وتباعدوا من ساحتهم . واعلموا أنه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبد بأمره دون أمر ولي الله في نار تلتهب ، تأكل أبداناً (قد غابت عنها أرواحها) غلبت عليها شقوتها (فهم موتى لا يجدون حر النار) فاعتبروا يا أولي الأبصار واحمدوا الله على ما هداكم . واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته وسيرى الله عملكم ثم إليه تحشرون فانثفخوا بالعظة وتأدبوا بآداب الصالحين .

رسالته (٤) المعروفة برسالة الحقوق

إعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقاً محيطية لك في كل حركة تحركتها ، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها : بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك ، فجعل لبصرك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً وللسانك عليك حقاً وليد يدك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً ، ولبطنك عليك حقاً ولفرجك عليك حقاً ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال . ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً ، فجعل لصلاتك عليك حقاً ولصومك عليك حقاً ولصدقتك عليك حقاً ولهديك عليك حقاً ولأفعالك عليك حقاً ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك وأوجبها عليك حقاً أثمتك ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك ، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق فحقوق أثمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان ثم سائسك بالعلم ، ثم حق سائسك بالملك وكل سائس^(١) إمام وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان ، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة . فأوجبها عليك حق أمك ، ثم حق أبيك ثم حق ولدك ، ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول ، ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجاري نعمته

(١) السائس : القائم بأمر والمدير له .

عليك ، ثم حق ذي المعروف لديك ، ثم حق مؤذذك بالصلاة ، ثم حق إمامك في صلاتك ، ثم حق جليستك ، ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ثم حق شريكك ، ثم حق مالك ، ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم حق غريمك الذي يطالبك ، ثم حق خليطك ، ثم حق خصمك المدعي عليك ، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه ، ثم حق مستشيرك ثم حق المشير عليك ، ثم حق مستنصحك ، ثم حق الناصح لك ، ثم حق من هو أكبر منك ، ثم حق من هو أصغر منك ، ثم حق سائلك ، ثم حق من سألته ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد منه ، ثم حق أهل ملتك عامة ، ثم حق أهل الذمة ، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب ، فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده .

١ - فأما حقُّ الله الأكبر فإنك تعبد له لا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تُحب منها .

٢ - وأما حقُّ نفسك عليك فإن تستوفيها في طاعة الله ، فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه ، وإلى يدك حقه ، وإلى رجلك حقه وإلى بطنك حقه ، وإلى فرجك حقه ، وتستعين بالله على ذلك .

٣ - وأما حق اللسان فأكرامه عن الخنى وتعويدته على الخير وحمله على الأدب وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا وإعفاؤه عن الفضول الشنة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدها وبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزيين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٤ - وأما حقُّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً أو تكسب خلقاً كريماً فإنه باب الكلام إلى القلب يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر ، ولا قوة إلا بالله .

٥ - وأما حقُّ بصرك فغضه عما لا يحلُّ لك وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً ، فإن البصر باب الاعتبار .

٦ - وأما حقُّ رجلتك فإن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلُّ لك ولا تجعلهما مطبقتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها فإنها حاملتك وسالكه بك مسلك الدين والسبق لك ،

ولا قوة إلا بالله .

٧- وأما حقُّ يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلُّ لك فتتال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الاجل ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل ، ولا تقبضها مما افترض الله عليها ، ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحلُّ لها وبسطها إلى كثير مما ليس عليها ، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب في الآجل .

٨- وأما حقُّ بطنك فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حد التقوية إلى حد التهوين وذهاب المروءة وضبطه إذا هم بالجوع والظما فإن الشيع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل برّ وكرم . وإن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة .

٩- وأما حقُّ فرجك فحفظه مما لا يحلُّ لك والاستعانة عليه بغض البصر ، فإنه من أعون الأعوان وكثرة ذكر الموت والتهدد لنفسك بالله والتخويف لها به ، وبالله العصمة والتأييد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم حقوق الأفعال

١٠- فاما حقُّ الصلاة فأن تعلم أنها وفادةٌ إلى الله وأنت قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الدليل ، الراغب ، الراهب ، الخائف ، الراجي ، المسكين ، المتضرع ، المعظم من قام بين يديه بالسكون والإطراق ، وخشوع الأطراف ولين الجناح ، وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك ، ولا قوة إلا بالله .

١١- وأما حقُّ الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليسترك به من النار . وهكذا جاء في الحديث : «الصوم جنة من النار» فإن سكنت أطرافك في حجبها رجوت أن تكون محجوباً وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنابات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظر الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه ، ولا قوة إلا بالله .

١٢- وأما حقُّ الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج

إلى الإِشهاد^(١) فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق بما استودعته علانية وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته وكان الأمر بينك وبينه فيها سرّاً على كل حال ، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها [بـ] إِشهاد الأسماع والأبصار عليه بها كأنها أوثق في نفسك لا كأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك . ثم لم تمتنّ بها على أحد لأنها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها ولو أردت نفسك بها لم تمتنّ بها على أحد ، ولا قوة إلا بالله .

١٣ - وأما حقّ الهدى فإن تخلص بها الإرادة إلى ربك والتعرض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون الناظرين دونه ، فإذا كنت كذلك لم تكن مُتكلفاً ولا مُتصنعاً وكنت إنما تقصد إلى الله . واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير ، كما أراد بخلقه التيسير ولم يُرد بهم التعسير ، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين فاما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما ولا مؤونة عليهما لأنهما الخِلة وهما موجودان في الطبيعة ، ولا قوة إلا بالله .

ثم حقوق الأئمة

١٤ - فأما حق سائسك بالسلطان فإن تعلم أنك جُعِلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان وأن تخلص له في النصيحة وأن لا تماحكه^(٢) وقد بُسِطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه . وتذلل وتلطّف لإعطائه من الرضى ما يكفّ عنك ولا يضرّ دينك وتستعين عليه في ذلك بالله . ولا تعازّه^(٣) ولا تُعاندّه ، فإنك إن فعلت ذلك عَقَقته وعَقَقَتْ نفسك فعَرَضَتْها لمكروهه وعَرَضَتْه للهلكة فيك وكنت خليفاً أن تكون معيناً له على نفسك وشريكاً له فيما أتى إليك ، ولا قوة إلا بالله .

١٥ - وأما حقّ سائسك بالعلم فالتعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه

(١) لا يحتاج يوم القيامة إلى الإِشهاد لما ورد في الخبر من «أن الصدقة أول ما تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل» .
 (٢) لا تماحكه : لا تخاصمه ولا تنازعه .
 (٣) لا تعازّه : لا تعارضه في العزة .

والإقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكي له (قلبك) وتجلّي له بصرك بترك اللذات ونقص الشهوات وأن تعلم أنك فيما ألقى (إليك) رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٦ - وأما حق سائسك بالملك فنحو من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك ، تلزمك طاعته فيما دق وجل منك إلا أن تُخرجك من وجوب حق الله ، ويحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق ، فإذا قضيته رجعت إلى حقه^(١) فتشأغلت به ، ولا قوة إلا بالله .

ثم حقوق الرعية

١٧ - فأما حقوق رعيتك بالسلطان فإن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم فإنه إنما أحلهم محل الرعية لك ضعفهم وذللهم ، فما أولى من كفاكه ضعفه ودله حتى صيره لك رعية وصير حكمك عليه نافذاً ، لا يمتنع منك بعة ولا قوة ولا يستنصر فيما تعاضمه منك إلا (بالله) بالرحمة والحيطة والأناة^(٢) ، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزة والقوة التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً ، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ، ولا قوة إلا بالله .

١٨ - وأما حق رعيتك بالعلم ، فإن تعلم أن الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم ، وولاك من خزانة الحكمة ، فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق ، الناصح لمولاه في عبيده ، الصابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه كنت راشداً ، وكنت لذلك آملاً معتقداً^(٣) وإلا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً ولسلبه وعزه متعرضاً .

١٩ - وأما حق رعيتك بملك النكاح ، فإن تعلم أن الله جعلها سكناً ومُستراحاً وأنساً وواقية ، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك

(١) أي إذا قضيت حق الله فارجع إلى أداء حق مالكك .

(٢) الحيطة : الحفاطة والحماية والصيانة ، والأناة كقناة الوقار والحلم وأصله الإنتظار .

(٣) الأمل : خادم الرجل وعونه الذي يأمله .

نعمةً منه عليه ووجب أن يُحسن صحبة نعمة الله ويُكرمها ويُرفق بها وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها وذلك عظيم ولا قوة إلا بالله .

٢٠ - وأما حقّ رعيّتك بملك اليمين فإن تعلم أنه خلق ربك ولحمك ودمك وأُنك تملكه لا أنت صنعته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بَصْراً ولا أجريت له رزقاً ، ولكن الله كفّاك ذلك بمن سَخَّرَه لك واثّمتك عليه واستودعك إياه لحفظه فيه وتسير فيه بسيرته فطعمه مما تَأْكُل وتلبسه مما تلبس ولا تُكلفه ما لا يطيق ، فإن كرهت [به] خرجت إلى الله منه واستبدلت به ولم تعذب خلق الله ، ولا قوة إلا بالله .

وأما حق الرحم

٢١ - فحقُّ أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً ، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يُطعم أحدٌ أحداً ، وأنها وقتك بسمعها وبصرها وبها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك ، فرحة ، موبلة ، محتملة لما فيه مكروهاها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعته عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض فرضيت أن تشبع وتجوّع هي وتكسوك وتعري وترويك وتظماً وتُظلك وتضحى وتنعمك ببؤسها ، وتلذّذك بالنوم بآرقها وكان بطنها لك وعاءاً وحجرها لك حواءاً وثديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءاً ، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك ، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه .

٢٢ - وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك وأُنك فرعُه وأُنك لولاه لم تكن فهمها رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه واحمد الله واشكره على قدر ذلك ، ولا قوة إلا بالله .

٢٣ - وأما حقّ ولدك فتعلم أنه منك ومضافٌ إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأُنك مسؤول عما وليته من حُسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب ، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ، ولا قوة إلا بالله .

٢٤ - وأما حقّ أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجئ إليه وعزّك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله ولا عدة للظلم بحق الله ، ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوّه والحول بينه وبين شياطينه وتآدية النصيحة إليه والإقبال عليه في الله ، فإن انقاد لربه وأحسن الإجابة له وإلا فليكن الله أثر عندك وأكرم عليك منه .

٢٥ - وأما حقّ المنعم عليك بالولاء^(١) فإن تعلم أنه أنفق فيك ماله وأخرجك من دُل الرق ووحشته إلى عزّ الحرية وأنسها وأطلقك من أسر الملكة وفكّ عنك حلق العبودية ، وأوجدك رائحة العزّ ، وأخرجك من سجن القهر ودفع عنك العسر ، وبسط لك لسان الإنصاف وأباحك الدنيا كلها فملكك نفسك وحلّ أسرك وفرّغك لعبادة ربك واحتمل بذلك التقصير في ماله . فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمتك في حياتك وموتك وأحقّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله^(٢) ، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك .

٢٦ - وأما حقّ مولاك الجارية عليه نعمتك فإن تعلم أن الله جعلك حامية عليه وواقية وناصرًا ومعقلاً وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه . فبالحرّي أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثوابٌ منه في الأجل ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك ، فإن لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه ، ولا قوة إلا بالله .

٢٧ - وأما حقّ ذي المعروف عليك فإن تشكره وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية ، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كفافته وإلا كنت مرصداً له موطناً نفسك عليها^(٣) .

٢٨ - وأما حقّ المؤذن فإن تعلم أنه مذكرك بربك وداعيك إلى حفظك وأفضل

(١) الولاء : بالفتح النصرة والملك والمحبة والصدقة والقرابة .

(٢) المكافأة : المعاونة .

(٣) الضمير : في عليها إلى المكافأة ، أي ترصد وتراقب وتهيئ نفسك على المكافأة في وقتها .

أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك وإن كنت في بيتك متهماً لذلك لم تكن لله في أمره متهماً وعلمت أنه نعمة من الله عليك لا شك فيها فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال ، ولا قوة إلا بالله .

٢٩- وأما حق إمامك في صلاتك فإن تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين الله والوفادة إلى ربك وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ودعا لك ولم تدع له وطلب فيك ولم تطلب فيه وكفأك هم المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك . ولم تكفه ذلك فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه ولم يكن لك عليه فضل ، فوقى نفسك بنفسه ووقى صلاتك بصلاته ، فتشكر له على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٠- وأما حق المجلس فإن تلين له كنفك^(١) وتطيب له جانبك وتنصفه في مجاورة اللفظ ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت وإن كنت المجلس إليه كنت في القيام عنه بالخيار وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلا بإذنه ولا قوة إلا بالله .

٣١- وأما حق الجار فحفظه غائباً وكرامته شاهداً ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً^(٢) ، لا تتبع له عورة ولا تبحث له عن سوء [ة] لتعرفها ، فإن عرفت منها عن غير إرادة منك ولا تكلف ، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً ، لو بحثت الأسته عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه . لا تستمع عليه من حيث لا يعلم . لا تسلمه عند شديدة ولا تحسده عند نعمة . تقبل عثرته وتغفر زلته . ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك ولا تخرج أن تكون مسلماً له . ترد عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٢- وأما حقُّ الصاحب فإن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سيلاً وإلا فلا أقل من الإنصاف وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافاتة ولا تقصر به عما يستحق من المودة . تلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاظده على طاعة ربه ومعونته على نفسه فيما لا يهّم به من معصية

(١) الكنف : الجانب والظل .

(٢) المراد بالحالين : الشهود والغياب .

ربه ، ثم تكون (عليه) رحمة ولا تكون عليه عذاباً ، ولا قوة إلا بالله .

٣٣ - وأما حق الشريك فإن غاب كفيته وإن حضر ساوئته ولا تعزم على حكمك دون حكمه ولا تعمل برأيك دون مناظرته وتحفظ عليه ماله وتنفي عنه خيانتة فيما عزز أو هان فإنه بلغنا «أن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا» ولا قوة إلا بالله .

٣٤ - وأما حق المال فإن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا في حله ولا تحرفه عن مواضعه ولا تصرفه عن حقائقه ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه وسبباً إلى الله . ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمذك وبالبحري أن لا يحسن خلافته في تركك ولا يعمل فيه بطاعة ربك فتكون معيناً له على ذلك وبما أحدث في مالك أحسن نظراً لنفسه فيعمل بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة^(١) ولا قوة إلا بالله .

٣٥ - وأما حق الغريم الطالب لك^(٢) فإن كنت موسراً أوفيته وكفيته وأغنيته ولم ترده وتمطله^(٣) فإن رسول الله ﷺ قال : «مطل الغني ظلم» وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول وطلبت إليه طلباً جميلاً ورددته عن نفسك رداً لطيفاً ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته ، فإن ذلك لؤم ، ولا قوة إلا بالله .

٣٦ - وأما حق الخليط^(٤) فإن لا تغره ولا تغشه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه وإن اطمأن إليك استقصيت له على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل رباً ، ولا قوة إلا بالله .

٣٧ - وأما حق الخصم المدعي عليك فإن كان ما يدعي عليك حقاً لم تنفسخ في حجته ولم تعمل في إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود ، فإن ذلك حق الله عليك وإن كان ما يدعيه باطلاً رفقت به وروعته وناشدته بدينه^(٥) وكسرت حديثه عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغظه الذي

(١) التبعة : ما يترتب على الفعل من الشر وقد يستعمل في الخير .

(٢) الغريم : الدائن ويطلق أيضاً على المديون . وفي بعض النسخ (الغريم المطالب لك) .

(٣) المطل : التسويف والتعلل في أداء الحق وتأخيرته عن وقته .

(٤) الخليط : المخالط كالنديم والشريك والجلس ونحوها .

(٥) روعه : أفرعه . وناشدته بدينه : حلفته وطلبت به .

لا يرد عنك عادية عدوك^(١) بل تبوء بإثمته وبه يشحذ عليك سيف عداوته ، لأن لفظة السوء تبعث الشر . والخير مقمعة للشر ، ولا قوة إلا بالله .

٣٨ - وأما حق الخصم المدعى عليه فإن كان ما يدعيه حقاً أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى^(٢) ، فإن للدعوى غلظة في سمع المدعى عليه وقصدت قصد حجتك بالرفق وأمهل المهلة وأبين البيان والطف اللطف ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعة بالقليل والقال فذهب عنك حجتك ولا يكون لك في ذلك درك ، ولا قوة إلا بالله .

٣٩ - وأما حق المستشير فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به وذلك ليكون منك في رحمة ولين ، فإن اللين يؤنس الوحشة وإن الغلظ يوحش موضع الأنس وإن لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه ، فكنت لم تأله خيراً^(٣) ولم تدخره نصحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤٠ - وأما حق المشير عليك فلا تتهمه فيما يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم . فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه ، فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ، ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته ، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيه بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك ، ولا قوة إلا بالله .

٤١ - وأما حق المستنصح فإن حقه أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنه يحمل ويخرج المخرج الذي يلين على مسامحه . وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله ، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه ، وليكن مذهبك الرحمة ، ولا قوة إلا بالله .

٤٢ - وأما حق الناصح فإن تلين له جناحك ثم تشرئب له قلبك^(٤) وتفتح له

(١) اللغظ : كلام فيه جلبة واختلاط ولا يتبين . وعادية عدوك أي حديثه وغضبه ، وعادية السم : ضرره ويشحذ عليك أي يغضب وأصله من شحذ السكين ونحوه : أحده .

(٢) المقاولة : المجادلة والمباحثة .

(٣) لم تأله : لم تقصره من ألا يالو .

(٤) إشرباب للشيء : مد عنقه لينظره والمراد أن تسقي قلبك من نصحه .

سمعك حتى تفهم عنه نصيحته ، ثم تنظر فيها ، فإن كان وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك وقبلت منه وعرفت له نصيحته وإن لم يكن يوفق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه لم يالك نصحاً إلا أنه أخطأ . إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة فلا تعباً بشيء من أمره على كل حال ، ولا قوة إلا بالله .

٤٣ - وأما حقُّ الكبير فإن حقه توقير سنه وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقديمه فيه وترك مقابله عند الخصام ولا تسبقه إلى طريق ولا تؤمه في طريق ولا تستجعله وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحق إسلامه مع سنه فإنما حق السن بقدر الإسلام ، ولا قوة إلا بالله .

٤٤ - وأما حقُّ الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له والستر على جرائر أحداثه فإنه سبب للتوبة ، والمداراة له وترك مماسحته فإن ذلك أدنى لرشده .

٤٥ - وأما حقُّ السائل فأعطاه إذا تهيأت صدقة وقدرت على سد حاجته والدعاء له فيما نزل به والمعونة له على طلبته وإن شككت في صدقه وسبقت إليه التهمة له ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك وتركته بستره ورددته ردّاً جميلاً . وإن غلبت نفسك في أمره وأعطيته على ما عرض في نفسك منه . فإن ذلك من عزم الأمور .

٤٦ - وأما حقُّ المسؤول فحقه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له والمعرفة لفضله وطلب وجه العذر في منعه وأحسن به الظن . واعلم أنه إن منع [فماله] منع وأن ليس التشريب في ماله^(١) وإن كان ظالماً فإن الإنسان لظلم كفار .

٤٧ - وأما حقُّ من سرك الله به وعلى يديه ، فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولاً ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء وكافأته على فضل الإبتداء وأرصدت له المكافأة وإن لم يكن تعمدها حمدت الله وشكرته وعلمت أنه منه ، توخّدت بها وأحببت هذا إذا كان سبباً من أسباب نعم الله عليك وترجو له بعد ذلك خيراً ، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت وإن كان لم يعتمد ، ولا قوة إلا بالله .

(١) التشريب : التوبيخ والملامة .

٤٨ - وأما حقٌّ من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل فإن كان تعمدًا كان العفو أولى بك لما فيه له من القمع وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق . فإن الله يقول : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل - إلى قوله - : من عزم الأمور﴾^(١) . وقال عز وجل : ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾^(٢) . هذا في العمد فإن لم يكن عمدًا لم تظلمه بتعمد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ ، ورفقت به ورددته بالطف ما تقدر عليه ، ولا قوة إلا بالله .

٤٩ - وأما حقُّ أهل ملتك عامة فإضمار السلامة ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كف عنك أذاه وكفأك مؤونته وحبس عنك نفسه فعَمَّهم جميعاً بدعوتك وانصرهم جميعاً بنصرتك وأنزلهم جميعاً منك منازلهم ، كبيرهم بمنزلة الوالد وصغيرهم بمنزلة الولد وأوسطهم بمنزلة الأخ . فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة . وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه .

٥٠ - وأما حقُّ أهل الذمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم وأجبروا عليه وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك [وبينهم] من معاملة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسول الله ﷺ حائل فإنه بلغنا أنه قال : «من ظلم معاهداً كنت خصمه» فاتق الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فهذه خمسون حقاً محيطاً بك لا تخرج منها في حال من الأحوال يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها والإستعانة بالله جل ثناؤه على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله رب العالمين .

ومن كلامه (ع) في الزهد

إن علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كل خليط وخليل

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٤١ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٦ .

ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدونه . ألا وإن العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا ، الآخذ للموت أهبطه^(١) ، الحاث على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بد من لقائه . وتقديم الحذر قبل الحين^(٢) فإن الله عز وجل يقول : ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾^(٣) . فلينزلن أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا ، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقتته .

واعلموا عباد الله : أنه من خاف البيات تجافى عن الوساد ، وامتنع من الرقاد^(٤) وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا فكيف ويحك يا ابن آدم من خوف بيات سلطان رب العزة وأخذ الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب مع طوارق المنيا^(٥) بالليل والنهار فذلك البيات الذي ليس منه منجى ، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب . فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى ، فإن الله يقول : ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾^(٦) . فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشروها وتذكروا ضرر عاقبة الميل إليها ، فإن زينتها فتنة وحبها خطيئة .

واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة^(٧) وفطرة الميل وسكر الشبع وعزّة الملك مما يثبط ويبطئ عن العمل وينسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب ، وأن العاقل عن الله ، الخائف منه ، العامل له ليمرن نفسه ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع وكذلك تضمخ الخيل لسباق الرهان^(٨) .

(١) الأهبة : العدة .

(٢) الحين - بالفتح - : الهلاك .

(٣) سورة المؤمنون ؛ الآيتان ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) بيات : الهجوم على الأعداء ليلاً . وتجافى : تنحى . والوسادة - بالتثنية : المخدة والمتكأ .

(٥) المنيا : جمع المنية أي الموت . وطوارق المنية : دواهي الموت .

(٦) سورة إبراهيم ؛ الآية : ١٤ .

(٧) البطنة - بالكسر - الإمتلاء الشديد من الأكل . والميلة : الرغبة . والعزة : الحمية والغلبة .

(٨) تضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده عن القوت وذلك في أربعين يوماً .

فاتقوا الله عباد الله تقوى. مؤمل ثوابه وخاف عقابه فقد الله أنتم أعذر وأنذر وشوق وخوف فلا أنتم إلى ما شوقكم إليه من كريم ثوابه تشتاقون فتعملون ولا أنتم مما خوفكم به من شديد عقابه وأليم عذابه ترهبون فتتكلون ، وقد نبأكم الله في كتابه أنه : ﴿من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسبعيه وإنَّا له كاتبون﴾^(١) ثم ضرب لكم الأمثال في كتابه وصرف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا فقال : ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجرٌ عظيم﴾^(٢) . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ، فاتقوا الله واتعظوا بمواعظ الله . وما أعلم إلا كثيراً منكم قد نهكته عواقب المعاصي فما حذرهما وأضرَّت بدينه فما مقتها . أما تسمعون النداء من الله بعبهها وتصغيرها حيث قال : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٣) . وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾^(٤) .

فاتقوا الله عباد الله وتفكروا واعملوا لما خلقتكم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ، قد عرفكم نفسه وبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه ، فيه حلاله وحرامه وحُججه وأمثاله فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال : ﴿ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفعتين * وهديناه النجدين﴾^(٥) . فهذه حجة عليكم فاتقوا الله ما استطعتم فإنه لا قوة إلا بالله ولا تكلان إلا عليه ، وصلّى الله على محمد [نبيه] وآله .

(١) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٩٤ .

(٢) سورة التغابن ؛ الآية : ١٥ .

(٣) سورة الحديد ؛ الآيتان : ٢٠ - ٢١ .

(٤) سورة الحشر ؛ الآيتان : ١٨ - ١٩ .

(٥) سورة البلد ؛ الآيات : ٨ - ٩ - ١٠ .

كتابه (ع) إلى محمد بن مسلم الزهري يعظه^(١)

كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصحَّ من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه وفقهك فيه من دينه وعرفك من سنة نبيه محمد ﷺ ، فرض لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كل حجة احتج بها عليك الفرض فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك وأبدى فيه فضله عليك فقال : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾^(٢) .

فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته وعن حُججه عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير ، هيهات هيهات ليس كذلك ، أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : ﴿لَتَبْلِيَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣) . واعلم أن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنست وحشة الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دُعيت ، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة ، وأن تُسأل عما أخذت بإعتاك على ظلم الظلمة ، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت ممن لم يردَّ على أحد حقاً ولم تردَّ باطلاً حين أدناك وأحببت من حادَّ الله . أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظلالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسُلماً إلى ضلالتهم ، داعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم يبلغ أخصُّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصَّة والعامة إليهم . فما أقلُّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك . وما أيسر ما عمروا لك ، فكيف ما خرَّبوا عليك . فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول .

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين وأبنائه عليهم السلام كان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير وجده عبيد الله مع المشركين يوم «بدر» وهو لم يزل عاملاً لبني مروان وينقلب في دنياهم ، جعله هشام بن عبد الملك معلماً لأولاده وأمره أن يملئ على أولاده أحاديث فأملى عليهم أربعمئة حديث .

(٢) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٧ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٧ .

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً . فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه : ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾^(١) . إنك لست في دار مقام أنت في دار قد آذنت برحيل ، فما بقاء المرء بعد قرناؤه . طوبى لمن كان في الدنيا على وجل ، يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

احذر فقد نبئت . وبادر فقد أجلت . إنك تعامل من لا يجهل . وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل . تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد ودأب ذنبك فقد دخله سُقم شديد .

ولا تحسب أنني أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك^(٢) ، لكنني أردت أن ينعش الله ما [قد] فات من رأيك ويرد إليك ما عذب من دينك^(٣) وذكرت قول الله تعالى في كتابه : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾^(٤) .

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب^(٥) . انظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت ، أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه ، أم هل تراهم ذكرت خيراً علموه ، وعلمت شيئاً جهلوه ، بل حظيت بما جلّ من حالك في صدور العامة وكلفهم بك ، إذ صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك . إن أحللت أحلوا وإن حرّمت حرّموا ، وليس ذلك عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ، ذهاب علمائهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحبّ الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم . أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة وما الناس فيه من البلاء والفتنة ، قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا ، فتاقت نفوسهم^(٦) إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت ،

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٠ .

(٢) عنفه ؛ لأمه وعتب عليه ولم يرفق به . وينعش الله ما فات أي يجبر ويتدارك .

(٣) عذب - بالعين المهملة والزاي المعجمة - : بعد .

(٤) سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٥ .

(٥) الأعضب : المكسور القرن . ولعل المراد : بقيت كأحد قرني الأعضب . والعضباء :

الشاة المكسورة القرن .

(٦) تاقت : اشتاقت .

أو يدركوا به مثل الذي أدركت ، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه ، وفي بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ، وهو المستعان .

أما بعد فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم^(١) لاصقة بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك ، فكيف يسلم الحدث في سنه ، الجاهل في علمه المأفون في رأيه^(٢) ، المدخول في عقله . إنا لله وإنا إليه راجعون . على من المعول^(٣) ؟ وعند من المستعجب ؟ نشكو إلى الله بثنا وما نرى فيك ونحتسب عند الله مصيبتنا بك .

فانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً ، وكيف قربك أو بُعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً . مالك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول : «والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحييت به له ديناً أو أمتُّ له فيه باطلاً» . فهذا شكرك من استحملك ، ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه : ﴿أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾^(٤) ، ما استحملك كتابه واستودعك علمه فأضععتها ، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به ، والسلام .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .

وقال عليه السلام : من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقيل له : من أعظم الناس خطراً ؟ فقال عليه السلام : من لم ير الدنيا خطراً لنفسه .

(١) الأسمال : جمع سمل - بالتحريك - : الثوب الخلق البالي .

(٢) المأفون : الذي ضعف رأيه . والمدخول في عقله : الذي دخل في عقله الفساد .

(٣) المعول : المعتمد والمستغاث . واستعجبه : استرضاه والبت : الحال ، الشتات ، أشد الحزن .

(٤) سورة مريم ؛ الآية : ٥٩ .

وقال بحضرته رجلٌ : اللَّهُمَّ أغنني عن خلقك فقال عليه السلام : ليس هكذا ، إنما الناس بالناس ، ولكن قل : اللَّهُمَّ أغنني عن شرار خلقك .

وقال عليه السلام : من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس .

وقال عليه السلام : لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل .

وقال عليه السلام : اتقوا الكذب ، الصغير منه والكبير في كل جد وهزل ، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير .

وقال عليه السلام : كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك .

وقال عليه السلام : الخير كله صيانة الإنسان نفسه .

وقال عليه السلام : لبعض بنيه : يا بني إن الله رضي لك ولم يرضك لي ، فأوصاك بي ، ولم يوصني بك ، عليك بالبر تحفة يسيرة .

وقال له رجلٌ : ما الزهد ؟ فقال عليه السلام : الزهد عشرة أجزاء^(١) : فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع وأعل درجات الورع أدنى درجات اليقين وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضى . وإن الزهد في آية من كتاب الله : ﴿لَكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾^(٢) .

وقال عليه السلام : طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار ، وهو الفقر الحاضر . وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر .

وقال عليه السلام : إن أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً . وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة . وإن أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله . وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً . وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله ، وإن أكرمكم على الله أتقاكم لله .

وقال عليه السلام : لبعض بنيه : يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحدثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقال : يا أبة من هم ؟ قال عليه السلام : إياك ومصاحبة الكذاب ، فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب . وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه

(١) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٣ .

بايعك بأكله أو أقل من ذلك ، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه . وإياك ومصاحبة الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه . فإنني وجدته ملعوناً في كتاب الله .

وقال عليه السلام : إن المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه وقلة مرأته وحلمه وصبره وحسن خلقه .

وقال عليه السلام : ابن آدم ! إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همك ، وما كان الخوف لك شعاعاً ، والحذر لك دثاراً . ابن آدم ! إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ ، فأعدّ له جواباً .

وقال عليه السلام : لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع . ولا كرم إلا بتقوى . ولا عمل إلا بنية . ولا عبادة إلا بالتفقه . ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله .

وقال عليه السلام : المؤمن من دعائه على ثلاث : إما أن يدخر له ، وإما أن يُعجل له ، وإما أن يدفع عنه بلاءاً يريد أن يصيبه .

وقال عليه السلام : إن المنافق ينهى ولا ينتهي ويأمر ولا يأتي ، إذا قام إلى الصلاة اعترض ، وإذا ركع ربض ، وإذا سجد نقر ، يمسي وهمه العشاء ولم يصم^(١) ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، والمؤمن خلط عمله بحلمه ، يجلس ليعلم ، وينصت ليسلم ، لا يحدث بالأمانة الأصدقاء ، ولا يكتم الشهادة للبعداء ، ولا يعمل شيئاً من الحق رثاءً ولا يتركه حياءً ، إن زكّي خاف مما يقولون ويستغفر الله لما لا يعلمون ، ولا يضره جهل من جهله .

ورأى عليه السلام علياً قد برىء ، فقال عليه السلام له : يهتوك الطهور من الذنوب إن الله قد ذكرك فاذكره وأقالك فاشكره .

وقال عليه السلام : خمس لو رحلتم فيهن لأنضيتموهن^(٢) ، وما قدرتم على مثلهن : لا يخاف عبداً إلا ذنبه . ولا يرجو إلا ربه . ولا يستحيي الجاهل إذا سئل عما لا يعلم أن يتعلم . والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا إيمان لمن لا صبر له .

(١) العشاء : بالفتح ، الطعام الذي يتعشى به .

(٢) أنضت الدابة : هزلتها الأسفار . والظاهر أن الضمير راجع إلى المطية التي تفهم من فحوى الكلام .

وقال ﷺ : يقول الله : يا آبن آدم ارض بما آتيتك تكن من أزهد الناس . ابن آدم ! إعمل بما افترضت عليك تكن من أعبد الناس . ابن آدم ! اجتنب [م] مما حرمت عليك تكن من أورع الناس .

وقال ﷺ : كم من مفتون بحسن القول فيه . وكم من مغرور بحسن الستر عليه . وكم من مستدرج بالإحسان إليه .

وقال ﷺ : يا سؤاته لمن غلبت أحداثه عشراته . - يريد أن السيئة بواحدة ، والحسنة بعشرة - .

وقال ﷺ : إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة . وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، لأن الزاهدين اتخذوا أرض الله بساطاً والتراب فراشاً ، والمدر وساداً ، والماء طيباً ، وقرّضوا المعاش من الدنيا تقريضاً . اعلموا أنه من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهوات . ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه وراجع عن المحارم . ومن زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها . وإن لله عز وجل لعباداً قلوبهم معلقة بالآخرة وثوبها وهم كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلصين منعمين ، وكمن رأى أهل النار في النار معدّبين ، فأولئك شرورهم وبوائقهم عن الناس مأمونة ، وذلك أن قلوبهم عن الناس مشغولة بخوف الله ، فطرفهم عن الحرام مغضوض وحوائجهم إلى الناس خفيفة ، قبلوا اليسير من الله في المعاش وهو القوت ، فصبروا أياماً قصاراً لطول الحسرة يوم القيامة .

وقال له رجل : إني لأحبك في الله حباً شديداً . فنكس ﷺ رأسه ، ثم قال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض . ثم قال له : أحبك للذي تحبني فيه .

وقال ﷺ : إن الله ليبغض البخيل السائل الملحف .

وقال ﷺ : رب مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً ، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلّى بها نار جهنم .

وقال ﷺ : إن من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار^(١) . والتوسع على

(١) الإقتار : القلة والتضييق في الرزق .

قدر التوسع . وإنصاف الناس من نفسه وابتدأه إياهم بالسلام .

وقال عليه السلام : ثلاث منجيات للمؤمن : كف لسانه عن الناس واغتيابهم ، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه . وطول البكاء على خطيئته .
وقال عليه السلام : نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة له عبادة .

وقال عليه السلام : ثلاث من كن فيه من المؤمنين كان في كنف الله ، وأظله الله يوم القيامة في ظل عرشه ، وآمنه من فزع اليوم الأكبر : من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه . ورجل لم يقدم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنه في طاعة الله قدمها أو في معصيته . ورجل لم يحب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه ، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس .

وقال عليه السلام : ما من شيء أحب إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج . وما [من] شيء أحب إلى الله من أن يسأل .

وقال لابنه محمد عليه السلام : افعل الخير إلى كل من طلبه منك ، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه ، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ، ثم تحول عن يسارك ، واعتذر إليك فاقبل عذره .

وقال عليه السلام : مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح . وآداب العلماء زيادة في العقل . وطاعة ولاة الأمر تمام العز ، واستئناء المال تمام المروءة ، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة ، وكف الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً وآجلاً .

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا قرأ الآية : ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١) يقول عليه السلام : سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها ، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه ، فشكر عز وجل معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته ، وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً ، كما جعل علم العالمين أنهم لا يدركونه إيماناً ، علماً منه أنه قد [ر] وسع العباد فلا يجاوزون ذلك .

وقال عليه السلام : سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً ، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً .

(١) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٣٤ . أي لا تحصوها ولا تطبقوا عد أنواعها ، فضلاً من أفرادها فإنها غير متناهية .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام الباقر عن علم الله وعلم
رسوله أبي جعفر محمد بن علي عليهما
السلام .

في طوال هذه المعاني

وصيته (ع) لجابر بن يزيد الجعفي^(١)

روي عنه عليه السلام أنه قال له : يا جابر اغتنم من أهل زمانك خمساً : إن حضرت
لم تُعرف . وإن غبت لم تُفتقد ، وإن شهدت لم تُشاور ، وإن قلت لم يُقبل قولك ،
وإن خطبت لم تزوج ، وأوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا
تخن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مدحت فلا تفرح وإن ذمت فلا تجزع ، وفكر
فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك ، فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ
عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ،
وإن كنت على خلاف ما قيل فيك ، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك .

واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا : إنك
رجلٌ سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن
اعرض نفسك على كتاب الله ، فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في
ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر ، فإنه لا يضرُّك ما قيل فيك . وإن كنت مبيناً

(١) الجعفي هو جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث الجعفي من أصحاب الباقر
والصادق عليه السلام وخادم الإمام أبا جعفر عليه السلام سنيماً متوالية مات رحمه الله في أيام
الصادق عليه السلام سنة ثمان وعشرين ومائة .

للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك . إن المؤمن مُعنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم أودها^(١) ، ويخالف هواها في محبة الله ، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها ، فينشه الله فيتعش ويقل الله عثرته فيتذكر ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾^(٢) .

يا جابر : استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر ، واستقل من نفسك كثير الطاعة إزاءاً على النفس وتعرضاً للعفو . وادفع عن نفسك حاصر الشر بحاضر العلم ، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل . وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف ، واحذر خفي التزيين بحاضر الحياة وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل . وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم ، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء ، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص ، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة . واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل ، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس ، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس ، وتخلص إلى راحة النفس بصحة التفويض ، واطلب راحة البدن بإجمام القلب ، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخطأ ، وتعرض لرقعة القلب بكثرة الذكر في الخلوات ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق ، وإياك والرجاء الكاذب ، فإنه يوقعك في الخوف الصادق ، وتزين لله عز وجل بالصدق في الأعمال ، وتحب إليه بتعجيل الانتقال ، وإياك والتسويق فإنه بحر يغرق فيه الهلكى ، وإياك والغفلة [ف] فيها تكون قساوة القلب ، وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه ، فأليه يلجأ النادمون ، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم ، وكثرة الاستغفار ، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة ، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظلم ، وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق واستقلال كثير الطاعة ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم ، واطلب بقاء العز بإماتة الطمع ، وادفع ذل الطمع بعز اليأس واستجلب عز اليأس ببعد الهمة ، وتزود من الدنيا بقصر الأمل ، وبادر بانتهاز البغية^(٣)

(١) الأود : العوج . وقد يأتي بمعنى القوة .

(٢) سورة الأعراف : الآية : ٢٠٠ .

(٣) البغية : مصدر بغى الشيء أي طلبه ، وانتهاز البغية : اغتنامها والنهوض إليها مبادراً .

عند إمكان الفرصة ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان ، وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء (١) .

واعلم أنه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا خوف كخوف حاجز ، ولا رجاء كرجاء مُعين ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوّة كغلبة الهوى ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغارك الدنيا ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك . ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا عدل كالإنصاف ، ولا تعدّي كالجور ، ولا جور كموافقة الهوى ، ولا طاعة كأداء الفرائض ، ولا خوف كالحزن ، ولا مصيبة كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة اليقين ، ولا قلة يقين كفقد الخوف ، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف ، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوى ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا معصية كحب البقاء ، ولا ذل كذل الطمع ، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة ، فإنه ميدان يجري لأهله بالخسران .

ومن كلامه (ع) لجابر أيضاً

خرج يوماً وهو يقول : أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغول القلب ، فقلت : جعلت فداك ما حزنك وشغل قلبك ، كلُّ هذا على الدنيا ؟ . فقال عليه السلام : لا يا جابر ، ولكن حزن همّ الآخرة ، يا جابر من دخل قلبه خالص حقيقة الإيمان شغل عما في الدنيا من زينتها ، إن زينة زهرة الدنيا إنما هو لعبٌ ولهوٌ ، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ، يا جابر : إن المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئن إلى زهرة الدنيا . واعلم أن أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة ، وأن أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه وأهل فكرة واعتبار لا يملّون من ذكر الله .

واعلم يا جابر أن أهل التقوى هم الأغنياء ، أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة ، إن نسيت الخير ذكرك ، وإن عملت به أعانوك ، أخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم ، وقدموا طاعة ربهم أمامهم ، ونظروا إلى سبيل الخير ، وإلى ولاية أحبائه الله

(١) الضراوة : مصدر ضري بالشيء أي لهج به .

فأحبوهم ، وتولّوهم واتبعوهم .

فأنزل نفسك من الدنيا كمثّل منزل نزلته ساعة ثم ارتحلت عنه ، أو كمثّل مال استفدته في منامك ففرحت به وسررت ثم انتبهت من رقدتك وليس في يدك شيء ، ولاني إنما ضربت لك مثلاً لتعقل وتعمل به إن وفقك الله له . فاحفظ يا جابر ما استودعك من دين الله وحكمته . وانصح لنفسك وانظر ما الله عندك في حياتك ، فكذلك يكون لك العهد عنده في مرجعك . وانظر فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحول عنها إلى دار المستعتب اليوم ، فلربّ حريص على أمر من أمور الدنيا قد ناله ، فلما ناله كان عليه وبالاً وشقي به ، ولربّ كاره لأمر من أمور الآخرة قد ناله فسعد به .

ومن كلامه (ع) في أحكام السيوف

سأله رجل من شيعة عن حروب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فقال عليه السلام : له : بعث الله محمداً عليه السلام بخمسة أسياف :

ثلاثة منها شاهرة لا تغمد^(١) حتى تضع الحرب أوزارها ، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

وسيف مكفوف .

وسيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه إلينا .

فأما السيوف الثلاثة الشاهرة :

فسيف على مشركي العرب ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾^(٢) . ﴿ فَإِنْ تَابُوا - أَيْ آمَنُوا - وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾^(٣) . هؤلاء لا يقبل منهم إلا

(١) الشاهرة : المجردة من الغمد . وقوله : « حتى تضع الحرب أوزارها » أي تنقضي .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ١١ .

القتل أو الدخول في الإسلام ، وأموالهم فيء وذرايرهم سبي على ما سن رسول الله ﷺ فإنه سبي وعفا وقبل الفداء .

والسيف الثاني على أهل الذمة قال الله سبحانه : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾^(١) . نزلت هذه الآية في أهل الذمة ونسخها قوله : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٢) فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل ومالهم فيء ، وذرايرهم سبي ، فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحُرِّمت أموالهم وحلَّت لنا منّاكحهم ، ومن كان منهم في دار الحرب حلَّ لنا سبيهم وأموالهم ولم تحلَّ لنا منّاكحتهم ، ولم يقبل منهم إلا دخول دار الإسلام ، والجزية أو القتل .

والسيف الثالث على مشركي العجم كالترك والديلم والخزر^(٣) . قال الله عز وجل في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم ثم قال : ﴿فَضْرِبْ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٤) . فأما قوله : ﴿فَأِمَّا مَنًّا بَعْدَ﴾ يعني بعد السبي منهم ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام ، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في دار الحرب .

وأما السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا - صَلَاحاً - فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٥) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : إن

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٣ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٠ .

(٣) الخزر - بالتحريك والخاء المعجمة والزاي ثم الراء - : جيل من الناس ضيقة العيون .

(٤) سورة محمد ؛ الآية : ٤ .

(٥) سورة الحجرات ؛ الآية : ٩ . وهذه الآية أصل في قتال المسلمين ودليل على وجوب قتال أهل البغي وعليها بنى أمير المؤمنين عليه السلام قتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وإياها عنى رسول الله ﷺ حين قال لعمار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» .

منكم من يقاتل بعدي على التأويل ، كما قاتلت على التنزيل ، فسئل النبي ﷺ من هو ؟ فقال : خاصف النعل - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وقال عمار بن ياسر : قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً^(١) وهذه الرابعة . والله لو ضربونا حتى يلبغوا بنا السعفات من هجر^(٢) لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام مثل ما كان من رسول الله ﷺ في أهل مكة يوم فتحها فإنه لم يسب لهم ذرية ، وقال : من أغلق بابه فهو آمن . ومن ألقى سلاحه فهو آمن . وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة نادى فيهم : لا تسبوا لهم ذرية ولا تدفخوا على جريح^(٣) ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن .

والسيف المغمود فالسيف الذي يقام به القصاص ، قال الله عز وجل : ﴿ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾^(٤) فسئل إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا .

فهذه السيوف التي بعث بها محمداً ﷺ فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سيرها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ .

موعظة

وحضره ذات يوم جماعة من الشيعة فوعظهم وحذرهم وهم ساهون لاهون ، فأغاظه ذلك ، فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه إليهم فقال : إن كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً . ألا يا أشباحاً بلا أرواح ، وذباباً بلا مصباح كأنكم خشب مسندة وأصنام مريدة . ألا تأخذون الذهب من الحجر ، ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر ، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر ، خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها ، وإن لم يعمل بها ، فإن الله يقول : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ﴾^(٥) . ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً ، درهم يقنى بعشرة

(١) يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين .

(٢) السعف - بالتحريك - : جريدة النخل أو ورقته . والهجر - بالتحريك - : بلدة باليمن .

(٣) دقق على الجريح : أجهز عليه وأتم قتله . والإجهاز على الجريح : إتمام قتله والإسراع فيه .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٥ .

(٥) سورة الزمر ؛ الآية : ١٨ .

تبقى إلى سبعمئة ضعف مضاعفة من جواد كريم ، آتاك الله عند مكافأة هو مطعمك وساقيك وكاسيك ومعافيك وكافيك وساترك ممن يُراعيك من حفظك في ليلك ونهارك وأجابك عند اضطرارك وعزم لك على الرشيد في اختبارك . كأنك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك دعوته فاستجاب لك ، فاستوجب بجميل صنيعه الشكر ، فنسيته فيمن ذكر ، وخالفته فيما أمر . ويليك إنما أنت لص من لصوص الذنوب^(١) . كلما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه ، فارتكبتك كأنك لست بعين الله . أو كأن الله ليس لك بالمرصاد . يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكل مطيتك وأوهى همتك فلله أنت من طالب ومطلوب ، ويا هارباً من النار ما أحت مطيتك إليها ، وما أكسبك لما يوقعك فيها . انظروا إلى هذه القبور سطوراً بأفناء الدور ، تدانوا في خططهم^(٢) وقربوا في مزارهم ، وبعثوا في لقائهم ، عمروا فخربروا ، وأنسوا فأوحشوا ، وسكنوا فازعجوا ، وقنطوا فرحلوا ، فمن سمع بدان بعيد وشاحط قريب^(٣) ، وعامر مخرب وأنس موحش وساكن مزعج ، وقاطن مرحل^(٤) غير أهل القبور ؟

يا ابن الأيام الثلاثة : يومك الذي ولدت فيه ، ويومك الذي تنزل فيه قبرك ويومك الذي تخرج فيه إلى ربك ، فيا له من يوم عظيم يا ذوي الهيئة المعجبة والهميم المعطنة^(٥) ، ما لي أرى أجسامكم عامرة وقلوبكم دامرة ، أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه ، وما أنتم إليه صائرون لقلتم : ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾^(٦) . قال جل من قائل : ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون . . ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾^(٧) .

-
- (١) اللص - بالكسر - فعل الشيء في ستر - ومنه قيل للشارق لص ، وجمعه لصوص .
 (٢) الخطط : جمع خطة - بالكسر - : ما يخططه الإنسان من الأرض ليعلم أنه قد احتازها لينهيا داراً .
 (٣) الشاحط : البعيد .
 (٤) القاطن المقيم .
 (٥) الهميم : الإبل العطاش . العطن - بالتحريك - : وطن الإبل ومبركها حول الماء .
 (٦) سورة الأنعام ؛ الآية : ٢٧ .
 (٧) سورة الأنعام ؛ الآية : ٢٨ .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام: صانع المنافق بلسانك . وأخلص مودتك للمؤمن . وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته .

وقال عليه السلام: ما شيب شيء بشيء أحسن من حلم بعلم^(١) .

وقال عليه السلام: الكمال كل الكمال التفقه في الدين ، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة .

وقال عليه السلام: والله المتكبر ينازع الله رداءه .

وقال عليه السلام: يوماً لمن حضره : ما المروءة ؟ فتكلموا ، فقال عليه السلام : المروءة أن لا تطمع فتدُل ، وتسأل فتقل ، ولا تبخل فتشتُم ، ولا تجهل فتخصم ، فقليل : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال عليه السلام : من أحب أن يكون كالناظر في الحدقة ، والمسك في الطيب ، وكالخليفة في يومكم هذا في القدر .

وقال يوماً رجلاً عنده : اللهم أغننا عن جميع خلقك . فقال أبو جعفر عليه السلام : لا تقل هكذا . ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك ، فإن المؤمن لا يستغني عن أخيه .

وقال عليه السلام : قم بالحق واعتزل ما لا يعينك ، وتجنب عدوك ، واحذر صديقك من الأقوام ، ألا الأمين من خشي الله ، ولا تصحب الفاجر ، ولا تطلعه على سرِّك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله .

وقال عليه السلام : صحبة عشرين سنة قرابة .

وقال عليه السلام : إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلاً ولك الفضل عليه فافعل .

وقال عليه السلام : ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم إذا جهل عليك .

وقال عليه السلام : الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لا يدعه

(١) الشيب : الخلط .

الله ، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالمدائنة بين العباد^(١) .

وقال عليه السلام : ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقض إلا ابتلي بالسعي في حاجة فيما يَأْتُم عليه ولا يؤجر ، وما من عبد ييخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله .

وقال عليه السلام : في كل قضاء الله خيرٌ للمؤمن .

وقال عليه السلام : إن الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه ، إن الله جل ذكره يحب أن يسأل ويطلب ما عنده .

وقال عليه السلام : من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً ، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً .

وقال عليه السلام : من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه .

وقال عليه السلام : كم من رجل قد لقي رجلاً فقال له : كب^(٢) الله عدوك وما له من عدو إلا الله .

وقال عليه السلام : ثلاثة لا يُسَلِّمون : الماشي إلى الجمعة ، والماشي خلف جنازة ، وفي بيت الحمام .

وقال عليه السلام : عالمٌ ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد .

وقال عليه السلام : لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ، ولا محقرّاً لمن دونه .

وقال عليه السلام : ما عرف الله من عصاه وأنشد :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا العمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن أحب مطيع

(١) المدائنة من الدين ، أي ظلم العباد عند المعاملة .

(٢) كب فلاناً : صرعه . وقلبه على رأسه .

وقال عليه السلام : إنما مثل الحاجة إلى من أصاب ماله حديثاً كمثل الدرهم في فم الأفعى أنت إليه محوج ، وأنت منها على خطر .

وقال عليه السلام : ثلاث خصال لا يموت صاحبهنَّ أبداً حتى يرى وبالهن : البغي . وقطيعة الرحم . واليمين الكاذبة يبارز الله بها . وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم ، وإن القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتتَمى أموالهم ويشرون . وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليدران الديار بلاقع من أهلها .

وقال عليه السلام : لا يقبل عمل إلا بعمل . ومن عرف دَلَّته معرفته على العمل . ومن لم يعرف فلا عمل له .

وقال عليه السلام : إن الله جعل للمعروف أهلاً من خلقه ، حَبَّبَ إليهم المعروف وحَبَّبَ إليهم فعاله ، ووجَّه لطلاب المعروف الطلب إليهم ، ويسر لهم قضاءه كما يسر الغيث للأرض المجدبة^(١) ليحييها ويحيي أهلها ، وإن الله جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغَضٍ إليهم المعروف وبغَضٍ إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعروف التوجه إليهم ، وحظر عليهم قضاءه ، كما يحظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يعرفو الله عنه أكثر .

وقال عليه السلام : اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك .

وقال عليه السلام : الإيمان حب وبغض .

وقال عليه السلام : ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء .

وقال عليه السلام : أربع من كنوز البر : كتمان الحاجة . وكتمان الصدقة . وكتمان الوجع . وكتمان المصيبة .

وقال عليه السلام : من صدق لسانه زكى عمله . ومن حسنت نيته زيد في رزقه . ومن

(١) المجدبة : ذو جذب وهو ضد الخصب ويأتي بمعنى الماحل .

حسن برّه بأهله زيد في عمره .

وقال عليه السلام : إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤدّ حقاً ومن ضجر لم يصبر على حق .

وقال عليه السلام : من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاءً بإخائه طالباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله وأماناً من عذاب الله وحجة يفلج بها يوم القيامة^(١) وعزاً باقياً وذكرأ نامياً ، لأن المؤمن من الله عز وجل لا موصول ولا مفصول . قيل له عليه السلام : ما معنى لا موصول ولا موصول ؟ قال : لا موصول به إنه هو ، ولا مفصول منه إنه من غيره .

وقال عليه السلام : كفى بالمرء غشاً لنفسه أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه أو يعيب غيره بما لا يستطيع تركه أو يؤذي جلسيه بما لا يعنيه .

وقال عليه السلام : التواضع الرضا بالمجلس دون شرفه ، وأن تُسلم على من لقيت ، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً .

وقال عليه السلام : إن المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظن .

وقال عليه السلام : لا بهنه : اصبر نفسك على الحق ، فإنه من منع شيئاً في حق أعطى في باطل مثليه .

وقال عليه السلام : من قسم له الخرق حجب عنه الإيمان .

وقال عليه السلام : إن الله يبغض الفاحش المتفحش .

وقال عليه السلام : إن لله عقوبات في القلوب والأبدان : ضنك في المعيشة ووهن في العبادة . وما ضرب عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب .

وقال عليه السلام : إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصابرون ؟ . فيقوم فئام من الناس^(٢) . ثم ينادي مناد أين المتصبرون ؟ . فيقوم فئام من الناس . قلت : جعلت

(١) يفلج : أي يفوز ويظفر ويغلب بها . وفلج الحجة : أثبتها ، وفلج الرجل : ظفر بما طلب .

(٢) الفئام - ككتاب - الجماعة من الناس . وفسر في خطب أمير المؤمنين بمائة ألف .

فذاك ما الصابرون والمتصبرون ؟ . فقال ﷺ : الصابرون على أداء الفرائض ، والمتصبرون على ترك المحارم .

وقال ﷺ : يقول الله : ابن آدم : اجتنب ما حرمت عليك تكن من أروع الناس .

وقال ﷺ : أفضل العبادة عفة البطن والفرج .

وقال ﷺ : البشر الحسن ، وطلاقة الوجه ، مكسبة للمحبة وقربة من الله . وعبوس الوجه وسوء البشر ، مكسبة للمقت وبعد من الله .

وقال ﷺ : ماتذرع إليّ بذريعة ولا تؤسل بوسيلة هي أقرب له إلى ما يحب من يد سائلة مني إليه أتبعها أختها ليحسن حفظها وربها ، لأن منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت لي نفسي برد بكر الحوائج .

وقال ﷺ : الحياء والإيمان مقرونان في قرن ، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه .

وقال ﷺ : إن هذه الدنيا تعاطاها البر والفاجر ، وإن هذا الدين لا يعطيه الله إلا أهل خاصته^(١) .

وقال ﷺ : الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل .

وقال ﷺ : الإيمان ما كان في القلب ، والإسلام ما عليه التناكح والتوارث وحُقت به الدماء . والإيمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الإيمان .

وقال ﷺ : من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً .

وقال ﷺ : ليس من أخلاق المؤمن الملق والحسد إلا في طلب العلم^(٢) .

(١) التعاطي : تناول . وتناول ما لا يحق . والتنازع في الأخذ والقيام به .
(٢) الملق - بالتحريك - : التملق وهو الود واللفظ وأن يعطى في اللسان ما ليس في القلب .

وقال عليه السلام : للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول : الله أعلم .
وليس لغير العالم أن يقول ذلك . وفي خبر آخر : يقول لا أدري لئلا يوقع في قلب
السائل شكاً .

وقال عليه السلام : أول من شقَّ لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو ابن
ثلاث عشرة سنة ، وكان لسانه على لسان أبيه وأخيه فهو أول من نطق بها وهو الذبيح .

وقال عليه السلام : ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه يبعد السلطان والشيطان منكم ؟ فقال
أبو حمزة : بلى ، أخبرنا به حتى نفعله ، فقال عليه السلام : عليكم بالصدقة فبكروا بها ،
فإنها تسود وجه إبليس وتكسر شرّة السلطان الظالم عنكم في يومكم ذلك^(١) . وعليكم
بالحب في الله والتوّدّد ، والموازرة على العمل الصالح ، فإنه يقطع دابرهما - يعني
السلطان والشيطان - وألحوا في الإستغفار ، فإنه ممحاة للذنوب .

وقال عليه السلام : إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر فينبغي للمؤمن أن يختم على
لسانه كما يختم على ذهبه وفضته ، فإن رسول الله ﷺ قال : (رحم الله مؤمناً
أمسك لسانه من كل شر فإن ذلك صدقة منه على نفسه) . ثم قال عليه السلام : لا يسلم
أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه .

وقال عليه السلام : من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه ، فأما الأمر الظاهر
مثل الحدة والعجلة فلا بأس أن تقوله . وإن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه .

وقال عليه السلام : إن أشد الناس حسرة يوم القيامة عبد وصف عدلاً ثم خالفه إلى
غيره .

وقال عليه السلام : عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من
اثتمنكم عليها برّاً كان أو فاجراً ، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ائتمني على
أمانة لأديتها إليه .

وقال عليه السلام : صلة الأرحام تزكو الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر
الحساب وتنسى في الأجل .

(١) الشرة - بالكسر فالفتح مشددة - : الشر والغضب والحدة .

وقال ﷺ : أيها الناس إنكم في هذه الدار أغراض تنتضل فيكم المنايا ، لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله ، فاية أكلة ليس فيها غصص ؟ أم أي شربة ليس فيها شرق^(١) . استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه^(٢) ، فإن اليوم غنيمة ، وغداً لا تدري لمن هو . أهل الدنيا سفرٌ يحلون عقد رحالهم في غيرها . قد خلت منا أصولٌ نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله . أين الذين كانوا أطول أعماراً منكم وأبعد آمالاً ؟ ! . أتاك يابن آدم ما لا ترده ، وذهب عنك ما لا يعود فلا تعدن عيشاً منصرفاً . عيشاً ما لك منه إلا لذة تزدلف بك إلى حمامك^(٣) وتقربك من أجلك ؟ . فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسواد المخترم . فعليك بذات نفسك ودع ما سواها ، واستعن بالله يعنك .

وقال ﷺ : من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ . ومن أضعف كان شكوراً ، ومن شكر كان كريماً ، ومن علم أنه ما صنع كان إلى نفسه لم يستبطن الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتبس من غيرك شكر ما آتته إلى نفسك ووقيت به عرضك واعلم أن طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده .

وقال ﷺ : إن الله يتعهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهد الغائب أهله بالهدية ويحميه عن الدنيا ، كما يحمي الطبيب المريض .

وقال ﷺ : إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ولا يعطي دينه إلا من يحب .

وقال ﷺ : إنما شيعه علي ﷺ المتبادلون في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا المتزاوون لإحياء أمرنا الذين إذا غضبوا لم يظلموا ، وإذا رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاووا ، سلم لمن خالطوا .

(١) غص غصصاً بالطعام : اعترض في حلقه شيء منه فمنعه التنفس . وشرق بالماء أو بريقه : غص .

(٢) الظعن : الرحال والسير .

(٣) الحمام - ككتاب - : قضاء الموت وقدره ، أي لقربك إلى موتك . واخترم : أهلك والسواد المخترم : الشخص الذي مات .

وقال عليه السلام : الكسل يضر بالدين والدنيا .

وقال عليه السلام : لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحدٌ أحدًا ، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحدٌ أحدًا .

وقال عليه السلام : إن لله عبادةً ميامين مياسير يعيشون ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده مثل القطر ، والله عبادةٌ ملاعين مناكيد ، لا يعيشون ، ولا يعيش الناس في أكنافهم ، وهم في عباده مثل الجراد لا يقعون على شيء إلا أتوا عليه^(١) .

وقال عليه السلام : قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يُقال لكم ، فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين ، الفاحش المتفحش ، السائل الملحف ويحب الحيي الحلیم العفيف المتعفف^(٢) .

وقال عليه السلام : إن الله يحب إفشاء السلام .

(١) الميامين : جمع ميمون بمعنى ذو اليمن والبركة . والمياسير : جمع موسر بمعنى الغني وذو اليسر . والمناكيد جمع نكد - بفتح الكاف وكسره وسكونه - : عسر ، قليل الخير .
(٢) يقال : ألحف في المسألة إلحافاً إذا ألح فيها ولزمها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام الصادق أبي عبد الله
جعفر بن محمد صلوات الله عليهما في طوال
هذه المعاني .

وصيته (ع) لعبد الله بن جندب^(١)

روي أنه عليه السلام قال : يا عبد الله لقد نصب إبليس حباله في دار الغرور فما
يقصد فيها إلا أولياءنا ، ولقد جلت الآخرة في أعينهم حتى ما يريدون بها بدلاً . ثم
قال : آه آه على قلوب حُشيت نوراً وإنما كانت الدنيا عندهم بمنزلة الشجاع
الأرقم^(٢) ، والعدو الأعجم ، أنسوا بالله واستوحشوا مما به استأنس المترفون ، أولئك
أوليائي حقاً وبهم تكشف كل فتنة وترفع كل بليّة .

يا ابن جندب : حق على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليلة
على نفسه فيكون محاسب نفسه ، فإن رأى حسنة استزاد منها ، وإن رأى سيئة استغفر
منها لئلا يخزى يوم القيامة ، طوبى لعبد لم يغبط الخاطئين على ما أوتوا من نعيم

(١) بالضم وسكون النون وفتح الدال . هو عبد الله بن جندب البجلي الكوفي ثقة جليل القدر
من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليه السلام وإنه من المختبين وكان وكيلاً لأبي إبراهيم
وأبي الحسن عليه السلام . وكان عابداً رفيع المنزلة لديهما على ما ورد في الأخبار . ولما
مات رحمه الله قام مقامه علي بن مهزيار .

(٢) حشيت : أي ملأت والشجاع - بالكسر والضم - : الحية العظيمة التي توابث الفارس
وربما قلعت رأس الفارس وتكون في الصحارى ويقوم على ذنبه . والأرقم : الحية التي
فيها سواد وبياض وهو أخبث الحيات .

الدنيا وزهرتها ، طوبى لعبد طلب الآخرة وسعى لها ، طوبى لمن لم تلهه الأماني الكاذبة . ثم قال عليه السلام : رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً ، كانوا دعاةً إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم ، ليس كمن يذيع أسرارنا .

يا ابن جندب : إنما المؤمنون الذين يخافون الله ويشفقون أن يُسلبوا ما أعطوا من الهدى ، فإذا ذكروا الله ونعماءه وجلوا وأشفقوا . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً مما أظهره من نفاذ قدرته . وعلى ربهم يتوكلون .

يا ابن جندب : قديماً عمر الجهل وقوي أساسه وذلك لاتخاذهم دين الله لعباً حتى لقد كان المتقرب منهم إلى الله بعلمه يريد سواه أولئك هم الظالمون .

يا ابن جندب : لو أن شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولأظلمهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولما سألوا الله شيئاً إلا أعطاهم .

يا ابن جندب : لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلا خيراً . واستكينوا إلى الله في توفيقهم وسلوا التوبة لهم ، فكل من قصدنا وتوالانا ولم يوال عدونا وقال ما يعلم ، وسكت عما لا يعلم ، أو أشكل عليه فهو في الجنة .

يا ابن جندب : يهلك المتكل على عمله . ولا ينجو المجترى على الذنوب ، الواصل برحمة الله . قلت : فمن ينجو ؟ قال : الذين هم بين الرجاء والخوف ، كأن قلوبهم في مخالب طائر شوقاً إلى الثواب ، وخوفاً من العذاب .

يا ابن جندب : من سره أن يزوجه الله الحور العين ويؤتجه بالنور فليدخل على أخيه المؤمن السرور .

يا ابن جندب : أقل النوم بالليل والكلام بالنهار . فما في الجسد شيء أقل شكراً من العين واللسان ، فإن أم سليمان قالت لسليمان عليه السلام : يا بُني إياك والنوم ، فإنه يُفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم .

يا ابن جندب : إن للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شبابه ومصائده . قلت : يا ابن رسول الله وما هي ؟ . قال : أما مصائده فصدد عن بر الإخوان . وأما شباهه فنوم عن قضاء الصلوات التي فرضها الله . أما إنه ما يُعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى بر الإخوان وزيارتهم . ويل للساهين عن الصلوات ، النائمين في الخلوات ، المستهزئين

بالله وآياته في الفترات : ﴿أولئك - الذين - لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله . . يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾^(١) .

يا ابن جندب : من أصبح مهموماً لسوى فكاك رقبتة فقد هون عليه الجليل ورغب من ربه في الربح الحقيق . ومن غش أخاه وحقره وناواه جعل الله النار مأواه . ومن حسد مؤمناً انماث الإيمان في قلبه ، كما ينماث الملح في الماء .

يا ابن جندب : الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة ، وقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل الله يوم «بدر» و«أحد» ، وما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم .

يا ابن جندب : بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله ، وليس في شيعتنا من يظلم الناس .

يا ابن جندب : إنما شيعتنا يعرفون بخصال شتى : بالسخاء والبذل للإخوان ، وبأن يصلوا الخمسين ليلاً ونهاراً ، شيعتنا لا يهرئون هريز الكلب ، ولا يطمعون طمع الغراب ، ولا يجاورون لنا عدواً ، ولا يسألون لنا مبعضاً ولو ماتوا جوعاً ، شيعتنا لا يأكلون الجري^(٢) ، ولا يمسخون على الخفين ويحافظون على الزوال ولا يشربون مسكراً . قلت : جعلت فداك فأين أطلبهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : على رؤوس الجبال وأطراف المدن ، وإذا دخلت مدينة فسل عمن لا يجاورونه فذلك مؤمن ، كما قال الله : ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾^(٣) ، والله لقد كان حبيب النجار وحده .

يا ابن جندب : كل الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك ، وكل البر مقبول إلا ما كان رثاءً .

يا ابن جندب : أحب في الله واستمسك بالعروة الوثقى ، واعتصم بالهدى يقبل عملك فإن الله يقول : إلا من ﴿آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾^(٤) فلا يقبل إلا

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧٧ .

(٢) الجري - كذي - : سمك طويل أملس وليس عليه فصوص .

(٣) سورة يس ؛ الآية : ١٩ .

(٤) سورة طه ؛ الآية : ٨٢ : ﴿وإني لفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ .

الإيمان ، ولا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بيقين ، ولا يقين إلا بالخشوع وملاكتها كلها الهدى ، فمن اهتدى يقبل عمله ، وصعد إلى الملكوت متقبلاً : ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(١) .

يا ابن جندب : إن أحببت أن تجاور الجليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا ، واجعل الموت نصب عينك ، ولا تدخر شيئاً لغد ، واعلم أن لك ما قُدمت وعليك ما أُخرت .

يا ابن جندب : من حرم نفسه كسبه فإنما يجمع لغيره . ومن أطاع هواه فقد أطاع عدوه . ومن يثق بالله يكفه ما أهمه من أمر دنياه وآخرته ويحفظ له ما غاب عنه . وقد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً ، ولكل نعمة شكراً ، ولكل عسر يسراً . صبر نفسك عند كل بلية في ولد أو مال أو رزية . فإنما يقبض عاريتَه ويأخذ هبته ليلو فيهما صبرك وشكرك ، وارج الله رجاءاً لا يجربك على معصيته وخفه خوفاً لا يؤسك من رحمته . ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجبر وتعجب بعملك ، فإن أفضل العمل العبادة والتواضع ، فلا تضيع مالك وتصلح مال غيرك بما خلّفته وراء ظهرك ، واقنع بما قسمه الله لك ، ولا تنظر إلا إلى ما عندك ، ولا تتمنّ ما لست تناله ، فإن من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع ، وخذ حظك من آخرتك ، ولا تكن بطراً في الغنى ، ولا جزعاً في الفقر ، ولا تكن فظاً غليظاً يكره الناس قربك ، ولا تكن واهناً يحقرك من عرفك ، ولا تشار من فوقك ، ولا تسخر بمن هو دونك ، ولا تنازع الأمر أهله ، ولا تطع السفهاء ، ولا تكن مهيناً تحت كل أحد ، ولا تتكلن على كفاية أحد ، وقف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم ، واجعل قلبك قريباً تشاركه . واجعل عملك والداً تتبعه ، واجعل نفسك عدواً تجاهده وعارية تردّها ، فإنك قد جعلت طبيب نفسك وعرفت آية الصحة وبين لك الداء ودلت على الدواء ، فانظر قيامك على نفسك ، وإن كانت لك يدٌ عند إنسان فلا تفسدها بكثرة المنن والذكر لها ، ولكن أتبّعها بأفضل منها ، فإن ذلك أجمل بك في أخلاقك وأوجب للثواب في آخرتك ، وعليك بالصمت تعد حليماً - جاهلاً كنت أو عالماً - فإن الصمت زينٌ لك عند العلماء ، وسترٌ لك عند الجهال .

(١) سورة النور ؛ الآية : ٤٦ .

يا ابن جندب : إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه : «أرأيتم لو أن أحدكم مر بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن بعض عورته أكان كاشفاً عنها كلها أم يردُّ عليها ما انكشف منها ؟ . قالوا : بل نردُّ عليها . قال : كلا ، تكشفون عنها كلها - فعرفوا أنه مثلٌ ضربه لهم - فقيل : يا روح الله وكيف ذلك قال : الرجل منكم يطلع على العورة من أخيه فلا يسترها» . بحق أقول لكم إنكم لا تصيُّبون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون . ولا تنالون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة . طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه . لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب . وانظروا في عيوبكم كهيئة العبيد . إنما الناس رجالان مُبتلى ومعافى فارحموا المبتلى واحمدوا الله على العافية .

يا ابن جندب : صل من قطعك . وأعط من حرمك . وأحسن إلى من أساء إليك . وسلم على من سبك . وأنصف من خاصمك . واعف عمن ظلمك ، كما أنك تحب أن يعفى عنك ، فاعتبر بعفو الله عنك ، ألا ترى أن شمسهِ أشرقت على الأبرار والفجار . وأن مطره ينزل على الصالحين والخاطئين .

يا ابن جندب : لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك ، فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرَك ، ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك ، فإن الذي تتصدق له سرّاً يجزيك علانية على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يضرك أن لا يطلع الناس على صدقتك ، واخفض الصوت ، إن ربك الذي يعلم ما تسرون وما تعلنون ، قد علم ما تريدون قبل أن تسألوه . وإذا صمت فلا تغتب أحداً . ولا تلبسوا صيامكم بظلم . ولا تكن كالذي يصوم رثاء الناس ، مُعْبِراً وجوههم ، شعثاً رؤوسهم ، يابسة أفواههم ، لكي يعلم الناس أنهم صيام .

يا ابن جندب : الخير كله أمامك ، وإن الشر كله أمامك . ولن ترى الخير والشر إلا بعد الآخرة ، لأن الله جلّ وعز جعل الخير كله في الجنة والشر كله في النار ، لأنهما الباقيان ، والواجب على من وهب الله له الهدى وأكرمه بالإيمان ، وألهمه رشده وركب فيه عقلاً يتعرف به نعمه ، وآتاه علماً وحكماً يدبر به أمر دينه ودنياه . أن يوجب على نفسه أن يشكر الله ولا يكفره ، وأن يذكر الله ولا ينساه ، وأن يطيع الله ولا يعصيه ، لتقديم الذي تفرّد له بحسن النظر ، وللحديث الذي أنعم عليه بعد إذ أنشأه

مخلوقاً ، وللجزيل الذي وعده ، والفضل الذي لم يكلفه من طاعته فوق طاقته ، وما يعجز عن القيام به وضمن له العون على تيسير ما حمله من ذلك وندبه إلى الاستعانة على قليل ما كلفه وهو معرض عما أمره وعاجز عنه قد لبس ثوب الاستهانة فيما بينه وبين ربه ، متقلداً لهواه ، ماضياً في شهواته ، مؤثراً لدنياه على آخرته وهو في ذلك يتمنى جنان الفردوس ، وما ينبغي لأحد أن يطمع أن ينزل بعمل الفجار منازل الأبرار . أما إنه لو وقعت الواقعة وقامت القيامة وجاءت الطامة ونصب الجبار الموازين لفصل القضاء وبرز الخلائق ليوم الحساب أيقنت عند ذلك لمن تكون الرفعة والكرامة ، وبمن تحل الحسرة والندامة ، فاعمل اليوم في الدنيا بما ترجو به الفوز في الآخرة .

يا ابن جندب : قال الله جل وعز في بعض ما أوحى : إنما أقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي ، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ، ويقطع نهاره بذكري ولا يتعظم على خلقي ، ويطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم المصاب ، ويؤوي الغريب ، فذلك يشرق نوره مثل الشمس ، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حليماً أكلاه بعزتي وأستحفظه ملائكتي ، يدعوني فألبيه ، ويسألني فأعطيه ، فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنات الفردوس لا يسبق أثمارها ولا تتغير عن حالها .

يا ابن جندب : الإسلام عريان ، فلباسه الحياء وزينته الوقار ، ومروته العمل الصالح وعماده الورع ، ولكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت .

يا ابن جندب : إن الله تبارك وتعالى سوراً من نور ، محفوفاً بالزبرجد والحريز ، منجداً بالسندس والديباج ، يضرب هذا السور بين أوليائنا وبين أعدائنا فإذا غلى الدماغ وبلغت القلوب الحناجر ، ونضجت الأكباد من طول الموقف أدخل في هذا السور أولياء الله ، فكانوا في أمن الله وحرزه ، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وأعداء الله قد ألجمهم العرق وقطعهم الفرق وهم ينظرون إلى ما أعد الله لهم ، فيقولون : ﴿ ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار ﴾^(١) فينظر إليهم أولياء الله فيضحكون منهم ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ أتخذناهم سخرية أم زاغت عنهم الأبصار ﴾^(٢) . وقوله : ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ على الأرائك

(١) سورة ص ؛ الآية : ٦٢ .

(٢) سورة ص ؛ الآية : ٦٣ .

ينظرون»^(١). فلا يبقى أحدٌ ممن أعان مؤمناً من أوليائنا بكلمة إلا أدخله الله الجنة بغير حساب .

وصيته (ع)

لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول^(٢)

قال أبو جعفر : قال لي الصادق عليه السلام : إن الله جل وعز غير أقواماً في القرآن بالإذاعة ، فقلت له : جعلت فداك ، أين قال ؟ قال قوله : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾^(٣) ثم قال : المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا ، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه . والله إني لأعلم بشراركم من البيطار بالدواب ، شراركم الذين لا يقرأون القرآن إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ولا يحفظون ألسنتهم . إعلم أن الحسن بن علي عليه السلام لما طعن واختلف الناس عليه سلم الأمر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين . فقال عليه السلام : «ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين ، إني لما رأيتمكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الأمر لأبقي أنا وأنتم بين أظهرهم ، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها ، وكذلك نفسي ، وأنتم لنبقى بينهم» .

يا ابن النعمان : إني لأحدث الرجل منكم بحديث فيحدث به عني ، فأستحل بذلك لعنته والبراءة منه . فإن أبي كان يقول : «وأي شيء أقر للعين من التقية . إن التقية جنة المؤمن ، ولولا التقية ما عبد الله» . وقال عز وجل : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) سورة المطففين ؛ الآيتان : ٣٤ - ٣٥ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي المعروف عندنا بصاحب الطاق ومؤمن الطاق ، كان صيرافياً من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام ، وكان رحمه الله ثقة ، متكلماً ، حاذقاً ، كثير العلم ، حسن الخاطر ، حاضر الجواب . وله مع أبي حنيفة حكايات نقلها المؤرخون وأهل السير فمنها أنه لما مات الصادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمناً الطاق فقال له : مات إمامك ، قال : نعم : أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . وله كتب منها كتاب الإمامة وكتاب المعرفة وكتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول وكتاب في إثبات الوصية وغير ذلك .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٨٢ .

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴿١﴾ .

يا ابن النعمان : إياك والمراء ، فإنه يحبط عملك ، وإياك والجدال ، فإنه يوبقك ، وإياك وكثرة الخصومات ، فإنها تبعدك من الله ، ثم قال : إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت . وأنتم تتعلمون الكلام ، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلم الصمت قبل ذلك بعشر سنين فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال : ما أنا لِمَا أروم بأهل ، إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل على الأذى ، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقاً وهم المؤمنون . إن أبغضكم إلي المتراسون . المشاؤون بالنمائم ، الحسدة لإخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم ، إنما أوليائي الذين سلموا لأمرنا واتبعوا آثارنا ، واقتدوا بنا في كل أمورنا . ثم قال : والله لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار .

يا ابن النعمان : إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً .

يا ابن النعمان : إنه من روى علينا حديثاً ، فهو ممن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطاءً .

يا ابن النعمان : إذا كانت دولة الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية ، فإن المتعرض للدولة قاتل نفسه ومويقها ، إن الله يقول : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ﴿٢﴾ .

يا ابن النعمان : إنا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا ، فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا ، وكلما ذهب واحد جاء آخر .

يا ابن النعمان : من سئل عن علم ، فقال : لا أدري فقد ناصف العلم والمؤمن يحقد ما دام في مجلسه ، فإذا قام ذهب عنه الحقد .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٧ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٩٥ .

يا ابن النعمان : إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم ، لأنه سر الله الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وأسره الحسين عليه السلام إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من أسره ، فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر^(١) ثلاث مرات فأذعتموه ، فأخبره الله والله ما لكم سر إلا وعدوكم أعلم به منكم .

يا ابن النعمان : أبقى على نفسك فقد عصيتني لا تدع سري ، فإن المغيرة بن سعيد ، كذب علي أبي وأذاع سره فأذاقه الله حر الحديد . وإن أبا الخطاب كذب علي وأذاع سري فأذاقه الله حر الحديد . ومن كتم أمرنا زينته الله به في الدنيا والآخرة ، وأعطاه حظه ووقاه حر الحديد وضيق المحابس . إن بني إسرائيل قحطوا حتى هلكوا المواشي والنسل فدعا الله موسى بن عمران عليه السلام فقال : يا موسى إنهم أظهروا الزنا والربا وعمروا الكنائس وأضاعوا الزكاة ، فقال إلهي تحزن برحمتك عليهم ، فإنهم لا يعقلون . فأوحى الله إليه إني مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوماً ، فأذاعوا ذلك وأفشوه . فحبس عنهم القطر أربعين سنة ، وأنتم قد قرب أمركم فأذعتموه في مجالسكم .

يا أبا جعفر ما لكم وللناس : كفوا عن الناس . ولا تدعوا أحداً إلى هذا الأمر ، فوالله لو أن أهل السماوات و[الأرض] اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلوه ، كفوا عن الناس ولا يقل أحدكم أخي وعمي وجاري . فإن الله جل وعز إذا أراد بعد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ولا منكراً إلا أنكره ، ثم قذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره .

يا ابن النعمان : إن أردت أن يصفوك وذ أخيك فلا تمازحنه ولا تمارينه ولا تباهينه ، ولا تشارينه ، ولا تطلع صديقك من شرك إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك . فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً .

(١) كان من الكذابين الغالين ، وكان ممن يدس الأحاديث .

وأما أبو الخطاب هو محمد بن مقلص أبي زينب الأسدي الكوفي البراد يكنى أبا ظبيان غال ملعون من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام في أول أمره ثم أصابه ما أصاب المغيرة فانسلك من الدين وكفر ؟ ورويت روايات كثيرة في ذمه ولعنه .

يا ابن النعمان : لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث سنن : سنة من الله وسنة من رسوله ، وسنة من الإمام ، فأما السنة من الله عز وجل فهو أن يكون كتوماً للأسرار . يقول الله جل ذكره : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾^(١) . وأما التي من رسول الله ﷺ فهو أن يداري الناس ويعاملهم بالأخلاق الحنيفة ، وأما التي من الإمام فالصبر في البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج .

يا ابن النعمان : ليست البلاغة بحدة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة .

يا ابن النعمان : من قعد إلى سائب أولياء الله فقد عصي الله . ومن كظم غيظاً فبنا لا يقدر على إمضائه كان معنا في السنام الأعلى ومن استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس .

يا ابن النعمان : لا تطلب العلم لثلاث : لتراي به ، ولا لتباهي به ، ولا لتمازي ، ولا تدعه لثلاث : رغبة في الجهل ، وزهادة في العلم ، واستحياء من الناس ، والعلم [الـ] مصون كالسراج المطبق عليه .

يا ابن النعمان : إن الله جل وعز إذا أراد بعبده خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب بطلب الحق ، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكرة^(٢) .

يا ابن النعمان : إن حبنا - أهل البيت - ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كمخزائن الذهب والفضة ، ولا ينزله إلا بقدر ، ولا يعطيه إلا خير الخلق وإن له غمامة كغمامة القطر ، فإذا أراد الله أن يخص به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمامة فتَهطلت كما تهطلت السحاب ، فتصيب الجنين في بطن أمه .

رسالته (ع) إلى جماعة شيعته وأصحابه

أما بعد ، فسلوا ربكم العافية . وعليكم بالدعة والوقار^(٣) والسكينة والحياء والتنزّه عما تنزّه عنه الصالحون منكم ، وعليكم بمجاملة أهل الباطل ، تحملوا الضيم

(١) سورة الجن ؛ الآية : ٢٦ .

(٢) الوكر : عش الطائر ، أي بيته وموضعه .

(٣) الدعة : الخفض والطمأنينة .

منهم ، وإياكم ومما ظنهم^(١) . دينوا فيما بينكم وبينهم - إذا أنتم جالستمهم وخالطتمهم ونازعتمهم الكلام ، فإنه لا بدّ لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم - بالتقية التي أمركم الله بها فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنهم سيؤذونكم ويعرفون في وجوهكم المنكر . ولولا أن الله يدفعهم عنكم لسطوا بكم . وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم ، مجالسكم ومجالسهم واحدة ، إن العبد إذا كان الله خلقه في الأصل - أصل الخلق - مؤمناً لم يمت حتى يكره إليه الشر ويُساعده منه . ومن كره الله إليه الشر ويُساعده منه عافاه الله من الكبر أن يدخله والجبرية ، فلانت عريكته^(٢) وحسن خلقه وطلق وجهه ، وصار عليه وقار الإسلام وسكينته وتخشعه ، وورع عن محارم الله ، واجتنب مساخطه ورزقه الله مودة الناس ومجالستهم وترك مقاطعة الناس والخصومات ولم يكن منها ولا من أهلها في شيء ، وإن العبد إذا كان الله خلقه في الأصل - أصل الخلق - كافراً لم يمت حتى يحبب إليه الشر ويقربه منه . فإذا حُبب إليه الشر وقربه منه ابتلى بالكبر والجبرية ، فقسا قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقلّ حياؤه وكشف الله ستره وركب المحارم فلم ينزع عنها وركب معاصي الله وأبغض طاعته وأهلها . فبعد ما بين حال المؤمن والكافر ، فسلوا الله العافية واطلبوها إليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أكثرُوا من الدعاء ، فإن الله يحبُّ من عباده الذين يدعونهُ ، وقد وعد عباده المؤمنين الاستجابة ، والله مصيرُ دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة . وأكثرُوا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، فإن الله أمر بكثرة الذكر له ، والله ذاكرٌ من ذكره من المؤمنين ، إن الله لم يذكره أحدٌ من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير .

وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم . وعليكم بحب المساكين المسلمين ، فإن من حقرهم وتكبر عليهم فقد زلَّ عن دين الله والله له حاقرٌ ماقِتٌ . وقد قال أبونا رسول الله ﷺ : «أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم» . واعلموا أن من حقر أحداً من

(١) المجاملة : المعاملة بالجميل والضييم : الظلم . والمماظة - بالمعجمة - : شد المنازعة .

(٢) العريكة : الطبيعة والخلق والنفس .

المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقتهم الناس أشدّ مقتاً فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين ، فإن لهم عليكم حقاً أن تحبّوهم ، فإن الله أمر نبيه ﷺ بحبهم ، فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله ، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات من الغاوين .

إياكم والعظمة والكبر ، فإن الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة .

إياكم أن يبغى بعضكم على بعض . فإنها ليست من خصال الصالحين ، فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بُغِيَ عليه . ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله .

إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً ، فإن الكفر أصله الحسد .

إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم يدعوا الله عليكم ويستجاب له فيكم ، فإن أبانا رسول الله ﷺ يقول : «إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة» .

إياكم أن تشره نفوسكم^(١) إلى شيء مما حرم الله عليكم ، فإنه من انتهك ما حرم الله عليه هُنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الأبدين .

ومن كلامه (ع) سماه بعض الشيعة نثر الدرر

الاستقصاء فرقة . الانتقاد عداوة . قلة الصبر فضيحة . إفشاء السر سقوط . السخاء فطنة . اللوم تغافل .

ثلاثة من تمسك بهن نال من الدنيا والآخرة بغيته : من اعتصم بالله . ورضي بقضاء الله . وأحسن الظن بالله .

ثلاثة من فرط فيهن كان محروماً : استماعة جواد . ومصاحبة عالم واستمالة سلطان .

(١) شره فلان - كفرح - غلب حرصه واشتد مهله .

ثلاث تورث المحبة : الدين . والتواضع . والبذل .
 من برىء من ثلاثة نال ثلاثة : من برىء من الشر نال العز . ومن برىء من الكبير
 نال الكرامة . ومن برىء من البخل نال الشرف .
 ثلاثة مكسبة للبغضاء : النفاق . والظلم . والعجب .
 ومن لم تكن فيه خصلة من ثلاثة لم يعد نبيلاً : من لم يكن له عقلٌ يزينه أو جدة
 تغنيه^(١) أو عشيرة تعضده .
 ثلاثة تزري بالمرء^(٢) : الحسد . والنميمة . والطيش .
 ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاث مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب . ولا
 الشجاع إلا عند الحرب . ولا أخ إلا عند الحاجة .
 ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى : من إذا حدث كذب ، وإذا
 وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان .
 إحذر من الناس ثلاثة : الخائن ، والظلم ، والنمام ، لأن من خان لك خانك ،
 ومن ظلم لك سيظلمك ، ومن نمَّ إليك سينمَّ عليك .
 لا يكون الأمين أميناً حتى يؤتمن على ثلاثة فيؤديها : على الأموال والأسرار
 والفروج ، وإن حفظ اثنين وضيع واحدة فليس بأمين .
 لا تشاور أحق ، ولا تستعن بكذاب ، ولا تثق بموعدة ملوك ، فإن الكذاب يقرب
 لك البعيد ، ويبعد لك القريب . والأحقق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد ، والملوك
 أوثق ما كنت به خذلك وأوصل ما كنت له قطعك .
 أربعة لا تشبع من أربعة : أرض من مطر ، وعين من نسر ، وأنثى من ذكر ،
 وعالم من علم .
 أربعة تهزم قبل أوان الهرم : أكل القديد ، والقعود على النداء ، والصعود في
 الدُّرج ، ومجامعة العجوز .

(١) الجدة - مصدر وجد يجد ، كعدة - : الغنى والقدرة .

(٢) أزرى به : عابه ووضعه من حقه . والطيش : النزق والخفة .

النساء ثلاث : فواحدة لك ، وواحدة لك وعليك ، وواحدة عليك لا لك ، فأما التي هي لك فالمرأة العذراء . وأما التي هي لك وعليك فالثيب ، وأما التي هي عليك لا لك فهي المتبع التي لها ولد من غيرك .

ثلاث من كن فيه كان سيئاً : كظم الغيظ ، والعفو عن المسيء ، والصلة بالنفس والمال .

ثلاثة لا بدّ لهم من ثلاث : لا بدّ للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من هفوة .

ثلاثة فيهن البلاغة : التقرّب من معنى البغية ، والتباعد من حشو الكلام والدلالة بالقليل على الكثير .

النجاة في ثلاث : تمسك عليك لسانك ، ويسعك بيتك ، وتندم على خطيئتك .

الجهل في ثلاث : في تبدل الإخوان ، والمناظرة بغير بيان ، والتجسس عما لا يعني .

ثلاث من كن فيه كن عليه : المكر ، والنكت ، والبغي ، وذلك قول الله : ﴿ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله﴾^(١) . ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾^(٢) . وقال جلّ وعزّ : ﴿فمن نكت فإنما ينكت على نفسه﴾^(٣) . وقال : ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾^(٤) .

ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي : قصر الهمة . وقلة الحيلة . وضعف الرأي .

الحزم في ثلاثة^(٥) : الاستخدام للسلطان ، والطاعة للولد ، والخضوع للمولى .

(١) سورة فاطر ؛ الآية : ٤٣ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ٥٢ .

(٣) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

(٤) سورة يونس ؛ الآية : ٢٤ .

(٥) الحزم : ضبط الرجل أمره والحذر من فواته والأخذ فيه بالثقة .

الأنس في ثلاث : في الزوجة الموافقة ، والولد البار ، والصديق المصافي .
من رزق ثلاثاً نال ثلاثاً ، وهو الغنى الأكبر : القناعة بما أُعطي ، واليأس مما
في أيدي الناس ، وترك الفضول .

لا يكون الجواد جواداً إلا بثلاثة : يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر ،
وأن يبذله للمستحق ، ويرى أن الذي أخذه من شكر الذي أسدي إليه أكثر مما
أعطاه .

ثلاثة لا يعذر المرء فيها : مشاورة ناصح ، ومداراة حاسد ، والتعجب إلى
الناس .

لا يُعد العاقل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً : إعطاء الحق من نفسه على حال
الرضى والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، واستعمال الحلم عند العثرة .
لا تدوم النعم إلا بعد ثلاث : معرفة بما يلزم الله سبحانه فيها ، وأداء شكرها ،
ويعيب فيها .

ثلاث من ابتلي بواحدة منهن تمنى الموت : فقر متتابع ، وحرمة فاضحة ، وعدو
غالب .

من لم يرغب في ثلاث ابتلي بثلاث : من لم يرغب في السلامة ابتلي
بالخذلان . ومن لم يرغب في المعروف ابتلي بالندامة . ومن لم يرغب في الاستكثار
من الإخوان ابتلي بالخسران .
ثلاث يجب على كل إنسان تجنبها : مقارنة الأشرار . ومحادثة النساء .
ومجالسة أهل البدع .

ثلاثة تدل على كرم المرء : حسن الخلق . وكظم الغيظ . وغض الطرف .
من وثق بثلاثة كان مغروراً : من صدق بما لا يكون . وركن إلى من لا يثق به .
وطمع في ما لا يملك .

ثلاثة من استعملها أفسد دينه ودنياه : من [أ] من ظنه . وأمكن من سمعه .
وأعطى قياده حليلته^(١) .

(١) الحليلة : الزوجة .

أفضل الملوك من أعطي ثلاث خصال : الرأفة . والجود . والعدل .

وليس يحب للملوك أن يفرطوا في ثلاث : في حفظ الثغور . وتفقد المظالم . واختيار الصالحين لأعمالهم .

ثلاث خلال تجب للملوك على أصحابهم ورعيته : الطاعة لهم . والنصيحة لهم في المغيب والمشهد . والدعاء بالنصر والصلاح .

ثلاثة تجب على السلطان للخاصة والعامة : مكافأة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبة فيه . وتغمّد ذنوب المسيء ليتوب ويرجع عن غيه . وتألّفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف .

ثلاثة أشياء من احتقرها من الملوك وأهملها تفاقمت عليه : خامل قليل الفضل شدّ عن الجماعة . وداعية إلى بدعة جعل جنته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأهل بلد جعلوا لأنفسهم رئيساً يمنع السلطان من إقامة الحكم فيهم .

العاقل لا يستخف بأحد . وأحقّ من لا يستخف به ثلاثة : العلماء . والسلطان والإخوان ، لأنه من استخف بالعلماء أفسد دينه . ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ، ومن استخف بالإخوان أفسد مروّته .

وجدنا بطانة السلطان ثلاث طبقات : طبقة موافقة للخير وهي بركة عليها وعلى السلطان وعلى الرعية . وطبقة غايتها المحاماة على ما في أيديها ، فتلك لا محمودة ولا مذمومة . بل هي إلى الدم أقرب . وطبقة موافقة للشر وهي مشؤومة ، مذمومة عليها وعلى السلطان .

ثلاثة أشياء يحتاج الناس طرّاً إليها : الأمن . والعدل . والخصب .

ثلاثة تكدر العيش : السلطان الجائر . والجار سوء . والمرأة البذيّة .

لا تطيب السكنى إلا بثلاث : الهواء الطيب . والماء الغزير العذب . والأرض الخوّارة^(١) .

ثلاثة تعقب الندامة : المباهاة . والمفاخرة . والمعازة^(٢) .

(١) الغزير : الكثير . وأرض خوّارة : السهلة اللينة .

(٢) المعازة : المعارضة في العز .

ثلاثة مركبة في بني آدم : الحسد . والحرص . والشهوة .
 من كانت فيه خلة من ثلاثة انتظمت فيه ثلاثتها في تفخيمه وهيئته وجماله : من
 كان له ورع ، أو سماحة ، أو شجاعة .
 ثلاث خصال من رزقها كان كاملاً : العقل . والجمال . والفصاحة .
 ثلاثة تقضي لهم بالسّلامة إلى بلوغ غايتهم : المرأة إلى انقضاء حملها .
 والملك إلى أن ينفذ عمره . والغائب إلى حين إيايه .
 ثلاثة تورث الحرمان : الإلحاح في المسألة . والغيبة . والهزء .
 ثلاثة تعقّب مكروهاً : حملة البطل^(١) في الحرب في غير فرصة وإن رزق
 الظفر . وشرب الدواء من غير علة وإن سَلِمَ منه . والتعرّض للسلطان وإن ظفر الطالب
 بحاجته منه .
 ثلاث خلال يقول كل إنسان إنه على صواب منها : دينه الذي يعتقده . وهواه
 الذي يستعلي عليه . وتدبيره في أموره .
 الناس كلهم ثلاث طبقات : سادة مطاعون وأكفاء متكافون وأناس متعادون .
 قوام الدنيا بثلاثة أشياء : النار . والملح . والماء .
 من طلب ثلاثة بغير حق حرم ثلاثة بحق : من طلب الدنيا بغير حق حرم الآخرة
 بحق . ومن طلب الرئاسة بغير حق حرم الطاعة له بحق . ومن طلب المال بغير حق
 حرم بقاؤه له بحق .
 ثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أن يتقدم عليها : شرب السم للتجربة وإن نجا
 منه . وإفشاء السر إلى القراصة الحاسد وإن نجا منه . وركوب البحر وإن كان الغنى
 فيه .
 لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفزع إليه في أمر دنياهم وآخرتهم فإن عُدِموا
 ذلك كانوا همجاً^(٢)؛ فقيه عالم ورع . وأمير خير مُطاع . وطبيب بصير ثقة .
 يمتحن الصديق بثلاث خصال ، فإن كان مؤثّياً فيها فهو الصديق المصافي وإلا
 (١) الحملة - بفتح فسكون : الكرة في الحرب .
 (٢) الهمج - بالتحريك - : السفلة والحمقى والرعاع من الناس ، يقال : قوم همج أي لا خير
 فيهم .

كان صديق رخاء لا صديق شدّة : تبتغي منه مالاً ، أو تأمنه على مال ، أو تشاركه في مكروه .

إن يسلم الناس من ثلاثة أشياء كانت سلامة شاملة : لسان السوء ، ويد السوء . وفعل السوء .

إذا لم تكن في المملوك خصلة من ثلاث فليس لمولاه في إمساكه راحة : دين يرشده . أو أدب يسوسه . أو خوف يردعه .

إن المرء يحتاج في منزله وعباله إلى ثلاث خلال يتكلفها ، وإن لم يكن في طبعه ذلك : معاشرة جميلة . وسعة بتقدير . وغيرة بتحصن .

كل ذي صناعة مضطر إلى ثلاث خلال يجتلب بها المكسب وهو : أن يكون حاذقاً بعمله . مؤدياً للأمانة فيه . مستمياً لمن استعمله .

ثلاث من ابتلي بواحدة منهن كان طائح العقل : نعمة مولية . وزوجة فاسدة . وفجيعة بحبيب .

جبلت الشجاعة على ثلاث طبائع لكل واحدة منهن فضيلة ليست للأخرى : السخاء بالنفس والأنفة من الذل^(١) وطلب الذكر ، فإن تكاملت في الشجاع كان البطل الذي لا يُقام لسبيله والموسوم بالإقدام في عصره . وإن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر وأشد إقداماً .

ويجب للوالدين على الوالد ثلاثة أشياء : شكرهما على كل حال . وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله . ونصيحتهما في السر والعلانية .

وتجب للولد على والده ثلاث خصال : إختيار لوالدته . وتحسين اسمه . والمبالغة في تأديبه .

تحتاج الإخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء ، فإن استعملوها وإلاً تباينوا وتباغضوا وهي : التناصف . والتراحم ونفي الحسد .

إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرّضوا لدخول الوهن عليهم وشماتة

(١) الأنفة : اسم من أنف - : كتعب - : كرهه وترفع وتزفه منه .

الأعداء بهم وهي : ترك الحسد فيما بينهم ، لئلا يتحزّبوا فيتشتت أمرهم . والتواصل ليكون ذلك حادياً لهم على الألفة والتعاون لتشتملهم العزّة .

لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته ، وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها ، وحُسن خُلُقها معها . واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها . وتوسّعت عليها .

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهنّ : صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئنّ قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه . وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها . وإظهار العشق له بالخلابة^(١) والهيئة الحسنة لها في عينه .

لا يتم المعروف إلا بثلاث خلال : تعجيله . وتقليل كثيره . وترك الإمتنان به . والسرور في ثلاث خلال : في الوفاء . ورعاية الحقوق . والنهوض في النوائب .

ثلاثة يستدلّ بها على إصابة الرأي : حسن اللقاء ، وحسن الاستماع ، وحسن الجواب .

الرجال ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ، فالعاقل إن كلّمْ أجاب وإن نطق أصاب ، وإن سمع وعى . والأحمق إن تكلم عَجَل ، وإن حدث ذهل ، وإن حمل على القبيح فعل . والفاجر إن ائتمنته خانك وإن حدّثته شانك .

الإخوان ثلاثة : فواحد كالغذاء الذي يحتاج إليه كل وقت فهو العاقل ، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق ، والثالث في معنى الدواء فهو اللبيب .

ثلاثة أشياء تدلّ على عقل فاعلها : الرسول على قدر من أرسله والهدية على قدر مهديها ، والكتاب على قدر كاتبه .

العلم ثلاثة : آية محكمة ، وفريضة عادلة ، وسنة قائمة .

الناس ثلاثة : جاهل يأبى أن يتعلم ، وعالم قد شفه علمه ، وعاقل يعمل لدنياه وآخرته .

(١) الخلابة - بالكسر - : الخديعة باللسان أو بالقول اللطيف .

ثلاثة ليس معهن غربة : حسن الأدب ، وكف الأذى ، ومجانبة الريب .

الأيام ثلاثة : فيوم مضى لا يُدرك ، ويوم الناس فيه ، فينبغي أن يغتنموه ، وغداً إنما في أيديهم أمله .

من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الإيمان : حلم يردُّ به جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن طلب المحارم ، وخلقٌ يداري به الناس .

ثلاث من كنَّ فيه استكمل الإيمان ، من إذا غضب لم يخرج غضبه من الحق ، وإذا رضي لم يخرج رضاه إلى الباطل ، ومن إذا قدر عفا .

ثلاث خصال يحتاج إليها صاحب الدنيا : الدعة من غير توان ، والسعة مع قناعة ، والشجاعة من غير كسلان .

ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن ينساهنَّ على كل حال : فناء الدنيا ، وتصرف الأحوال ، والآفات التي لا أمان لها .

ثلاثة أشياء لا تُرى كاملة في واحد قطُّ : الإيمان ، والعقل ، والاجتهاد .

الإخوان ثلاثة : مواس بنفسه ، وآخر مواس بماله وهما الصادقان في الإخاء وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة ، فلا تعدّه من أهل الثقة .

لا يستكمل عبداً حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث : الفقه في الدين ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على الرزايا .

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كلامه (ع) في وصف المحبة لأهل البيت والتوحيد والإيمان والإسلام والكفر والفسق

دخل عليه رجل فقال عليه السلام له : ممن الرجل ؟ فقال من محبيكم ومواليكم ، فقال له جعفر عليه السلام : لا يحب الله عبداً حتى يتولاه ، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة . ثم قال له : من أيِّ محبين أنت ؟ فسكت الرجل فقال له سدير^(١) : وكم محبوكم يابن

(١) سدير - كشریف - ابن حكيم بن صهيب الصيرفي من أصحاب السجاد والباقر والصادق عليه السلام إمامي ممدوح محب لأهل البيت عليه السلام ، وقد دعا الصادق عليه السلام له ولعبد السلام بن عبد الرحمن وكانا في السجن فخلي سبيلهما .

رسول الله ؟ فقال : على ثلاث طبقات : طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر . وطبقة يحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية ، وطبقة يحبونا في السر والعلانية ، هم النمط الأعلى ، شربوا من العذب الفرات وعلموا بأوائل الكتاب ، وفصل الخطاب وسبب الأسباب ، فهم النمط الأعلى ، والفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل ، مستتهم البأساء والضراء وزلزلوا وفتنوا ، فمن بين مجروح ومذبح متفرقين في كل بلاد قاصية ، بهم يشفي الله السقيم ويغني العديم ، وبهم تنصرون ، وبهم تمطرون ، وبهم ترزقون ، وهم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً . والطبقة الثانية النمط الأسفل أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك ، فألستهم معنا وسيوفهم علينا . والطبقة الثالثة النمط الأسود أحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية ، ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر دون العلانية ، فهم الصوامون بالليل ترى أثر الرهبانية في وجوههم ، أهل سلم وانقياد .

قال الرجل : فأننا من محبيكم في السر والعلانية . قال جعفر عليه السلام : إن لمحبينا في السر والعلانية علامات يعرفون بها . قال الرجل : وما تلك العلامات ؟ قال عليه السلام : تلك خلال أولها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته وأحكموا علم توحيده . والإيمان بعد ذلك بما هو وما صفته ، ثم علموا حدود الإيمان وحقائقه وشروطه وتأويله . قال سدير : يا ابن رسول الله ما سمعتك تصف الإيمان بهذه الصفة ؟ قال : نعم يا سدير ليس للسائل أن يسأل عن الإيمان ما هو ؟ حتى يعلم الإيمان بمن . قال سدير : يا ابن رسول الله إن رأيت أن تفسر ما قلت ؟ . قال الصادق عليه السلام : من زعم أنه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك . ومن زعم أنه يعرف الله بالاسم دون المعنى فقد أقر بالظن . لأن الاسم محدث . ومن زعم أنه يعبد الاسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكاً . ومن زعم أنه يعبد [المعنى] بالصفة لا بالإدراك فقد أحوال على غايب . ومن زعم أنه يعبد الصفة والموصوف فقد أبطل التوحيد لأن الصفة غير الموصوف .

ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير وما قدروا الله حق قدره قيل له : فكيف سبيل التوحيد ؟ قال عليه السلام : باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود إن معرفة عين الشاهد قبل صفته ومعرفة صفة الغائب قبل عينه . قيل : وكيف تعرف عين الشاهد قبل صفته ؟ قال عليه السلام : تعرفه وتعلم علمه وتعرف نفسك به ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك . وتعلم أن ما فيه له وبه ، كما قالوا ليويسف : ﴿إِنَّكَ

لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي^(١) فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب أما ترى الله يقول : ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾^(٢) . يقول ليس لكم أن تنصبوا إماماً من قبل أنفسكم تسمونه محقاً بهوى أنفسكم وإرادتكم . ثم قال الصادق عليه السلام : ثلاثة ﴿لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾^(٣) من أنبت شجرة لم ينبت الله يعني من نصب إماماً لم ينصبه الله ، أو جحد من نصبه الله ، ومن زعم أن لهذين سهماً في الإسلام ، وقد قال الله : ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾^(٤) .

صفة الإيمان

قال عليه السلام : معنى صفة الإيمان ، الإقرار والخضوع لله بذل الإقرار ، والتقرب إليه به والأداء له بعلم كل مفروض من صغير أو كبير من حد التوحيد فما دونه إلى آخر باب من أبواب الطاعة أولاً فأولاً مقرون ذلك كله بعضه إلى بعض موصول بعضه ببعض ، فإذا أدى العبد ما فرض عليه مما وصل إليه على صفة ما وصفناه فهو مؤمن مستحق لصفة الإيمان ، مستوجب للثواب وذلك أن معنى جملة الإيمان الإقرار ، ومعنى الإقرار التصديق بالطاعة ، فلذلك ثبت أن الطاعة كلها صغيرها وكبيرها مقرونة بعضها إلى بعض ، فلا يخرج المؤمن من صفة الإيمان إلا بترك ما استحق أن يكون به مؤمناً ، وإنما استوجب واستحق اسم الإيمان ومعناه بأداء كبار الفرائض موصولة وترك كبار المعاصي واجتنابها . وإن ترك صغار الطاعة وارتكب صغار المعاصي فليس بخارج من الإيمان ولا تارك له ما لم يترك شيئاً من كبار الطاعة ولم يرتكب شيئاً من كبار المعاصي ، فما لم يفعل ذلك فهو مؤمن لقول الله : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾^(٥) يعني المغفرة ما دون الكبائر . فإن هو ارتكب كبيرة من كبار المعاصي كان مأخوذاً بجميع المعاصي صغارها وكبارها معاقباً عليها معذباً بها ، فهذه صفة الإيمان وصفة المؤمن المستوجب للثواب .

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ٩٠ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ٦٠ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧٧ .

(٤) سورة القصص ؛ الآية : ٨ .

(٥) سورة النساء ؛ الآية : ٣١ .

صفة الإسلام

وأما معنى صفة الإسلام فهو الإقرار بجميع الطاعة الظاهر الحكم والأداء له . فإذا أقر المقر بجميع الطاعة في الظاهر من غير العقد عليه بالقلوب فقد استحق اسم الإسلام ومعناه واستوجب الولاية الظاهرة وإجازة شهادته والمواريث . وصار له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، فهذه صفة الإسلام . وفرق ما بين المسلم والمؤمن أن المسلم إنما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً في الباطن مع ما هو عليه في الظاهر . فإذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً . وإذا فعل ذلك بالباطن بخضوع وتقرب بعلم كان مؤمناً ، فقد يكون العبد مسلماً ولا يكون مؤمناً إلا وهو مسلم .

صفة الخروج من الإيمان

وقد يخرج من الإيمان بخمس جهات من الفعل كلها متشابهات معروفة : الكفر ، والشرك ، والضلال ، والفسق ، وركوب الكبائر .

فمعنى الكفر كل معصية عصي الله بها بجهة الجحد والإنكار ، والاستخفاف والتهاون في كل ما دق وجل ، وفاعله كافر ومعناه معنى كفر ، من أي ملة كان ، ومن أي فرقة كان بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات ، فهو كافر .

ومعنى الشرك كل معصية عصي الله بها بالتدين ، فهو مشرك ، صغيرة كانت المعصية أو كبيرة ، ففاعلها مشرك .

ومعنى الضلال الجهل بالمفروض وهو أن يترك كبيرة من كبائر الطاعة التي لا يستحق العبد الإيمان إلا بها بعد ورود البيان فيها والاحتجاج بها ، فيكون التارك لها تاركاً بغير جهة الإنكار والتدين بإنكارها وجحودها ، ولكن يكون تاركاً على جهة التواني والإغفال والاشتغال بغيرها ، فهو ضال متكب طريق الإيمان ، جاهل به خارج منه . مستوجب لاسم الضلالة ومعناها ما دام هي بصفة التي وصفناه بها . فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية بجهة الجحد والاستخفاف والتهاون كفر . وإن هو مال بهواه إلى التدين بجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الآباء والأسلاف فقد أشرك . وكل ما يلبث الإنسان على ضلالة حتى يميل بهواه إلى بعض ما وصفناه من صفته .

ومعنى الفسق فكل معصية من المعاصي الكبار فعلها فاعل ، أو دخل فيها داخل

بجهة اللذة والشهوة والشوق الغالب فهو فسق وفاعله فاسق خارج من الإيمان بجهة الفسق فإن دام في ذلك حتى يدخل في حد التهاون والاستخفاف فقد وجب أن يكون بتهاونه واستخفافه كافراً .

ومعنى راكب الكبائر التي بها يكون فساد إيمانه ، فهو أن يكون منهمكاً على كبائر المعاصي بغير جحود ولا تدين ولا لذة ولا شهوة ، ولكن من جهة الحمية والغضب يكثر القذف والسب والقتل وأخذ الأموال وجس الحقوق ، وغير ذلك من المعاصي الكبائر التي يأتيها صاحبها بغير جهة اللذة . ومن ذلك الإيمان الكاذبة وأخذ الربا وغير ذلك التي يأتيها من أتاها بغير استلذاذ [و] الخمر والزنا واللهو ففاعل هذه الأفعال كلها مُفسدٌ للإيمان خارج منه من جهة ركوبه الكبيرة على هذه الجهة غير مشرك ولا كافر ولا ضال ، جاهل على ما وصفناه من جهة الجهالة ، فإن هو مال بهواه إلى أنواع ما وصفناه من حد الفاعلين كان من صفاته .

جوابه (ع) عن جهات معاش العباد ووجوه إخراج الأموال

سأله سائل ، فقال : كم جهات معاش العباد التي فيها الإكتساب [أ] و التعامل بينهم ووجوه النفقات ؟ فقال عليه السلام : جميع المعاش كلها من وجوه المعاملات فيما بينهم مما يكون لهم فيه المكاسب أربع جهات من المعاملات . فقال له : أكل هؤلاء الأربعة الأجناس حلال ، أو كلها حرام ، أو بعضها حلال وبعضها حرام ؟ فقال عليه السلام : قد يكون في هؤلاء الأجناس الأربعة حلال من جهة ، حرام من جهة ، وهذه الأجناس مسميات معروفة الجهات فأول هذه الجهات الأربعة الولاية وتولية بعضهم على بعض ، فأول ولاية - الولاية وولاية الولاية إلى أديانهم باباً من أبواب الولاية على من هو والٍ عليه . ثم التجارة في جميع البيع والشراء بعضهم من بعض . ثم الصناعات في جميع صنوفها ، ثم الإجازات في كل ما يحتاج إليه من الإجازات وكل هذه الصنوف تكون حلالاً من جهة وحراماً من جهة ، والفرص من الله على العباد في هذه المعاملات الدخول في جهات الحلال منها ، والعمل بذلك الحلال واجتناب جهات الحرام منها .

تفسير معنى الولايات

وهي جهتان ، فإحدى الجهتين من الولاية ولاية ولاية العدل الذين أمر الله بولايتهم وتوليتهم على الناس ، وولاية ولاته وولاية ولاته إلى أدناهم باباً من أبواب الولاية على من هو والٍ عليه والجهة الأخرى من الولاية ولاية ولاية الجور وولاية ولاته إلى أدناهم باباً من الأبواب التي هو والٍ عليه فوجه الحلال من الولاية ولاية الوالي العادل الذي أمر الله بمعرفته وولايته والعمل له في ولايته وولاية ولاته وولاية ولاته بجهة ما أمر الله به الوالي العادل بلا زيادة فيما أنزل الله به ولا نقصان منه ولا تحريف لقوله ولا تعد لأمره إلى غيره فإذا صار الوالي والي عدل بهذه الجهة فالولاية له والعمل معه ومعونته في ولايته وتقويته حلال محلل ، وحلال الكسب معهم وذلك أن في ولاية والي العدل وولاته إحياء كل حق وكل عدل وإماتة كل ظلم وجور وفساد ، فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه والمعين له على ولايته ساعية إلى طاعة الله مقوياً لدينه .

وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالي الجائر وولاية ولاته ، الرئيس منهم وأتباع الوالي فمن دونه من ولاية الولاية إلى أدناهم باباً من أبواب الولاية على من هو والٍ عليه . والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام ومحرم ، معذب من فعل ذلك على قليل من فعله أو كثير ، لأن كل شيء من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر وذلك أن في ولاية الوالي الجائر دوس الحق كله^(١) وإحياء الباطل كله ، وإظهار الظلم والجور والفساد وإبطال الكتب وقتل الأنبياء والمؤمنين وهدم المساجد وتبديل سنة الله وشرائعه . فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلا بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة .

وأما تفسير التجارات

في جميع البيوع ووجوه الحلال من وجه التجارات التي يجوز للبائع أن يبيع مما لا يجوز له . وكذلك المشتري الذي يجوز له شراؤه مما لا يجوز له فكل مأمور به مما هو غداء للعباد وقوامهم به في أمورهم في وجوه الصلاح الذي لا يقيمهم غيره مما يأكلون ويشربون ويلبسون وينكحون ويملكون ويستعملون من جهة ملكهم ، ويجوز

(١) داس الشبي : وطئه برجله .

لهم الاستعمال له من جميع جهات المنافع التي لا يقيمهم غيرها من كل شيء يكون لهم فيه الصلاح من جهة من الجهات ، فهذا كله حلال بيعه وشرائه وإمساكه واستعماله وهبته وعاريته .

وأما وجوه الحرام من البيع والشراء وكل أمر يكون فيه الفساد مما هو منهي عنه من جهة أكله وشربه أو كسبه أو نكاحه أو ملكه أو إمساكه أو هبته أو عاريته أو شيء يكون فيه وجه من وجوه الفساد نظير البيع بالربا ، لما في ذلك من الفساد ، أو البيع للميتة ، أو الدم ، أو لحم الخنزير ، أو لحوم السباع من صنوف سباع الوحش ، أو الطير ، أو جلودها ، أو الخمر ، أو شيء من وجوه النجس ، فهذا كله حرام ومحرم ، لأن ذلك كله منهي عن أكله وشربه ولبسه وملكه وإمساكه والتقلب فيه بوجه من الوجوه لما فيه من الفساد ، فجميع تقلبه في ذلك حرام ، وكذلك كل بيع ملهوب به وكل منهي عنه مما يتقرب به لغير الله ، أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي ، أو باب من الأبواب يقوى به باب من أبواب الضلالة ، أو باب من أبواب الباطل ، أو باب يوهن به الحق فهو حرام محرم ، حرام بيعه وشرائه وإمساكه وملكه وهبته وعاريته وجميع التقلب فيه إلا في حال تدعو الضرورة فيه إلى ذلك .

وأما تفسير الإجازات

فإجارة الإنسان نفسه أو ما يملك أو يلي أمره من قرابته أو دابته أو ثوبه بوجه الحلال من جهات الإجازات أن يؤجر نفسه أو داره أو أرضه أو شيئاً يملكه فيما يُنتفع به من وجوه المنافع ، أو العمل بنفسه وولده ومملوكه ، أو أجيره من غير أن يكون وكيلاً للوالي ، أو والياً للوالي فلا بأس أن يكون أجيراً يؤجر نفسه أو ولده أو قرابته أو ملكه أو وكيله في إجارته ، لأنهم وكلاء الأجير من عنده ليس هم بولاة الوالي نظير الحمال الذي يحمل شيئاً بشيء معلوم إلى موضع معلوم ، فيجعل ذلك الشيء الذي يجوز له حمله بنفسه أو بملكه أو دابته أو يؤجر نفسه في عمل يعمل ذلك العمل بنفسه أو بمملوكه أو قرابته أو بأجير من قبله ، فهذه وجوه من وجوه الإجازات حلال لمن كان من الناس ملكاً أو سوقاً^(١) أو كافراً أو مؤمناً ، فحلال إجارته وحلال كسبه من هذه الوجوه .

(١) السوق بالضم : الرعية ومن دون الملك وهو للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

فأما وجوه الحرام من وجوه الإجارة نظير أن يؤاجر نفسه على حمل ما يحرم عليه أكله أو شربه أو لبسه أو يؤاجر نفسه في صنعة ذلك الشيء أو حفظه أو لبسه أو يؤاجر نفسه في هدم المساجد ضراراً أو قتل النفس بغير حل أو حمل التصاوير والأصنام والمزامير والبرابط والخمر والخنازير الميتة والدم أو شيء من وجوه الفساد الذي كان محرماً عليه من غير جهة الإجارة فيه وكلُّ أمرٍ منهِّي عنه من جهة من الجهات فمحرّم على الإنسان إجارة نفسه فيه أو له أو شيء منه أو له إلا لمنفعة من استأجرته كالذي يستأجر الأجير يحمل له الميتة ينحيتها عن أذاه أو أذى غيره ، وما أشبه ذلك والفرق بين معنى الولاية والإجارة وإن كان كلاهما يعملان بأجر : أن معنى الولاية أن يلي الإنسان لوالي الولاية أو لولاية الولاية فيلي أمر غيره في التولية عليه وتسليطه وجواز أمره ونهيه وقيامه مقام الولي إلى الرئيس ، أو مقام وكلائه في أمره وتوكيده في معونته وتسديد ولايته وإن كان أدناهم ولاية ، فهو والٍ على من هو والٍ عليه يجري مجرى الولاية الكبار الذين يلون ولاية الناس في قتلهم من قتلوا وإظهار الجور والفساد .

وأما معنى الإجارة فعلى ما فسرنا من إجارة الإنسان نفسه أو ما يملكه من قبل أن يؤاجر [أ] لشيء من غيره فهو يملك يمينه لأنه لا يلي أمر نفسه وأمر ما يملك قبل أن يؤاجره ممن هو آجره . والوالي لا يملك من أمور الناس شيئاً إلا بعد ما يلي أمورهم ويملك توليتهم . وكلُّ من آجر نفسه ، أو آجر ما يملك نفسه ، أو يلي أمره من كافر أو مؤمن أو ملك أو سوقة على ما فسرنا مما تجوز الإجارة فيه فحلل محلل فعله وكسبه .

وأما تفسير الصناعات

فكلُّ ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياسة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثل الروحاني وأنواع صنوف الآلات التي يحتاج إليها العباد التي منها منافعهم وبها قوامهم وفيها بلغة جميع حوائجهم فحلل فعله وتعليمه والعمل به وفيه لنفسه أو لغيره وإن كانت تلك الصناعة وتلك الآلة قد يستعان بها على وجوه الفساد ووجوه المعاصي ويكون معونة على الحق والباطل ، فلا بأس بصناعته وتعليمه نظير الكتابة التي هي على وجه من وجوه الفساد من تقوية معونة ولاية الجور . وكذلك السكين والسيوف والرمح والقوس ، وغير ذلك من وجوه الآلة التي قد تصرف إلى جهات الصلاح وجهات الفساد وتكون آلة ومعونة عليهما ، فلا بأس

بتعليمه وتعلمه وأخذ الأجر عليه وفيه والعمل به وفيه لمن كان له فيه جهات الصلاح من جميع الخلائق ومحرم عليهم فيه تصريفه إلى جهات الفساد والمضار فليس على العالم والمتعلم إثم ولا وزر لما فيه من الرجحان في منافع جهات صلاحهم وقوامهم به ويقائهم . وإنما الإثم والوزر على المتصرف بها في وجوه الفساد والحرام وذلك إنما حرم الله الصناعة التي حرام هي كلها التي يجيء منها الفساد محضاً نظير البرابط^(١) والمزامير والشطرنج وكل ملهؤ به والصلبان والأصنام . وما أشبه ذلك من صناعات الأشرية الحرام وما يكون منه وفيه الفساد محضاً . ولا يكون فيه ولا منه شيء من وجوه الصلاح فحرام تعليمه وتعلمه والعمل به وأخذ الأجر عليه وجميع الثقلب فيه من جميع وجوه الحركات كلها إلا أن تكون صناعة قد تنصرف إلى جهات الصنائع ، وإن كان قد يتصرف بها ويتناول بها وجه من وجوه المعاصي ، فلعله لما فيه من الصلاح حل تعلمه وتعليمه والعمل به ويحرم على من صرفه إلى غير وجه الحق والصلاح . فهذا تفسير بيان وجه اكتساب معاش العباد ، وتعليمهم في جميع وجوه اكتسابهم .

وجوه إخراج الأموال وإنفاقها

أما الوجوه التي فيها إخراج الأموال في جميع وجوه الحلال المفترض عليهم وجوه النوافل كلها ، فأربعة وعشرون وجهاً ، منها سبعة وجوه على خاصة نفسه ، وخمسة وجوه على من تلزمه نفسه . وثلاثة وجوه مما تلزمه فيها من وجوه الدين ، وخمسة وجوه مما تلزمه فيها من وجوه الصلوات ، وأربعة أوجه مما تلزمه فيها النفقة من وجوه اصطناع المعروف .

فأما الوجوه التي تلزمه فيها النفقة على خاصة نفسه فهي مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومخدمه وعطاؤه فيما يحتاج إليه من الأجراء على مرمّة متاعه أو حملة أو حفظه ومعنى يحتاج إليه من نحو منزله أو آلة من الآلات يستعين بها على حوائجه .

وأما الوجوه الخمس التي تجب عليه النفقة لمن تلزمه نفسه فعلى ولده ووالديه وامراته ومملوكه لازم له ذلك في حال العسر واليسر .

وأما الوجوه الثلاثة المفروضة من وجوه الدين فالزكاة المفروضة الواجبة في كل

(١) البربط - كجعفر - : آلة من المعازف وهي العود والمزهر ، وقيل : شيء من ملاهي العجم .

عام والحج المفروض والجهاد في إبانته وزمانه .
وأما الوجوه الخمس من وجوه الصلوات النوافل فصلة من فوقه وصلة القرابة وصلة المؤمنين والتنفل في وجوه الصدقة والبر والعق .
وأما الوجوه الأربع : فقضاء الدين ، والعارية ، والقرض ، وإقراء الضيف واجبات في السنة .

ما يحل للإنسان أكله

فأما ما يحل ويجوز للإنسان أكله مما أخرجت الأرض ، فثلاثة صنوف من الأغذية صنف منها جميع الحب كلة من الحنطة والشعير والأرز والحمص ، وغير ذلك من صنوف الحب وصنوف السماسم^(١) وغيرها . كل شيء من الحب مما يكون فيه غذاء الإنسان في بدنه وقوته فحلال أكله وكل شيء تكون فيه المضرة على الإنسان في بدنه فحرام أكله إلا في حال الضرورة .

والصنف الثاني مما أخرجت الأرض من جميع صنوف الثمار كلها مما يكون فيه غذاء الإنسان ومنفعة له وقوته به فحلال أكله ، وما كان فيه المضرة على الإنسان في أكله فحرام أكله .

والصنف الثالث جميع صنوف البقول والنبات وكل شيء تنبت الأرض من البقول كلها مما فيه منافع الإنسان وغذاء له فحلال أكله . وما كان من صنوف البقول مما فيه المضرة على الإنسان في أكله نظير بقول السموم القاتلة ونظير الدفلى^(٢) وغير ذلك من صنوف السم القاتل فحرام أكله .

وأما ما يحل أكله من لحوم الحيوان

فلحوم البقر والغنم والإبل وما يحل من لحوم الوحش وكل ما ليس فيه ناب ولا له مخلب . وما يحل من أكل لحوم الطير كلها ما كانت له قانصة فحلال أكله ، وما لم يكن له قانصة فحرام أكله . ولا بأس بأكل صنوف الجراد .

(١) السماسم - بكسر المهملتين - نبات يستخرج من حبه السيرج .
(٢) الدفلى - بكسر الأول وفتح اللام - نبت زهره اعتيادياً كالورد الأحمر وحمله كالخرنوب .

وأما ما يجوز أكله من البيض

فكلما اختلف طرفاه فحلال أكله وما استوى طرفاه فحرام أكله .

وما يجوز أكله من صيد البحر

من صنوف السمك ما كان له قشور فحلال أكله وما لم يكن له قشور فحرام أكله .

وما يجوز من الأشربة

من جميع صنوفها فما لا يغير العقل كثيره فلا بأس بشربه وكل شيء منها يغير العقل كثيره فالقليل منه حرام .

وما يجوز من اللباس

فكلما أنبتت الأرض فلا بأس بلبسه والصلاة فيه وكل شيء يحل لحمه فلا بأس بلبس جلده الذكي منه وصوفه وشعره ووبره وإن كان الصوف والشعر والريش والوبر من الميتة وغير الميتة ذكياً فلا بأس بلبس ذلك والصلاة فيه وكل شيء يكون غذاء الإنسان في مطعمه ومشربه أو ملبسه فلا تجوز الصلاة عليه ولا السجود إلا ما كان من نبات الأرض من غير ثمر قبل أن يصير مغزولاً ، فإذا صار غزلاً فلا تجوز الصلاة عليه إلا في حال ضرورة .

أما ما يجوز من المناكح

فأربعة وجوه : نكاح بميراث ونكاح بغير ميراث ونكاح اليمين ، ونكاح بتحليل من المحلل له من ملك من يملك^(١) .

وأما ما يجوز من الملك والمخدمة فسته وجوه : ملك الغنيمة وملك الشراء وملك الميراث وملك الهبة وملك العارية وملك الأجر .

فهذه وجوه ما يحل وما يجوز للإنسان إنفاق ماله وإخراجه بجهة الحلال في

(١) أراد بالأول النكاح بعقد الدائم وبالثاني بعقد الإنقطاع وبالثالث المملوكة بتملك عينها والرابع المملوكة بتملك منفعتها .

وجوهه وما يجوز فيه التصرف والتقلب من وجوه الفريضة والنافلة .

رسالته (ع) في الغنائم ووجوب الخمس

فهمتُ ما ذكرت أنك اهتممت به من العلم بوجوه مواضع ما لله فيه رضى وكيف أمسك سهم ذي القربى منه . وما سألتني من إعلامك ذلك كله فاسمع بقلبك وانظر بعقلك . ثم أعط في جنبك النصف من نفسك ، فإنه أسلم لك غداً عند ربك المتقدم أمره ونهيه إليك . وفقنا الله وإياك .

إعلم أن الله ربي وربك ، ما غاب عن شيء ، وما كان ربك نسياً ، وما فرط في الكتاب من شيء . وكل شيء فصله تفصيلاً . وأنه ليس ما وضع الله تبارك وتعالى من أخذ ماله بأوضح مما أوضح الله من قسمته إياه في سبله ، لأنه لم يفترض من ذلك شيئاً في شيء من القرآن إلا وقد أتبعه بسبله إياه غير مفرق بينه وبينه . يوجبه لمن فرض له ما لا يزول عنه من القسم كما يزول ما بقي سواه عمن سمي له لأنه يزول عن الشيخ بكبره والمسكين بغناه وابن السبيل بلحقه ببلده . ومع تأكيد الحج مع ذلك بالأمر به تعليماً وبالنهي عما ركب ممن منعه تحرجاً . فقال الله جل وعز في الصدقات - وكانت أول ما افترض الله سبله : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾^(١) . فالله أعلم بنية ﷺ موضع الصدقات وأنها ليست لغير هؤلاء ، يضعها حيث يشاء منهم على ما يشاء . ويكف الله جل جلاله نبيه وأقرباءه عن صدقات الناس وأوساخهم ، فهذا سبيل الصدقات .

وأما المغانم ، فإنه لما كان يوم «بدر» قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلاً فله كذا وكذا . ومن أسر أسيراً فله من غنائم القوم كذا وكذا . فإن الله قد وعدني أن يفتح عليّ وأنعمني عسكريهم . فلما هزم الله المشركين وجمعت غنائمهم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله إنك أمرتنا بقتال المشركين وحثتنا عليه وقلت : من أسر أسيراً فله كذا وكذا من غنائم القوم . ومن قتل قتيلاً فله كذا وكذا . إني قتلت قتيلاً - لي بذلك البيئ - وأسرت أسيراً فأعطينا ما أوجبت على نفسك يا رسول الله ، ثم جلس

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٦٠ .

فقام سعد بن عباد^(١) فقال : يا رسول الله ما منعنا أن نصيب مثل ما أصابوا جبن عن العدو ولا زهادة في الآخرة والمغنم . ولكننا تخوفنا إن بعد مكاننا منك فيميل إليك من جند المشركين ، أو يصيبوا منك ضيعة فيميلوا إليك فيصيبوك بمصيبة . وإنك إن تعط هؤلاء القوم ما طلبوا يرجع سائر المسلمين ليس لهم من الغنيمة شيء ، ثم جلس . فقام الأنصاري فقال مثل مقالته الأولى ، ثم جلس . يقول ذلك كل واحد منهما ثلاث مرّات : فصد النبي ﷺ بوجهه فأنزل الله عز وجل : ﴿يسألونك عن الأنفال﴾^(٢) . والأنفال اسم جامع لما أصابوا يومئذ مثل قوله : ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾^(٣) ومثل قوله : ﴿أنما غنمتم من شيء﴾^(٤) ثم قال : ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾^(٥) فاختلفها الله من أيديهم فجعلها لله ولرسوله . ثم قال : ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾^(٦) فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله عليه : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتُمْ بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾^(٧) فاما قوله : ﴿لله﴾ فكما يقول الإنسان : هو لله ولك ولا يقسم الله منه شيء فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة التي قبض بخمسة أسهم . فقبض سهم الله لنفسه ويحيي به ذكره ويورث بعده . وسهماً لقرابته من بني عبد المطلب . فأنفذ سهماً لآيتام المسلمين وسهماً لمساكينهم وسهماً لابن السبيل من المسلمين في غير تجارة ،

(١) كان سعد بن عباد أنصاريًا خزرجيًا من الصحابة ، أحد النقباء في ليلة العقبة ، صاحب راية الأنصار يوم بدر وأمير المؤمنين ﷺ صاحب لواء المهاجرين ، وكان سعد سيداً وجيهاً جواداً له سيادة ورئاسة يعترف له قومه بها . وهو الذي تخلف عن بيعة أبي بكر وخرج من المدينة ولم يرجع إليها إلى أن قتل بحوران من أرض الشام في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر . وابنه قيس بن سعد كان من أصحاب أمير المؤمنين وابنه أبي محمد الحسن ﷺ . وأراد معاوية أن يخدعه ليخذل الحسن ﷺ فلم يمكن له ويش منه .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ١ . والأنفال . جمع نفل - بالتحريك - : الزيادة والغنيمة .

(٣) سورة الحشر ؛ الآية : ٧ .

(٤) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤١ . كذا ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء . .﴾ الآية .

(٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ١ .

(٦) سورة الأنفال ؛ الآية : ١ .

(٧) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤١ .

فهذا يوم بدر ، وهذا سبيل الغنائم التي أخذت بالسيف .

وأما ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب . فإن كان المهاجرون حين قدموا المدينة أعطتهم الأنصار نصف دورهم ونصف أموالهم . والمهاجرون يومئذ نحو مائة رجل . فلما ظهر رسول الله ﷺ على بني قريظة والنضير^(١) وقبض أموالهم قال النبي ﷺ للأنصار : إن شئتم أخرجتم المهاجرين من دوركم وأموالكم وأقسمت لهم هذه الأموال دونكم . وإن شئتم تركتم أموالكم ودوركم وأقسمت لكم معهم . قالت الأنصار : بل اقسم لهم دوننا واتركهم معنا في دورنا وأموالنا فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ - يَعْني يهود قريظة - فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾^(٢) لأنهم كانوا معهم بالمدينة أقرب من أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب . ثم قال : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣) فجعلها الله لمن هاجر من قريش مع النبي ﷺ وصدق . وأخرج أيضاً عنهم المهاجرين مع رسول الله ﷺ من العرب لقوله : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ لأن قريشاً كانت تأخذ ديار من هاجر منها وأموالهم ولم تكن العرب تفعل ذلك بمن هاجر منها ، ثم أثنى على المهاجرين الذين جعل لهم الخمس ويرأهم من النفاق بتصدقهم إياه حين قال : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ لا الكاذبون ، ثم أثنى على الأنصار وذكر ما صنعوا وحبهم للمهاجرين وإيثارهم إياهم وأنهم لم يجدوا في أنفسهم حاجة - يقول : حَزَازَةٌ^(٤) - مما أوتوا - يعني المهاجرين دونهم فأحسن الثناء عليهم فقال : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يوقِ شَحْنَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥) وقد كان رجال اتبعوا النبي ﷺ قد وترهم المسلمون فيما أخذوا من

(١) بنو قريظة - كجهينة - : وبنو النضير - كشرير - : بطنان من اليهود بالمدينة كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وميثاق فنقضوا .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٦ .

(٣) سورة الحشر ؛ الآية : ٨ .

(٤) الحزازة - بالفتح : التعسف في الكلام . وأيضاً : وجع في القلب من غيظ ونحوه .

(٥) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ . والخصاصة : الفقر والحاجة .

أموالهم ، فكانت قلوبهم قد امتلأت عليهم ، فلما حسن إسلامهم استغفروا لأنفسهم مما كانوا عليه من الشرك . وسألوا الله أن يذهب بما في قلوبهم من الغل لمن سبقهم إلى الإيمان . واستغفروا لهم حتى يحلل ما في قلوبهم وصاروا إخواناً لهم . فأنى الله على الذين قالوا ذلك خاصة فقال ، ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾^(١) ، فأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين عامة من قريش على قدر حاجتهم فيما يرى ، لأنها لم تخمس فتقسم بالسوية . ولم يعط أحداً منهم شيئاً إلا المهاجرين من قريش غير رجلين من الأنصار يُقال لأحدهما : سهل بن حنيف^(٢) وللآخر سماك بن خرشة - أبو دجانة^(٣) - فإنه أعطاهما لشدة حاجة كانت بهما من حقه . وأمسك النبي ﷺ من أموال بني قريظة والنضير ما لم يوجف عليه خيل ولا ركاب سبع حوائط لنفسه . لأنه لم يوجف على فذك^(٤) خيل أيضاً ولا ركاب .

(١) سورة الحشر ؛ الآية : ١٠ .

(٢) هو سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي من أصحاب رسول الله وشهد بدرًا والمشاهد كلها . وكان في بدء الإسلام عام الأول من الهجرة يكسر أصنام قومه ليلاً فيحملها إلى امرأة مسلمة من الأنصار لا زوج لها يقول لها : خذي فاحتطي بهذا وكان أمير المؤمنين عليه السلام يذكر ذلك عنه بعد موته متعجباً وروي أنه شهد العقبة وكان هو ممن ثبت مع رسول الله يوم أحد لما انهزم الناس ويايحه على الموت وجعل ينضح يومئذ بالنبل مع رسول الله . فقال رسول الله نبلوا سهلاً فإنه سهل ، وكان من أصحاب أمير المؤمنين الذين رجعوا إليه فصحبته حتى بويع له بالخلافة واستخلفه على المدينة لما خرج عليه إلى البصرة وكان واليه . ثم ولاه على فارس فأخرجته أهل فارس فوجه عليه زياداً فأرضوه وصالحوه وأدوا الخراج . ثم شهد سهل مع علي عليه السلام صفين وكان هو وأخوه عثمان بن حنيف من شرطة الخميس وتوفي بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين وكان من أحب الناس إليه وجزع من موته .

(٣) أبو دجانة - بالضم والتخفيف - سماك بن خرشة بن لؤذان الأنصاري الخزرجي من أصحاب رسول الله عليه السلام ، شهد بدرًا وأحداً وجميع المشاهد وكان بطلاً شجاعاً وله عصابة حمراء يعلم بها في الحرب وقاتل يوم أحد حتى أمعن في الناس وقد كان رسول الله ﷺ أخذ سيفاً بيده وقال عليه السلام : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه أناس فأمسكه عنهم فلم يعطهم إياه فقام إليه أبو دجانة فقال : ما حقه يا رسول الله ؟ قال عليه السلام : أن تضرب به العدو حتى ينحني (أو يشخن) فقال : أنا أخذه بحقه فأعطاه إياه .

(٤) فذك - بالتحريك - قرية من قرى اليهود قرب خيبر بينهما دون مرحلة وهي مما أفاء الله =

وأما خير^(١) فإنها كانت مسيرة ثلاثة أيام من المدينة وهي أموال اليهود ولكنه أوجف عليها خيل وركاب وكانت فيها حرب . فقسمها على قسمة بدر ، فقال الله عز وجل : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٢) فهذا سبيل ما أفاء الله على رسوله مما أوجف عليه خيل وركاب .

وقد قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : ما زلنا نقبض سهمنا بهذه الآية التي أولها تعليم وآخرها تحرج حتى جاء خمس السوس وجندي سابور^(٣) إلى عمر وأنا والمسلمون والعباس عنده ، فقال عمر لنا : إنه قد تتابعت لكم من الخمس أموال فقبضتموها حتى لا حاجة بكم اليوم وبالمسلمين حاجة وخلل ، فأسلفونا حقكم من هذا المال حتى يأتي الله بقضائه من أول شيء يأتي المسلمين . فكففت عنه لأنني لم آمن حين جعله سلفاً لو ألححنا عليه فيه أن يقول في خمسنا مثل قوله في أعظم منه أعني ميراث نبينا ﷺ حين ألححنا عليه فيه . فقال له العباس : لا تغمز في الذي لنا يا عمر ، فإن الله قد أثبت لنا بأثبت مما أثبت به الموارث بيننا . فقال عمر : وأنتم أحق من أرفق المسلمين . وشفعني ، فقبضه عمر . ثم قال : لا والله ما آتيهم ما يقبضنا

= على رسوله . فكانت لرسول الله ﷺ ولم يكن معها أحد فزال عنها حكم الفيء ولزمها حكم الأنفال فلما نزلت ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ أعطاه رسول الله ﷺ فاطمة ؓ وكانت في يدها إلى أن توفي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فأخذها أبو بكر من فاطمة ؓ فلم تزل كذلك حتى صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز فردها إلى محمد بن علي ؓ فلم تزل في أيدي أولاد فاطمة واستغنوا في تلك السنين وحسنت أحوالهم فلما مات عمر بن عبد العزيز انتزعها يزيد بن عبد الملك ثم دفعها السفاح إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؓ ثم أخذها المنصور ثم أعادها المهدي ثم قبضها الهادي ثم ردها المأمون وكانت في أيديهم في زمن المأمون والمعتصم والواثق ثم أخذها المتوكل . وردها المعتضد . وحازها المكتفي . وقيل : إن المقتدر ردها إليهم .

(١) خير : اسم موضع مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير على مشي ثلاثة أيام من المدينة إلى جهة الشام على يسار الماشي . فتحها رسول الله ﷺ في سنة سبع بيد علي بن أبي طالب ؓ .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٧ .

(٣) كانتا مدينتين في نواحي فارس فتحهما المسلمون في خلافة عمر سنة ١٧ .

حتى لحق بالله ، ثم ما قدرنا عليه بعده ثم قال علي عليه السلام : إن الله حرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة فعوضه منها سهماً من الخمس . وحرّمها على أهل بيته خاصة دون قومهم . وأسهم لصغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وفقيرهم وشاهدتهم وغائبهم ولأنهم إنما أعطوا سهمهم لأنهم قرابة نبيهم والتي لا تزول عنهم الحمد لله الذي جعله منا وجعلنا منه . فلم يعط رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الخمس غيرنا وغير حلفائنا وموالينا . لأنهم منا وأعطى من سهمه ناساً لحرم كانت بينه وبينهم معونة في الذي كان بينهم . فقد أعلمتك ما أوضح الله من سبيل هذه الأنفال الأربعة وما وعد من أمره فيهم ونوره بشفاء من البيان وضياء من البرهان ، جاء به الوحي المنزل وعمل به النبي صلى الله عليه وسلم فمن حرف كلام الله أو بدله بعد ما سمعه وعقله فإنما إثم عليه والله حجيجه فيه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

احتجاجه (ع) على الصوفية لما دخلوا عليه فيما ينهون عنه من طلب

دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياباً بيضاً كأنها غرقى البياض فقال له : إن هذا ليس من لباسك . فقال عليه السلام له : اسمع مني وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً إن كنت أنت مت على السنة والحق ولم تمت على بدعة . أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في زمان مقفر جشِب^(١) فإذا أقبلت الدنيا فاحق أهلها بها أبرارها لا فجارها ومؤمنوها لا منافقوها ومسلموها لا كفارها . فما أنكرت يا ثوري ، فوالله - إني لعم ما ترى - ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حق أمرني أن أضعه موضعاً إلا وضعته .

فقال : ثم أتاه قوم ممن يظهر التزهّد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف^(٢) فقالوا : إن صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة . فقال عليه السلام لهم : هاتوا حججكم . فقالوا : إن حججنا من كتاب الله . قال عليه السلام لهم : فادلو بها فإنها أحق ما اتبع وعمل به . فقالوا : يقول الله تبارك وتعالى مخبراً

(١) القفر : خلو الأرض من الماء والكلاء . والجشِب - بفتح فسكون أو كسر - من الطعام الغليظ الخشن .

(٢) التقشف : ترك النظافة والترفة . ضد التمتع .

عن قوم من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾^(١) ، فمدح فعلهم . وقال في موضع آخر : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾^(٢) فنحن نكتفي بهذا . فقال رجل من الجلساء : إنا ما رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تتمتعوا أنتم بها . فقال أبو عبد الله عليه السلام : دعوا عنكم ما لا ينفع به ، أخبروني أيها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه . ومحكمه من متشابهه ، الذي في مثله ضل من ضل وهلك من هلك من هذه الأمة ؟ فقالوا له : بعضه ، فأما كله فلا . فقال عليه السلام لهم : من ههنا أوتيتم . وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ وأما ما ذكرتم من إخبار الله إيانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم لحسن فعالهم ، فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله ، وذلك أن الله جلّ وتقدس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم . وكان نهى تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين ونظراً لكي لا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم ، منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفان ، والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع ، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً فمن ثم قال رسول الله ﷺ : ثمرات ، أو خمس قرص ، أو دنانير ، أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقها الإنسان على والديه ، ثم الثانية على نفسه وعياله ، ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين ، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ، ثم الخامسة في سبيل الله وهو أحسنها أجراً . وقال النبي ﷺ للأنصاري ، حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار - : «لو أعلمتموني أمرهم ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين . ترك صبية صغاراً يتكفون الناس . ثم قال : حدثني أبي أن النبي ﷺ قال : «إبدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى» .

ثم هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم ونهياً عنه ، مفروض من الله العزيز الحكيم قال : ﴿الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(٣) .

-
- (١) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ .
 (٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ٨ .
 (٣) سورة الفرقان ؛ الآية : ٦٧ .

أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى عَيَّرَ ما أراكم تدعون إليه المسرفين . وفي غير آية من كتاب الله يقول : ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). فنهاهم عن الإسراف ، ونهاهم عن التقتير ، لكن أمر بين الأمرين لا يعطي جميع ما عنده ، ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ : «إِنْ أَصْنَفًا مِنْ أُمْتِي لَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ ، رَجُلٌ يَدْعُو عَلَى وَالِدَيْهِ ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى غَرِيمٍ ذَهَبَ لَهُ بِمَالٍ وَلَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى امْرَأَتِهِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَخْلِيَةَ سَبِيلِهَا بِيَدِهِ ، وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي الْبَيْتِ وَيَقُولُ : يَا رَبِّ ارْزُقْنِي وَلَا يَخْرُجْ يَطْلُبُ الرِّزْقَ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : عَبْدِي ! أَوْ لَمْ أَجْعَلْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَى الطَّلَبِ وَالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ بِجَوَارِحِ صَحِيحَةٍ فَتَكُونَ قَدْ أَعْدَرْتَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الطَّلَبِ لَا تَبَاعُ أَمْرِي وَلَكِي لَا تَكُونَ كَلًّا عَلَى أَهْلِكَ فَإِنْ شِئْتَ رَزَقْتُكَ وَإِنْ شِئْتَ قَتَرْتُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مَعْدُورٌ عِنْدِي وَرَجُلٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا فَأَنْفَقَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ يَدْعُو : يَا رَبِّ ارْزُقْنِي ، فَيَقُولُ اللَّهُ : أَلَمْ أَرْزُقْكَ رِزْقًا وَاسِعًا ، أَفَلَا اقْتَصَدْتَ فِيهِ كَمَا أَمَرْتُكَ وَلَمْ تَسْرِفْ وَقَدْ نَهَيْتُكَ ، وَرَجُلٌ يَدْعُو فِي قِطْعَةٍ رَحِمٍ» .

ثم علم الله نبيه ﷺ كيف ينفق وذلك أنه كانت عنده ﷺ أوقية من ذهب ، فكره أن تبیت عنده شيء فتصدق وأصبح ليس عنده شيء . وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو ﷺ حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رقيقاً فأذّب الله نبيه ﷺ بأمره إياه فقال : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾^(٢) يقول : إِنْ النَّاسُ قَدْ يَسْأَلُونَكَ وَلَا يَعْذِرُونَكَ ، فَإِذَا أُعْطِيتَ جَمِيعَ مَا عِنْدَكَ كُنْتَ قَدْ خَسَرْتَ مِنَ الْمَالِ . فهذه أحاديث رسول الله ﷺ يصدّقها الكتاب والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين .

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له : أوصِ فقال : أوصي بالخمس والخمس كثير فإن الله قد رضي بالخمس . فأوصى بالخمس وقد جعل الله عز وجل له الثلث عند موته ولو علم أن الثلث خير له أوصى به .

ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان وأبو ذر رضي الله عنهما فأما سلمان رضي الله عنه فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لستته حتى يحضره عطاؤه من قابل . فقيل له : يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وإنك لا تدري لعلك تموت

(١) في الأنعام ؛ الآية : ١٤١ ، والأعراف ؛ الآية : ٣١ .

(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٩ .

اليوم أو غداً . فكان جوابه أن قال : ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء . أو ما علمتم يا جهلة أن النفس تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت . فأما أبو ذر رضي الله عنه فكانت له نويقات وشويحات يحلبها ، ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم ، أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ كنصيب أحدهم لا يفضل عليهم . ومن أزهّد من هؤلاء ؟ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم .

واعلموا أيها النفر أنني سمعت أبي يروي عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال يوماً : «ما عجب من شيء كعجبي من المؤمن أنه إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له ، فكلمنا يصنع الله عز وجل به فهو خير له» فليت شعري هل يحق فيكم اليوم ما قد شرحنا لكم أم أزيدكم . أو ما علمتم أن الله جل اسمه قد فرض على المؤمنين في أول الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولي وجهه عنهم ومن ولاهم يومئذ دبره فقد تبوأ مقعده من النار ثم حولهم من حالهم رحمة منه فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عز وجل عن المؤمنين ، فنسخ الرجلان العشرة .

وأخبروني أيضاً عن القضاة أجور منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال : أنا زاهد وإنه لا شيء لي فإن قلت : جور ظلمتم أهل الإسلام وإن قلت : بل عدل خصمتم أنفسكم . وحيث تريدون صدقة من تصدق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث ، أخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم ، فعلى من كان يتصدق بكفارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الإبل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضة والنخل والزبيب وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة ، إذا كان الأمر على ما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلا قدمه وإن كان به خصاصة . فبئس ما ذهبتم إليه وحملتكم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وأحاديثه التي يصدقها

الكتاب المنزل ، أوردكم إياها بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي .

وأخبروني أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله جل اسمه ذلك ، وكان عليه السلام يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ولا أحداً من المؤمنين . وداود عليه السلام قبله في ملكه وشدة سلطانه ثم سلطانه ثم يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك مصر ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾^(١) فكان أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم ، وكان عليه السلام يقول الحق ويعمل به فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه . ثم ذو القرنين عبد أحب الله فأحبه ، طوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول بالحق ويعمل به ثم لم نجد أحداً عاب ذلك عليه فتأدبوا أيها النفر بأداب الله عز وجل للمؤمنين واقتصروا على أمر الله ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به وردوا [إلى] علم إلى أهله توجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحل الله فيه مما حرم ، فإنه أقرب لكم من الله وأبعدكم من الجهل . ودعوا الجهالة لأهلها ، فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل وقد قال الله : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾^(٢) .

كلامه (ع) في خلق الإنسان وتركيبه

قال عليه السلام : عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع وأربعة دعائم وأربعة أركان فطبياعه : الدم والمرارة والريح والبلغم ، ودعائمه : العقل ومن العقل الفهم والحفظ . وأركانه النور والنار والروح والماء . وصورته طيبته . فأبصر بالنور وأكل وشرب بالنار وجامع وتحرك بالروح . ووجد طعم الذوق والطعام بالماء فهذا تأسيس صورته . فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكياً فطناً فهماً وعرف فيما هو ومن أين يأتيه ولأي شيء هو ههنا وإلى ما هو صائر ، بإخلاص الوجدانية والإقرار بالطاعة وقد تجري فيه النفس وهي حارة وتجري فيه وهي باردة ، فإذا حلت به الحرارة

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ٥٦ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ٧٦ .

أشر ويطر وارتساح^(١) وقتل وسرق وبهج واستبشر وفجر وزنا وبذخ . وإذا كانت باردة اهتم وحزن واستكان وذبل^(٢) ونسي ، فهي العوارض التي يكون منها الأسقام ولا يكون أقل ذلك إلا بخطيئة عملها فيوافق ذلك من مأكّل أو مشرب في حد ساعات لا تكون تلك الساعة موافقة لذلك المأكّل والمشرب لحال الخطيئة فيستوجب الألم من الوان الأسقام .

ثم قال عليه السلام : بعد ذلك كلاماً آخر : إنما صار الإنسان يأكل ويشرب ويعمل بالنار ويسمع ويشم بالريح ويجد لذة الطعام والشراب بالماء ويتحرك بالروح فلولا أن النار في معدته لما هضمت الطعام والشراب في جوفه ، ولولا الريح ما التهبت نار المعدة ، ولا خرج الثقل من بطنه ولا الروح جاء ولا ذهب . ولولا برد الماء لأحرقت نار المعدة . ولولا النور ما أبصر ولا عقل . والطين صورته . والعظام في جسده بمنزلة الشجر في الأرض . والشعر في جسده بمنزلة الحشيش في الأرض . والعصب في جسده بمنزلة اللحاء على الشجر^(٣) والدم في جسده بمنزلة الماء في الأرض . ولا قوام للأرض إلا بالماء ولا قوام لجسد الإنسان إلا بالدم . والمخ دسم الدم وزبده .

فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض ، لأنه نزل من شأن السماء إلى الدنيا ، فإذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت يرد شأن الآخرة إلى السماء . فالحياة في الأرض والموت في السماء وذلك أنه يفرق بين الروح والجسد ، فردت الروح والنور إلى القدرة الأولى وترك الجسد لأنه من شأن الدنيا . وإنما فسد الجسد في الدنيا لأن الريح تنشف الماء فييبس الطين فيصير رفاتاً ويبلى ويرد كل إلى جوهره الأول وتحركت الروح بالنفس والنفس حركتها من الريح ، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيد بالعقل . وما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيد بالنكراء ، فهذا من صورة ناره وهذا من صورة نوره والموت رحمة من الله لعبده المؤمن ونقمة على الكافر .

والله عقوبتان إحداهما من الروح والأخرى تسليط الناس بعض على بعض ، فما كان من قبل الروح فهو السقم والفقر . وما كان من تسليط فهو النقمة وذلك قول الله

(١) أشر - كعلم - : مرح . ويطر - كعلم طغى بالنعمة فصرفها في غير وجهها .

(٢) ذبل النبات كضرب ونصر - : قل ماؤها وذهب نضارتها . وذبلت بشرته : قل ماء جلده .

(٣) اللحاء - بالكسر - : قشر العود أو الشجر .

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾^(١) من الذنوب .
فما كان من ذنب الروح فعقوبته بذلك السقم والفقر . وما كان من تسليط فهو النقمة .
وكل ذلك عقوبة للمؤمن في الدنيا وعذاب له فيها . وأما الكافر فنقمته عليه في الدنيا
وسوء العذاب في الآخرة . ولا يكون ذلك إلا بذنب من الشهوة . وهي من المؤمن
خطاء ونسيان وأن يكون مستكراً وما لا يطيق وما كان من الكافر فعمد وجحود واعتداء
وحسد وذلك قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾^(٢) .

ومن حكمه (ع)

لا يصلح من لا يعقل . ولا يعقل من لا يعلم . وسوف ينجب من يفهم . ويظفر
من يحلم . والعلم جنة . والصدق عز . والجهل ذل . والفهم مجد والجود نجح .
وحسن الخلق مجلبة للمودة . والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس . والحزم مشكاة
الظن والله ولي من عرفه وعدو من تكلفه . والعاقل غفور والجاهل ختور^(٣) . وإن
شئت أن تكرم فلن . وإن شئت أن تهان فاخشن . ومن كرم أصله لان قلبه . ومن
خشن عنصره غلظ كبده ومن فرط تورط . ومن خاف العاقبة ثبت فيما لا يعلم . ومن
هجم على أمر بغير علم جدد أنف نفسه ، ومن لم يعلم لم يفهم . ومن لم يفهم لم
يسلم . ومن لم يسلم لم يكرم . ومن لم يكرم تهضم . ومن تهضم كان ألوم ومن كان
كذلك كان أخرى أن يندم . إن قدرت أن لا تعرف فافعل . وما عليك إذا لم يش
الناس عليك . وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً ، إن
أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : «لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : رجل يزداد كل
يوم فيها إحساناً ورجل يتدارك منيته بالتوبة» إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل وإن
عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تدهن .
صومعة المسلم بيته يحبس فيه نفسه وبصره ولسانه وفرجه . إن من عرف نعمة الله بقلبه
استوجب المزيد من الله قبل أن يظهر شكرها على لسانه .

ثم قال عليه السلام : كم من مغرور بما أنعم الله عليه . وكم من مستدرج بستر الله

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٩ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٠٩ .

(٣) ختر - كضرب ونصر - ختوراً : خبت وفسد . والختر : الغدر والخديعة .

عليه وكم من مفتون بثناء الناس عليه . إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة
إلاً [ل] أحد ثلاثة : صاحب سلطان جائر . وصاحب هوى . والفساق المعلن . الحب
أفضل من الخوف . والله ما أحب الله من أحب الدنيا والى غيرنا ومن عرف حقنا
وأحبنا فقد أحب الله . كن ذنباً ولا تكن رأساً . قال رسول الله ﷺ من خاف كل
لسانه .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال صلوات الله عليه : من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره .
وقال عليه السلام : إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد
عجز .
وقال عليه السلام : إذا أضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية .
وقال عليه السلام : إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه فإن ثبت لك على
المودة فهو أخوك وإلاً فلا .
وقال عليه السلام : لا تعتد بمودة أحد حتى تغضبه ثلاث مرّات .
وقال عليه السلام : لا تثقن بأخيك كل الثقة ، فإن صرعة الاسترسال لا تستقال^(١) .
وقال عليه السلام : الإسلام درجة . والإيمان على الإسلام درجة . واليقين على
الإيمان درجة . وما أوتي الناس أقل من اليقين .
وقال عليه السلام : إزالة الجبال أهون من إزالة قلب عن موضعه .
وقال عليه السلام : الإيمان في القلب واليقين خطرات .
وقال عليه السلام : الرغبة في الدنيا تورث الغم والحزن . والزهد في الدنيا راحة
القلب والبدن .
وقال عليه السلام : من العيش دار يكرى وخيز يشرى .

(١) الصرعة - بالفتح - : المرة من صرع - وبالضم - المبالغ في الصرع أي من يصرعه الناس
كثيراً والاسترسال : الطمأنينة والاستيناس إلى الغير والثقة فيما يحدثه .

وقال عليه السلام : لرجلين تخاصما بحضرته : أما إنه لم يظفر بخير من ظفر بالظلم .
ومن يفعل السوء بالناس فلا ينكر السوء إذا فعل به .

وقال عليه السلام : التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور والتواصل في السفر
المكاتبه .

وقال عليه السلام : لا يصلح المؤمن إلا على ثلاث خصال : التفقه في الدين ،
وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على النائبة .

وقال عليه السلام : المؤمن لا يغلبه فرجه . ولا يفضحه بطنه .

وقال عليه السلام : صحبة عشرين سنة قرابة .

وقال عليه السلام : لا تصلح الصنيعة إلا عند ذي حسب أو دين . وما أقل من يشكر
المعروف .

وقال عليه السلام : إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ . أو جاهل
فيتعلم ، فأما صاحب سوط وسيف فلا .

وقال عليه السلام : إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال :
عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، عادل فيما يأمر ، عادل فيما ينهى . رفيق بما يأمر ،
رفيق بما ينهى .

وقال عليه السلام : من تعرض لسلطان جائر فأصابته منه بلية لم يؤجر عليها ولم يرزق
الصبر عليها .

وقال عليه السلام : إن الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروه فصارت عليهم
وبالآ . وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فكانت عليهم نعمة .

وقال عليه السلام : صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل .

وقال عليه السلام : ما أقبح الانتقام بأهل الأقدار .

وقيل له : ما المروءة ؟ فقال عليه السلام : لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك من
حيث أمرك .

وقال عليه السلام : أشكر من أنعم عليك . وأنعم على من شكرك ، فإنه لا إزالة للنعم

إذا شكرت ولا إقامة لها إذا كفرت . والشكر زيادة في النعم وأمان من الفقر .

وقال عليه السلام : فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها . وأشد من المصيبة سوء الخلق منها .

وسأله رجل أن يعلمه ما ينال به خير الدنيا والآخرة ولا يطول عليه فقال عليه السلام لا تكذب .

وقيل له : ما البلاغة ، فقال عليه السلام : من عرف شيئاً قل كلامه فيه . وإنما سمي البليغ لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه .

وقال عليه السلام : الدين غم بالليل وذل بالنهار .

وقال عليه السلام : إذا صلح أمر دنياك فاتهم دينك .

وقال عليه السلام : بروا آبائكم يبركم أبناؤكم . وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم .

وقال عليه السلام : من ائتمن خائناً على أمانة لم يكن له على الله ضمان .

وقال عليه السلام لحمران بن أعين^(١) يا حمران انظر من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإن ذلك أقنع لك بما قسم الله لك وأحرى أن تستوجب الزيادة منه عز وجل . واعلم أن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين . واعلم أنه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله والكف عن أذى المؤمنين واغتيالهم . ولا عيش أهنا من حسن الخلق . ولا مال أنفع من القناعة باليسير المعزى . ولا جهل أضر من العجب .

وقال عليه السلام : الحياء على وجهين فمنه ضعف ومنه قوة وإسلام وإيمان .

وقال عليه السلام : ترك الحقوق مذلة وإن الرجل يحتاج إلى أن يتعرض فيها للكذب .

وقال عليه السلام : إذا سلم الرجل من الجماعة أجزأ عنهم . وإذا رد واحد من القوم أجزأ عنهم .

(١) حمران - بن أعين الشيباني الكوفي تابعي مشكور يكنى أبا الحسن وقيل : أبا حمزة من أصحاب الصادقين بل من حواريهما عليه السلام ولقي علي بن الحسين عليه السلام وكان من أكابر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم وكان أحد حملة القرآن وقرأ على أبي جعفر الباقر عليه السلام .

وقال **عليه السلام** : السَّلام تطوع والرد فريضة .

وقال **عليه السلام** : من بدأ بكلام قبل سلام فلا تجيبوه .

وقال **عليه السلام** : إن تمام التحية للمقيم المصافحة . وتمام التسليم على المسافر المعانقة .

وقال **عليه السلام** : تصافحوا ، فإنها تذهب بالسخيمة^(١) .

وقال **عليه السلام** : اتق الله بعض التقى وإن قل . ودع بينك وبينه سترًا وإن رق .

وقال **عليه السلام** : من ملك نفسه إذا غضب وإذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى حرم الله جسده على النار .

وقال **عليه السلام** : العافية نعمة خفيفة إذا وجدت نسيت وإذا عدت ذكرت .

وقال **عليه السلام** : لله في السراء نعمة التفضل وفي الضراء نعمة التطهر .

وقال **عليه السلام** : كم من نعمة الله على عبده في غير أمله . وكم من مؤمل أملًا الخيار في غيره . وكم من ساعٍ إلى حتفه وهو مبطىء عن حظه .

وقال **عليه السلام** : قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً ، ولكل نعمة شكراً ، ولكل عسر يسراً . أصبر نفسك عند كل بلية ورزية في ولد أو في مال ، فإن الله إنما يقبض عاريتَه وهبته ليبلى شكرك وصبرك .

وقال **عليه السلام** : ما من شيء إلا وله حد . قيل : فما حد اليقين ، قال **عليه السلام** : أن لا تخاف شيئاً .

وقال **عليه السلام** : ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال : وقور عند الهزاهز^(٢) ، صبور عند البلاء ، شكور عند الرخاء ، قانع بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ، ولا يتحمل الأصدقاء ، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة .

وقال **عليه السلام** : إن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق أخوه واللين والده .

(١) السخيمة : الضغينة والحقْد في النفس .

(٢) الوقور - للمذكر والمؤنث - : ذو وقار . والهزاهز : الفتن التي يهز الناس .

وقال أبو عبيدة : ادع الله لي أن لا يجعل رزقي على أيدي العباد . فقال ﷺ :
أبى الله عليك ذلك إلا أن يجعل أرزاق العباد بعضهم من بعض . ولكن ادع الله أن
يجعل رزقك على أيدي خيار خلقه ، فإنه من السعادة ولا يجعله على أيدي شرار
خلقه ، فإنه من الشقاوة .

وقال ﷺ : العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق ، فلا تزيده سرعة
السير إلا بعداً .

وقال ﷺ : في قول الله عز وجل : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾^(١) قال : يُطاع فلا
يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

وقال ﷺ : من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخطت نفسه عن الدنيا .

وقال ﷺ : الخائف من لم تدع له الرهبة لساناً ينطق به .

وقيل له ﷺ قوم يعملون بالمعاصي ويقولون : نرجو فلا يزالون كذلك حتى
يأتيهم الموت . فقال ﷺ هؤلاء قوم يترجحون في الأمانى كذبوا ليس يرجون إن من
رجا شيئاً طلبه . ومن خاف من شيء هرب منه .

وقال ﷺ : إنا لنحب من كان عاقلاً عالماً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً
صدوقاً وفيماً^(٢) ، إن الله خص الأنبياء ﷺ بمكارم الأخلاق ، فمن كانت فيه فليحمد
الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله وليسأله إياها قيل له : وما هي ،
قال ﷺ : الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة
وصدق الحديث والبر وأداء الأمانة واليقين وحسن الخلق والمروءة .

وقال ﷺ : من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في
الله وتمنع في الله .

وقال ﷺ : لا يتبع الرجل بعد موته إلا ثلاث خصال : صدقة أجزاها الله له في
حياته فهي تجري له بعد موته . وسنة هدى يعمل بها . وولد صالح يدعو له .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٩٧ .

(٢) الوفي : الكثير الوفاء وأيضاً الذي يعطي الحق ويأخذ الحق والجمع أوفياء كأصدقاء .

وقال ﷺ : إن الكذبة لتنتقض الوضوء إذا توضأ الرجل للصلاة . وتفطر الصيام فقليل له : إنا نكذب . فقال ﷺ ليس هو باللغو ولكنه الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة صلوات الله عليهم ثم قال : إن الصيام ليس من الطعام ولا من الشراب وحده إن مريم ﷺ قالت : ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾^(١) أي صمتاً ، فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تحاسدوا ، ولا تنازعوا ، فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب .

وقال ﷺ : من أعلم الله ما لم يعلم اهتز له عرشه .

وقال ﷺ : إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى الله مؤمناً بذنب أبداً .

وقال ﷺ : من ساء خلقه عذب نفسه .

وقال ﷺ : المعروف كاسمه وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه والمعروف هدية من الله إلى عبده . وليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه . ولا كل من رغب فيه يقدر عليه . ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه . فإذا من الله على العبد جمع له الرغبة في المعروف والقدرة والإذن فهناك تمت السعادة والكرامة للطالب والمطلوب إليه .

وقال ﷺ : لم يستزد في محبوب بمثل الشكر . ولم يستنقص من مكروه بمثل الصبر .

وقال ﷺ : ليس لإبليس جند أشد من النساء والغضب .

وقال ﷺ : الدنيا سجن المؤمن والصبر حصنه . والجنة مأواه . والدنيا جنة الكافر . والقبر سجنه . والنار مأواه .

وقال ﷺ : ولم يخلق الله يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت .

وقال ﷺ : إذا رأيتم العبد يتفقد الذنوب من الناس ، ناسياً لذنبيه فاعلموا أنه قد مكر به .

(١) سورة مريم ؛ الآية : ٢٧ .

وقال عليه السلام : الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم المحتسب . والمعافي الشاكر له مثل أجر المبتي الصابر .

وقال عليه السلام : لا ينبغي لمن لم يكن عالماً أن يعد سعيداً . ولا لمن لم يكن ودوداً أن يعد حميداً . ولا لمن لم يكن صبوراً أن يعد كاملاً . ولا لمن يتقي ملامة العلماء وذمهم أن يرجي له خير الدنيا والآخرة وينبغي للعاقل أن يكون صدوقاً ليؤمن على حديثه وشكوراً ليستوجب الزيادة .

وقال عليه السلام : ليس لك أن تؤمن الخائن وقد جرّبته وليس لك أن تتهم من اتّمنت .

وقيل له : من أكرم الخلق على الله ؟ فقال عليه السلام : أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعة الله . قلت : فمن أبغض الخلق إلى الله ، قال عليه السلام : من يهتم الله . قلت : أحد يهتم الله ، قال عليه السلام نعم من استخار الله فجاءته الخيرة بما يكره فيسخط فذلك يهتم الله . قلت : ومن ، قال : يشكو الله : قلت وأحد يشكوه ، قال عليه السلام نعم ، من إذا ابتلي شكى بأكثر مما أصابه . قلت : ومن ، قال عليه السلام : إذا أعطي لم يشكر وإذا ابتلي لم يصبر . قلت : فمن أكرم الخلق على الله ، قال عليه السلام : من إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر .

وقال عليه السلام : ليس لملول^(١) صديق . ولا لحسود غنى . وكثرة النظر في الحكمة تلفح العقل .

وقال عليه السلام : كفى بخشية الله علماً . وكفى بالإغترار به جهلاً .

وقال عليه السلام : أفضل العبادة العلم بالله والتواضع له .

وقال عليه السلام : عالم أفضل من ألف عابد . وألف زاهد وألف مجتهد .

وقال عليه السلام : إن لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن يعلمه أهله .

وقال عليه السلام : القضية أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة : رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار . ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار . ورجل قضى

(١) الملول : ذو الملل ، صفة بمعنى الفاعل .

بحق وهو لا يعلم فهو في النار . ورجل قضى بحق وهو يعلم فهو في الجنة .
وسئل عن صفة العدل من الرجل ؟ فقال عليه السلام : إذا غص طرفه عن المحارم
ولسانه عن المآثم وكفه عن المظالم .

وقال عليه السلام : كلما حجب الله عن العباد فموضوع عنهم حتى يعرفهموه .
وقال عليه السلام لداود الرقي^(١) : تدخل يدك في فم التين^(٢) إلى المرفق خير لك
من طلب الحوائج إلى من لم يكن له وكان .

وقال عليه السلام : قضاء الحوائج إلى الله وأسبابها - بعد الله - العباد تجري على
أيديهم ، فما قضى الله من ذلك فاقبلوا من الله بالشكر ، وما زوى عنكم^(٣) منها
فاقبلوه عن الله بالرضا والتسليم والصبر فعسى أن يكون ذلك خيراً لكم ، فإن الله أعلم
بما يصلحكم وأنتم لا تعلمون .

وقال عليه السلام : مسألة ابن آدم لابن آدم فتنة ، إن أعطاه حمد من لم يعطه . وإن
رده دم من لم يمنعه .

وقال عليه السلام : إن الله قد جعل كل خير في التزجية .

وقال عليه السلام : إياك ومخالطة السفلة ، فإن مخالطة السفلة لا تؤدي إلى خير .

وقال عليه السلام : الرجل يجزع من الدل الصغير فيدخله ذلك في الدل الكبير .

وقال عليه السلام : أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه . وأشد شيء مؤونة
إخفاء الفاقة . وأقل الأشياء غناءً النصيحة لمن لا يقبلها ومجاورة الحريص . وأرواح
الروح اليأس من الناس . لا تكن ضجراً ولا غلقاً . وذلل نفسك باحتمال من خالفك
ممن هو فوقك ومن له الفضل عليك ، فإنما أقررت له بفضلته لئلا تخالفه . ومن لا
يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه . واعلم أنه لا عز لمن لا يتدلل لله . ولا رفعة

(١) الرقي نسبة إلى الرقة بلدة في غربي بغداد وهو داود بن كثير بن أبي خالد الرقي مولى بني
أسد من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام ثقة وله أصل وكتاب ، عاش إلى زمان
الرضا عليه السلام .

(٢) التين - كسكيت - : الحوت والحية العظيمة كنيته أبو مرداس .

(٣) زواه - من باب رمى - : نحاه ومنعه . وعنه طواه وصرفه . والشيء : جمعه وقبضه .

لمن لا يتواضع لله .

وقال عليه السلام : إن من السنة لبس الخاتم .

وقال عليه السلام : أحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوي .

وقال عليه السلام : لا تكون الصداقة إلاً بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منه . وإلاً فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة : فأولها أن تكون سريره وعلايته لك واحدة . والثانية أن يرى زينك وزينه وشينك وشينه . والثالثة أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال . والرابعة لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات .

وقال عليه السلام : مجاملة الناس ثلث العقل .

وقال عليه السلام : ضحك المؤمن تبسم .

وقال عليه السلام : ما أبالي إلى من ائتمنت خائناً أو مضيعاً .

وقال عليه السلام : للمفضل^(١) أوصيك بست خصال تبلغن شيعتي . قلت : وما هن يا سيدي ؟ قال عليه السلام : أداء الأمانة إلى من ائتمنتك . وأن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك . واعلم أن للأمور أواخر فاحذر العواقب . وأن للأمور بغتات فكن على حذر وإياك ومرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً . ولا تعدن أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه .

وقال عليه السلام : ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة : بر الوالدين برين كانا أو فاجرين . ووفاء بالعهد للبر والفاجر . وأداء الأمانة إلى البر والفاجر .

وقال عليه السلام : إني لأرحم ثلاثة وحق لهم أن يرحموا . عزيز أصابته مذلة بعد العز وغني أصابته حاجة بعد الغنى . وعالم يستخف به أهله والجهلة .

وقال عليه السلام : من تعلق بحب الدنيا تعلق من ضررها بثلاث خصال : همّ لا يفنى وأمل لا يدرك ورجاء لا ينال .

(١) هو أبو عبد الله مفضل بن عمر الجعفي الكوفي من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام بل من شيوخ أصحاب الصادق عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين صاحب رسالة المعروف بتوحيد المفضل المروي عن الصادق عليه السلام .

وقال ﷺ : المؤمن لا يخلق على الكذب ولا على الخيانة . وخصلتان لا يجتمعان في المنافق : سميت حسن^(١) وفقه في سنة .

وقال ﷺ : الناس سواء كأسنان المشط . والمرء كثير بأخيه . ولا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه .

وقال ﷺ : من زين الإيمان الفقه . ومن زين الفقه الحلم . ومن زين الحلم الرفق ومن زين الرفق اللين ، ومن زين اللين السهولة .

وقال ﷺ : من غضب عليك من إخوانك ثلاث مرّات فلم يقل فيك مكروهاً فأعده لنفسك .

وقال ﷺ : يأتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعز من أخ أنيس وكسب درهم حلال .

وقال ﷺ : من وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومن من أساء به الظن . ومن كتم سره كانت الخيرة في يده . وكل حديث جاوز اثنين فاش . وضع أمر أخيك على أحسنه ولا تطلبن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تعجد لها في الخير محملاً .
وعليك بإخوان الصدق . فإنهم عدة عند الرخاء وجنة عند البلاء . وشاور في حديثك الذين يخافون الله . وأحبب الإخوان على قدر التقوى . واتق شرار النساء وكن من خيارهن على حذر وإن أمرنكم بالمعروف فخالفوهن حتى لا يطمعن منكم في المنكر .

وقال ﷺ : المنافق إذا حدث عن الله وعن رسوله كذب . وإذا وعد الله ورسوله أخلف . وإذا ملك خان الله ورسوله في ماله ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَأَعْقِبَهُمْ نِقَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) .

(١) السميت : الطريق والمحجة . . وأيضاً . هيئة أهل الخير وهو المراد هاهنا أي السكينة والوقار .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٧٧ .

(٣) سورة الأنفال ؛ الآية : ٧٢ .

وقال عليه السلام : كفى بالمرء خزيًا أن يلبس ثوباً يشهره ، أو يركب دابة مشهورة قلت : وما الدابة المشهورة ؟ قال عليه السلام : البلقاء ^(١) .

وقال عليه السلام : لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله ويبغض أقرب الخلق منه في الله .

وقال عليه السلام : من أنعم الله عليه نعمة فعرّفها بقلبه وعلم أن المنعم عليه الله فقد أدى شكرها وإن لم يحرك لسانه . ومن علم أن المعاقب على الذنوب ، الله فقد استغفر وإن لم يحرك به لسانه . وقرأ : ﴿إِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ - الآية﴾ ^(٢) .

وقال عليه السلام : حصّلتين مهلكتين : نفّتي الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم . وقال عليه السلام لأبي بصير ^(٣) : يا أبا محمد لا تفتش الناس على أديانهم فتبقى بلا صديق .

وقال عليه السلام : الصفح الجميل أن لا تعاقب على الذنب . والصبر الجميل الذي ليس فيه شكوى .

وقال عليه السلام : أربع من كن فيه كان مؤمناً وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنباً : الصدق . والحياء . وحسن الخلق . والشكر .

وقال عليه السلام : لا تكون مؤمناً حتى تكون خائفاً راجياً . ولا تكون خائفاً راجياً حتى تكون عاملاً لما تخاف وترجو .

وقال عليه السلام : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما خلص في القلوب وصدقته الأعمال .

وقال عليه السلام : إذا زاد الرجل على الثلاثين فهو كهل . وإذا زاد على الأربعين فهو شيخ .

(١) البلقاء : مؤنث الأبلق - كحمراء وأحمر - : الذي كان فيه سواد وبياض .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٤ .

(٣) هو يحيى بن أبي القاسم الأسدي الكوفي المكنى بأبي بصير وأبي محمد المتوفى سنة ١٥٠ إمامي ثقة عدل من أصحاب الإجماع ومن خواص أصحاب الباقرين عليه السلام .

وقال **عليه السلام** : الناس في التوحيد على ثلاثة أوجه : مثبت وناف ومشبّه ، فالنافي مبطل . والمثبت مؤمن . والمشبّه مشرك .

وقال **عليه السلام** : الإيمان إقرار وعمل وثبة . والإسلام إقرار وعمل .

وقال **عليه السلام** : لا تذهب الحشمة^(١) بينك وبين أخيك وأبق منها ، فإن ذهاب الحشمة ذهاب الحياء وبقاء الحشمة بقاء المودة .

وقال **عليه السلام** : من احتشم أخاه حرمت وصلته . ومن اغتمه سقطت حرمة .

وقيل له : خلوت بالعقيق وتعجلت الوحدة . فقال **عليه السلام** : لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك . ثم قال **عليه السلام** : أقل ما يجد العبد في الوحدة الراحة من مداراة الناس .

وقال **عليه السلام** : ما فتح الله على عبد باباً من الدنيا إلا فتح عليه من الحرص مثليه .

وقال **عليه السلام** : المؤمن في الدنيا غريب ، لا يجزع من ذلها ولا يتنافس أهلها في عزها .

وقيل له : أين طريق الراحة ؟ فقال **عليه السلام** : في خلاف الهوى . قيل : فمتى يجد عبد الراحة ؟ ، فقال **عليه السلام** : عند أول يوم يصير في الجنة .

وقال **عليه السلام** : لا يجمع الله لمنافق ولا فاسق حسن السمات والفقّه وحسن الخلق أبداً .

وقال **عليه السلام** : طعم الماء الحياة . وطعم الخبز القوة . وضعف البدن وقوته من شحم الكليتين . وموضع العقل الدماغ . والقسوة والرقّة في القلب .

وقال **عليه السلام** : الحسد حسدان : حسد فتنة وحسد غفلة ، فأما حسد الغفلة فكما قالت الملائكة حين قال الله : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾^(٢) أي اجعل ذلك الخليفة منا ولم يقولوا ، حسداً لأدم من جهة الفتنة والرد والجحود . والحسد الثاني

(١) الحشمة : الحياء . الإنقباض . الغضب . واحتشم : غضب . انقبض : استحيا .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠ .

الذي يصير به العبد إلى الكفر والشرك فهو حسد إبليس في رده على الله وإبائه عن السجود لآدم عليه السلام .

وقال عليه السلام : الناس في القدرة على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك . ورجل يزعم أن الله أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون ، فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك . ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقونه ، ولم يكلفهم ما لا يطيقونه ، فإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ .

وقال عليه السلام : المشي المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويطفىء نوره .

وقال عليه السلام : إن الله يبغض الغني الظلوم .

وقال عليه السلام : الغضب ممحقة لقلب الحكيم ، ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله .

وقال الفضيل بن العياض^(١) : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : أتدري من الشحيح ؟ قلت : هو البخيل ، فقال عليه السلام : الشح أشد من البخل ، إن البخيل يبخل بما في يده ، والشحيح يشح على ما في أيدي الناس وعلى ما في يده حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ، لا يشبع ولا ينتفع بما رزقه الله .

وقال عليه السلام : إن البخيل من كسب مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه .

وقال عليه السلام لبعض شيعته : ما بال أخيك يشكوك ؟ فقال : يشكوني أن استقصيت عليه حقي . فجلس عليه غضباً ثم قال : كأنك إذا استقصيت عليه حقه لم تسئ . أرأيتك ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب ، أخافوا أن يجور الله عليهم ؟ لا .

(١) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الفنديني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة ولد بأبيورد من بلاد خراسان ، من أصحاب الصادق عليه السلام ثقة عظيم المنزلة ، قدم الكوفة وسمع الحديث بها . ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة ١٨٧ ، وقبره بها ، وله كلمات ومواعظ مشهورة ، وكان له ولد يسمى علي بن الفضيل وهو أفضل من أبيه في الزهد والعبادة ، فكان شاباً تقياً من كبار الصالحين .

ولكن خافوا الإستقصاء فسماه الله سوء الحساب ، فمن استقصى فقد أساء .

وقال عليه السلام : كثرة السحت يمحق الرزق .

وقال عليه السلام : سوء الخلق نكد .

وقال عليه السلام : إن الإيمان فوق الإسلام بدرجة ، والتقوى فوق الإيمان بدرجة وبعضه من بعض ، فقد يكون المؤمن في لسانه بعض الشيء الذي لم يعد الله عليه النار وقال الله : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١) . ويكون الآخر هو أفهم لساناً وهو أشد لقاءاً للذنوب وكلاهما مؤمن . واليقين فوق التقوى بدرجة . ولم يقم بين الناس شيء أشد من اليقين . إن بعض الناس أشد يقيناً من بعض ، وهم مؤمنون وبعضهم أصبر من بعض على المصيبة وعلى الفقر وعلى المرض وعلى الخوف ، وذلك من اليقين .

وقال عليه السلام : إن الغنى والعز يجولان ، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه .

وقال عليه السلام : حسن الخلق من الدين ، وهو يزيد في الرزق .

وقال عليه السلام : الخلق خلقان أحدهما نية ، والآخر سجية . قيل : فأيهما أفضل ؟ قال عليه السلام : النية ، لأن صاحب السجية مجبول على أمر ، لا يستطيع غيره ، وصاحب النية يتصبر على الطاعة تصبراً فهذا أفضل .

وقال عليه السلام : إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار إذا اتقوا وإن لم يظهروا التودد بالسنتهم كسرعة اختلاط ماء السماء بماء الأنهار ، وإن بعد ائتلاف قلوب الفجار إذا اتقوا ، وإن أظهروا التودد بالسنتهم كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مذود واحد^(٢) .

وقال عليه السلام : السخي الكريم الذي يُنفق ماله في حق الله .

وقال عليه السلام : يا أهل الإيمان ومحل الكتمان تفكروا وتذكروا عند غفلة الساهين .

وقال المفضل بن عمر : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحساب ؟ فقال عليه السلام :

المال . قلت : فالكرم ؟ قال عليه السلام : التقوى . قلت : فالسؤدد ، قال عليه السلام :

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٣١ .

(٢) المذود - كمنبر - معتلف الدواب .

السخاء ، ويحك أما رأيت حاتم طي^(١) كيف ساد قومه وما كان بأجودهم موضعاً .

وقال عليه السلام : المروءة مروتان ، مروءة الحضر ومروءة السفر ، فأما مروءة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير والنظر في التفقه ، وأما مروءة السفر فبذل الزاد والمزاح في غير ما يسخط الله وقلة الخلاف على من صحبتك وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم .

وقال عليه السلام : اعلم أن ضارب عليّ عليه السلام بالسيف وقتله لو ائتمني واستنصحتني واستشارني ثم قبلت ذلك منه لأدّيت إليه الأمانة .

وقال سفيان : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يجوز أن يزكّي الرجل نفسه ؟ قال : نعم إذا اضطرّ إليه ، أما سمعت قول يوسف : ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾^(٢) . وقول العبد الصالح : ﴿أنا لكم ناصح أمين﴾^(٣) .

وقال عليه السلام : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود تريد وأريد ، فإن اكتفيت بما أريد مما تريد كفيتك ما تريد وإن أبيت إلا ما تريد أتعبتك فيما تريد وكان ما أريد .

قال محمد بن قيس : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفئتين يلتقيان من أهل الباطل : أبيهما السلاح ؟ فقال عليه السلام : بهما ما يكنهما الدرع والخفّتان والبيضة ونحو ذلك .

وقال عليه السلام : أربع لا تجري في أربع : الخيانة ، والغلول ، والسرقه ، والرياء ، لا تجري في حج ، ولا عمرة ، ولا جهاد ، ولا صدقة .

وقال عليه السلام : إن الله يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ولا يعطي الإيمان إلاّ أهل صفوته من خلقه .

وقال عليه السلام : من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال .

(١) هو حاتم بن عبد الله الطائي كان جواداً يضرب به المثل وكان شجاعاً شاعراً . وابنه عدي بن حاتم كان من أصحاب رسول الله وخواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وترجمة حالاته وكلامه في محضر معاوية بعد وفاة علي عليه السلام مشهورة ومذكورة في السير والتواريخ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ٥٥ . والظاهر أن سفيان هو سفيان الثوري المعروف الذي تقدم أنفاً .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ٦٨ .

قيل له : ما كان في وصية لقمان ؟ فقال عليه السلام : كان فيها الأعاجيب وكان من أعجب ما فيها أن قال لابنه : خف الله خيفة لو جثته ببر الثقلين لعذبك ، وأرجو الله رجاءاً لو جثته بذنوب الثقلين لرحمك . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من مؤمن إلا وفي قلبه نوران : نور خيفة ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا .

قال أبو بصير : سألت با عبد الله عليه السلام عن الإيمان ؟ فقال عليه السلام : الإيمان بالله أن لا يعصى ، قلت : فما الإسلام ؟ فقال عليه السلام : من نسك نسكنا وذبح ذبيحتنا .

وقال عليه السلام : لا يتكلم أحد بكلمة هدى فيؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها . ولا يتكلم بكلمة ضلالة فيؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها .

وقيل له : إن النصارى يقولون : إن ليلة الميلاد في أربعة وعشرين من كانون فقال عليه السلام : كذبوا ، بل في النصف من حزيران ويستوي الليل والنهار في النصف من آذار .

وقال عليه السلام : كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين . وكان الذبيح إسماعيل عليه السلام أما سمع قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١) إنما سأل ربه أن يرزقه غلاماً من الصالحين ، فقال في سورة الصافات : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ يعني إسماعيل ، ثم قال : ﴿ وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فمن زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل فقد كذب بما أنزل الله من القرآن .

وقال عليه السلام : أربعة من أخلاق الأنبياء عليهم السلام : البر والسخاء والصبر على النائبة والقيام بحق المؤمن .

وقال عليه السلام : لا تعدن مصيبة أعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله ثواباً بمصيبة ، إنما المصيبة أن يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها .

وقال عليه السلام : إن لله عبداً من خلقه في أرضه يفرع إليهم في حوائج الدنيا والآخرة أولئك هم المؤمنون حقاً آمنون يوم القيامة . ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله

(١) سورة الصافات ؛ الآيات : ١٠٠ - ١٠١ - ١١٢ .

من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه . ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين .

وقال عليه السلام : إن صلة الرحم والبر ليهوئنان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا إخوانكم وبروا إخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب .

قال سفيان الثوري : دخلت على الصادق عليه السلام فقلت له : أوصيني بوصية أحفظها من بعدك ؟ قال عليه السلام : وتحفظ يا سفيان ؟ قلت : أجل يا ابن بنت رسول الله قال عليه السلام : يا سفيان لا مروءة لكذوب . ولا راحة لحسود . ولا إخاء لملوك . ولا خلة لمختال . ولا سؤدد لسيء الخلق . ثم أمسك عليه السلام فقلت : يا ابن بنت رسول الله زدني ؟ فقال عليه السلام : يا سفيان ثق بالله تكن عارفاً . وارضَ بما قسمه لك تكن غنياً . صاحب بمثل ما يصاحبونك به تزدد إيماناً . ولا تصاحب الفاجر فيعلمك من فجوره . وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل . ثم أمسك عليه السلام فقلت : يا ابن بنت رسول الله زدني ؟ فقال عليه السلام : يا سفيان من أراد عزاً بلا سلطان وكثرة بلا إخوان وهيبة بلا مال فلينتقل من ذل معاصي الله إلى عز طاعته . ثم أمسك عليه السلام فقلت : يا ابن بنت رسول الله زدني ؟ فقال عليه السلام : يا سفيان أدبني أبي عليه السلام بثلاث ، ونهاني عن ثلاث : فأما اللواتي أدبني بهن فإنه قال لي : يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم . ومن لا يقيّد ألفاظه يندم . ومن يدخل مداخل السوء يتهم . قلت : يا ابن بنت رسول الله فما الثلاث اللواتي نهاك عنهن ؟ قال عليه السلام : نهاني أن أصاحب حاسد نعمة وشامتاً بمصيبة ، أو حامل نميمة .

وقال عليه السلام : ستة لا تكون في مؤمن : العسر . والنكد . والحسد . واللجاجة . والكذب . والبغي .

وقال عليه السلام : المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه . وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يمسي إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف .

وقال عليه السلام : من رضي بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل . ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته وزكت مكتسبه وخرج من حد العجز .

وقال سفيان الثوري : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت : كيف أصبحت يا ابن رسول الله ؟ فقال عليه السلام : والله إني لمحزون وإني لمشتغل القلب فقلت له : وما

أحزنك ؟ وما أشغل قلبك ؟ فقال عليه السلام : يا ثوري إنه من داخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه . يا ثوري ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل الدنيا إلا أكل أكلته ، أو ثوب لبسته ، أو مركب ركبته ، إن المؤمنين لم يطمثوا في الدنيا ولم يأمنوا قدوم الآخرة دار الدنيا دار زوال ودار الآخرة دار قرار أهل الدنيا أهل غفلة . إن أهل التقوى أخف أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم معونة ، إن نسيت ذكرك . وإن ذكرك أعلموك فأنزل الدنيا كمنزل نزلته فارتحلت عنه ، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس في يدك شيء منه . فكم من حريص على أمر قد شقي به حين أتاه . وكم من تارك لأمر قد سعد به حين أتاه .

وقيل له : ما الدليل على الواحد ؟ فقال عليه السلام : ما بالخلق من الحاجة .

وقال عليه السلام : لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة .

وقال عليه السلام : المال أربعة ألف . واثنا عشر ألف درهم كثر . ولم يجتمع عشرون ألفاً من حلال . وصاحب الثلاثين ألفاً هالك . وليس من شيعتنا من يملك مائة ألف درهم .

وقال عليه السلام : من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله . ولا يحمدهم على ما رزق الله . ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ، فإن رزقه لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كره كاره . ولو أن أحدكم فر من رزقه ، كما يفر من الموت لأدركه رزقه قبل موته ، كما يدركه الموت .

وقال عليه السلام : من شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحمة أذنه ولا يمتدح بنا معلناً . ولا يواصل لنا مغضباً . ولا يخاصم لنا ولياً . ولا يجالس لنا عائياً . قال له مهزم^(١) : فكيف أصنع بهؤلاء المتشيعه ؟ قال عليه السلام : فيهم التمحيص^(٢) وفيهم التمييز وفيهم التنزيل ، تأتي عليهم سنون تفنيهم وطاعون يقتلهم . واختلاف يبددهم . شيعتنا من لا يهرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل وإن مات جوعاً . قلت : فأين أطلب هؤلاء ؟ قال عليه السلام : اطلبهم في أطراف الأرض أولئك الخفيض عيشهم ، المتنقلة دارهم ، الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا . وإن مرضوا لم

(١) هو مهزم بن أبي برزة الأسدي الكوفي من أصحاب الباقر والصادق والكاظم عليه السلام .

(٢) التمحيص : الاختبار والإمتحان . وفيهم التنزيل أي نزول البلية والعذاب .

يعادوا . وإن خطبوا لم يزوجوا . وإن رأوا منكراً أنكروا . وإن خاطبهم جاهل سلّموا . وإن لجأ إليهم ذو الحاجة منهم رحموا . وعند الموت هم لا يحزنون . لم تختلف قلوبهم وإن رأيتهم اختلفت بهم البلدان .

وقال عليه السلام : من أراد أن يطوّل الله عمره فليقم أمره . ومن أراد أن يحطّ وزره فليرخ ستره . ومن أراد أن يرفع ذكره فليحمل أمره .

وقال عليه السلام : ثلاث خصال هنّ أشد ما عمل به العبد : إنصاف المؤمن من نفسه ، ومواساة المرء لأخيه . وذكر الله على كل حال . قيل له : فما معنى ذكر الله على كل حال ؟ قال عليه السلام : يذكر الله عند كل معصية يهمل بها فيحول بينه وبين المعصية .

وقال عليه السلام : الهمز زيادة في القرآن .

وقال عليه السلام : إياكم والمزاح ، فإنه يجر السخيمة ، ويورث الضغينة ، وهو السب الأصغر .

وقال الحسن بن راشد^(١) قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف ، ولكن اذكرها لبعض إخوانك ، فإنك لن تعدم خصلة من أربع خصال : إما كفاية ، وإما معونة بجاه ، أو دعوة مستجابة ، أو مشورة برأي .

وقال عليه السلام : لا تكوننّ دواراً في الأسواق ، ولا تكن شراً دقائق الأشياء بنفسك ، فإنه يكره للمرء ذي الحساب والدين أن يلي دقائق الأشياء بنفسه إلا في ثلاثة أشياء : شراء العقار ، والرقيق ، والإبل .

وقال عليه السلام : لا تكلم بما لا يعينك ودع كثيراً من الكلام فيما يعينك حتى تجد له موضعاً ، فربّ متكلم تكلم بالحق بما يعنيه في غير موضعه فتعب ، ولا تُمارين سفيهاً ولا حليماً ، فإن الحليم يغلبك والسفيه يرديك . واذكر أخاك إذا تغيب بأحسن ما تحب أن يذكرك به إذا تغيب عنه ، فإن هذا هو العمل ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذاً بالإجرام .

(١) هو الحسن بن راشد مولى بني العباس بغدادي كوفي من أصحاب الصادق عليه السلام وأدرك الكاظم عليه السلام وروى عنه أيضاً .

وقال له يونس^(١) : لولائي لكم وما عرّفني الله من حقكم أحب إليّ من الدنيا بحذاقها . قال يونس : فتبيّنت الغضب فيه . ثم قال ﷺ يا يونس قستنا بغير قياس ما الدنيا وما فيها هل هي إلّا سدّ فورة ، أو ستر عورة وأنت لك بمحبّتنا الحياة الدائمة .

وقال ﷺ : يا شيعة آل محمد إنه ليس منا من لم يملك نفسه عند الغضب ولم يحسن صحبة من صحبه ومرافقة من رافقه ، ومصالحة من صالحه ومخالفة من خالفه . يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

وقال عبد الأعلى^(٢) : كنت في حلقة بالمدينة فذكروا الجود ، فأكثروا ، فقال رجل منها يكنى أبا دلين^(٣) : إن جعفرأ وإنه لولا أنه - ضم يده - فقال لي أبو عبد الله ﷺ : تجالس أهل المدينة ؟ قلت : نعم . قال ﷺ فما حدثت بلّغني ؟ فقصصت عليه الحديث ، فقال ﷺ : ويح «أبي دلين» إنما مثله مثل الريشة تمر بها الريح فتطيرها . ثم قال : قال رسول الله ﷺ : كل معروف صدقة وأفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى . وابدأ بمن تعول . واليد العليا خير من السفلى . ولا يلوم الله على الكفاف ، أتظنون أن الله بخيل وترون أن شيئاً أجود من الله . إن الجواد السيد من وضع حق الله موضعه . وليس الجواد من يأخذ المال من غير حله ويضعه في غير حقه ، أما والله إنني لأرجو أن ألقى الله ولم أتناول ما لا يحلّ بي وما ورد عليّ حقّ الله إلّا أمضيه وما بت ليلة قط والله في مالي حقّ لم أوّده .

وقال ﷺ : لا رضاع بعد فطام ، ولا وصال في صيام ، ولا يتم بعد احتلام ، ولا صمت يوم إلى الليل ، ولا تعرب بعد الهجرة ، ولا هجرة بعد الفتح ، ولا طلاق

(١) الظاهر أنه أبو علي يونس بن يعقوب بن قيس البجلي الكوفي من أصحاب الصادق والكاظم والرضا ﷺ ، ثقة ، معتمد عليه من أصحاب الأصول المدونة . مات رحمه الله في أيام الرضا ﷺ بالمدينة وبعث إليه أبو الحسن الرضا ﷺ بحنوطه وكفنه وجميع ما يحتاج إليه .

(٢) هو عبد الأعلى مولى آل سام من أصحاب الصادق ﷺ .

(٣) الصحيح ابن دكين وهو فضل بن دكين المكنى بأبي نعيم كان من أكابر محدثي قدماء الإسلام ، وروى عنه كلا الطائفتين ، ولد سنة ١٣٠ وقدم بغداد فنزل الرميّة ، وتوفي بالكوفة سنة ٢١٠ .

قبل النكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يمين لولد مع والده ، ولا للمملوك مع مولاه ، ولا للمرأة مع زوجها ، ولا نذر في معصية ، ولا يمين في قطيعة .

وقال عليه السلام : ليس من أحد - وإن ساعدته الأمور - بمستخلص غضارة عيش^(١) إلا من خلال مكروه ، ومن انتظر بمعالجة الفرصة مؤجلة الإستقصاء سلبته الأيام فرصته لأن من شأن الأيام السلب وسبيل الزمن الفوت .

وقال عليه السلام : المعروف زكاة النعم ، والشفاعة زكاة الجاه ، والعلل زكاة الأبدان ، والعفو زكاة الظفر ، وما أدَّت زكاته فهو مأمون السلب .

وكان عليه السلام يقول عند المصيبة : « الحمد لله الذي لم يجعل مصيبي في ديني ، والحمد لله الذي لو شاء أن تكون مصيبي أعظم مما كان [ت] والحمد لله على الأمر الذي شاء أن يكون وكان » .

وقال عليه السلام : يقول الله : من استنقذ حيراناً من حيرته سمّيته حميداً وأسكنته جنتي .

وقال عليه السلام : إذا أقبلت دنيا قوم كسواً محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت سلبوا محاسن أنفسهم .

وقال عليه السلام : البنات حسنات ، والبنون نعم ، فالحسنات تثاب عليهن ، والنعمة سأل عنها .

(١) الغضارة - بالفتح - : طيب العيش يقال : إنهم لفي غضارة من العيش ، أي في خير ونخصب .

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

وروى عن الإمام الكاظم الأمين أبي
إبراهيم ويكنى أبا الحسن موسى بن
جعفر عليه السلام في طوال هذه المعاني .

وصيته (ع) لهشام^(١)

وصفته للعقل

إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : ﴿بشّر عباد الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا
الألباب﴾^(٢) .

يا هشام بن الحكم : إن الله عزّ وجلّ أكمل للناس الحجج بالعقول وأفضى
إليهم بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلاء ، فقال : ﴿والحكم إله واحد لا إله إلا هو
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) ، ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ إلى
قوله : ﴿آيات لقوم يعقلون﴾^(٤) . يا هشام قد جعل الله عزّ وجلّ ذلك دليلاً على
معرفته بأن لهم مدبراً ، فقال : ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم

(١) أبو الحكم هشام بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان ممن اتفق الأصحاب على
وثاقته وعظم قدره ورفعة منزلته عند الأئمة عليهم السلام وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين
في الأصول وغيرها ، صحب أبا عبد الله وبعده الكاظم والرضا ، وتوفي سنة ١٧٩
بالكوفة .

(٢) سورة الزمر ؛ الآيتان : ١٧ - ١٨ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآيتان : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٣ .

مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون^(١) وقال : ﴿حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾^(٢) وقال : ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾^(٣) .

يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾^(٤) . وقال : ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾^(٥) .

يا هشام : ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه فقال عز وجل : ﴿ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾^(٦) .

يا هشام : ثم بين أن العقل مع العلم فقال : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾^(٧) .

يا هشام : ثم ذم الذين لا يعقلون فقال : ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾^(٨) وقال : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾^(٩) . وقال : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾^(١٠) . ثم ذم الكثرة فقال : ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾^(١١) .

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢ .

(٢) سورة الزخرف ؛ الآيات : ١-٢-٣ .

(٣) سورة الروم ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ٣٢ .

(٥) سورة القصص ؛ الآية : ٦٠ .

(٦) سورة الصافات ؛ الآيات : ١٣٦-١٣٧-١٣٨ .

(٧) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤٣ .

(٨) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٠ .

(٩) سورة الأنفال ؛ الآية : ٢٢ .

(١٠) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٥ .

(١١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١١٦ .

وقال : ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

يا هشام : ثم مدح القلة فقال : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٢) . وقال : ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾^(٣) . وقال : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٤) .

يا هشام : ثم ذكر أولي الأبواب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية ، فقال : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٥) .

يا هشام : إن الله يقول : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٦) . يعني العقل . وقال : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٧) . قال : الفهم والعقل .

يا هشام : إن لقمان قال لابنه : «تواضع للحق تكن أعقل الناس»^(٨) . يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفيتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكل ، وقيّمها العقل ، ودليلها العلم وسكانها الصبر .

يا هشام : لكل شيء دليل ، ودليل العاقل التفكير ، ودليل التفكر الصمت ، ولكل شيء مطية ، ومطية العاقل التواضع . وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه .

يا هشام : لو كان في يدك جوزة وقال الناس [في يدك] لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة . ولو كان في يدك لؤلؤة ، وقال الناس : إنها جوزة ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة .

يا هشام : ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ، فأحسنهم

-
- (١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٣٧ .
 (٢) سورة سبأ ؛ الآية : ١٣ .
 (٣) سورة ص ؛ الآية : ٢٣ .
 (٤) سورة هود ؛ الآية : ٤٠ .
 (٥) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٩ .
 (٦) سورة ق ؛ الآية : ٣٦ .
 (٧) سورة لقمان ؛ الآية : ١١ .
 (٨) وزاد في الكافي : «وإن الكيس لدى الحق يسير» .

استجابة أحسنهم معرفة لله، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً ، وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

يا هشام : ما من عبد إلا وملكٌ آخذٌ بناصيته ، فلا يتواضع إلا رفعة الله ولا يتعاضم إلا وضعه الله .

يا هشام : إن الله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة ، وأما الباطنة فالعقول .

يا هشام : إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره .

يا هشام : من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان هواه على هدم عقله : من أظلم نور فكره بطول أمله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه ، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه .

يا هشام : كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك .

يا هشام : الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند ربه [وكان الله] آنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة ، وغناه في العيلة ومعزه في غير عشيرة^(١) .

يا هشام : نُصب الخلق لطاعة الله . ولا نجاة إلا بالطاعة . والطاعة بالعلم . والعلم بالتعلم . والتعلم بالعقل يعتقد . ولا علم إلا من عالم رباني . ومعرفة العالم بالعقل .

يا هشام : قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف ، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود .

يا هشام : إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة . ولم يرضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم .

يا هشام : إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك . وإن كان لا

(١) العيلة : الفاقة .

يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

يا هشام : إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض .

يا هشام : إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته .

يا هشام : من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين ، فليتضرع إلى الله في مسأله بأن يكمل عقله ، فمن عقل قنع بما يكفيه ، ومن قنع بما يكفيه استغنى ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً .

يا هشام : إن الله جلّ وعزّ حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(١) حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها^(٢) . إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه . ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً وسره لعلانيته موافقاً ، لأن الله لم يدل على الباطل الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه .

يا هشام : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل . وما تمّ عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى ، الكفر والشر منه مأمونان ، والرشد والخير منه مأمولان ، وفضل ماله مبذول ، وفضل قوله مكفوف ، نصيبه من الدنيا القوت ، ولا يشبع من العلم دهره ، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ، ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر .

يا هشام : من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن برّه بإخوانه وأهله مدّ في عمره .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

(٢) الردى : الهلاك .

يا هشام : لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

يا هشام : كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا .

يا هشام : لا دين لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا عقل له ، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً ، أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة ، فلا تبيعوها بغيرها .

يا هشام : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : «لا يجلس في صدر المجلس إلا رجلٌ فيه ثلاث خصال : يجيب إذا سُئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق» . وقال الحسن بن علي عليه السلام : «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها» . قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها ؟ قال : «الذين قصَّ الله في كتابه وذكرهم ، فقال : ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾»^(١) قال : هم أولوا العقول وقال علي بن الحسين عليه السلام : «مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح . وأدب العلماء زيادة في العقل ، وطاعة ولاة العدل تمام العز واستثمار المال تمام المروءة ، وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة ، وكف الأذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً» .

يا هشام : إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد ما لا يقدر عليه ، ولا يرجو ما يعنف برجائه^(٢) . ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه . وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه يقول : «أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والإكتساب في الفقر والغنى ، وأن تصلوا من قطعكم ، وتعفو عمن ظلمكم ، وتعطفوا على من حرمكم ، وليكن نظركم عبداً ، وصمتكم فكراً ، وقولكم ذكراً ، وطبيعتكم سخاء ، فإنه لا يدخل الجنة بخيل ، ولا يدخل النار سخي» .

يا هشام : رحم الله من استحيا من الله حق الحياء ، فحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وذكر الموت والبلى ، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاه ، والنار محفوفة بالشهوات .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

(٢) التعنيف : اللؤم والتوبيخ والتقريع . والمراد أن العاقل لا يرجو فوق ما يستحقه وما لم يستعده .

يا هشام : من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة .

يا هشام : إن العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه .

يا هشام : وجد في ذوابة^(١) سيف رسول الله ﷺ إن أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه وقتل غير قاتله ، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ومن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً .

يا هشام : أفضل ما يتقرب به إلى الله بعد المعرفة به الصلاة وبر الوالدين ، وترك الحسد والعجب والفخر .

يا هشام : أصلح أيامك ، الذي هو أمامك ، فانظر أي يوم هو وأعد له الجواب ، فإنك موقوف ومسؤول ، وخذ موعظتك من الدهر وأهله ، فإن الدهر طويلة قصيرة فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك ، واعقل عن الله وانظر في تصرف الدهر وأحواله ، فإن ما هو آت من الدنيا ، كما ولّى منها ، فاعتبر بها ، وقال علي بن الحسين عليه السلام : « إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها وبحرها وبرها وسهلها وجبلها عند ولي من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال ، ثم قال عليه السلام : أو لا حر يدع [هذه] اللماظة لأهلها^(٢) - يعني الدنيا - فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ، فإنه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخييس » .

يا هشام : إن كل الناس يبصر النجوم . ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها . وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ، ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها .

يا هشام : إن المسيح عليه السلام قال للحواريين : « يا عبيد سوء يهولكم طول النخلة

(١) الذوابة من كل شيء : أعلاه . ومن السيف : علاقته ، ومن السوط : طرفه ، ومن الشعر ناصيته .

(٢) اللماظة - بالضم - : بقية الطعام في الفم . وأيضاً بقية الشيء القليل ، والمراد بها هنا الدنيا .

وتذكرون شوكرها ومؤونة مراقيها وتنسون طيب ثمرها ومرافقها^(١). كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمدّه ، وتنسون ما تفضون إليه من نعيمها ونورها وثمرها . يا عبيد السوء نقوا القمح وطيبوه وأدقوا طحنه تجدوا طعمه ويهتكم أكله ، كذلك فاخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبه^(٢) ، بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم به ولم يمنعكم منه ريح ننته . كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها . يا عبيد الدنيا بحق أقول لكم : لا تدركون شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون ، فلا تنظروا بالتوبة غداً ، فإن دون غدٍ يوماً وليلة وقضاء الله فيهما يغدو ويروح . بحق أقول لكم : إن من ليس عليه دينٌ من الناس أروح همّاً ممن عليه الدين وإن أحسن القضاء . وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح همّاً ممن عمل الخطيئة وإن أخلص التوبة وأتاب . وإن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس ، يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجمع وتكثر فتحيط بكم . بحق أقول لكم : إن الناس في الحكمة رجлан : فرجلٌ ألقنها بقوله وصدقها بفعله . ورجلٌ ألقنها بقوله وضيعها بسوء فعله ، فشتان بينهما ، فطوبى للعلماء بالفعل ، وويل للعلماء بالقول . يا عبيد السوء اتخذوا مساجد ربكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم . واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى . ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات ، إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حباً للدنيا ، وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا . يا عبيد السوء لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة^(٣) ، ولا بالشعالب الخادعة ولا بالذئاب الغادرة ولا بالأسد العاتية كما تفعل بالفراس . كذلك تفعلون بالناس ، فريقاً تخطفون وفريقاً تخذعون وفريقاً تغدرون بهم . بحق أقول لكم : لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً . كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبكم وقد فسدت قلوبكم . وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنساً . لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة . كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم . يا عبيد الدنيا إنما مثلكم

(١) مؤونة المراقى : شدة الإرتقاء . والمرافق : المنافع وهي جمع مرفق - بالفتح - : ما انتفع به .

(٢) الغب - بالكسر - : العاقبة . وأيضاً بمعنى البعد .

(٣) الحداء - بالكسر - جمع حدأة - كعنبه - : طائر من الجوارح وهو نوع من الغراب يخطف الأشياء .

مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه . يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب ، فإن الله يُحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر^(١) .

يا هشام : مكتوب في الإنجيل طوبى للمتراحمين ، أولئك هم المرحومون يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس ، أولئك هم المقربون يوم القيامة . طوبى للمطهرة قلوبهم ، أولئك هم المتقون يوم القيامة طوبى للمتواضعين في الدنيا ، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة .

يا هشام : قلّة المنطق حكم عظيم . فعليكم بالصمت ، فإنه دعة حسنة وقلّة وزر وخفة من الذنوب . فحصّنوا باب الحلم ، فإن باب الصبر . وإن الله عزّ وجلّ يبغض الضحّاك من غير عجب والمشاء إلى غير أرب . ويجب على الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته ولا يتكبر عليهم . فاستحيوا من الله في سرائركم ، كما تستحيون من الناس في علانيتكم . واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن ، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفع غيبة عالمكم بين أظهركم .

يا هشام : تعلّم من العلم ما جهلت . وعلمّ الجاهل مما علمت . عظم العالم لعلمه ودع منازعته . وصغر الجاهل لجهله ولا تطرده ولكن قرّبه وعلمّه .

يا هشام : إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها . وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : «إن الله عبداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق وإنهم لفصحاء عقلاء ، يستبقون إلى الله بالأعمال الزكية ، لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل . يرون في أنفسهم أنهم أشرار وإنهم لأكياس وأبرار» .

يا هشام : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار .

يا هشام : المتكلمون ثلاثة : فربح وسالم وشاجب^(٢) ، فأما الرابع فالذاكر

(١) الوابل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٢) الشاجب : الهذاء المكثار أي كثير الهذيان وكثير الكلام . وأيضاً الهالك . وهو الأنسب .

الله . وأما السالم فالساكت . وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل ، إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذئ قليل الحياء لا يُبالي ما قال ولا ما قيل فيه . وكان أبو ذر - رضي الله عنه - يقول : «يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خيرٍ ومفتاح شرٍ ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك» .

يا هشام : بش العبد عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يُطري أخاه إذا شاهده ويأكله إذا غاب عنه ، إن أُعطي حسده ، وإن ابتلي خذله . إن أسرع الخير ثواباً البر . وأسرع الشر عقوبة البغي . وإن شرَّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه . وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم . ومن حُسن المرء ترك ما لا يعنيه .

يا هشام : لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً . ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

يا هشام : قال الله جلُّ وعزَّ : وعزَّتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوي في مكاني لا يؤثر عبدٌ هواي على هواه إلا جعلت الغنى في نفسه . وهمه في آخرته . وكففت عليه [في] ضيعته . وضمنت السماوات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر .

يا هشام : الغضب مفتاح الشر . وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل .

يا هشام : عليك بالرفق ، فإن الرفق يمن والخرق شؤمٌ ، إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق .

يا هشام : قول الله : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾^(١) جرت في المؤمن والكافر والبر والفاجر . من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به . وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك . فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالإبتداء .

يا هشام : إن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل ، يحذرهما

(١) سورة الرحمن ؛ الآية : ٦٠ .

الرَّجَال ذُوو الْعُقُول وَيَهْوِي إِلَيْهَا الصَّبِيَّان بِأَيْدِيهِمْ .

يا هشام : اصبر على طاعة الله واصبر عن معاصي الله ، فإنما الدُّنيا ساعة ، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً . وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت .

يا هشام : مثل الدُّنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله .

يا هشام : إِيَّاكَ والكبر ، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . الكبر رداء الله ، فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه .

يا هشام : ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل حسناً استزاد منه . وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه .

يا هشام : تمثلت الدُّنيا للمسيح ﷺ في صورة امرأة زرقاء فقال لها : كم تزوجت ؟ فقالت : كثيراً ، قال : فكل طلقك ؟ قالت : لا بل كلاً قتلت . قال المسيح ﷺ : فويح لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بالماضين .

يا هشام : إن ضوء الجسد في عينه ، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله . وإن ضوء الروح العقل ، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه . وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين . وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة ، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنيّة الصّادقة : ولا تثبت النية الصّادقة إلا بالعقل .

يا هشام : إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا^(١) . فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، لأن الله جعل التواضع آلة العقل وجعل التكبر من آلة الجهل ، ألم تعلم أن من شمع إلى السقف برأسه شجّه . ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكّنه . وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله . ومن تواضع لله رفعه .

يا هشام : ما أقبح الفقر بعد الغنى . وأقبح الخطيئة بعد النسك . وأقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته .

(١) الصفا : الحجر الصلد الضخم .

يا هشام : لا خير في العيش إلا لرجلين : لمستمع واع . وعالم ناطق .

يا هشام : ما قسم بين العباد أفضل من العقل . نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وما بعث الله نبياً إلا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين . وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه .

يا هشام : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه ، فإنه يُلقى الحكمة . والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

يا هشام : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لعبادي : لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّهم عن ذكرى وعن طريق محبتي ومناجاتي ، أولئك قطاع الطريق من عبادي ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم .

يا هشام : من تعظم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض . ومن تكبر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله ومن ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشده .

يا هشام : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود حذر ، فأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات ، فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني .

يا هشام : إياك والكبر على أوليائي والإستطالة بعلمك فيمقتك الله ، فلا تنفعل بعد مقتته دنياك ولا آخرتك . وكن في الدنيا كساكن دار ليست له ، إنما ينتظر الرحيل .

يا هشام : مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة . ومشاورة العاقل الناصح يُمنّ وبركة ورشد وتوفيق من الله ، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب .

يا هشام : إياك ومخالطة الناس والأنس بهم إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية^(١) . وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله . وإذا تفرّد له بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره . وإذا مرّ بك أمران لا تدري أيهما خير وأصوب ، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه ، فإن

(١) الضاري : الحيوان السبع ، من ضر الكلب بالصيد يضرو : تعودوه وأولع به .

كثير الصواب في مخالفة هواك . وإياك أن تغلب الحكمة وتضعها في الجهالة . قال هشام : فقلت له : فإن وجدت رجلاً طالباً له غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقى إليه ؟ قال عليه السلام : فتلف له في النصيحة ، فإن ضاق قلبه [فـ] لا تعرضن نفسك للفتنة . واحذر رد المتكبرين ، فإن العلم يذل على أن يملأ على من لا يفقه^(١) . قلت : فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها ؟ قال عليه السلام : فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظمة فتنة الرد . واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمتهم ومجده . ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده . ولم يفرج المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته . فما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه ، فكيف بمن يؤذى فيه . وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه ، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوة الخلق فيه .

يا هشام : من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه وما أوتي عبد علماً فازداد للدنيا حباً إلا ازداد من الله بعداً وازداد الله عليه غضباً .

يا هشام : إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به . وأكثر الصواب في خلاف الهوى . ومن طال أمله ساء عمله .
يا هشام : لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل .

يا هشام : إياك والطمع . وعليك باليأس مما في أيدي الناس . وأمت الطمع من المخلوقين ، فإن الطمع مفتاح للذل واختلاس العقل واختلاق المروات . وتدنيس العرض . والذهاب بالعلم وعليك بالإعتصام بربك والتوكل عليه وجاهد نفسك لتردها عن هواها ، فإنه واجب عليك كجهاد عدوك . قال هشام : فقلت له فأبي الأعداء أوجبهم مجاهدة ؟ قال عليه السلام : أقربهم إليك وأعداهم لك وأضرهم بك وأعظمهم لك عداوة وأخفاهم لك شخصاً مع دنوه منك . ومن يحرض أعداءك عليك وهو إبليس الموكل بوسواس [من] القلوب فله فلتشتد عداوتك . ولا يكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته ، فإنه أضعف منك ركناً في قوته^(٢) وأقل منك ضرراً في كثرة شره . إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم .

(١) الإفاقة : الرجوع عن الكسر والإغماء والغفلة إلى حال الإستقامة .

(٢) الركن : العز والمنعة . وأيضاً : ما يقوى به . والأمر العظيم . أي لا يكون صبره في المجاهدة أقوى منك فمع قوته وكثرة شره أضعف منك ركناً وضرراً .

يا هشام : من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له : عقل يكفيه مؤونة هواه . وعلم يكفيه مؤونة جهله وغنى يكفيه مخافة الفقر .

يا هشام : احذر هذه الدنيا واحذر أهلها ، فإن الناس فيها على أربعة أصناف : رجلٌ متردي معانق لهواه . ومتعلم مقري كلما ازداد بعلماً ازداد كبراً ، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه . وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته يحب أن يعظم ويوقر . وذو بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به ، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرف [هـ] فهو محزون ، مغموم بذلك ، فهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلاً .

يا هشام : إعرف العقل وجنده ، والجهل وجنده تكن من المهتدين ، قال هشام : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا ؟ .

فقال عليه السلام : يا هشام : إن الله خلق العقل وهو أول خلق خلقه الله من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر ، فأدبر . ثم قال له . أقبل ، فأقبل فقال الله جل وعز : خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي . ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني ، فقال له : أدبر . فأدبر . ثم قال له : أقبل ، فلم يقبل . فقال له : استكبرت فلعنه . ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً ، فلما رأى الجهل ما كرّم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يا ربّ هذا خلق مثلي خلقتة وكرمتة وقوّته وأنا ضده ولا قوّة لي به أعطني من الجند مثل ما أعطيتة ؟ فقال تبارك وتعالى : نعم ، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جوارى ومن رحمتي ، فقال : قد رضيت . فأعطاه الله خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين جنداً : الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل .

جنود العقل والجهل

الإيمان	الكفر	التصديق	التكذيب	الإخلاص	النفاق	الرجاء	القنوط
العدل	الجور	الرضى	السخط	الشكر	الكفران	اليأس	الطمع
التوكل	الحرص	الرأفة	الغلظة	العلم	الجهل	العفة	التهاك
الزهد	الرغبة	الرفق	الخرق	الرغبة	الجرأة	التواضع	الكبر

التؤدة ^(١)	العجلة	الحلم	السُّفه	الصمت	الهذر ^(٢)	الإستسلام	الإستكبار
التسليم	التجبر	العفو	الحقد	الرحمة	القسوة	اليقين	الشك
الصبر	الجزع	الصفح	الانتقام	الغنى	الفقر	التفكر	السهو
الحفظ	النسيان	التواصل	القطيعة	القناعة	الشره	المؤاساة	المنع
المودة	العداوة	الوفاء	الغدر	الطاعة	المعصية	الخضوع	التطاؤل ^(٣)
السلامة	البلاء	الفهم	الغباوة	المعرفة	الإنكار	المداراة	المكاشفة
سلامة الغيب	المماكرة	الكتمان	الإفشاء	البر	العقوق	الحقيقة	التسويق ^(٤)
المعروف	المنكر	التقية	الإذاعة	الإنصاف	الظلم	التقى	الحسد
النظافة	القدر	الحياء	القحة ^(٥)	القصد	الإسراف	الراحة	التعب
السهولة	الصعوبة	العافية	البلوى	القوام	المكاثرة ^(٦)	الحكمة	الموى
الوقار	الخفة	السعادة	الشقاء	التوبة	الإصرار	المحافظة	التهاون
الدعاء	الاستكاف	النشاط	الكسل	الفرح	الحزن	الألفة	الفرقة
السخاء	البخل	الخشوع	العجب	صون الحديث	النميمة	الاستغفار	الاغترار
الكياسة	الحمق						

يا هشام : لا تجمع هذه الخصال إلا لنبي أو وصي أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، وأما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وفقنا الله وإياكم لطاعته .

ومن حكمه (ع)

روي عنه عليه السلام أنه قال : صلاة النوافل قربانٌ إلى الله لكل مؤمن . والحق جهاد

- (١) التؤدة - بالضم - : الرزاة والتأني ، يقال : تؤد في الأمر أي تأني وتمهل .
- (٢) الهذر - بالتحريك - : الهذيان والكلام الذي لا يعاب به ، يقال : هذر فلان في منطقه تكلم بما لا ينبغي .
- (٣) التطاول : التكبر والترفع .
- (٤) التسويق : المطل والتأخير .
- (٥) القح - بالضم - الجافي ، والقحة كعدة : الوقاحة وقلة الحياء .
- (٦) القوام - بالفتح - : العدل والإعتدال . والمكاثرة : المفاخرة والمغالبة في الكثرة بالمال أو العدد .

كل ضعيف . ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد صيام النوافل . وأفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج . ومن دعا قبل الشاء على الله والصلاة على النبي ﷺ كان كمن رمى بسهم بلا وتر . ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية ، وإن عال أمرىء اقتصد ، والتدبير نصف العيش ، والتوؤد إلى الناس نصف العقل ، وكثرة الهم يورث الهم ، والعجلة هي الخرق ، وقلة العيال أحد اليسارين ، ومن أحزن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب بيده على فخذ ، أو ضرب بيده الواحدة على الأخرى عند المصيبة فقد حبط أجره ، والمصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي دين أو حسب ، والله ينزل المعونة على قدر المؤونة ، وينزل الصبر على قدر المصيبة ، ومن اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ، ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة ، وأداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق ، وإذا أراد الله بالذرة شراً أثبت لها جناحين فطارت فأكلها الطير ، والصنيعة لا تتم صنيعة عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثة أشياء : تصغيرها وسترها وتعجيلها ، فمن صغر الصنيعة عند المؤمن فقد عظم أخاه ، ومن عظم الصنيعة عنده فقد صغر أخاه ، ومن كتم ما أولاه من صنيعة فقد كرم فعاله ، ومن عجل ما وعد فقد هنىء^(١) العطية .

ومن كلامه (ع) مع الرشيد في خبر طويل ذكرنا موضع الحاجة إليه

دخل إليه وقد عمد على القبض عليه ، لأشياء كذبت عليه عنده ، فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهب وشنعة^(٢) نسبها إلى شيعته [فقرأه] ثم قال له : يا أمير المؤمنين نحن أهل بيت منينا بالتقول علينا ، وربنا غفور ستور ، أبى أن يكشف أسرار عباده إلا في وقت محاسبته : ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(٣) .

ثم قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن علي ، عن النبي صلوات الله عليهم : الرحم إذا مسّت الرحم اضطربت ثم سكنت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن تمسّ رحمي رحمه ويصافحني فعل . فتحول عند ذلك عن سريرته ومدّ يمينه إلى موسى عليه السلام فأخذ يمينه ، ثم ضمه إلى صدره ، فاعتنقه وأقعدته عن يمينه وقال : أشهد أنك صادق وأبوك

(١) هنىء الطعام - من باب علم - تهناً به أي ساغ له الطعام ولذ .

(٢) الشنعة - بالضم - الفظاعة والقباحة . (٣) سورة الشعراء ؛ الآية : ٨٨ .

صَادِقٌ وَجَدَّكَ صَادِقٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَادِقٌ . وَلَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنَا أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكَ حَنَقًا^(١) وَغَضَبًا لَمَّا رَقِيَ إِلَيَّ فِيكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ بِمَا تَكَلَّمْتَ وَصَافَحْتَنِي سَرَّيْ عَنِي وَتَحَوَّلَ غَضَبِي عَلَيْكَ رَضِيَ . وَسَكَتَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنِ الْعَبَّاسِ وَعَلَيَّ بِمَا صَارَ عَلَيَّ أَوْلَى بِمِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَبَّاسِ ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَنُو أَبِيهِ ؟ فَقَالَ لَهُ مُوسَى ﷺ : : أَعْفَنِي . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَعْفِيكَ ، فَأَجْبِنِي . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَعْفَنِي فَأَمْنِي قَالَ : آمَنْتُكَ ، قَالَ مُوسَى ﷺ : : إِنْ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُوْرَثْ مِنْ قَدَرٍ عَلَى الْهَجْرَةِ فَلَمْ يَهَاجِرْ ، إِنْ أَبَاكَ الْعَبَّاسُ آمَنَ وَلَمْ يَهَاجِرْ ، وَإِنْ عَلِيًّا ﷺ آمَنَ وَهَاجَرَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا﴾^(٢) فَالْتَمَعَ لَوْنُ هَارُونَ وَتَغَيَّرَ . وَقَالَ : مَا لَكُمْ لَا تَنْسَبُونَ إِلَيَّ عَلَيَّ وَهُوَ أَبُوكُمْ وَتَنْسَبُونَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَدُّكُمْ ؟ فَقَالَ مُوسَى ﷺ : : إِنْ اللَّهُ نَسَبَ الْمَسِيحَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ إِلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِأُمِّهِ مَرْيَمَ الْبَكْرَةَ الْبَتُولَ الَّتِي لَمْ يَمْسَسْهَا بَشَرٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) فَنَسَبَهُ بِأُمِّهِ وَحَدَّاهَا إِلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، كَمَا نَسَبَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﷺ بِأَبَائِهِمْ وَأُمِّهَاتِهِمْ فَضِيلَةَ لِعِيسَى ﷺ وَمَنْزِلَةَ رَفِيعَةَ بِأُمِّهِ وَحَدَّاهَا . وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ ﷺ : ﴿إِنْ اللَّهُ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) بِالْمَسِيحِ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ . وَكَذَلِكَ اصْطَفَى رَبَّنَا فَاطِمَةَ ﷺ وَطَهَّرَهَا وَفَضَّلَهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ - وَقَدْ اضْطَرَبَ وَسَاءَ مَا سَمِعَ - : مِنْ أَيْنَ قُلْتُمْ الْإِنْسَانَ يَدْخُلُ الْفَسَادُ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ وَمِنْ قَبْلِ الْأَبَاءِ لِحَالِ الْخُمُسِ الَّذِي لَمْ يَدْفَعْ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ مُوسَى ﷺ : : هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَا سَأَلَ عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ السَّلَاطِينِ غَيْرِكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَلَا تِيمٍ وَلَا عَدِيٍّ وَلَا بَنُو أُمِّيَّةٍ وَلَا سُئِلَ عَنْهَا أَحَدٌ مِنْ آبَائِي فَلَا تُكْشِفْنِي عَنْهَا . قَالَ : فَإِنْ بَلَغْنِي عَنْكَ كَشَفَ هَذَا رَجَعْتَ عَمَّا آمَنْتُكَ . فَقَالَ مُوسَى ﷺ : : لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : : فَإِنْ

(١) الحقن - بالتحريك - شدة الإغتياب .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٧٢ . وقوله : «الْتَمَعَ لَوْنُ هَارُونَ» أي ذهب وتغير .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآيتان : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ٤٢ .

الزندقة قد كثرت في الإسلام وهؤلاء الزنادقة الذين يرفعون إلينا في الأخبار ، هم المنسوبون إليكم ، فما الزنديق عندهم أهل البيت ، فقال عليه السلام : الزنديق هو الراد على الله وعلى رسوله وهم الذين يحادّون الله ورسوله ، قال الله : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ إلى آخر الآية (١) . وهم الملحدون ، عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد فقال هارون : أخبرني عن أول من لحد وتزندق ؟ فقال موسى عليه السلام : أول من ألحد وتزندق في السماء إبليس اللعين ، فاستكبر وافتخر على صفي الله ونجيّه آدم عليه السلام ، فقال اللعين : ﴿ أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٢) فعتا عن أمر ربه وألحد فتوارث الإلحاد ذريته إلى أن تقوم الساعة . فقال : ولإبليس ذرية ؟ فقال عليه السلام : نعم ألم تسمع إلى قول الله : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ (٣) لأنهم يضلون ذرية آدم بزخارفهم وكذبهم ويشهدون أن لا إله إلا الله ، كما وصفهم الله في قوله : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٤) ، أي أنهم لا يقولون ذلك إلا تلقيناً وتأديباً وتسمية . ومن لم يعلم وإن شهد كان شاكاً حاسداً معانداً . ولذلك قالت العرب : « من جهل أمراً عاداه ومن قصّر عنه عابه وألحد فيه » لأنه جاهل غير عالم .

وكان له عليه السلام مع أبي يوسف القاضي (٥) كلام طويل ليس هذا موضعه .

ثم قال الرشيد : بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢ . وسورة ص ؛ الآية : ٧٧ .

(٣) سورة الكهف ؛ الآيتان : ٥٠ - ٥١ .

(٤) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٤ .

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد الصحابي الأنصاري الكوفي قاضي القضاة من علماء دولة الرشيد . صاحب أبي حنيفة ومن أتباعه ، أول من لقب بقاضي القضاة ، وكان يقضي ببغداد وولي القضاء سنة ١٦٦ في أيام خروج الهادي إلى أن توفي سنة ١٨٢ وكان مولده سنة ١١٣ .

فقال عليه السلام : نعم . وأوتي بدواة وقرطاس فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع أمور الأديان أربعة : أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها الأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبت منها كل حادثة وهو إجماع الأمة . وأمر يحتمل الشك والإنكار ، فسييله استيضاح أهله لمتنحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها ، وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله ولا يسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له . وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرش الخدش فما فوقه . فهذا المعروض الذي يُعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عليك صوابه نفيته . فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بينها الله في قوله لنبيه : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١) يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجعله كما يعلمها العالم بعلمه ، لأن الله عدل لا يجور ، يحتاج على خلقه بما يعلمون ، ويدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون . فأجازه الرشيد وردّه والخبر طويل .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه .

وقال سألته عن اليقين ، فقال عليه السلام : يتوكل على الله ويسلم الله ويرضى بقضاء الله ويفوض إلى الله .

وقال عبد الله بن يحيى : كتبت إليه في دعاء « الحمد لله منتهى علمه » فكتب عليه السلام لا تقولن منتهى علمه ، فإنه ليس لعلمه منتهى . ولكن قل : منتهى رضاه .

وسأله رجل عن الجواد ، فقال عليه السلام : إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تسأل عن المخلوقين ، فإن الجواد ، الذي يؤدي ما افترض الله عليه . والبخيل من بخل بما

(١) سورة الانعام ؛ الآية : ١٤٩ .

افترض الله . وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع ، لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك وإن منعك منعك ما ليس لك .

وقال لبعض شيعته : أي فلان ، إتقِ الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك ، أي فلان ، إتقِ الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك . فإن فيه هلاكك .

وقال له وكيله : والله ما خنتك . فقال عليه السلام له خيانتك وتضييعك على مالي سواء والخيانة شرهما عليك .

وقال عليه السلام : إياك أن تمنع في طاعة الله ، فتفتق مثليه في معصية الله .

وقال عليه السلام : المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه .

وقال عليه السلام عند قبر حضره : إن شيئاً هذا آخره لتحقيق أن يزهد في أوله . وإن شيئاً هذا أوله لتحقيق أن يخاف آخره .

وقال عليه السلام : من تكلم في الله هلك . ومن طلب الرئاسة هلك . ومن دخله العجب هلك .

وقال عليه السلام : اشتدت مؤونة الدنيا والدين : فأما مؤونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يعينونك عليه .

وقال عليه السلام : أربعة من الوسواس : أكل الطين . وفت الطين . وتقليم الأظفار بالأسنان . وأكل اللحية . وثلاث يجلين البصر : النظر إلى الخضرة . والنظر إلى الماء الجاري . والنظر إلى الوجه الحسن .

وقال عليه السلام : ليس حسن الجوار كف الأذى . ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .

وقال عليه السلام : لا تذهب الحشمة^(١) بينك وبين أخيك . وأبق منها ، فإن ذهابها ذهاب الحياة .

وقال عليه السلام لبعض ولده : يا بني إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها . وإياك

(١) الحشمة : الإنقباض والإستحياء .

أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها . وعليك بالجد . ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته ، فإن الله لا يعبد حق عبادته . وإياك والمزاح ، فإنه يذهب بنور إيمانك ويستخف مروتك . وإياك والضحجر والكسل ، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة .

وقال عليه السلام : إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه .

وقال عليه السلام : ليس القبلة على الفم إلا للزوجة والولد الصغير .

وقال عليه السلام : اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات : ساعة لمناجاة الله . وساعة لأمر المعاش . وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن . وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدر على الثلاث ساعات . لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر ، فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل . ومن حدثها بطول العمر يحرص . اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروة وما لا سرف فيه . واستعينوا بذلك على أمور الدين فإنه روي «ليس منا من ترك دينه أو ترك دينه لدينه» .

وقال عليه السلام : تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا . وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب . ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً .

وقال عليه السلام لعلي بن يقطين^(١) كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان .

وقال عليه السلام : كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون .

وقال عليه السلام : إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر وعليك الشكر . وإذا كان جائراً كان عليه الوزر وعليك الصبر .

(١) هو علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد كوفي الأصل سكن بغداد من أصحاب الإمام الصادق والكاظم عليه السلام . ولد بالكوفة سنة ١٢٤ وتوفي ببغداد سنة ١٨٢ وسنه يومئذ ٥٧ وله كتب منها كتاب ما سأل عن الصادق عليه السلام من الملاحم وكتاب مناظرة الشاك بحضرته .

وقال أبو حنيفة^(١) حججت في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه إذ خرج صبي يدرج ، فقلت : يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم ؟ قال : على رسلك^(٢) . ثم جلس مستنداً إلى الحائط . ثم قال : توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية المساجد وقارعة الطريق^(٣) . وتوار خلف جدار وشل ثوبك . ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها . وضع حيث شئت فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له : ما اسمك ؟ فقال : أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فقلت له يا غلام ممن المعصية . فقال عليه السلام : إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث : إما أن تكون من الله - وليست منه - فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب . وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف . وإما أن تكون من العبد - وهي منه - فإن عفا بكرمه وجوده . وإن عاقب فبذنب العبد وجريته . قال أبو حنيفة : فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله عليه السلام واستغنيت بما سمعت .

وقال له أبو أحمد الخراساني : الكفر أقدم أم الشرك ، فقال عليه السلام له : مالك ولهذا ما عهدي بك تكلم الناس . قلت : أمرني هشام بن الحكم أن أسألك . [ف]قال : قل له : الكفر أقدم ، أول من كفر إبليس عليه السلام واستكبر وكان من

(١) هو نعمان بن ثابت بن زوطى أحد الأئمة الأربعة كان جده من الفرس من موالي تيم الله بن ثعلبة فمسه الرق فاعتنق الإسلام فكان أبو حنيفة من أبناء الفرس ولد سنة ٨٠ بالكوفة وكان خزازاً يبيع الخز صاحب الرأي والقياس والفتاوي المعروفة في الفقه ولقلة علمه وعدم تفقهه قال بالقياس والإستحسان حتى أنه قاس في أمور معاشه أيضاً وهو أول من قاس في الإسلام وأجاز وضع الحديث على وفق مذهبه وعدوه أيضاً من المرجئة الذي يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ، رد على رسول الله ﷺ أربعمئة حديث أو أكثر فقال : لو أدركني رسول الله لأخذ بكثير من قولي ونقل الخطيب في تاريخ بغداد بعضها ويُعاب عليه أيضاً بعدم علمه بقواعد العربية . مات سنة ١٥٠ واتفق أنه في يوم وفاته وُلد الشافعي ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد مشهور معروف عند العامة بالإمام الأعظم .

(٢) الرسل والرسلة : الرفق والتمهل . يقال على رسلك يا رجل أي على مهلك .

(٣) قارعة الطريق : أعلاه ومعظمه وهي موضع قرع المارة .

الكافرين^(١) والكفر شيء واحد والشرك يثبت واحداً ويشرك معه غيره .

ورأى رجلان يتسابان فقال عليه السلام : البادي أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتد المظلوم .

وقال عليه السلام : ينادي مناد يوم القيامة : ألا من كان له على الله أجر فليأت ، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله .

وقال عليه السلام : السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة . وما بعث الله نبياً إلا سخيّاً . وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى .

وقال السندي بن شاهك - وكان الذي وكله الرشيد بحبس موسى عليه السلام - لما حضرته الوفاة : دعني أكفئك . فقال عليه السلام : إنا أهل بيت ، حج صرورتنا^(٢) ومهور نسائنا وأكفاننا من طهور أموالنا .

وقال عليه السلام لفضل بن يونس^(٣) أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن أمعة . قلت : وما الأمعة ، قال : لا تقل أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس . إن رسول الله عليه السلام قال : يا أيها الناس إنما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير^(٤) .

وروي أنه مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر^(٥) ، فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً ، ثم عرض عليه السلام عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له ، فقيل له : يا ابن رسول الله أنزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج ، فقال عليه السلام : عبد من عبيد الله وأخ في كتاب الله وجار في بلاد الله ، يجمعنا وإياه خير الآباء

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٤ .

(٢) الصرور - بالصاد المهلة - الذي لم يتزوج أولم يحج .

(٣) فضل بن يونس الكاتب البغدادي عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم وقال : أصله كوفي تحول إلى بغداد مولى واقفي ووثقه النجاشي وروى الكشي ما يدل على غاية إخلاصه للإمام الكاظم عليه السلام .

(٤) النجد : الطريق الواضح المرتفع .

(٥) دميم المنظر أي قبيح المنظر من دم دمامة : كان حقيراً وقبح منظره .

آدم عليه السلام وأفضل الأديان الإسلام ولعل الدهر يرد من حاجتنا إليه ، فيراننا - بعد الزهو عليه - متواضعين بين يديه ، ثم قال عليه السلام : نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقي بغير صديق .

وقال عليه السلام : لا تصلح المسألة إلا في ثلاثة : في دم منقطع أو غرم مثقل أو حاجة مدقعة .

وقال عليه السلام : عونك للضعيف من أفضل الصدقة .

وقال عليه السلام : تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل .

وقال عليه السلام : المصيبة للصابر واحدة وللجازع إثنان .

وقال عليه السلام : يعرف شدة الجور من حكم به عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام الهمام أبي الحسن
علي بن موسى الرضا عليه السلام في طوال هذه
المعاني .

جوابه (ع) للمأمون في جوامع الشريعة لما سأل جماع ذلك

روي أن المأمون بعث الفضل بن سهل ذا الرياستين^(١) إلى الرضا عليه السلام فقال
له : إني أحب أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسنن ، فإنك حجة الله
على خلقه ومعدن العلم . فدعا الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس ، وقال عليه السلام للفضل :
اكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبنا شهادة أن لا إله إلا الله ، أحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، قيوماً
سميعاً بصيراً ، قوياً ، قائماً ، باقياً نوراً ، عالماً لا يجهل ، قادراً لا يعجز ، غنياً لا
يحتاج عدلاً لا يجور ، خلق كل شيء ، ليس كمثله شيء ، لا شبه له ولا ضد ولا

(١) الفضل بن سهل هذا هو وزير المأمون ومدير أموره لقب بلندي الرياستين لأنه قلد الوزارة
والسيف جميعاً كان مجوسياً فأسلم على يدي المأمون سنة ١٩٠ ، أو يدي يحيى بن
خالد البرمكي . كان عالماً فاضلاً ومن أخبر الناس بعلم النجوم وأكثرهم إصابة في
أحكامه ، قيل ومن إصاباته ما حكم به على نفسه . وكان يتشيع وهو الذي أشار على
المأمون بولاية العهد لأبي الحسن الرضا عليه السلام فلما ندم المأمون من ولاية العهد ثقل
عليه أمر الفضل واحتال عليه وخرج من مرو منصرفاً إلى العراق ودس عليه حتى قتله
غالب السعودي الأسود مع جماعة في حمام سرخس مغافصة سنة ٢٠٢ .

ند ولا كفو . وإنَّ محمداً عبده ورسوله وأمينه وصفوته من خلقه ، سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين ، لا نبي بعده ولا تبديل لملته ولا تغيير . وأن جميع ما جاء به محمد ﷺ أنه هو الحق المبين ، نصدق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه . ونصدق بكتابه الصادق ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١) . وأنه كتابه المهيم على الكتب كلها . وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته . نؤمن بمحكمه ومتشابهه . وخاصه وعامه . ووعده ووعيده . وناسخه ومنسوخه وأخباره لا يقدر واحد من المخلوقين أن يأتي بمثله . وأن الدليل والحجة من بعد علي أمير المؤمنين والقائم بأمور المسلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه ، أخوه وخليفته ووصيه والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، علي بن أبي طالب عليه السلام ، أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، يعسوب المؤمنين وأفضل الوصيين بعد النبيين . وبعده الحسن والحسين عليهما السلام ، واحداً بعد واحد إلى يومنا هذا ، عترة الرسول وأعلمهم بالكتاب والسنة وأعدلهم بالقضية وأولاهم بالإمامة في كل عصر وزمان وأنهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وأن كل من خالفهم ضال مضل ، تارك للحق والهدى . وأنهم المعبرون عن القرآن ، الناطقون عن الرسول بالبيان ، من مات لا يعرفهم ولا يتولاهم بأسمائهم وأسماء آبائهم مات ميتة جاهلية . وأن من دينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والإجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر وطول السجود والقيام بالليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار وبذل المعروف وكف الأذى وبسط الوجه والنصيحة والرحمة للمؤمنين . والوضوء كما أمر الله في كتابه غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين واحد فريضة وإثنان إسباغ ومن زاد أثم ولم يؤجر ولا ينقض الوضوء إلا بالريح والبول والغائط والنوم والجنابة . ومن مسح على الخفين فقد خالف الله ورسوله وكتابه ولم يجز عنه وضوئه وذلك أن علياً عليه السلام خالف القوم في المسح على الخفين . فقال له عمر : رأيت النبي ﷺ يمسح . فقال علي عليه السلام : قبل نزول سورة المائدة أو بعدها ، قال لا أدري قال علي عليه السلام : « لكنني أدري أن رسول الله ﷺ لم يمسح على خفيه مذ نزلت سورة المائدة .

(١) سورة فصلت ؛ الآية : ٤٢ .

والإغتسال من الجنابة والاحتلام والحيض وغسل من غسل الميت فرض .
والغسل يوم الجمعة ، والعيدين ودخول مكة والمدينة ، وغسل الزبارة ، وغسل الإحرام ، ويوم عرفة ، وأول ليلة من شهر رمضان ، وليلة تسع عشرة منه ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين منه سنة .

وصلاة الفريضة : الظهر أربع ركعات ، والعصر أربع ركعات ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء الآخرة أربع ركعات ، والفجر ركعتان ، فذلك سبع عشرة ركعة والسنة أربع وثلاثون ركعة : منها ثمان قبل الظهر ، وثمان بعدها ، وأربع بعد المغرب ، وركعتان من جلوس بعد العشاء الآخرة - تعدّ بواحدة - وثمان في السحر ، والوتر ثلاث ركعات ، وركعتان بعد الوتر ، والصلاة في أول الأوقات ، وفضل الجماعة على الفرد بكل ركعة ألفي ركعة ، ولا تصل خلف فاجر ، ولا تقتدي إلا بأهل الولاية ، ولا تصل في جلود الميتة ، ولا جلود السباع ، والتقصير في أربع فراسخ ، بريد ذاهباً وبريد جائياً ، إثنا عشر ميلاً ، وإذا قصرت أفطرت . والقنوت في أربع صلوات ، في الغداة والمغرب والعتمة ، ويوم الجمعة وصلاة الظهر ، وكل القنوت قبل الركوع ، وبعد القراءة والصلاة على الميت خمس تكبيرات وليس في صلاة الجنائز تسليم لأن التسليم في الركوع والسجود وليس لصلاة الجنائز ركوع ولا سجود ، ويربع قبر الميت ولا يسنم^(١) والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة مع فاتحة الكتاب .

والزكاة المفروضة من كل مائتي درهم خمسة دراهم ولا تجب في ما دون ذلك وفيما زاد في كل أربعين درهماً درهم ولا تجب فيما دون الأربعين شيء ، ولا تجب حتى يحول الحول ، ولا تعطى إلا لأهل الولاية والمعرفة ، وفي كل عشرين ديناراً نصف دينار ، والخمس من جميع المال مرة واحدة ، والعشر من الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وكل شيء يخرج من الأرض من الحبوب إذا بلغت خمسة أوسق ففيه العشر إن كان يسقى سيجاً^(٢) ، وإن كان يسقى بالدوالي ففيه نصف العشر للمعسر والموسر ، وتخرج من الحبوب القبضة والقبضتان ، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها

(١) سنم الشيء : علاه ورفع . والقبر : رفعه عن الأرض وهو خلاف التسطيح . وقبر مسنم أي مرفوع .

(٢) ساح الساء : جرى على وجه الأرض . والدوالي : جمع الدالية وهي الدلو الكبيرة يديرها البقر غالباً .

ولا يكلف العبد فوق طاقته والوسق ستون صاعاً والصاع ستة أرطال وهو أربعة أمداد والمد رطلان وربيع برطل العراقي ، وقال الصادق عليه السلام : هو تسعة أرطال بالعراقي وستة أرطال بالمديني ، وزكاة الفطر فريضة على رأس كل صغير أو كبير : حرّ أو عبد من الحنطة نصف صاع ، ومن التمر والزبيب صاع ، ولا يجوز أن تعطى غير أهل الولاية ، لأنها فريضة .

وأكثر الحيض عشرة أيام وأقله ثلاثة أيام ، والمستحاضة تغتسل وتصلّي ، والحائض تترك الصلّاة ولا تقضي ، وتترك الصيام وتقضيه .

ويصام شهر رمضان لرؤيته ويفطر لرؤيته ، ولا يجوز التراخي في جماعة^(١) وصوم ثلاثة أيام في كل شهر سنة من كل عشرة أيام : يوم الخميس من العشر الأول ، والأربعاء من العشر الأوسط ، والخميس من العشر الآخر ، وصوم شعبان حسن وهو سنة وقال رسول الله ﷺ : «شعبان شهري وشهر رمضان شهر الله» وإن قضيت فائت شهر رمضان متفرقاً أجزءك .

وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً والسبيل زاد وراحلة ، ولا يجوز الحج إلا متمتعاً ، ولا يجوز الأفراد والقران الذي عمله العامة ، والإحرام دون الميقات لا يجوز ، قال الله : ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٢) ولا يجوز في النسك الخصى ، لأنه ناقص ويجوز الموجه^(٣) .

والجهاد مع إمام عادل ، ومن قاتل فقتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد ولا يحل قتل أحد من الكفار في دار التقية إلا قاتل أو باغ وذلك إذا لم تحذر على نفسك ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم . والتقية في دار التقية واجبة . ولا حنث على من حلف تقية يدفع بها ظلماً عن نفسه .

والطلاق بالسنة على ما ذكر الله جلّ وعزّ وسنة نبيه ﷺ ولا يكون طلاق بغير

(١) التراخي : جمع تروiche وهي في الأصل اسم للجلسة مطلقاً ثم سميت بها الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي شهر رمضان لاستراحة الناس بها وسميت أيضاً نفس ركعاتها لأن المصلي يستريح بعد كل أربع ركعات .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٩٦ .

(٣) الخصى : الذي سلت خصيتاه ونزعنا - والمراد الحيوان الذي تذبح في الحج . والموجه - من وجأ يوجأ وجأً - : الحيوان الذي رض عروق بيضته أو رض خصيته لكسر شهوته .

سنة وكل طلاق يخالف الكتاب فليس بطلاق وكل نكاح يخالف السنة فليس بنكاح ، ولا تجمع بين أكثر من أربع حرائر ، وإذا طلقت المرأة ثلاث مرّات للسنة لم تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « اتقوا المطلقات ثلاثاً فإنهن ذوات أزواج » .

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل المواطن عند الرياح والعطاس وغير ذلك .

وحب أولياء الله وأوليائهم وبغض أعدائه والبراءة منهم ومن أئمتهم .

وبر الوالدين وإن كانا مشركين فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً لأن الله يقول : ﴿ اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ * وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ^(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما صاموا لهم ولا صلّوا ولكن أمرهم بمعصية الله فأطاعوهم ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أطاع مخلوقاً في غير طاعة الله جلّ وعزّ فقد كفر واتخذ إلهاً من دون الله » .

وذكاة الجنين ذكاة أمه .

وذنوب الأنبياء صغار موهوبة لهم بالنبوة .

والفرائض على ما أمر الله لا عول فيها ^(٢) ولا يرث مع الوالدين والولد أحد إلا الزوج والمرأة ، وذو السهم أحقّ ممن لا سهم له وليست العصبية من دين الله ^(٣) .

والعقيقة عن المولود الذكر والأنثى يوم السابع ، ويحلق رأسه يوم السابع ، ويسمّى يوم السابع . ويتصدّق بوزن شعره ذهباً أو فضة يوم السابع .

وأن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير ، لا خلق تكوين ، ولا تقل بالجبر ولا بالتفويض . ولا يأخذ الله عزّ وجلّ البريء بجرم السقيم ، ولا يعذب الله الأبناء والأطفال بذنوب الآباء وإنه قال : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ^(٤) . ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ^(٥) والله يغفر ولا يظلم . ولا يفرض الله على العباد طاعة من

(١) سورة لقمان ؛ الآيتان : ١٤ و ١٥ .

(٢) العول : الجور والميل عن الحق أي لا يجوز تركها والميل عنها .

(٣) العصبية - بالتحريك - : أقرباء الرجل لأنهم عصبوا به أي أحاطوا به .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٦٤ . وسورة الإسراء ؛ الآية : ١٦ . وسورة فاطر ؛ الآية : ١٦ .

(٥) سورة النجم ؛ الآية : ٣٩ .

يعلم أنه يظلمهم ويغويهم . ولا يختار لرسالته ويصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان من دونه . وأن الإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . ولا يشرب الشارب حين يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يقتل [النفس] النفس التي حرم الله بغير الحق وهو مؤمن . وأصحاب الحدود لا مؤمنين ولا كافرين . وأن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة والخلود فيها ومن وجبت له النار بنفاق أو فسق أو كبيرة من الكبائر لم يبعث مع المؤمنين ولا منهم . ولا تحيط جهنم إلا بالكافرين . وكل إثم دخل صاحبه بلزومه النار فهو فاسق . ومن أشرك ، أو كفر ، أو نافق ، أو أتى كبيرة من الكبائر ، والشفاعة جائزة للمستشفعين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان واجب .

والإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم . والإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

والتكبير في الأضحى خلف عشر صلوات يبتدىء من صلاة الظهر من يوم النحر وفي الفطر في خمس صلوات يبتدىء بصلاة المغرب من ليلة الفطر .

والنفساء تقعد عشرين يوماً لا أكثر منها ، فإن طهرت قبل ذلك صلت وإلا فإلى عشرين يوماً ، ثم تغتسل وتصلّي وتعمل عمل المستحاضة .

ويؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ، والبعث بعد الموت ، والحساب ، والميزان والصراط . والبراءة من أئمة الضلال وأتباعهم ، والموالاة لأولياء الله ، وتحريم الخمر قليلها وكثيرها ، وكل مسكر خمر ، وكلما أسكر كثيره فقليله حرام ، والمضطر لا يشرب الخمر فإنها تقتله . وتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير . وتحريم الطحال فإنه دم ، والجريّ والطافي والمارماهي والزمير ، وكل شيء لا يكون له قشور . ومن الطير ما لا تكون له قانصة ، ومن البيض كلما اختلف طرفاه فحلال أكله وما استوى طرفاه فحرام أكله ، واجتناب الكبائر ، وهي قتل النفس التي حرم الله ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتامى ظلماً ، وأكل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله من غير ضرورة به ، وأكل الربا والسحت بعد البينة ، والميسر ، والبخس في الميزان والمكيال ، وقذف المحصنات ، والزنا ، واللواط ، والشهادات الزور ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، ومعاونة الظالمين والركون إليهم ،

واليمين الغموس^(١) ، وحبس الحقوق من غير عُسر ، والكبر ، والكفر ، والإسراف ، والتبذير ، والخيانة وكتمان الشهادة ، والملاهي التي تصدُّ عن ذكر الله مثل الغناء وضرب الأوتار ، والإصرار على الصغائر من الذُّنوب ، فهذا أصول الدين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيِّه وآله وسلم تسليماً .

ومن كلامه (ع) في التوحيد

سأله عمران الصابي في مجلس كبير جمع له المأمون فيه متكلمي الملل كلهم المخالفين للإسلام فخصم جميعهم ، والخبر طويل ، والمجلس مشهور . ذكرنا منه ما اقتضاه الكتاب .

قال له عمران الصابي : أخبرني نوَّحد الله بحقيقة ، أم نوَّحدَه بوصف ؟ .

فقال له **عليه السلام** : إن النور البديء^(٢) الواحد الكون الأول واحد لا شريك له ولا شيء معه ، فرد لا ثاني معه . ولا معلوم - ولا مجهول - ولا محكم ولا متشابه ولا مذكور ولا مُنسى ، ولا شيء يقع عليه اسم شيء من الأشياء كلها . فكان البديء قائماً بنفسه ، نور غني مستغن عن غيره ، لا من وقت كان ولا إلى وقت يكون ، ولا على شيء قام ولا إلى شيء استتر ، ولا في شيء استكنَّ ولا يدرك القائل مقالاً إذا خطر بباله ضوء أو مثال أو شبح أو ظل ، وذلك كله قبل الخلق في الحال التي لا شيء فيها غيره ، والحال أيضاً في هذا الموضع ، فإنما هي صفات محدثة وترجمة من متوهم ليفهم . أفهمت يا عمران ؟ . قال : نعم .

قال الرضا **عليه السلام** : إعلم أن التوهم والمشية والإرادة معناها واحد وأسمائها ثلاثة وكان أول توهمه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء وفاصلاً لكل مشكل ولم يجعل في توهمه معنى غير أنفسها متناهي ولا وجود لأنها متوهمة بالتوهم ، والله سابق التوهم ، لأنه ليس قبله شيء ولا كان معه شيء ، والتوهم سابق للحروف فكانت الحروف محدثة بالتوهم ، وكان التوهم ليس قبل الله مذهب ، والتوهم من الله

(١) اليمين الغموس - بفتح الغين - : اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها لأنها تغس صاحبها في الإثم .

(٢) البديء : كبديع لفظاً ومعنى . وفي العيون «إن الله المبديء» .

غير الله ولذلك صار فعل كل شيء غيره وحد كل شيء غيره وصفة كل شيء غير الموصوف وحد كل شيء غير المحدود ، وذلك لأن الحروف إنما هي مقطعة قائمة برؤوسها لا تدل غير نفوسها ، فإذا ألقتها وجمعت منها أحرفاً كانت تدل على غيرها من أسماء وصفات .

واعلم أنه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ، ولا حد لغير محدود ، والأسماء والصفات كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة كما تدل على الوجود الذي هو التربيع والتدوير والتثليث لأن الله يدرك بالأسماء والصفات ولا يدرك بالتحديد ، فليس ينزل بالله شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه معرفتهم لأنفسهم ، ولو كانت صفاته لا تدل عليه وأسماءه لا تدعو إليه لكانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه ، ولو كان كذلك لكان المعبود الواحد غير الله لأن صفاته غيره .

قال له عمران : أخبرني عن التوهم خلق هو أم غير خلق ؟ .

قال الرضا عليه السلام : بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنما صار خلقاً ، لأنه شيء محدث ، الله الذي أحدثه فلما سمى شيئاً صار خلقاً ، وإنما هو الله وخلقه لا ثالث غيرهما ، وقد يكون الخلق ساكناً ومتحركاً ومختلفاً ومؤلفاً ومعلوملاً ومتشابهاً ، وكلما وقع عليه اسم شيء فهو خلق .

ومن كلامه (ع) في الاصطفاء

لما حضر علي بن موسى عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان . فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (١) الآية .

فقالت العلماء : أراد الله الأمة كلها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟ .

فقال الرضا عليه السلام : لا أقول كما قالوا ولكن أقول : أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة عليهم السلام .

وقال المأمون : وكيف عني العترة دون الأمة ؟ .

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٢ .

فقال الرضا عليه السلام : لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة ، لقول الله : ﴿فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾^(١) ثم جعلهم كلهم في الجنة ، فقال عز وجل : ﴿جنات عدن يدخلونها﴾^(٢) فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم . ثم قال الرضا عليه السلام : هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٣) . وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . انظروا كيف تخلفوني فيهما ، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» .

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل ؟

فقال الرضا عليه السلام : هم الآل .

فقال العلماء : فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال : «أمتي آلي» وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه : «آل محمد أمته» .

فقال الرضا عليه السلام : أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد ؟

قالوا : نعم . قال عليه السلام : فتحرم على الأمة ؟ قالوا : لا .

قال عليه السلام : هذا فرق بين الآل وبين الأمة . ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟ ! أما علمتم أنما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟ !

قالوا : من أين قلت يا أبا الحسن ؟ .

قال عليه السلام : من قول الله : ﴿لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾^(٤) فصارت وراثة النبوة والكتاب في

(١) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ٣٣ . وزاد في العيون ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٤) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٦ .

المهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم أن نوحاً سأل ربه ، فقال ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾^(١) وذلك أن الله وعده أن ينجيّه وأهله ، فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿إنه ليس من أهلِكَ إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾^(٢) .

فقال المأمون : فهل فضل الله العترة على سائر الناس .

فقال الرضا عليه السلام : إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه .

قال المأمون : أين ذلك من كتاب الله .

قال الرضا عليه السلام : في قوله تعالى : ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾^(٣) وقال في موضع آخر : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾^(٤) ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(٥) يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهما بقوله : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين والملك ههنا الطاعة لهم .

قالت العلماء : هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب .

فقال الرضا عليه السلام : فسر الاصطفاء في الظاهر ليس سوى الباطن في إثني عشر موضعاً فأول ذلك قوله تعالى : ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾^(٦) - ورهطك المخلصين -

(١) سورة هود ؛ الآية : ٤٥ . وزاد في العيون بقية الآية : ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ .

(٢) سورة هود ؛ الآية : ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآيتان : ٣٢ - ٣٣ .

(٤) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .

(٥) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٦) سورة الشعراء ؛ الآية : ٢١٤ .

هكذا في قراءة أبي بن كعب^(١) وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود^(٢) فلما أمر عثمان زيد بن ثابت^(٣) أن يجمع القرآن خنس هذه الآية وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فهذه واحدة .

والآية الثانية في الاصطفاء قول الله : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ، وهذا الفضل الذي لا يحجده معاند لأنه فضل بين .

(١) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي المكنى بأبي المنذر ويكنى أيضاً بأبي الطفيل من فضلاء الصحابة ، سيد القراء وكان يكتب الوحي شهد بدرًا والعقبة مع السبعين وبايع رسول الله ﷺ وأخى بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وإنه من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته وأرادوا تنزيله عن منبر رسول الله ﷺ وأنكر عليه جلوسه في مجلس رسول الله ﷺ قال له : يا أبا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله ﷺ في وصيته وأول من صدف عن أمره ورد الحق إلى أهله تسلم ولا تتماذى في غيك تستندم وبادر بالإنابة يخف وزرك ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربك فيسألك عما جئت وما ربك بظلام للعبيد . ومات - رحمه الله - في زمن عمر ، فقال عمر : مات اليوم سيد المسلمين .

(٢) هو أبو عبد الرحمان عبد الله بن مسعود بن عامر بن حبيب الهذلي جليل القدر كبير الشأن عظيم المنزلة كان من فقهاء الصحابة وأحد حفاظ القرآن والسنة روي أنه أخذ سبعين سورة من القرآن من في رسول الله ﷺ وأبقيته من أمير المؤمنين عليه السلام . وهو من المعروفين بولاية أهل البيت وشهد الصلاة على فاطمة عليها السلام ودفنها . وكان من الذين أنكروا على أبي بكر خلافته . ونكيره على الثالث وما جرى عليه من الضرب والإهانة مسطور في السير والتواريخ . مات سنة ٣٢ وصلى عليه الزبير بن العوام ودفن بالقيع .

(٣) هو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الأشعري الأنصاري كاتب النبي ﷺ أخو بريد بن ثابت سمع النبي ﷺ وعمره حين قدم المدينة إحدى عشرة سنة وكان يوم بغاث ابن ست سنين وفيها قتل أبوه ثابت بن الضحاك . واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر وشهد أحداً وقيل : لم يشهدها وإنما شهد الخندق أول مشاهدته . وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر وعمر ورمي يوم اليمامة بسهم فلم يضره وقيل : جمع القرآن بأمر أبي بكر بعد مقتل أهل اليمامة وكان على بيت المال لعثمان وكان عثمانياً ولم يشهد مع علي عليه السلام شيئاً من حروبه وإن كان مقرأ بفضله وتعظيمه وقد ورد أحاديث عنه في النص على الأئمة الإثني عشر . وهو الذي جمع عثمان الناس على قرائته . مات في خلافة معاوية وصلى عليه مروان .

والآية الثالثة حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه في آية الابتهاال فقال : ﴿ قل - يا محمد - تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾^(١) فأبرز النبي ﷺ علياً والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فقرن أنفسهم بنفسه . فهل تدرون ما معنى قوله : وأنفسنا وأنفسكم ، قالت العلماء : عنى به نفسه . قال أبو الحسن عليه السلام : غلطتم ، إنما عنى به علياً عليه السلام ، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ حين قال : لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يعني علياً عليه السلام . فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد . وفضل لا يختلف فيه بشر . وشرف لا يسبقه إليه خلق ؛ إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه فهذه الثالثة .

وأما الرابعة : فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة حين تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس ، فقال : يا رسول الله تركت علياً وأخرجتني ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن الله تركه وأخرجكم . وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» . قالت العلماء : فأين هذا من القرآن ، قال أبو الحسن عليه السلام : أوجدكم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم ، قالوا : هات . قال عليه السلام : قول الله عز وجل : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتهما قبلة﴾^(٢) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله ﷺ . ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله ﷺ حين قال : «إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد» .

فقالت العلماء : هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم - معشر أهل بيت رسول الله ﷺ .

قال أبو الحسن عليه السلام : ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله ﷺ يقول : «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها» . ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند . والله عز وجل الحمد على ذلك . فهذه الرابعة .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ وليس في القرآن كلمة «يا محمد» وهو تفسير وتوضيح منه عليه السلام .

(٢) سورة يونس ؛ الآية : ٨٧ .

وأما الخامسة : فقول الله عز وجل :

﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١) خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة . فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال : ادعوا لي فاطمة فدعوها له . فقال : يا فاطمة . قالت : لبيك يا رسول الله فقال . إن فذك لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين . وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذوها لك ولولدك . فهذه الخامسة .

وأما السادسة : فقول الله عز وجل : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢) فهذه خصوصية للنبي ﷺ دون الأنبياء وخصوصية للآل دون غيرهم . وذلك أن الله حكى عن الأنبياء في ذكر نوح عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مَلَاقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾^(٣) وحكى عن هود عليه السلام قال : ﴿... لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤) .

وقال لنبية ﷺ : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ . ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً . وأخرى أن يكون الرجل واداً للرجل فيكون بعض أهل بيته عدواً له فلا يسلم قلب فاحب الله أن لا يكون في قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين شيء ، إذ فرض عليهم مودة ذي القربى ، فمن أخذ بها وأحب رسول الله ﷺ وأحب أهل بيته ﷺ لم يستطع رسول الله ﷺ أن يبغضه . ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيت نبيه ﷺ فعلى رسول الله ﷺ أن يبغضه ؛ لأنه قد ترك فريضة من فرائض الله . وأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا ، ولما أنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قام رسول الله ﷺ في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدوه» فلم يجبه أحد ، فقام فيهم يوماً ثانياً ، فقال مثل ذلك ، فلم يجبه أحد ، فقام

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٦ .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .

(٣) سورة هود ؛ الآية : ٢٩ .

(٤) سورة هود ؛ الآية : ٥١ .

فيهم يوم الثالث ، فقال : «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه» فلم يجبه أحد . فقال : «أيها الناس إنه ليس ذهباً ولا فضة ولا مأكولاً ولا مشروباً» . قالوا : فهات إذاً ؟ فتلا عليهم هذه الآية . فقالوا : أمّا هذا فنعم ، فما وفي به أكثرهم ، ثم قال أبو الحسن عليه السلام : حدثني أبي ، عن جدي ، عن آبائه ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال : «اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دماننا فاحكم فيها باراً مأجوراً ، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج ، فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين فقال : يا محمد ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ لا تؤذوا قرابتي من بعدي ، فخرجوا ، فقال أناس منهم : ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحدثنا على قرابته من بعده إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه وكان ذلك من قولهم عظيماً ، فأنزل الله هذه الآية ﴿أم يقولون افتراه قل إن آفتره فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾^(١) فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل من حدث ؟ فقالوا : إي والله يا رسول الله ، لقد تكلم بعضنا كلاماً عظيماً [فـ] كرهناه ، فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكوا واشتدّ بكاءهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾^(٢) فهذه السادسة .

وأما السابعة فيقول الله : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾^(٣) وقد علم المعاندون [منهم] أنه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله ، قد عرفنا التسليم [عليك] فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ» وهل بينكم معاشر الناس في هذا اختلاف ؟ قالوا : لا . فقال المأمون : هذا ما لا اختلاف فيه [أصلاً] وعليه الإجماع فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا القرآن ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني عن قول الله : ﴿يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم﴾ فمن عنى بقوله :

(١) سورة الأحقاف ؛ الآية : ٨ .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٦ .

يس ؟ قال العلماء : يس محمد ليس فيه شك قال أبو الحسن عليه السلام : أعطى الله محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لم يبلغ أحد كنه وصفه لمن عقله وذلك أن الله لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء [صلوات الله عليهم] فقال تبارك وتعالى : ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(١) وقال : ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) وقال : ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٣) ولم يقل : سلام على آل نوح ، ولم يقل : سلام على آل إبراهيم ، ولا قال : سلام على آل موسى وهارون . وقال عز وجل : ﴿سَلامٌ عَلَى آلِ يَسَّ﴾^(٤) يعني آل محمد . فقال المأمون : لقد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه . فهذه السابعة .

وأما الثامنة فقول الله عز وجل : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٥) فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله عليه السلام فهذا فصل بين الآل والأمة ، لأن الله جعلهم في حيز وجعل الناس كلهم في حيز دون ذلك ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه ، وابتدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى في كل ما كان ، من الفياء والغنيمه وغير ذلك مما رضيهم عز وجل لنفسه ورضيه لهم فقال - وقوله الحق - : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ فهذا تأكيد مؤكد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٦) . وأما قوله : ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من المغنم ولم يكن له نصيب وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم ولا يحل له أخذه وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير ، لأنه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله عليه السلام فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله عليه السلام سهماً ، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيهم لهم وكذلك الفياء ما رضيهم لنفسه ولنبيه عليه السلام رضيهم لذي

-
- (١) سورة الصافات ؛ الآية : ٧٩ . أي سلام ثابت أو مستمر أو مستقر على نوح في العالمين من الملائكة والجن والإنس .
 (٢) سورة الصافات ؛ الآية : ١٠٩ .
 (٣) سورة الصافات ؛ الآية : ١٢٠ .
 (٤) سورة الصافات ؛ الآية : ١٣٠ .
 (٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٢ .
 (٦) سورة فصلت ؛ الآية : ٤٢ .

القُرْبَى كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثم برسوله ﷺ، ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ وكذلك في الطاعة قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فبدأ بنفسه، ثم برسوله ﷺ ثم بأهل بيته وكذلك آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقروناً بأسهمهم في الغنيمة والفِيء فبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصة الصدقة نزّه نفسه عزّ ذكره ونزّه رسوله ﷺ ونزّه أهل بيته عنها فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾^(٣) فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل لنفسه سهماً، أو لرسوله ﷺ أو لذي القُرْبَى لأنه لما نزّههم عن الصدقة نزّه نفسه ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته لا بل حرّم عليهم، لأن الصدقة محرّمة على محمد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحل لهم لأنهم طهّروا من كل دنس ووسخ، فلما طهّروهم واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه.

وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤). فقال العلماء: إنما عني بذلك اليهود والنصارى. قال أبو الحسن عليه السلام: وهل يجوز ذلك إذا يدعوننا إلى دينهم ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام؟ فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟ قال: نعم الذكر رسول الله ونحن أهله وذلك بين في كتاب الله بقوله في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ مِيبَاتٍ﴾^(٥) فالذكر رسول الله ونحن أهله. فهذه التاسعة.

وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ

-
- (١) سورة النساء؛ الآية: ٥٩.
 - (٢) سورة المائدة؛ الآية: ٥٥.
 - (٣) سورة التوبة؛ الآية: ٦٠.
 - (٤) سورة النحل؛ الآية: ٤٣.
 - (٥) سورة الطلاق؛ الآيتان: ١٠ - ١١.

وبنائكم وأخوانكم﴾ - إلى آخرها^(١) أخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة ابني أو ما تناسل من صليبي لرسول الله أن يتزوجها لو كان حياً ؟ قالوا : لا . قال ﷺ : فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها ، قالوا : بلى . قال : فقال ﷺ : ففي هذا بيان أنا من آلهم ولستم من آلهم لو كنتم من آلهم لحُرِّمت عليه بنائكم كما حرمت عليه بناتي ، لأننا من آلهم وأنتم من أمته ، فهذا فرق بين آلهم والأمة ، لأن آلهم منه والأمة إذا لم تكن آلهم فليست منه . فهذه العاشرة .

وأما الحادية عشرة فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾^(٢) الآية ، وكان ابن خال فرعون نفسه إلى فرعون بنسبه ولم يفضه إليه بدينه . وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله ﷺ بولادتنا منه وعممنا الناس بدينه ، فهذا فرق ما بين آلهم والأمة . فهذه الحادية عشرة .

وأما الثانية عشرة قوله : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾^(٣) فخصنا بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع أمره ، ثم خصنا دون الأمة ، فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب علي وفاطمة ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول : «الصلاة يرحمكم الله» وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها وخصنا من جميع أهل بيته فهذا فرق ما بين آلهم والأمة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله .

وصفه (ع) الإمامة والإمام ومنزلته

قال عبد العزيز بن مسلم^(٤) : كنا مع الرضا ﷺ بمرو فاجتمعنا في المسجد الجامع بها فأدار الناس بينهم أمر الإمامة ، فذكروا كثرة الاختلاف فيها . فدخلت على سيدي ومولاي الرضا ﷺ فأعلمته بما خاض الناس فيه ، فتبسّم ﷺ . ثم قال ﷺ يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم ، إن الله جل وعز لم

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمن ؛ الآية : ٢٨ .

(٣) سورة طه ؛ الآية : ١٣٢ .

(٤) عده علماء الرجال من أصحاب الرضا ﷺ وحسنوا حاله .

يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس جملاً ، فقال : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(١) . وأنزل عليه في حجة الوداع وهو آخر عمره ﷺ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(٢) . وأمر الإمامة من كمال الدين . ولم يمض ﷺ حتى بين لأمته معالم دينه وأوضح لهم سبلهم وتركهم على قصد الحق وأقام لهم علياً ﷺ علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة إلا وقد بينه . فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فقد كفر . هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة ، فيجوز فيها اختيارهم .

إن الإمامة خص بها إبراهيم الخليل ﷺ بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرف بها وأشاد بها ذكره ، فقال جل وعز : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ﴾^(٣) ، قال الخليل سروراً بها : ﴿ ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾^(٤) . فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة . ثم أكرمها الله بأن جعلها في ذرية أهل الصفوة والطهارة ، فقال : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ﴾ ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾^(٥) . فلم تزل ترثها ذريته ﷺ بعض عن بعض قرناً قرناً حتى ورثها النبي ﷺ ، فقال الله : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ﴾^(٦) فكانت لهم خاصة فقلدها النبي ﷺ علياً ﷺ ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم العلم والإيمان وذلك قوله : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾^(٧) على رسم ما جرى وما فرضه الله في ولده إلى يوم القيامة . إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هذه الجهال الإمامة

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء ؛ الآيتان : ٧٢ - ٧٣ .

(٥) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦٨ .

(٦) سورة الروم ؛ الآية : ٥٦ .

بآرائهم .

إن الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الحسن والحسين عليهما السلام .

إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين . الإمام أس الإسلام النامي وفرعه السامي . بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفياء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحلل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهو بالأفق حيث لا تناله الأبصار ولا الأيدي .

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات الدجى والدليل على الهدى والمنجي من الردى .

الإمام النار على اليفاع^(١) ، الحار لمن اصطلى والدليل في المهالك ، من فارقه فهالك .

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة .

الإمام الأمين الرفيق ، والولد الشفيق والأخ الشقيق وكالأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد .

الإمام أمين الله في أرضه وخلقه ، وحجته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذاب عن حريم الله .

الإمام مطهر من الذنوب ، مبرء من العيوب ، مخصوص بالعلم ، موسوم بالحلم ، نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد له بدل ، ولا له مثل ولا نظير . مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب ، فمن ذا يبلغ معرفة الإمام أو كنه وصفه .

(١) اليفاع : التل المشرف . وكل ما ارتفع من الأرض .

هيهات هيهات ، ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الأبواب وحصرت الخطباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء وفحمت العلماء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله ، فأقرت بالعجز والتقصير فكيف يوصف بكليته ، أو ينعت بكيفيته ، أو يوجد من يقوم مقامه ، أو يغني غناه . وأناى وهو بحيث النجم عن أيدي المتناولين ووصف الواصفين ، أیظنون أنه يوجد ذلك في غير آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كذبهم والله أنفسهم ومتهم الأباطيل إذ ارتقوا مرتقى صعباً ومنزلاً دحضاً زلت بهم إلى الحضيض أقدامهم ، إذ راموا إقامة إمام بأرائهم وكيف لهم باختيار إمام . والإمام عالم لا يجهل وراع^(١) لا يمكر ، معدن النبوة لا يغمز^(٢) فيه بنسب ولا يدانيه ذو حسب ، فالبيت من قریش والذروة من هاشم والعتره من الرسول ﷺ^(٣) ، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالأمر^(٤) ، عالم بالسياسة ، مستحق للرئاسة ، مفترض الطاعة ، قائم بأمر الله ، ناصح لعباد الله . إن الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم يوفقههم الله ويسددهم ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمته ما لا يؤتیه غيرهم ، يكون علمه فوق علم أهل زمانه . وقد قال الله جلّ وعزّ : ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾^(٥) وقال تعالى في قصة طالوت : ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء﴾^(٦) . وقال في قصة داود عليه السلام : ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا شَاءَ﴾^(٧) . وقال لنبيه ﷺ : ﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٨) . وقال في الأئمة من أهل بيته وعترته وذريته : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - سَعِيرًا﴾^(٩) . وإن العبد

(١) راع أي حافظ للأمة . وفي الكافي والعيون (لا ينكل) أي لا يضعف ولا يجبن .

(٢) أغمز فيه : عابه وصغر من شأنه .

(٣) الذروة - بالضم والكسر : العلو . ومن كل شيء أعلاه .

(٤) اضطلع بهذا الأمر : قوي وقدر عليه فكأنه قوى عليه ضلوعه بحمله .

(٥) سورة يونس ؛ الآية : ٣٥ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤٧ . وزاد في الكافي بقية الآية ﴿والله واسع عليم﴾ .

(٧) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٥ . ومن رقم (٤) إلى (٥) ليست في الكافي .

(٨) سورة النساء ؛ الآية : ١١٣ . وفيها ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... إلخ﴾ .

(٩) سورة النساء ؛ الآيات : ٥٥ - ٥٧ .

إذا اختاره الله لأمر عبادته شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وأطلق على لسانه فلم يعي بعده بجواب ولم يجد فيه غير صواب ، فهو موفق مسدد مؤيد ، قد أمن من الخطأ والزلل . خصه بذلك ليكون ذلك حجة على خلقه شاهداً على عبادته ، فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه فيكون مختارهم بهذه الصفة .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال الرضا عليه السلام : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنة من ربه وسنة من نبيه صلى الله عليه وسلم وسنة من وليه عليه السلام . فأما السنة من ربه فكتمان السر . وأما السنة من نبيه صلى الله عليه وسلم فمداواة الناس . وأما السنة من وليه عليه السلام فالصبر في البأساء والضراء .

وقال عليه السلام : صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله .

وقال عليه السلام : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة . وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله .

وقال عليه السلام : من أخلاق الأنبياء التنظيم .

وقال عليه السلام : ثلاث من سنن المرسلين : العطر وإحفاء الشعر وكثرة الطروقة^(١) .

وقال عليه السلام : لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن .

وقال عليه السلام : إذا أراد الله أمراً سلب العباد عقولهم ، فأنفذ أمره وتمت إرادته . فإذا أنفذ أمره رد إلى كل ذي عقل عقله ، فيقول : كيف ذا ومن أين ذا .

وقال عليه السلام : الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير .

وقال عليه السلام : ما من شيء من الفضول إلا وهو يحتاج إلى الفضول من الكلام .

وقال عليه السلام : الأخ الأكبر بمنزلة الأب .

وسئل عليه السلام عن السفلة فقال : من كان له شيء يلهيه عن الله .

وكان عليه السلام يترب الكتاب ويقول : لا بأس به . وكان إذا أراد أن يكتب

(١) الإحفاء : القص . والطروقة : الجماع . وفي بعض النسخ (وإحفاء السر) .

تذكرات حوائجه كتب بسم الله الرحمن الرحيم أذكر إن شاء الله ، ثم يكتب ما يريد .

وقال عليه السلام : إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكفه ، وإذا كان غائباً فسمه .

وقال عليه السلام : صديق كل امرء عقله وعدوه جهله .

وقال عليه السلام : التودد إلى الناس نصف العقل .

وقال عليه السلام : إن الله يبغض القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال .

وقال عليه السلام : لا يتم عقل امرء مسلم حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول . والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره . ويستقل كثير الخير من نفسه لا يسأم من طلب الحوائج إليه . ولا يمل من طلب العلم طول دهره . الفقر في الله أحب إليه من الغنى . والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه . والخمول أشهى إليه من الشهرة ، ثم قال عليه السلام : العاشرة وما العاشرة . قيل له : ما هي ، قال عليه السلام : لا يرى أحداً إلا قال : هو خير مني وأتقى . إنما الناس رجلان : رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى ، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال : لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي . وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به . فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه .

وسأله رجل عن قول الله : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(١) ؟ فقال عليه السلام : التوكل درجات : منها أن تثق به في أمرك كله فيما فعل بك ، فما فعل بك كنت راضياً وتعلم أنه لم يالك خيراً ونظراً . وتعلم أن الحكم في ذلك له ، فتوكل عليه بتفويض ذلك إليه . ومن ذلك الإيمان بغيوب الله التي لم يحط علمك بها فوكلت علمها إليه وإلى أمنائه عليها ووثقت به فيها وفي غيرها .

وسأله أحمد بن نجم عن العجب الذي يفسد العمل ، فقال عليه السلام : العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً . ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله والله المنة عليه فيه .

قال الفضل قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : يونس بن عبد الرحمن^(٢) يزعم أن

(١) سورة الطلاق ؛ الآية : ٣ .

(٢) الظاهر أنه الفضل بن سنان ولعله ابن سهل ذو الرياستين وزير المأمون وقد مضى ترجمة =

المعرفة إنما هي اكتساب . قال عليه السلام : لا ما أصاب ، إن الله يعطي من يشاء ، فمنهم من يجعله مستقراً فيه ومنهم من يجعله مستودعاً عنده ، فأما المستقر ، فالذي لا يسلب الله ذلك أبداً . وأما المستودع ، فالذي يعطاه الرجل ثم يسلبه إياه .

وقال صفوان بن يحيى^(١) سألت الرضا عليه السلام عن المعرفة هل للعباد فيها صنع ، قال عليه السلام : لا . قلت : لهم فيها أجر ؟ قال عليه السلام : نعم تطول عليهم بالمعرفة وتطول عليهم بالصواب .

وقال الفضيل بن يسار سألت الرضا عليه السلام عن أفاعيل العباد مخلوقة هي أم غير مخلوقة ، قال عليه السلام : هي والله مخلوقة - أراد خلق تقدير لا خلق تكوين - . ثم قال عليه السلام : إن الإيمان أفضل من الإسلام بدرجة والتقوى أفضل من الإيمان بدرجة ولم يعط بنو آدم أفضل من اليقين .

وسئل عن خيار العباد ، فقال عليه السلام : الذين إذا أحسنوا استبشروا . وإذا أسأؤوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ، وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا غضبوا عفوا .

وسئل عليه السلام عن حد التوكل ، فقال عليه السلام : أن لا تخاف أحداً إلا الله .

وقال عليه السلام : من السنة إطعام الطعام عند التزويج .

وقال عليه السلام : الإيمان أربعة أركان : التوكل على الله ، والرضا بقضاء الله . والتسليم لأمر الله . والتفويض إلى الله ، قال العبد الصالح : «وأفوض أمري إلى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا» .

وقال عليه السلام : صل رحمك ولو بشربة من ماء . وأفضل ما توصل به الرحم كف

= حاله ويونس بن عبد الرحمن هو أبو محمد مولى آل يقطين ثقة من أصحاب الكاظم والرضا عليه السلام ، وكان وجهاً في أصحابنا متقدماً عظيم المنزلة وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا وكان ممن بذل على الوقف مالاً جزيلاً . مات رحمه الله سنة ٢٨٠ .

(١) هو أبو محمد صفوان بن يحيى البجلي الكوفي ، بياع السابري من أصحاب الإمام السابع والثامن والتاسع عليهم السلام وأقروا له بالعلم والفقه ، ثقة من أصحاب الإجماع وكان وكيل الرضا عليه السلام وصنف كتباً كثيرة وكان من الورع والعبادة ما لم يكن أحد في طبقة . مات - رحمه الله - بالمدينة وبعث إليه أبو جعفر بحنوطه ، وكفنه وأمر إسماعيل بن موسى بالصلاة عليه .

الأذى عنها وقال في كتاب الله : ﴿ولا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى﴾^(١) .

وقال عليه السلام : إن من علامات الفقه : الحلم والعلم ، والصمت باب من أبواب الحكمة . إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير .

وقال عليه السلام : إن الذي يطلب من فضل يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله .

وقيل له كيف أصبحت ، فقال عليه السلام : أصبحت بأجل منقوص ، وعمل محفوظ ، والموت في رقابنا ، والنار من ورائنا ، ولا ندري ما يفعل بنا .

وقال عليه السلام : خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة : من لم تعرف الوثاقة في أرومته^(٢) . والكرم في طباعه . والرصانة في خلقه . والنبل في نفسه والمخافة لربه .

وقال عليه السلام : ما التقت فئتان قط إلا نصر الله أعظمهما عفواً .

وقال عليه السلام : السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه ، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه .

وقال عليه السلام : إنا أهل بيت نرى وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله ﷺ .

وقال عليه السلام : يأتي على الناس زمان يكون العافية فيه عشرة أجزاء : تسعة منها في اعتزال الناس وواحد في الصمت .

وقال له معمر بن خلاد^(٣) عجل الله فرجك . فقال عليه السلام : يا معمر ذاك فرجكم أنتم ، فأما أنا فوالله ما هو إلا مزود فيه كف سويق مختوم بخاتم .

وقال عليه السلام : عونك للضعيف أفضل من الصدقة .

وقال عليه السلام : لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث :

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٤ .

(٢) الأرومة : الأصل . رصن - كسرف - أي استحکم واشتد وثبت - والنبل بالضم - : الفضل والنجابة .

(٣) هو معمر بن خلاد بن أبي خلاد بغدادی ثقة من أصحاب الرضا عليه السلام وله كتب .

التفقه في الدين . وحسن التقدير في المعيشة . والصبر على الرزايا .

وقال عليه السلام لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري^(١) : يا داود إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ ، وإن لكم علينا حقاً . فمن عرف حقنا وجب حقه ، ومن لم يعرف حقنا فلا حق له .

وحضر عليه السلام : يوماً مجلس المأمون وذو الرِّياستين حاضر ، فتذاكروا الليل والنهار وأيهما خلق قبل صاحبه ، فسأل ذو الرِّياستين الرضا عليه السلام عن ذلك ؟ فقال عليه السلام له : تحب أن أعطيك الجواب من كتاب الله أم حسابك ؟ فقال : أريده أولاً من الحساب ، فقال عليه السلام : أليس تقولون : إن طالع الدنيا السرطان وإن الكواكب كانت في أشرافها ؟ قال : نعم . قال : فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت والقمر في الثور والشمس في وسط السماء في الحمل وهذا لا يكون إلا نهاراً . قال : نعم . ثم قال : فمن كتاب الله ؟ قال عليه السلام : قوله : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ﴾^(٢) أي : أن النهار سبقه .

قال علي بن شعيب : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فقال لي : يا علي من أحسن الناس معاشاً ؟ قلت : أنت يا سيدي أعلم به مني . فقال عليه السلام : يا علي من حسن معاش غيره في معاشه .

يا علي من أسوء الناس معاشاً ؟ قلت : أنت أعلم ، قال : من لم يعيش غيره في معاشه .
يا علي أحسنوا جوار النعم فإنها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم .

(١) هو أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة شريف القدر وقد شاهد جماعة منهم من الإمام الثامن إلى الإمام الثاني عشر عليهم السلام وله موقع جليل عندهم وكان منقطعاً إليهم وروى عنهم وله منهم أخبار ورسائل وروايات من دلائل أبي الحسن الهادي عليه السلام وقال : ما دخلت على أبي الحسن وأبي محمد عليه السلام إلا رأيت منها دلالة وبرهاناً . وكان عالماً عاملاً أديباً ورعاً زاهداً ناسكاً ولم يكن في آل أبي طالب مثله في زمانه في علو النسب وكان مقدماً عند السلطان توفي رحمه الله سنة ٢٦١ . وكان أبوه القاسم بن إسحاق أمير اليمن رجلاً جليلاً وهو ابن خالة مولانا الصادق عليه السلام لأن أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر أخت أم فروة أم مولانا الصادق عليه السلام .

(٢) سورة يس ؛ الآية : ٤٠ .

يا عليُّ إن شر الناس من منع رفده وأكل وحده وجلد عبده .
وقال له عليه السلام رجلٌ في يوم الفطر :إني أفطرت اليوم على تمر وطن القبر .
فقال عليه السلام : جمعت السنة والبركة .

وقال عليه السلام لإبي هاشم الجعفري : يا أبا هاشم العقل حباء من الله ، والأدب كلفة ؛ فمن تكلف الأدب قدر عليه ومن تكلف العقل لم يزد بذلك إلا جهلاً .

وقال أحمد بن عمر ، والحسين بن يزيد^(١) : دخلنا على الرضا عليه السلام ، فقلنا : إنا كنا في سعة من الرزق وغضارة من العيش فتغيرت الحال بعض التغير فادع الله أن يرد ذلك إلينا ؟ فقال عليه السلام : أي شيء تريدون تكونون ملوكاً ؟ أيسرُّكم أن تكونوا مثل طاهر^(٢) وهرثمة^(٣) وإنكم على خلاف ما أنتم عليه ؟ فقلت : لا والله ما سرُّني أن لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضة وأتي على خلاف ما أنا عليه . فقال عليه السلام : إن الله يقول : ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور﴾^(٤) . أحسن الظن بالله ، فإن من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه . ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل . ومن رضي باليسير من الحلال خفَّت مؤنته ونعم أهله وبصره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجها منها سالماً إلى دار لسلام .

وقال له ابن السكيت^(٥) : ما الحجة على الخلق اليوم ؟ فقال عليه السلام : العقل

(١) هو أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي ثقة من أصحاب الإمام السابع والثامن عليه السلام وله كتاب . وأما الحسين بن يزيد هو ابن عبد الملك النوفلي المتطب من أصحاب الإمام الثامن . كان أديباً شاعراً سكن الري ومات بها - رحمه الله - .

(٢) الطاهر هو أبو الطيب أو أبو طلحة طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان الملقب بذي اليمينين والي خراسان كان من أكابر قواد المأمون والمجاهدين في تثبيت دولته . تقدم إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر بغداد وقتل الأميين سنة ١٩٨ وحمل برأسه إلى خراسان . ولد سنة ١٥٩ في توشنج من بلا خراسان وله عهد إلى ابنه وهو من أحسن الرسائل .

(٣) هرثمة هو هرثمة بن أعين كان أيضاً من قواد المأمون وفي خدمته وكان مشهوراً معروفاً بالتشيع ومحباً لأهل البيت من أصحاب الرضا عليه السلام بل من خواصه وأصحاب سره ويأخذ نفسه أنه من شيعته وكان قائماً بمصالحة وكانت له محبة تامة وإخلاص كامل له .

(٤) سورة سبأ ؛ الآية : ١٢ .

(٥) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الذروي الأهوازي من رجال الفرس ، المعروف بابن =

يعرف به الصادق على الله فيصدقّه والكاذب على الله فيكذّبه . فقال ابن السكّيت :
هذا والله هو الجواب .

وقال **عليه السلام** : لا يقبل الرجل يد الرجل ، فإن قبله يده كالصلاة له .

وقال **عليه السلام** : قبله الأم على الفم . وقبله الأخت على الخد . وقبله الإمام بين
عينيه .

وقال **عليه السلام** : ليس لبخيل راحة ، ولا لحسود لذة ، ولا لملوك وفاء ولا لكذوب
مروّة .

= السكّيت كان أحد أعلام اللغويين وجهابذة المتأدّبين ، حامل لواء علم العربية والأدب
والشعر واللغة ويتصرف في أنواع العلوم . ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وكان من عظماء
الشيعة ومن خواص أصحاب الإمام التاسع والعاشر وكان المتوكل الخليفة العباسي قد
ألزمه تأديب أولاده ، كان مولده رحمه الله في حوالي سنة ١٨٦ وعاش نحو ثمان
وخمسين سنة وقتله المتوكل العباسي .

بسم الله الرحمن الرحيم

«وروي عن الإمام الناصح الهادي أبي جعفر
محمد بن علي عليهما السلام في طوال هذه
المعاني»

جوابه (ع) في محرم قتل صيداً

لما عزم المأمون على أن يزوّج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن عليّ
الرضا عليه السلام اجتمع إليه أهل بيته الأذنون منه ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين ناشدناك أن لا
تخرج عنا أمراً قد ملكناه ، وتنزع عنا عزّاً قد لبسناه . وتعلم الأمر الذي بيننا وبين آل
علي قديماً وحديثاً ، فقال المأمون : أمسكوا والله لا قبلت واحد منكم في أمره .
فقالوا : يا أمير المؤمنين أتزوّج ابنتك وقرّة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين الله ، ولا
يعرف حلاله من حرامه ، ولا فرضاً من سنّة ؛ ولأبي جعفر عليه السلام إذ ذاك تسع سنين فلو
صبرت له حتى يتأدّب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام . فقال المأمون : إني
لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنّته وأحكامه ؛ وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه
ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصّه وعامّه وتنزيله وتأويله منكم فاسألوه ،
فإن كان الأمر كما وصفتم قبلت منكم ، وإن كان الأمر على ما وصفت علمت أن
الرجل خلف منكم ، فخرجوا من عنده وبعثوا إلى يحيى بن أكثم^(١) وهو يومئذ قاضي
القضاة فجعلوا حاجتهم إليه وأطمعوه في هدايا على أن يحتال على أبي جعفر عليه السلام
بمسألة في الفقه لا يدري ما الجواب فيها .

فلما حضروا وحضر أبو جعفر عليه السلام قالوا : يا أمير المؤمنين هذا القاضي إن
أذنت له أن يسأل ؟ فقال المأمون : يا يحيى سل أبا جعفر عن مسألة في الفقه لتنظر

(١) هو يحيى بن أكثم التميمي القاضي ، كان متكلماً عالماً فقيهاً في عصره أحد وزراء
المأمون قاضياً في العراقيين من قضاة العامة ، كان معروفاً باللوّاط وأنه حرم المتعة وتسبب
تحريم المأمون إياها .

كيف فقهه ؟ فقال يحيى : يا أبا جعفر أصلحك الله ما تقول في محرم قتل صيداً ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : قتله في جلّ أم حرم ، عالماً أو جاهلاً ، عمدًا أو خطأ ، عبداً أو حرّاً ، صغيراً أو كبيراً ، مبدءاً أو معيداً ، من ذوات الطير أو غيره ، من صغار الطير أو كبارها ، مصرّاً أو نادماً ، بالليل في أوكارها أو بالنهار وعياناً ، محرماً للحجّ أو للعمرة ؟ قال : فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس انقطاعه وتحير الناس عجباً من جواب أبي جعفر عليه السلام . فقال المأمون : أخطب أبا جعفر ؟ فقال عليه السلام : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إجلالاً لعظمته ، وصلى الله على محمد وآله عند ذكره . أما بعد فقد كان من قضاء الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال جلّ وعزّ : ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) . ثم إن محمد بن علي خطب أم الفضل ابنة عبد الله ، وقد بذل لها من الصداق خمس مائة درهم ، فقد زوجته ، فهل قبلت يا أبا جعفر ؟ فقال عليه السلام : قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق . فأولم المأمون وأجاز الناس على مراتبهم أهل الخاصّة وأهل العامة والأشراف والعلماء . وأوصل إلى كلّ طبقة برّاً على ما يستحقّه .

فلما تفرّق أكثر الناس قال المأمون : يا أبا جعفر إن رأيت أن تعرّفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصيد ؟ فقال عليه السلام : إن المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه شاة ، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً . وإن قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم فليست عليه القيمة لأنه ليس في الحرم . وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ . وإن كان من الوحش فعليه في حمار الوحش بقرة ، وإن كان نعامة فعليه بدنة فإن لم يقدر فإطعام ستين مسكيناً ، فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً . وإن كان بقرة فعليه بقرة ، فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً ، فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام . وإن كان ظيباً فعليه شاة ، فإن لم يقدر فليطعم عشرة مساكين ، فإن لم يجد فليصم ثلاثة أيام ، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾^(٢) حقاً واجباً أن ينحره إن كان في حجّ بمنى حيث ينحر الناس ، وإن كان في عمرة ينحره بمكة في فناء الكعبة ويتصدّق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً ، وكذلك إذا أصاب أرنباً أو ثعلباً فعليه شاة

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٩٥ .

ويتصدق بمثل ثمن شاة . وإن قتل حماماً من حمام الحرم فعليه درهم يتصدق به .
ودرهم يشتري به علفاً لحمام الحرم . وفي الفرج نصف درهم . وفي البيضة ربع
درهم . وكلما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلا الصيد ، فإن عليه فيه
الفداء بجهالة كان أم يعلم ، بخطأ كان أم بعمد ، وكلما أتى به العبد فكفارته على صاحبه
مثل ما يلزم صاحبه ، وكلما أتى به الصغير الذي ليس ببائع فلا شيء عليه . فإن عاد
فهو ممن ينتقم الله منه . وإن دلَّ على الصيد وهو محرم وقتل الصيد فعليه فيه الفداء .
والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة . والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في
الآخرة . وإن أصابه ليلاً أو كارهياً خطأ فلا شيء عليه إلا أن يتصيد ، فإن تصيد ، بليل
أو نهار فعليه فيه الفداء . والمحرم للحج ينحر الفداء بمكة .

قال : فأمر أن يكتب ذلك عن أبي جعفر عليه السلام . ثم التفت إلى أهل بيته الذين
أنكروا تزويجه ، فقال : هل فيكم من يجيب بهذا الجواب ؟ قالوا : لا والله ولا
القاضي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين كنت أعلم به منا . فقال : ويحكم أما علمتم أن
أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق ، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع
الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان ولم يبايع غيرهما طفلين . أو لم تعلموا أن أباهم
عليّاً آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن تسع سنين ، فقبل الله ورسوله إيمانه ولم يقبل من
طفل غيره ولا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طفلاً غيره . أو لم تعلموا أنها ذرية بعضها من
بعض يجري لأخبرهم ما يجري لأولهم .

مسألة غريبة

قال المأمون ليحيى بن أكثم : اطرح على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام
مسألة تقطعه فيها . فقال : يا أبا جعفر ما تقول في رجل نكح امرأة على زناً أيحل أن
يتزوجها ؟ فقال عليه السلام : يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره ، إذ لا يؤمن منها أن
تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه . ثم يتزوج بها إن أراد ، فإنما مثلها
مثل نخلة أكل رجل منها حراماً ثم اشتراها فأكل منها حلالاً . فانقطع يحيى .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : يا أبا محمد ما تقول في رجل حرمت عليه امرأة بالغداة
وحلّت له ارتفاع النهار وحرمت عليه نصف النهار ، ثم حلّت له الظهر ، ثم حرمت
عليه العصر ، ثم حلّت له المغرب ، ثم حرمت عليه نصف الليل ، ثم حلّت له
الفجر ، ثم حرمت عليه ارتفاع النهار ، ثم حلّت له نصف النهار ؟ فبقي يحيى

والفقهاء بُلْساً خُرْساً^(١) فقال المأمون : يا أبا جعفر أعزك الله بين لنا هذا؟ قال عليه السلام : هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحل له ، اشتراها فحلّت له . ثم أعتقها فحرمت عليه ، ثم تزوجها فحلّت له . فظاهر منها فحرمت عليه . فكفّر الظهار فحلّت له ، ثم طلقها تطليقة فحرمت عليه ، ثم راجعها فحلّت له فارتدّ عن الإسلام فحرمت عليه . فتاب ورجع إلى الإسلام فحلّت له بالنكاح الأول ، كما أقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاح زينب مع أبي العاص بن الربيع^(٢) حيث أسلم على النكاح الأول .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال له رجل : أوصني ؟ قال عليه السلام : وتقبل ؟ قال : نعم . قال : توسّد الصبر واعتنق الفقر . وارفض الشهوات . وخالف الهوى . واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون .

وقال عليه السلام : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة ، وأمّا انقطاعك إليّ فيعزّزك بي . ولكن هل عادت لي عدواً وواليت لي ولياً .

وروي أنه حمل له حمل بزله^(٣) قيمة كثيرة ، فسأل في الطريق ، فكتب إليه الذي حمله يعرفه الخبر ، فوقع بخطّه إن أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتّع بما متّع منها في سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة . فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره ونعوذ بالله من ذلك .

وقال عليه السلام : من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه . ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شاهده .

(١) البلس - بالضم - : جمع أبلس : المتحير . والخرس - بالضم - : الذي انعقد لسانه عن الكلام .

(٢) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن أخت خديجة زوجة رسول الله ، أمه هالة بنت خويلد ، زوجه رسول الله زينب أكبر بناته . فلما أكرم الله نبيه بنبوته أمنت خديجة وبناته فصدقن وشهدن الإسلام وثبت أبو العاص على شركه ففرق النبي بينه وبين بنته زينب لشركه ، وأسلم في فتح مكة ورجع إلى المدينة ورد رسول الله زينب على النكاح الأول ، وتوفي سنة ١٢ وتزوج علي عليه السلام ابنته أمامة بنت زينب بعد وفاة فاطمة بوصية منها .

(٣) الحمل - بالكسر - ما يحمل . والبز - بالفتح والتشديد - : الثياب من القطن أو الكتان .

وقال عليه السلام : من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبده .

وقال داود بن القاسم : سألته عن الصمد ؟ فقال عليه السلام : الذي لا سرّة له . قلت : فإنهم يقولون : إنه الذي لا جوف له ؟ فقال عليه السلام : كل ذي جوف له سرّة .

فقال له أبو هاشم الجعفري في يوم تزوّج أمّ الفضل ابنة المأمون : يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم . فقال عليه السلام : يا أبا هاشم عظمت بركات الله علينا فيه ؟ قلت : نعم يا مولاي ، فما أقول في اليوم ؟ فقال : قل فيه خيراً ، فإنه يصيبك . قلت : يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه . قال عليه السلام : إذا ترشد ولا ترى إلّا خيراً .

وكتب إلى بعض أوليائه : أما هذه الدنيا فإنها فيها معترفون ولكن من كان هواه هو صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان . والآخرة هي دار القرار .

وقال عليه السلام : تأخير التوبة اغترار . وطول التسويف حيرة . والإعتلال على الله هلكة . والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (١) .

وروي أن جمّالاً حمّله من المدينة إلى الكوفة (٢) فكلمه في وصلته وقد كان أبو جعفر عليه السلام وصله بأربع مائة دينار ، فقال عليه السلام : سبحان الله ؛ أما علمت أنه لا ينقطع الزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد .

وقال عليه السلام : كانت مبايعة رسول الله ﷺ النساء أن يغمس يده في إناء فيه ماء ثم يخرجها وتغمس النساء بأيديهن في ذلك الإناء بالإقرار والإيمان بالله والتّصديق برسوله على ما أخذ عليهن .

وقال عليه السلام : إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له .

وقال عليه السلام : المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٩٩ .

(٢) كان لأبي جعفر عليه السلام رحلتان إلى العراق الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، والثانية سنة خمس وعشرين ومائتين في زمان المعتصم العباسي وأقام بها حتى قتل مسموماً في آخر ذي القعدة من تلك السنة ودفن في جنب جده الإمام الكاظم عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام الراشد الصابر أبي
الحسن علي بن محمد عليه السلام في طوال هذه
المعاني .

رسالته (ع) في الردّ على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين

من علي بن محمد ؛ سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ؛
فإنه ورد علي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر
ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر
من العداوة بينكم ، ثم سألتهموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله .

اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند
جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جلّ وعزّ لا تخلو من معنيين : إمّا حقّ
فيتّبع وإمّا باطل فيجتنب . وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حقّ لا
ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه ،
مصيبون ، مهتدون ، وذلك بقول رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة »
فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حقّ ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً .
والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه : فإذا شهد القرآن بتصديق خبر
وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل
على تصديق الكتاب ، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة .

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن
رسول الله ﷺ ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم ؛ حيث

قال : «إني مخلف فيكم الثقيلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» . فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جلّ وعزّ : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»^(١) . وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدق بخاتمته وهو راعك فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه . فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه وبقوله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ووجدناه يقول : علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي .

فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً موافق للكتاب ، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الآخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها . ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهم السلام ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الإقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد . وذلك أن أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه : «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»^(٢) ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله صلى الله عليه وآله : «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله» . ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة : «لأبعثن إليهم رجلاً كنفي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قم يا علي فسر إليهم»^(٣) . وقوله عليه السلام يوم خيبر : «لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراةً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه» . فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه

(١) سورة المائدة ؛ الآيتان : ٦٠ و ٦١ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٧ .

(٣) بنو وليعة - كسفينة - : حي من كندة . وقد مضى هذه القضية أيضاً في احتجاجات الإمام .

أصحاب رسول الله ﷺ فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة وسماه كراراً غير فرار ، فسماه الله محباً لله ولرسوله ، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه .

وإنما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا . فإننا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام : « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة وتخليفة السرب^(١) والمهلة في الوقت والزاد مثل الراحلة والسبب المهيّج للفاعل على فعله » ، فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل ، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه ، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لأن الرسول ﷺ ، وآله عليهم السلام لا يعدو شيء من قوله وأقوالهم حدود القرآن ، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب . ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافق لهذا ، أن الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق عليه السلام : هو أعدل من ذلك . ف قيل له : فهل فوض إليهم ؟ فقال عليه السلام : هو أعز وأقهر لهم من ذلك . وروي عنه أنه قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك . ورجل يزعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك . ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ ، فأخبر عليه السلام أن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ ، وأن الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل ، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما .

(١) السرب - بالفتح - : الطريق والصدر . - وبالكسر - الطريق والقلب - وبالتحريك - الماء السائل .

ثم قال ﷺ : وأضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطلاب ويسهل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة .

فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله : ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾^(١) . وقوله : ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾^(٢) . وقوله : ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾^(٣) . مع آي كثيرة في ذكر هذا . فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته . ومن ظلم الله فقد كذب كتابه . ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة . ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور وأوعد عبده إن لم يأتيه بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك ، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه . أليس يجب في عدله وحكمه أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته ، فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة . تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان ، إذ أوجب على من أجبر [ه] العقوبة . ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله إن الله يدفع عنهم العقوبة . ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الحج ؛ الآية : ١٠ .

(٣) سورة يونس ؛ الآية : ٤٥ .

الله في وعيده حيث يقول : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(١) . وقوله : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾^(٢) . وقوله : ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾^(٣) ، مع أي كثيرة في هذا الفن ممن كذب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر وهو ممن قال الله : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾^(٤) بل نقول : إن الله جل وعز يجازي العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها ، فأمرهم ونهاهم وبذلك نطق كتابه : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾^(٥) . وقال جل ذكره : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾^(٦) . وقال : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾^(٧) . فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به . ومثلها في القرآن كثير ، اختصرنا ذلك لثلاث يطول الكتاب وبالله التوفيق .

وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وأخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل : إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختياراً أمره ونهيه وأهملهم . وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته . وإلى هذا ذهب الأئمة المهتدية من عترة الرسول ﷺ ، فإنهم قالوا : لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً . وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه

-
- (١) سورة البقرة ؛ الآية : ٨١ .
 - (٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٠ .
 - (٣) سورة النساء ؛ الآية : ٥٦ .
 - (٤) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٥ .
 - (٥) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٦١ .
 - (٦) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٠ .
 - (٧) سورة المؤمن ؛ الآية : ١٧ .

قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وعزّ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم ، بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه ، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ووعدته على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه فأمر أمره أو أي نهى نهاه عنه لم يأت على إرادة المولى بل كان العبد يتبع إرادة نفسه واتباع هواه ولا يطبق المولى أن يردّه إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ، ففوض اختيار أمره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتباع هواه ، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به ، فقال له : لم أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر إلي فاتبعت هواي وإرادتي ، لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض .

أوليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه ، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهى عرفه الثواب والعقاب عليهما . وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه ، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للإعذار والإنذار . فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه أو يكون عاجزاً غير قادر ففوض أمره إليه أحسن أم أساء ، أطاع أم عصى ، عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتباع أمره . وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول : ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾^(١) وقوله عزّ وجلّ : ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(٢) وقوله : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾^(٣) وقوله : ﴿اعبدوا الله ولا

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الذاريات ؛ الآيتان : ٥٦ و ٥٧ .

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً^(١) وقوله : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَوَلُّوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾^(٢) .

فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر وأبطل أمر الله ونهيه ووعدته ووعيدته ، لعله ما زعم أن الله فوضها إليه لأن المفوض إليه يعمل بمشيئته ، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محذور ، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيدته وأمره ونهيه وهو من أهل هذه الآية ﴿أَفَتَوَمِّنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) تعالى عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً .

لكن نقول : إن الله جلّ وعزّ خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة تعبدتهم بها ، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم . ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها والله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالإستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه ، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة ، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده ، اصطفى محمداً ﷺ وبعثه برسالاته إلى خلقه ، فقال من قال من كفار قومه حسداً واستكباراً : ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤) يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول : ﴿أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سَخِرِيّاً وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٥) . ولذلك اختاروا من الأمور ما أحب ونهى عما كره ، فمن أطاعه أثابه .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٢٠ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٥ .

(٤) سورة الزخرف ؛ الآية : ٣٠ .

(٥) سورة الزخرف ؛ الآية : ٣١ .

ومن عصاه عاقبه ولو فوض اختيار أمره إلى عباده ولأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي ، إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﷺ .

فلما أدب الله المؤمنين بقوله : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(١) ، فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه ، فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الإستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه ، فمن أجل ذلك حرمة ثوابه وأنزل به عقابه .

وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربيعي الأسدي حين سأله عن الإستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : سألت عن الإستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قل يا عباية ، قال وما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت : إنك تملكها مع الله قتلتك . وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك قال عباية : فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه ، هو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله . قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله ، قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله ، قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلني ، قال أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل ، وليس القديم الباقي كالحديث الزائل ، قال نجدة : أجذك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين ، قال : أصبحت مخيراً ، فإن أتيت السيئة [بـ] مكان الحسنه فانا المعاقب عليها .

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال عليه السلام : نعم يا شيخ ، ما علوتم تلعة^(١) ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عند الله أحاسب عنائي يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : مه يا شيخ ، فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرين ، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ولسقط الوعد والوعيد ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق ؛ ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان ، إن الله جلّ وعزّ أمر تخييراً ونهى تحذيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً	جزاك ربك عنا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة	قد كنت راكبها ظلماً وعصيانا

فقد دلّ أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفى الجبر والتفويض للذين يلزمان من دان بهما وتقلدتهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة والكفر ، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الإمتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم .

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً وملك مالاً كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه ، فملكه من ماله بعض ما أحب ووقفه على أمور عرفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يحبها وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها ، والمال يتصرف في أي الوجهين ، فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه ، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه . وأسكنه دار اختيار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار وأن له داراً غيرها وهو مخرجه إليها فيها ثواب

(١) التلعة : ما علا من الأرض .

وعقاب دائم ، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود . وقد حد المولى في ذلك حداً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى ، فإذا بلغ الحد استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتم سكنه فيها ووفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة ، وليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأجور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة . وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكنه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذر إياها ، غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده ، بذلك يوصف القادر القاهر . وأما المولى فهو الله جل وعز ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق ، والمال قدرة الله الواسعة ، ومحتته إظهار [هـ] الحكمة والقدرة . والدار الفانية هي الدنيا وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم . والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس . وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة . وأما الدار الفانية فهي الدنيا . وأما الدار الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة . والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد .

وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام (١) أنها جمعت جوامع الفضل وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحة الخلقة

أما قول الصادق عليه السلام : فإن معناه كمال الخلق للإنسان وكمال الحواس وثبات العقل والتميز وإطلاق اللسان بالنطق ؛ وذلك قول الله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

(١) أي صحة الخلقة ، وتخليه السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد والسبب المهيج .

وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً^(١) . فقد أخبر عز وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق ؛ وذلك قوله : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(٢) . وقوله : ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك برّبك الكريم * الذي خلقك فسوّك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك﴾^(٣) . وفي آيات كثيرة فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان ، وذلك أن كل ذي حركة على بساط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته ، ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس ، فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً وغيره مسخر له كما قال الله : ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾^(٤) . وقال : ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾^(٥) . وقال : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾^(٦) . فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾^(٧) . وقوله : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(٨) . وقوله : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾^(٩) . وفي آيات كثيرة . فإذا سلب من العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج﴾^(١٠) . الآية - فقد رفع

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧٠ .

(٢) سورة التين ؛ الآية : ٤ .

(٣) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ٦ و ٧ و ٨ .

(٤) سورة الحج ؛ الآية : ٣٨ .

(٥) سورة النحل ؛ الآية : ١٤ .

(٦) سورة النحل ؛ الآية : ٨ . والدفء : السخانة وهي ما يستدفئ به من اللباس المعمول من الصوف والوبر .

(٧) سورة التغاين ؛ الآية : ١٦ .

(٨) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٦ .

(٩) سورة الطلاق ؛ الآية : ٧ .

(١٠) سورة النور ؛ الآية : ٦٠ .

عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها ، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحجّ والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج ؛ قوله : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾^(١) وقوله في الظّهار : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة - إلى قوله - : فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ﴾^(٢) . كلّ ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحّة الخلق .

وأما قوله : تخلية السّرب . فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله فيمن استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً كما قال الله تعالى : ﴿ إلا المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾^(٣) فأخبر أن المستضعف لم يخلّ سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان .

وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع الإنسان من حدّ ما تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله . فمن مات على طلب الحقّ ولم يدرك كماله فهو على خير ؛ وذلك قوله : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ﴾^(٤) - الآية - وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة ما لم يمهل في الوقت إلى استتمام أمره . وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾^(٥) الآية فلم يجعل عليهنّ حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام .

وأما قوله : الزّاد . فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به . وذلك قوله : ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾^(٦) الآية ألا ترى أنه قبل عذر من لم

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٩٧ .

(٢) سورة المجادلة ؛ الآيتان : ٤ و ٥ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٩٨ .

(٤) سورة النساء ؛ الآية : ١٠٠ .

(٥) سورة النور ؛ الآية : ٣١ .

(٦) سورة التوبة ؛ الآية : ٩١ .

يجد ما ينفق وألزم الحجة كل من أمكنته البلغة والرأحة للحج والجهاد وأشباه ذلك . وكذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله : ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ (١) الآية . فأمر بإعفائهم ولم يكلفهم الأعداء لما لا يستطيعون ولا يملكون .

وأما قوله : في السبب المهيج . فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال وحاستها القلب فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله : ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ (٢) . ثم أنزل على نبيه ﷺ توبيخاً للمؤمنين : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ (٣) الآية فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعتة النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل . وإذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته . وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعله مانع يمنع إظهار الفعل في قوله : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ (٤) وقوله : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ (٥) فدل القرآن وأخبار الرسول ﷺ أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ولا يبطل ما يصحح القلب شيء .

فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما العبر والتفويض . فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كمالاً لما أمر الله عز وجل به ورسوله ، وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنها مطروحاً بحسب بذلك .

فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة . ومن ذلك قوله : ﴿ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (٦) . وقال : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ (٧) . وقال : ﴿ألم*

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٣ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٦٦ .

(٣) سورة الصف ؛ الآية : ٢ .

(٤) سورة النحل ؛ الآية : ١٠٦ .

(٥) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٥ .

(٦) سورة محمد ؛ الآية : ٣١ أي لنعاملكم معاملة المختبر .

(٧) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٨١ .

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون^(١) . وقال في الفتن التي معناها الاختبار ﴿ولقد فتنا سليمان﴾^(٢) الآية وقال في قصة موسى عليه السلام : ﴿فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾^(٣) وقول موسى : ﴿إن هي إلا فتنة﴾^(٤) . أي اختبارك فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض .

وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله : ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾^(٥) . وقوله : ﴿ثم صرفكم عنهم ليتليكم﴾^(٦) . وقوله : ﴿إننا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾^(٧) . وقوله : ﴿خلق الموت والحياة لبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾^(٨) . وقوله : ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾^(٩) . وقوله : ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض﴾^(١٠) وكلمنا في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة . فهي إثبات الاختبار والبلوى : إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعباً وبذلك أخبر في قوله : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾^(١١) . فإن قال قائل : فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم ؟ قلنا : بلى ، قد علم ما يكون منهم قبل كونه وذلك قوله : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾^(١٢) وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل . وقد أخبر بقوله : ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إلينا رسلاً﴾^(١٣) . وقوله : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً﴾^(١٤) . وقوله : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾^(١٥) . فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض . وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول ﷺ .

فإن قالوا : ما الحجة في قول الله : (يهدي من يشاء ويضل من يشاء) ما

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة العنكبوت ؛ الآية : ١ . | (٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١٢٤ . |
| (٢) سورة ص ؛ الآية : ٣٣ . | (١٠) سورة محمد ؛ الآية : ٥ . |
| (٣) سورة طه ؛ الآية : ٨٥ . | (١١) سورة المؤمنون ؛ الآية : ١١٥ . |
| (٤) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٥٤ . | (١٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ٢٨ . |
| (٥) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ . | (١٣) سورة طه ؛ الآية : ١٣٤ . |
| (٦) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٢ . | (١٤) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٦ . |
| (٧) سورة القلم ؛ الآية : ١٧ . | (١٥) سورة النساء ؛ الآية : ١٦٥ . |
| (٨) سورة الملك ؛ الآية : ٢ . | |

أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أما أحدهما فإنخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب . والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله : ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي عرفناهم ﴿فاستجبوا العمى على الهدى﴾^(١) فلو أجبرهم على الهدى لم يقدرُوا أن يضلوا . وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها ، من ذلك قوله : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم﴾^(٢) الآية - وقال : ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾^(٣) أي أحكمه وأشرحه . ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾^(٤) .

وفقنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله الطيبين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أجوبته (ع) ليحيى بن أكثم عن مسائله

قال موسى بن محمد بن الرضا عليه السلام^(٤) : لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة ، فسألني عن مسائل ، فجنث إلي أخي علي بن محمد عليه السلام فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته ، فقلت له : جعلت فداك إن ابن اكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها ، فضحك عليه السلام ثم قال : فهل أفتيته ، قلت : لا ، لم أعرفها ، قال عليه السلام : وما هي ، قلت : كتب يسألني عن قول الله : ﴿قال الذي عنده

(١) سورة فصلت ؛ الآية : ١٧ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

(٣) سورة الزمر ؛ الآيتان : ١٧ - ١٨ .

(٤) هو أبو أحمد موسى المبرقع أخو أبي الحسن الهادي عليه السلام من طرف الأب والأم كانت أمهما أم ولد تسمى بسمانة المغربية وكان موسى جد سادات الرضوية ، قدم قم سنة ٢٥٦ وهو أول من انتقل من الكوفة إلى قم من السادات الرضوية وكان يسدل على وجهه برقعاً دائماً ولذلك يسمى بالمبرقع . وأقام بقم حتى مات سنة ٢٦٦ ودفن في داره .

علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك^(١) نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف ، وعن قوله : ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾^(٢) سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء . وعن قوله : ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب﴾^(٣) . من المخاطب بالآية ، فإن كان المخاطب النبي ﷺ فقد شك . وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب ، وعن قوله : ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾^(٤) ما هذه الأبحر وأين هي ، وعن قوله : ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾^(٥) فاشتتهت نفس آدم ﷺ أكل البر فأكل وأطعم (وفيها ما تشتهي الأنفس) فكيف عوقب ؟ . وعن قوله : ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾^(٦) يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك ، وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾^(٧) ، وعن الخثي وقول علي ﷺ : يورث من المبال ، فمن ينظر إذا بال إليه ، مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال ، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء وهذا ما لا يحل . وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل ، وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها ، فدخلت بين الغنم كيف تذيب وهل يجوز أكلها أم لا ، وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل . وعن قول علي ﷺ لابن جرموز : بشر قاتل ابن صفية بالنار^(٨) فلم يقتله وهو إمام ، وأخبرني عن علي ﷺ لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومديرين وأجهز على الجرحى ، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً ولم يجهز على جريح ولم يأمر بذلك ، وقال : من دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، لم فعل ذلك ،

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ١٠٠ .

(٣) سورة يونس ؛ الآية : ٩٤ .

(٤) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٦ .

(٥) سورة الزخرف ؛ الآية : ٧١ .

(٦) سورة الشورى ؛ الآية : ٤٩ .

(٧) سورة الطلاق ؛ الآية : ٢ .

(٨) ابن صفية هو الزبير بن العوام الصحابي المعروف الذي قتله يوم الجمل ابن جرموز والقصة مشهورة مذكورة في التواريخ .

فإن كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ . وأخبرني عن رجل أقر باللواط على نفسه أيحد ، أم يدراً عنه الحد ؟

قال عليه السلام : اكتب إليه ، قلت : وما أكتب ، قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشد أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصّرنا فيها ، والله يكافيك على نيتك وقد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك وذلّل لها فهمك واشغل بها قلبك ، فقد لزمك الحجة والسلام .

سألت عن قول الله جل وعز :

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله ، ففهمه ذلك لثلا يختلف عليه في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتأكد الحجة على الخلق . وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لأدم عليه السلام لم يكن لأدم عليه السلام وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لأدم عليه السلام فسجود يعقوب عليه السلام وولده يوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم ، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت : ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ إلى آخر الآية (١) .

وأما قوله : ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾ (٢) فإن المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة . كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة ، إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشى في الأسواق ، فأوحى الله إلى نبيه ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾ بمحضر الجهلة ، هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة . وإنما قال : ﴿فإن كنت في شك﴾ ولم يكن شك ولكن للنصفة كما قال : ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة يونس ؛ الآية : ٩٤ .

وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين^(١) ولو قال : عليكم لم يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين ، فكذا عرف النبي أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه .

وأما قوله : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾^(٢) فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله وهي عين الكبريت وعين النمر وعين (ال)برهوت وعين طبرية وحمة ماسبندان وحمة افريقية يدعى لسان^(٣) وعين بحرون ، ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا .

وأما الجنة فإن فيها من المأكول والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين وأباح الله ذلك كله لآدم عليه السلام والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى من فضل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً ، وأما قوله : ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أي يولد له ذكور ويولد له إناث ، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً^(٤) إن لم يتب .

وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا ، فإن لم يكن رضى فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها .

وأما قول علي عليه السلام في الخشى فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم امرأة وتقوم الخشى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه .

وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها . وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما ، فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٠ .

(٢) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٦ .

(٣) والحمة - بالفتح فالتشديد : العين الحارة التي يستشفى بها الأعلاء والمرضى .

(٤) سورة الفرقان ؛ الآيتان : ٦٨ و ٦٩ .

النصف الآخر ، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها ذبحت وأحرقت ونجا سائر الغنم .

وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة ، لأن النبي ﷺ كان يغلس بها فقراءتها من الليل .

وأما قول علي عليه السلام : بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله ﷺ وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة ، لأنه علم أنه يقتل في فتنه النهروان .

وأما قولك : إن علياً عليه السلام قتل أهل الصفيين مقبلين ومدبرين وأجهز علي جريحهم وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه ، فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين ، رضوا بالكف عنهم ، فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم ، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفيين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح الدروع والرمح والسيوف ويسني لهم العطاء ، يهيء لهم الأنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم^(١) ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم ، فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم ، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك .

وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بيعة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله ، أما سمعت قول الله : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا - الآية - ﴾^(٢) قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام لبعض مواليه : عاتب فلاناً وقل له : إن الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل .

(١) الحاسر : العاري والمراد الذي كان بلا درع وثوب .

(٢) سورة ص : الآية : ٣٨ ، وبقيّة الآية ﴿ فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ .

وكان المتوكل نذر أن يتصدق بمال كثير إن عافاه الله من علة ، فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفوا ولم يصيبوا المعنى ، فسأل أبا الحسن عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام : يتصدق بثمانين درهماً ، فسئل عن علة ذلك ؟ فقال : إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾^(١) فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغت ثمانين موطناً وسماها الله كثيرة فسر المتوكل بذلك وصدق بثمانين درهماً .

وقال عليه السلام : إن لله بقاعاً يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحيير منها^(٢)

وقال عليه السلام : من اتق الله يتقى . ومن أطاع الله يطاع . ومن أطاع الخالق لم يُبال سخط المخلوقين ، ومن أسخط الخالق فليقن أن يحل به سخط المخلوقين .

وقال عليه السلام : إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به نأى في قربهِ وقرب في نأيه ، كيف كيف بغير أن يُقال : كيف ، وأين الأين بلا أن يُقال : أين ، هو منقطع الكيفية والأينية ، الواحد الأحد ، جل جلاله وتقدست أسماؤه .

وقال الحسن بن مسعود^(٣) : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وقد نكبت إصبعي وتلقاني راكب وصدم كتفي ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي فقلت : كفاني الله شرك من يوم فما أشأمك . فقال عليه السلام لي : يا حسن هذا وأنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له ، قال الحسن : فأثاب إليّ عقلي وتبينت خطائي ، فقلت : يا مولاي أستغفر الله ، فقال : يا حسن ما ذنب الأيام حتى صرتم تشتمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها ، قال الحسن : أنا أستغفر الله أبداً وهي توبتي يا ابن رسول الله ؟ قال عليه السلام : والله ما ينفعكم ولكن الله يعاقبكم بذمها على ما لا ذم عليها فيه ، أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً ؟

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥ .

(٢) الحير - بالفتح - : مخفف حائر والمراد أن الحائر الحسيني عليه السلام من هذه البقاع .

(٣) لم نظفر في أحد من المعاجم بمن سمي بهذا الاسم من أصحاب أبي الحسن العسكري عليه السلام ولعله هو الحسن بن سعيد الأهوازي من أصحاب الرضا والجواد وأبي الحسن العسكري عليه السلام وهو الذي أوصل علي بن مهزيار وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي إلى الرضا عليه السلام حتى جرت الخدمة على أيديهما ، كان ثقة هو وأخوه والحسين وله كتب ، أصله كوفي وانتقل مع أخيه إلى الأهواز وكانا أوسع أهل زمانهما علماً بالفتوة والآثار والمناقب .

قلت : بلى يا مولاي . قال عليه السلام : لا تعد ولا تجعل للأيام صنعة في حكم الله ، قال الحسن : بلى يا مولاي .

وقال عليه السلام : من آمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره . ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر .

وقال داود الصرمي^(١) : أمرني سيدي بحوائج كثيرة ، فقال عليه السلام لي : قل : كيف تقول ؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي ، فمد الدواة وكتب بسم الله الرحمن الرحيم أذكره إن شاء الله والأمر بيد الله ، فتبسمت ، فقال عليه السلام : مالك ؟ قلت : خير ، فقال : أخبرني ؟ قلت : جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرضا عليه السلام إذا أمر بحاجة كتب بسم الله الرحمن الرحيم أذكر إن شاء الله ، فتبسمت ، فقال عليه السلام لي يا داود ولو قلت : إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً .

وقال عليه السلام يوماً : إن أكل البطيخ يورث الجذام ، فقليل له : أليس قد آمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص ؟ قال : نعم ، ولكن إذا خالف المؤمن ما أمر به ممن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف .

وقال عليه السلام : الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر ، لأن النعم متاع والشكر نعم وعقبى .

وقال عليه السلام : إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ولثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً .

وقال عليه السلام : إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه . وإن المحق السفيف يكاد أن يطفئ نور حقه بسففه .

وقال عليه السلام : من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك .

وقال عليه السلام : من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره .

وقال عليه السلام : الدنيا سوق ، ربح فيها قوم وخسر آخرون .

(١) هو أبو إسماعيل داود الصرمي - بفتح الصاد وقيل : بكسرهما - كان من أصحاب الهادي عليه السلام وهو شيعي إمامي حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

وروي عن الإمام الخالص الهادي أبي
محمد الحسن بن علي عليه السلام في طوال
هذه المعاني .

كتابه (ع) إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري

سترنا الله^(١) وإياك بستره وتولاك في جميع أمورك بصنعه ، فهمت كتابك
يرحمك الله ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على أولائنا ونسر بتتابع إحسان الله
إليهم وفضله لديهم ونعتد بكل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم ، فآثم الله عليك يا
إسحاق وعلى من كان مثلك - ممن قد رحمه الله وبصره بصيرتك - نعمته . وقدر تمام
نعمته دخول الجنة وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدّست
أسماؤه عليها مؤد شكرها ، وأنا أقول الحمد لله أفضل ما حمده حامده إلى أبد الأبد بما
منّ الله عليك من رحمته ونجاك من الهلكة وسهّل سبيلك على العقبة . وأيم الله إنها
لعقبة كؤود ، شديد أمرها ، صعب مسلكها ، عظيم بلاؤها ، قديم في الزبر الأولى
ذكرها ولقد كانت منكم في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله وفي أيامي هذه
أمور كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي ولا مسدي التوفيق .

فاعلم يقيناً يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل
سبيلاً يا إسحاق ليس تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، وذلك قول
الله في محكم كتابه حكاية عن الظالم إذ يقول : ﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت
بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾^(٢) . وأي آية أعظم من

(١) هو ثقة من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام وممن كانت ترد عليهم التوقيعات أيضاً .

(٢) سورة طه ؛ الآيتان : ١٢٥ - ١٢٦ .

حجة الله على خلقه وأمينه في بلاده وشهيدته على عباده من بعد من سلف من آبائه الأولين النبيين وآبائه الآخرين الوصيين عليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته . فأين يتاه بكم وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم ، عن الحق تصدقون وبالباطل تؤمنون وبنعمة الله تكفرون أو تكونوا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا وطول عذاب في الآخرة الباقية . وذلك والله الخزي العظيم . إن الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمة منه - لا إله إلا هو - عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليتلي ما في صدوركم وليمحس ما في قلوبكم ، لتسابقوا إلى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنته ، ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض ومفتاحاً إلى سبيله ، لولا محمد ﷺ والأوصياء من ولده لكتنم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض وهل تدخل مدينة إلا من بابها ، فلما من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبیکم ، قال الله في كتابه : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١) ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم وماكلكم ومشاربكم ، قال الله : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾^(٢) واعلموا أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء ، لا إله إلا هو . ولقد طاللت المخاطبة فيما هو لكم وعليكم .

ولولا ما يحب الله من تمام النعمة من الله عليكم لما رأيتم لي خطأ ولا سمعتم مني حرفاً من بعد مضي الماضي ﷻ وأنتم في غفلة مما إليه معادكم . ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن عبده^(٣) وكتابي الذي حملة إليكم محمد بن موسى النيسابوري والله المستعان على كل حال . وإياكم أن تفرطوا في جنب الله فتكونوا من الخاسرين . فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله ولم يقبل مواعظ أوليائه . فقد أمركم الله بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر ، رحم الله ضعفكم وغفلتكم وصبركم على أمركم ، فما أغر الإنسان بربه الكريم ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما هو في هذا الكتاب

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) إبراهيم بن عبده ومحمد بن موسى النيسابوري كانا من أصحاب الهادي والعسكري ﷻ وروى الكشي «ره» بعض توقيعات في حقهما .

لتصدعت قلقاً وخوفاً من خشية الله ورجوعاً إلى طاعة الله ، اعملوا ما شئتم [فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

وروي عنه (ع) في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : لا تمار فيذهب بهاؤك . ولا تمازح فيجتراً عليك .

وقال عليه السلام : من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم .

وكتب عليه السلام إلى رجل سألته دليلاً : من سأل آية أو برهاناً فأعطي ما سأل ، ثم رجع عمن طلب منه الآية عذب ضعف العذاب . ومن صبر أعطي التأييد من الله . والناس مجبولون على حيلة إثارة الكتب المنشرة نسأل الله السداد ، فإنما هو التسليم أو العطب والله عاقبة الأمور .

وكتب إليه بعض شيعته يعرفه اختلاف الشيعة ، فكتب عليه السلام : إنما خاطب الله العاقل . والناس في على طبقات : المستبصر على سبيل نجاة ، متمسك بالحق ، متعلق بفرع الأصل ، غير شاك ولا مرتاب ، لا يجد عني ملجأ . وطبقة لم تأخذ الحق من أهله ، فهم كراكب البحر يموج عند موجه ويسكن عند سكونه . وطبقة استحوذ عليهم الشيطان ، شأنهم الرد على أهل الحق ودفع الحق بالباطل حسداً من عند أنفسهم . فدع من ذهب يميناً وشمالاً ، فإن الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون سعي . وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة ، فإنهما يدعوان إلى الهلكة .

وقال عليه السلام : من الذنوب التي لا تغفر : ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا . ثم قال عليه السلام : الإشرار في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة .

وقال عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

وخرج في بعض توقيعاته عليه السلام عند اختلاف قوم من شيعته في أمره : ما مني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من شك هذه العصابة في ، فإن كان هذا الأمر أمراً

اعتقدتموه وذنتم به إلى وقت ثم ينقطع فللشك موضع . وإن كان متصلاً ما اتصلت أمور فما معنى هذا الشك ؟ .

وقال عليه السلام : حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار . وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار ، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار . وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار .

وقال عليه السلام : من التواضع السَّلام على كل من تمرَّ به ، والجلوس دون شرف المجلس .

وقال عليه السلام : من الجهل الضحك من غير عجب .

وقال عليه السلام : من الفواقر التي تقصم الظهر^(١) جار إن رأى حسنة أطفأها وإن رأى سيئة أفسأها .

وقال عليه السلام لشيعته : أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم صلوا في عشائهم واشهدوا جنازتهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم ، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا شيعي فيسرنى ذلك . اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح ، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك . لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب . أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن للصلاة على رسول الله عشر حسنات . احفظوا ما وصيكم به وأستودعكم الله وأقرأ عليكم السَّلام .

وقال عليه السلام : ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله .

وقال عليه السلام : بش العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، إن أعطي حسده ، وإن ابتلي خانه .

(١) الفواقر : جمع فاقرة أي الداهية العظيمة فكانها تكسر فقر الظهر .

وقال عليه السلام : الغضب مفتاح كل شر .

وقال عليه السلام : لشيعته في سنة ستين ومائتين : أمرناكم بالتختم في اليمين ونحن بين ظهرانيناكم . والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم فإنه من أدل دليل عليكم في ولايتنا - أهل البيت - فخلعوا خواتيمهم من أيماهم بين يديه ولبسوها في شمائلهم . وقال عليه السلام : لهم : حدثوا بهذا شيعتنا .

وقال عليه السلام : أقل الناس راحة الحقوق .

وقال عليه السلام : أروع الناس من وقف عند الشبهة ، أعبد الناس من أقام على الفرائض ، أزهد الناس من ترك الحرام ، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب .

وقال عليه السلام : إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة ، من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، لكل زارع ما زرع . لا يسبق بطيء بحظه . ولا يدرك حريص ما لم يقدر له . من أعطي خيراً فالله أعطاه . ومن وقي شراً فالله وقاه .

وقال عليه السلام : المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر .

وقال عليه السلام : قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه .

وقال عليه السلام : لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض .

وقال عليه السلام : من تعدى في ظهوره كان كناقضه .

وقال عليه السلام : ما ترك الحق عزيز إلا ذل ، ولا أخذ به ذليل إلا عز .

وقال عليه السلام : صديق الجاهل تعب .

وقال عليه السلام : خصلتان ليس فوقهما شيء : الإيمان بالله . ونفع الإخوان .

وقال عليه السلام : جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره .

وقال عليه السلام : ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون .

وقال عليه السلام : خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة . وشر من الموت ما إذا نزل بك أحبت الموت .

وقال عليه السلام : رياضة الجاهل ورد المعتاد عن عادته كالمعجز .

وقال عليه السلام : التواضع نعمة لا يحسد عليها .

وقال عليه السلام : لا تكرم الرجل بما يشق عليه .

وقال عليه السلام : من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شأنه .

وقال عليه السلام : ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط بها .

وقال عليه السلام : ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله .

تمّ ما انتهى إلينا من أخبار النبي والأئمة الطاهرين عليه السلام في المعاني التي ذكرناها والآثار التي اشترطناها . ولم نذكر شيئاً من توقيعات صاحب زماننا والحجة في عصرنا على تواترها في الشيعة المستبصرين واستقامتها فيهم ، لأنه لم يصل إلينا ما اقتضاه كتابنا وضاهاه تأليفنا والإعتقاد فيه مثله فيمن سلف من آبائه الماضين الأئمة الراشدين عليه السلام أجمعين وأتبع ذلك بما جانسه وشاكله لتزداد الفوائد وتتضاعف المواعظ والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مناجاة الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران (ع)

يا موسى : لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك وقاسي القلب مني بعيد . أمت قلبك بالخشية . وكن خلق الثياب ، جديده القلب ، تخفى على أهل الأرض وتعرف بين أهل السماء . وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوه . واستعن بي على ذلك ، فإني نعم المستعان .

يا موسى : إني أنا فوق العباد والعباد دوني وكل لي داخرون ، فاتهم نفسك على نفسك ولا تأتمن ولدك على دينك إلا أن يكون ولدك مثلك يحب الصالحين .

يا موسى : اغسل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين .

يا موسى : كن إمامهم في صلاتهم وفيما يتشاجرون واحكم بينهم بالحق بما أنزلت عليك ، فقد أنزلته حكماً بيناً وبرهاناً نيراً ونوراً ينطق بما في الأولين وبما هو كائن في الآخرين .

يا موسى : أوصيك وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب

الأثنان^(١) والبرنس والزيتون والمحراب . ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهر فمثله في كتابك أنه مؤمن مهيمن على الكتب ، وأنه راعع ساجد راغب راهب ، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون وسيكون في زمانه أزل^(٢) وزلازل وقتل ، اسمه أحمد ومحمد الأمين من الباقيين الأولين ، يؤمن بالكتب كلها ويصدق جميع المرسلين ، أمته مرحومة مباركة ، لهم ساعات مؤقتات يؤذنون فيها بالصلوات ، فيه صدق فإنه أخوك .

يا موسى : إنه أميني وهو عبد صدق مبارك له فيما وضع يده تبارك عليه ، كذلك كان في علمي وكذلك خلقته ، به أفتح الساعة وبأتمه أختم مفاتيح الدنيا ، فمر ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه ولا يخذلوه ، وإنهم لفاعلون وجهه لي حسنة وأنا معه وأنا من حزيه وهو من حزبي ، وحزبي هم الغالبون .

يا موسى : أنت عبدي وأنا إلهك ، لا تستذلّ الحقيقير الفقير ، ولا تغبط الغني ، وكن عند ذكري خاشعاً ، وعند تلاوته برحمتي طامعاً ، فأسمعني لذاذة التوراة بصوت خاشع حزين ، إطمئن عند ذكري واعبدني ولا تشرك بي ، إني أنا السيد الكبير ، إني خلقتك من نطفة من ماء مهين من طينة أخرجهتها من أرض ذليلة ممشوجة ، فكانت بشراً ، فأنا صانعها خلقاً ، فتبارك وجهي وتقدس صني ، ليس كمثلي شيء وأنا الحي الدائم لا أزول .

يا موسى : كن إذا دعوتني خائفاً ، مشفقاً ، وجللاً ، وناجني حين تناجيني بخشية من قلب وجل ، وأحي بتوراتي أيام الحياة ، وعلم الجاهلين محامدي ، وذكرهم آلائي ونعمي ، قل لهم : لا يتمادون في غيٍّ ما هم فيه ، فإن أخذي لهم شديد .

يا موسى : إن انقطع حبلك مني لم يتصل بحبل غيري ، فاعبدني وقم بين يدي مقام العبد الحقير . ذم نفسك وهي أولى بالذم . ولا تتطال على بني إسرائيل بكتابي ، فكفى بهذا واعظاً لقلبك منيراً ، وهو كلام رب العالمين جلّ وتعالى .

(١) الأثنان - بفتح الهمزة - : الحمار . والبرنس : قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .
(٢) الأزل - بالفتح - مصدر أزل يأزل - كضرب يضرب - : وقع في ضيق وشدة . وبالكسر - الداهية .

يا موسى : متى ما دعوتني وجددتني ، فإنني سأغفر لك على ما كان منك ، السماء تسبّح لي وجلاً ، والملائكة من مخافتي مشفقون ، والأرض تسبّح لي طمعاً ، وكل الخلق يسبّحون لي داخرين . ثم عليك بالصلاة ، فإنها مني بمكان ولها عندي عهد وثيق وألحق بها ما هو منها زكاة القربان من طيب المال والطعام ، فإنني لا أقبل إلا الطيب ، يُراد به وجهي ، أقرن مع ذلك صلة الأرحام ، فإنني أنا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ والرَّحْمَ أنا خلقتها فضلاً من رحمتي ليتعاطف بها العباد ، ولها عندي سلطان في معاد الآخرة ، وأنا قاطع من قطعها وواصل من وصلها ، وكذلك أفعل بمن ضيّع أمري .

يا موسى : أكرم السائل إذا أتاك برّد جميل أو إعطاء يسير ، فإنه يأتيك من ليس بإنس ولا جان : ملائكة الرَّحْمَن يبلونك كيف أنت صانع فيما أوليتك وكيف مواساتك فيما خولتك ، فاخشع لي بالتضرع واهتف بولولة الكتاب . واعلم أنني أدعوك دعاء السيد مملوكه لتبلغ به شرف المنازل ، وذلك من فضلي عليك وعلى آبائك الأولين .

يا موسى : لا تنسني على كل حال ولا تفرح بكثرة المال ، فإن نسياني يقسي القلوب ومع كثرة المال كثرة الذنوب . الأرض مطيعةٌ و[السماء مطيعة] والبحار مطيعة ، فمن عصاني شقي ، فأنا الرَّحْمَنُ [الرحيم] رحمن كل زمان ، آتي بالشدة بعد الرخاء ، وبالرخاء بعد الشدة ، وبالمملوك بعد المملوك وملكي دائم ، قائم ، لا يزول ولا يخفى عليّ شيء في الأرض ولا في السماء ، وكيف يخفى عليّ ما مني مبتداه . وكيف لا يكون همك فيما عندي ، وإليّ ترجع لا محالة .

يا موسى : اجعلني حرزك ، وضع عندي كنزك من الصالحات ، وخفني ولا تخف غيري ، إليّ المصير .

يا موسى : عجل التوبة وأخر الذنب ، وتأن في المكث بين يدي في الصلاة ، ولا ترج غيري ، اتخذني جنة للشدائد وحصناً لملكات الأمور .

يا موسى : نافس في الخير أهله ، فإن الخير كاسمه ، ودع الشر لكل مفتون .

يا موسى : إجعل لسانك من وراء قلبك تسلم ، وأكثر ذكرني بالليل والنهار تغنم ، ولا تتبع الخطايا فتندم ، فإن الخطايا موعدها النار .

يا موسى : أطب الكلام لأهل الترك للذنوب ، وكن لهم جليساً ، واتخذهم لغيبك إخواناً ، وجُدْ معهم يجذّبون معك .

يا موسى : ما أريد به وجهي فكثيرٌ قليله ، وما أريد به غيري فقليل كثيره ، وإن أصلح أيامك : الذي أمامك فانظر أيّ يوم هو فأعدّ له الجواب فإنك موقوف ومسؤول . وخذ موعظتك من الدهر وأهلكه ، فإن الدهر طويله قصير وقصيره طويل ، وكلّ شيء فان . فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لكي يكون أطمع لك في الآخرة لا محالة ، فإن ما بقي من الدنيا كما ولّى منها . وكل عامل يعمل على بصيرة ومثال . فكن مرتاداً لنفسك^(١) يا ابن عمران ، لعلك تفوز غداً يوم السؤال ، وهنالك يخسر المبطلون .

يا موسى : طب نفساً عن الدنيا وانطو عنها فإنها ليست لك ولست لها ، ما لك ولددار الظالمين إلاّ لعامل فيها بالخير ، فإنها له نعم الدار .

يا موسى : الدنيا وأهلها فتن بعضها لبعض . فكل أمر مزين له ما هو فيه والمؤمن زينٌ له الآخرة ، فهو ينظر إليها ما يفتقر قد حالت شهوتها بينه وبين لذة العيش فادلجته بالأسحار^(٢) كفعل الراكب السابق إلى غايته يظل كثيراً ويمسي حزناً فطوبى له ، [أما] لو قد كشف الغطاء ماذا يعاين من السرور .

يا موسى : إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل : ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين . ولا تكن جباراً ظلوماً ولا تكن للظالمين قريناً .

يا موسى : ما عمر وإن طال يذم آخره ، وما ضرّك ما زوي^(٣) عنك إذا حمدت مغبته .

يا موسى : صرّح الكتاب صراحاً بما أنت إليه صائر ، فكيف ترقد على هذا العيون ، أم كيف يجد قوم لذة العيش لولا التماذي في الغفلة ، والتتابع في الشهوات ، ومن دون هذا جزع الصديقون .

يا موسى : مر عبادي يدعوني على ما كانوا بعد أن يقرؤا بي أنني أرحم الراحمين ، أجيب المضطرين ، وأكشف السوء ، وأبدّل الزمان ، وأتي بالرخاء ، وأشكر اليسير ، وأثيب بالكثير ، وأغني الفقير ، وأنا الدائم العزيز القدير ، فمن لجأ

(١) ارتاد الشيء : طلبه .

(٢) الدلجة : سير الليل وأدلج القوم : ساروا الليل في آخره أو كله . والكثيب : الحزن أشد الحزن .

(٣) زوى : صرف . والمغبة بالفتح وتشديد الباء : العاقبة .

إليك وانضوى إليك من الخاطئين فقل : أهلاً وسهلاً بأرحب الفناء نزلت بفناء رب العالمين واستغفر لهم وكن [لهم] كأحدهم ولا تستطل عليهم بما أنا أعطيتك فضله وقل لهم فيسألوني من فضلي ورحمتي ، فإنه لا يملكها أحد غيري وأنا ذو الفضل العظيم ، كهف الخاطئين وجليس المضطرين ومستغفر للمذنبين ، إنك مني بالمكان الرضي ، فادعني بالقلب النقي واللسان الصادق ، وكن كما أمرتك ، أطع أمري ولا تستطل على عبادي بما ليس منك مبتدؤه . وتقرّب إليّ ، فإنني منك قريب ، فإنني لم أسألك ما يؤذيكَ ثقله ولا حمّله . إنما سألتك أن تدعوني فأجيبك . وأن تسألني فأعطيك وأن تتقرّب بما مني أخذت تأويله ، وعليّ تمام تنزيله .

يا موسى : انظر إلى الأرض فإنها عن قريب قبرك . وارفع عينيك إلى السماء فإن فوقك فيها ملكاً عظيماً وابك على نفسك ما كنت في الدنيا ، وتخوّف العطب والمهالك ، ولا تغرنك زينة الدنيا وزهرتها ، ولا ترض بالظلم ، ولا تكن ظالماً ، فإنني للظالم بمرصد حتى أدبل منه المظلوم .

يا موسى : إن الحسنة عشرة أضعاف ، ومن السيئة الواحدة الهلاك ، ولا تشرك بي ، لا يحل لك أن تشرك بي ، قارب وسدّد ، ادع دعاء الراغب فيما عندي ، النادم على ما قدّمت يداه ، فإن سواد الليل يمحوه النهار ، كذلك السيئة تمحوها الحسنة ، وعشوة الليل^(١) تأتي على ضوء النهار ، فكذلك السيئة تأتي على الحسنة فتسودها .

مناجاة الله جلّ ثناؤه لعيسى بن مريم صلوات الله عليهما

يا عيسى : أنا ربك وربّ آبائك ، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرد بخلق كل شيء ، وكل شيء من صنعي وكل إليّ راجعون .

يا عيسى : أنت المسيح بأمري ، وأنت تخلق من الطين بإذني ، وأنت تحيي الموتى بكلامي ، فكن إليّ راغباً ومني راهباً ولن تجد مني ملجأ إلا إليّ .

يا عيسى : أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حقت لك مني الولاية بتحريك^(٢) مني المسرة ، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت ، أشهد أنك

(١) عشوة الليل : ظلمتها .

(٢) التحري : القصد والاجتهاد في الطلب . وطلب ما هو أحرى بالإستعمال في غالب الظن .

عبدني من أمتي ، تقرب إليَّ بالنوافل وتوكل عليَّ أكفك ، ولا تولَّ غيري فأخذلك .
يا عيسى : اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن كمسرتي فيك ، فإن مسرتي أن
أطاع فلا أعصى .

يا عيسى : أحي ذكري بلسانك ، وليكن ودي في قلبك .
يا عيسى : تيقظ في ساعة الغفلة . واحكم لي لطيف الحكمة .
يا عيسى : كن راغباً راهباً ، وأمت قلبك بالخشية .
يا عيسى : راع الليل لتحري مسرتي واطمأ نهارك ليوم حاجتك .
يا عيسى : إنك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إياك ولا تقهر اليتيم .
يا عيسى : إبك على نفسك في الخلوات ، وانقل قدميك إلى مواقيت
الصلوات ، وأسمعي لداذة نطقك بذكري ، فإن صنيعي إليك حسن .
يا عيسى : كم [من] أمة قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها .

يا عيسى : إرفق بالضعيف وارفع طرفك الكليل^(١) إلى السماء وادعني ، فإنني
منك قريب ، ولا تذكرني إلا متضرعاً إليَّ وهمك واحد ، فإنك متى دعوتني كذلك
أجبك .

يا عيسى : لا يغرك المتمرد [علي] بالعصيان يأكل رزقي ويعبد غيري ، ثم
يدعوني عند الكرب فأجيبه ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، فعليَّ يتمرد ؟ أم بسخطي
يتعرض ؟ وبني حلفت لأخذنه أخذهً ليس له منها منجأ ، ولا دوني ملجأ ، أين يهرب
من سمائي وأرضي .

يا عيسى : قل لظلمة بني إسرائيل : لا تدعوني والسحت تحت أعضائكم
والأصنام في بيوتكم^(٢) ، فإنني آليت أن أجيب من دعائي وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً
عليهم حتى يتفرقوا .

(١) الكليل : الضعيف .

(٢) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر والعضدان وما بينهما وهو كناية عن ضبط
مال الحرام .

يا عيسى : ما خير لذاعة لا تدوم ، وعيش عن صاحبه يزول .

يا ابن مريم : لو رأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه ، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبون وتدخل عليهم فيها الملائكة المقرَّبون وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون ، دارٌ لا يتغير فيها النعيم ولا يزول عن أهلها .

يا ابن مريم : نافس فيها مع المتنافسين ، فإنها أمنية المتمكنين ، حسنة المنظر ، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين مع آبائك آدم وإبراهيم في جنات ونعيم ، لا تبغي بها بدلاً ولا تحويلاً ، كذلك أفعَل بالمتقين .

يا عيسى : اهرب إليّ مع من يهرب من نار ذات لهب ونار ذات أغلال وأنكال^(١) ، لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم أبداً ، قطع كقطع الليل المظلم ، من ينج منها يفز ، هي دار الجبارين والعتاة الظالمين وكل فظ غليظ .

يا عيسى : بثت الدار لمن ركن إليها وبثس القرار دار الظالمين ، إني أحذرك نفسك فكن بي خبيراً .

يا عيسى : كن حيث ما كنت مراقباً لي واشهد عليّ أني خلقتك وأنت عبدي وأني صوّرتك ، وإلى الأرض أهبطتك .

يا عيسى : افطم نفسك عن الشهوات الموبقات وكل شهوة تباعدك مني فاهجرها . واعلم أنك مني بمكان الرسول الأمين فكن مني على حذر .

يا عيسى : كنتُ خلقتك بكلامي ، ولدتك مريم بأمرِي ، المرسل إليها روعي جبرائيل الأمين من ملائكتي حتى قمت على الأرض حياً تمشي . وكل ذلك من سابق علمي .

يا عيسى : إن غضبتُ عليك لم ينفعك من رضي عنك . وإن رضيت عنك لم يضرّك غضب المتغضبين عليك .

يا عيسى : اذكرني في نفسك ، واذكرني في ملائكتك ، أذكرك في ملاء خيرٍ من الآدميين .

(١) النكل - بالكسر - : القيد ، والجمع أنكال .

يا عيسى : ادعني دعاء الغريق الذي ليس له مغيث .

يا عيسى : لا تحلف بي كاذباً فيهتز عرشي غضباً . الدنيا قصيرة العمر طويلة الأمل . وعندي دارٌ خير مما يجمعون .

يا عيسى : كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كنتموها وأعمال كنتم بها عاملين .

يا عيسى : قل لظلمة بني إسرائيل : غسّلتم وجوهكم وندستم قلوبكم ، أبي تغثرون أم عليّ تجثرون ، تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنكم أقوام ميتون .

يا عيسى : قل لهم : قلموا أظفاركم من كسب الحرام . وأصمّوا أسماعكم عن ذكر الخناء . وأقبلوا عليّ بقلوبكم ، فإنني لست أريد صوركم .

يا عيسى : إفرح بالحسنة ، فإنها لي رضى وابك على السيئة فإنها شينٌ . وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك . وإن لطم أحد خدك الأيمن فأعطه الأيسر . وتقرب إليّ بالموّدة جهداً ، وأعرض عن الجاهلين .

يا عيسى : دُل لأهل الحسنة وشاركهم فيها وكن عليهم شهيداً ، وقل لظلمة بني إسرائيل : يا أئحذان السوء إن لم تنتهوا أمسخكم قردهً وخنازير .

يا عيسى : قل لظلمة بني إسرائيل : الحكمة تبكي فرقاً مني وأنتم بالضحك تهجرون أتنكم براءتي ؟ أم لديكم أمانٌ من عذابي ؟ أم تعرّضون لعقوبي ؟ فبي حلفت لأترككن مثلًا للغابرين .

ثم أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين ، وحبيبي صاحب الجمل الأحمر والوجه الأزهر ، المشرق بالنور ، الطاهر القلب ، الشديد البأس ، الحبي (١) المتكرم ، فإنه رحمة للعالمين وسيد ولد آدم يوم يلقاني ، أكرم السابقين عليّ ، وأقرب المسلمين مني ، العربي الأمي ، الديان بديني ، الصابر في ذاتي ، المجاهد للمشرّكين بذبّه عن ديني وأن تخبر به بني إسرائيل وتأمرهم أن يصدّقوه وأن يؤمنوا به

(١) الحبي - كشريف - : المحتشم ، من حبي حياء .

وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ وَيَنْصُرُوهُ . قَالَ : إِلَهِي مَنْ هُوَ حَتَّى أَرْضِيَهُ ذَلِكَ الرِّضَا ؟ قَالَ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَةً وَأَقْرَبُهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً وَأَحْضَرُهُمْ شَفَاعَةً ، طُوبَى لَهُ مَنْ نَبِيٍّ وَطُوبَى لِأُمَّتِهِ ، إِنَّهُمْ لَقَوْنِي عَلَى سَبِيلِهِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، أَمِينٌ مِيمُونٌ طَيِّبٌ ، خَيْرُ الْبَاقِينَ عِنْدِي ، يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا خَرَجَ أَرْضَتْ السَّمَاءُ عِزَالِيهَا^(١) وَأَخْرَجَتْ زَهْرَتَهَا حَتَّى يَرَوْا الْبَرَكَةَ وَأُبَارِكَ لَهُمْ فِيهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، كَثِيرُ الْأَزْوَاجِ ، قَلِيلُ الْأَوْلَادِ .

يَا عِيسَى : كُلَّمَا يَقْرَبُكَ مِنِّي قَدْ دَلَّلْتُكَ عَلَيْهِ ، وَكُلَّمَا يَبَاعِدُكَ مِنِّي قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ .

يَا عِيسَى : الدُّنْيَا حُلُوهٌ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ فِيهَا فَجَانِبَ مِنْهَا مَا حَذَّرْتُكَ ، وَخَذَ مِنْهَا مَا أَعْطَيْتُكَ عَفْوَاً .

يَا عِيسَى : انْظُرْ فِي عَمَلِكَ نَظَرَ الْعَبْدِ الْمَذْنُوبِ الْخَاطِئِ ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عَمَلِ غَيْرِكَ ، كُنْ فِيهَا زَاهِداً وَلَا تَرْهَبْ فِيهَا فَتَعْطِبَ .

يَا عِيسَى : أَعْقِلْ وَتَفَكَّرْ وَانْظُرْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ .

يَا عِيسَى : كُلُّ وَصْفِي لَكَ نَصِيحَةٌ ، وَكُلُّ قَوْلِي لَكَ حَقٌّ وَأَنَا الْحَقُّ الْمُبِينُ ، فَحَقّاً أَقُولُ : لَئِنْ أَنْتَ عَصَيْتَنِي بَعْدَ أَنْ أَنْبَأْتُكَ مَا لَكَ مِنْ دُونِي وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ .

يَا عِيسَى : أَدَّبَ قَلْبُكَ بِالْخَشْيَةِ . وَانْظُرْ إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكَ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَذَنْبٍ هُوَ حُبُّ الدُّنْيَا فَلَا تَحِبَّهَا فَإِنِّي لَا أَحِبُّهَا .

يَا عِيسَى : أَطْبَعَ لِي قَلْبُكَ وَأَكْثَرَ ذِكْرِي فِي الْخُلُوتِ . وَاعْلَمْ أَنَّ سِرُّوْرِي أَنَّ تَبْصِصَ إِلَهِي ، كُنْ فِي ذَلِكَ حَيّاً وَلَا تَكُنْ مَيِّتاً .

يَا عِيسَى : لَا تَشْرِكْ بِي وَكُنْ مِنِّي عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالصَّحَّةِ ، وَلَا تَغْبِطَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا كَفِيٌّ زَائِلٌ وَمَا أَقْبَلَ مِنْهَا كَمَا أَدْبَرَ ، فَنَافَسَ فِي الصَّالِحَاتِ جَهْدَكَ ، وَكُنْ مَعَ الْحَقِّ وَإِنْ قَطَّعْتَ وَأُحْرِقْتَ بِالنَّارِ . فَلَا تَكْفُرْ بِي بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ . وَلَا تَكُنْ مَعَ الْجَاهِلِينَ فَإِنَّ الشَّيْءَ يَكُونُ مَعَ الشَّيْءِ .

(١) العزالي - بفتح اللام وكسرهما - : جمع عزلاء - كحمراء - : مصب الماء من القرية ونحوها .

يا عيسى : صُبَّ لي الدموع من عينيك . واخشع بقلبك .
يا عيسى : استغث لي في حال الشدة ، فإني أُغيث المكروبين وأُجيب
المضطرين ، وأنا أرحم الراحمين .

مواعظ المسيح (ع) في الإنجيل وغيره ومن حكمه

طوبى للمتراحمين أولئك هم المرحومون يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين
الناس أولئك هم المقربون يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم أولئك يزورون الله يوم
القيامة ، طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرثون منابر الملك يوم القيامة . طوبى
للمساكين ولهم ملكوت السماء . طوبى للمحزونين هم الذين يسرون . طوبى للذين
يجوعون ويظمئون خشوعاً هم الذين يسقون [طوبى للذين يعملون الخير أصفاء الله
يدعون] . طوبى للمسبوين من أجل الطهارة ، فإن لهم ملكوت السماء . طوبى لكم
إذا حسدتم وشتمتم وقيل فيكم كل كلمة قبيحة كاذبة حينئذ فافرحوا وابتهجوا ، فإن
أجركم قد كثر في السماء .

وقال : يا عبيد السوء تلومون الناس على الظن ، ولا تلومون أنفسكم على
اليقين . [يا عبيد الدنيا تحبون أن يُقال فيكم ما ليس فيكم ، وأن يشار إليكم
بالأصابع] . يا عبيد الدنيا تحلقون رؤوسكم وتقصرون قمصكم وتنكسون رؤوسكم ولا
تنزعون الغل من قلوبكم . يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل القبور المشيدة يعجب الناظر
ظهرها وداخلها عظام الموتى مملوءة خطايا .

يا عبيد الدنيا إنما مثلكم كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه .

يا بني إسرائيل : زاحموا العلماء في مجالسهم ولو حبواً على الركب ، فإن الله
يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة ، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر .

يا بني إسرائيل : قلّة المنطق حكمٌ عظيم فعليكم بالصمت ، فإنه دعة حسنة
وقلّة وزر وخفة من الذنوب ، فحصّنوا باب العلم ، فإن بابه الصبر ، وإن الله يخفض
الضحك من غير عجب ، والمشاء إلى غير أدب ، ويحبّ الوالي الذي يكون كالراعي
لا يغفل عن رعيته . فاستحيوا الله في سرائركم كما تستحيون الناس في علانيتكم

واعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن فليكنتم التمسك بها قبل أن ترفع ، ورفعهما أن تذهب رواته .

يا صاحب العلم : عظم العلماء لعلمهم ودع منازعتهم ، وصغر الجهال لجهلهم ولا تطردهم ولكن قربهم وعلمهم . يا صاحب العلم : اعلم أن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ عليها .

يا صاحب العلم : اعلم أن كل معصية عجزت عن توبتها بمنزلة عقوبة تعاقب بها .

يا صاحب العلم : كرب^(١) لا تدري متى تغشاك فاستعد لها قبل أن تفجأك .

وقال عليه السلام لأصحابه : أرايتم لو أن أحداً مرّ بأخي فرأى ثوبه قد انكشف عن عورته ، أكان كاشفاً عنها أم يردُّ على ما انكشف منها ؟ قالوا : بل يردُّ على ما انكشف منها ، قال : كلاً بل تكشفون عنها ، فعرفوا أنه مثل ضربه لهم ، فقالوا : يا روح الله وكيف ذاك ؟ قال : ذاك الرجل منكم يطلع على العورة من أخيه فلا يسترها .

بحق أقول لكم : أعلمكم لتعلموا ولا أعلمكم لتعجبوا بأنفسكم . إنكم لن تنالوا ما تريدون إلا بترك ما تشتهون . ولن تظفروا بما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلوب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة . طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل قلبه في نظر عينه . لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب ، وانظروا في عيوبهم كهيئة عبيد الناس . إنما الناس رجلان : مبتلى ومعافى ، فارحموا المبتلى ، واحمدوا الله على العافية .

يا بني إسرائيل : أما تستحيون من الله ، أن أحذكم لا يسوغ له شرابه حتى يصفيه من القذى ولا يبالى أن يبلغ أمثال الفيلة من الحرام . ألم تسمعوا أنه قيل لكم في التوراة : «صلوا أرحامكم وكافئوا أرحامكم» . وأنا أقول لكم : صلوا من قطعكم وأعطوا من منعكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم وسلموا على من سبكم ، وأنصفوا من خاصمكم واعفوا عن ظلمكم ، كما أنكم تحبون أن يعفى عن إساءتكم ، فاعتبروا بعفو الله عنكم ، ألا ترون أن شمسهُ أشرقت على الأبرار والفجار منكم ، وأن مطره

(١) الكرب - بالضم فالفتح - : جمع كربة - بالضم - : الحزن والمشقة .

ينزل على الصالحين والخاطئين منكم . فإن كنتم لا تحبون إلا من أحبكم ، ولا تحسنون إلا إلى من أحسن إليكم ولا تكافئون إلا من أعطاكم فما فضلكم إذاً على غيركم وقد يصنع هذا السفهاء الذين ليست عندهم فضول ولا لهم أحلام . ولكن إن أردتم أن تكونوا أحبباء الله وأصفياء الله فأحسنوا إلى من أساء إليكم واعفوا عن ظلمكم وسلموا على من أعرض عنكم ، إسمعوا قولي واحفظوا وصيتي وارعوا عهدي كيما تكونوا علماء فقهاء .

بحق أقول لكم : إن قلوبكم بحيث تكون كنوزكم . ولذلك الناس يحبون أموالهم وتتوق إليها أنفسهم - فضعوا كنوزكم في السماء حيث لا يأكلها السوس ولا ينالها اللصوص .

بحق أقول لكم : إن العبد لا يقدر على أن يخدم ربين ، ولا محالة أنه يؤثر أحدهما على الآخر وإن جهد ، كذلك لا يجتمع لكم حب الله وحب الدنيا .

بحق أقول لكم : إن شر الناس لرجل عالم أثر دنياه على علمه فأحبها وطلبها وجهد عليها حتى لو استطاع أن يجعل الناس في حيرة لفعل ، وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم علمه إذا هو لم يعمل به . ما أكثر ثمار الشجر وليس كلها ينفع ويؤكل ، وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم ، وما أوسع الأرض وليس كلها تسكن ، وما أكثر المتكلمين وليس كلامهم يصدق ، فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف منكسور رؤوسهم إلى الأرض يزورون به الخطايا يرمقون من تحت حواجبهم ، كما ترمق الذئاب وقولهم يخالف فعلهم ، وهل يجتنى من العوسج العنب ومن الحنظل التين ، وكذلك لا يؤثر قول العالم الكاذب إلا زوراً . وليس كل من يقول يصدق .

بحق أقول لكم : إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا ، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، ألم تعلموا أنه من شمع برأسه إلى السقف شجّه ، ومن خفض برأسه عنه استظل تحته وأكنّه ، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه ومن تواضع لله رفعه . إنه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق^(١) وكذلك القلوب ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها ، إن الزق ما لم

(١) الزقاق - بالضم والكسر فالتشديد - : جمع زق - بالكسر فالتشديد - : السقاء أو جلد يجر ولا يتنف ويستعمل للزيت والسمن والعسل وغيرها .

ينحرق أو يقحل أو يتفل فسوف يكون للعسل وعاءاً ، وكذلك القلوب ما لم تحرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة .

بحق أقول لكم : إن الحريق ليقع في البيت الواحد فلا يزال ينتقل من بيت إلى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة إلا أن يستدرك البيت الأول فيهدم من قواعده فلا تجد فيه النار معملاً ، وكذلك الظالم الأول لو يؤخذ على يديه لم يوجد من بعده إمام ظالم فيأتون به كما لو لم تجد النار في البيت الأول خشباً وألواحاً لم تحرق شيئاً .

بحق أقول لكم : من نظر إلى الحية تؤم أخاه لتلدعه ولم يحذر حتى قتله فلا يأمن أن يكون قد شرك في دمه ، وكذلك من نظر إلى أخيه يعمل الخطيئة ولم يحذر عاقبتها حتى أحاطت به فلا يأمن أن يكون قد شرك في إثمه . ومن قدر على أن يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله ، وكيف يُهاب الظالم وقد آمن بين أظهركم لا ينهي ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه فمن أين يقصّر الظالمون أم كيف لا يفترقون ، فحسب أن يقول أحدكم : لا أظلم ومن شاء فليظلم ويرى الظلم فلا يغيره . فلو كان الأمر على ما تقولون لم تعاقبوا مع الظالمين الذين لم تعملوا بأعمالهم حين تنزل بهم العشرة في الدنيا .

ويلكم يا عبيد السوء : كيف ترجون أن يؤمنكم الله من فزع يوم القيامة وأنتم تخافون الناس في طاعة الله وتطيعونهم في معصيته وتفنون لهم بالعهود الناقضة لعهد .

بحق أقول لكم : لا يؤمن الله من فزع ذلك اليوم من اتخذ العباد أرباباً من دونه .

ويلكم يا عبيد السوء : من أجل دنيا دنية وشهوة ردية تفرطون في ملك الجنة ، وتنسون هول يوم القيامة .

ويلكم يا عبيد الدنيا : من أجل نعمة زائلة وحياة منقطعة تفرّون من الله وتكرهون لقاءه ، فكيف يحبُّ الله لقاءكم وأنتم تكرهون لقاءه ، فإنما يحبُّ الله لقاء من يحبُّ لقاءه ويكره لقاء من يكره لقاءه وكيف تزعمون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنتم تفرّون من الموت وتعتصمون بالدنيا . فماذا يغني عن الميت طيب ريح حنوطه وبياض أكفانه وكل ذلك يكون في التراب ، كذلك لا يغني عنكم بهجة دنياكم التي زينت لكم ، وكل ذلك إلى سلب وزوال . ماذا يغني عنكم نقاء أجسادكم وصفاء ألوانكم وإلى الموت تصيرون وفي التراب تنسون وفي ظلمة القبر تغمرون .

ويلكم يا عبيد الدنيا تحملون السراج في ضوء الشمس وضوؤها كان يكفيكم ، وتدعون أن تستضيئوا بها في الظلم ، ومن أجل ذلك سخرت لكم ؛ كذلك استضاءتم بنور العلم لأمر الدنيا وقد كفيتموه وتركتم أن تستضيئوا به لأمر الآخرة ، ومن أجل ذلك أعطيتهموه . تقولون : إن الآخرة حق وأنتم تمهدون الدنيا . وتقولون : إن الموت حق وأنتم تفرون منه . وتقولون : إن الله يسمع ويرى ولا تخافون إحصاءه عليكم وكيف يصدقكم من سمعكم فإن من كذب من غير علم أعذر ممن كذب على علم وإن كان لا عذر في شيء من الكذب .

بحق أقول لكم : إن الدابة إذا لم ترتكب ولم تمتهن^(١) وتستعمل لتصعب ويتغير خلقها وكذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت وتتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ . ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ، كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة فأسرعوا إلى بيوتكم المظلمة فأنثروا فيها ، كذلك فأسرعوا إلى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة ، كيف يطيق حمل الأثقال من لا يستعين على حملها ، أم كيف تحط أوزار من لا يستغفر الله منها ، أم كيف تنقى ثياب من لا يغسلها ، وكيف يبرأ من الخطايا من لا يكفرها ، أم كيف ينجو من غرق البحر من يعبر بغير سفينة ، وكيف ينجو من فتن الدنيا من لم يداوها بالجد والاجتهاد ، وكيف يبلغ من يسافر بغير دليل ، وكيف يصير إلى الجنة من لا يبصر معالم الدين وكيف ينال مرضاة الله من لا يطيعه ، وكيف يبصر عيب وجهه من لا ينظر في المرأة ، وكيف يستكمل حب خليله من لا يبذل له بعض ماعنده ، وكيف يستكمل حب ربه من لا يقرضه بعض ما رزقه ١٩ .

بحق أقول لكم : إنه كما لا ينقص البحر أن تغرق فيه السفينة ولا يضره ذلك شيئاً كذلك لا تنقصون الله بمعاصيكم شيئاً ولا تضرونه بل أنفسكم تضرون وإياها تنقصون ، وكما لا ينقص نور الشمس كثرة من يتقلب فيها بل به يعيش ويحيى كذلك لا ينقص الله كثرة ما يعطيكم ويرزقكم بل برزقه تعيشون وبه تحيون ، يزيد من شكره ، إنه شاكر عليم .

(١) ارتكب الفرس : ركب أي جعله يركبها : وامتهن الشيء : احتقره . والفرس : استعمله للخدمة والركوب .

ويلكم يا أجراء السوء الأجر تستوفون والرزق تأكلون والكسوة تلبسون والمنازل تبنون وعمل من استأجركم تفسدون ، يوشك رب هذا العمل أن يطالبكم فينظر في عمله الذي أفسدتم فينزل بكم ما يخزيكم ، ويأمر برقابكم فتجذ من أصولها ويأمر بأيديكم فتقطع من مفاصلها ، ثم يأمر بجثثكم فتجر على بطونها حتى توضع على قوارع الطريق حتى تكونوا عظة للمتقين ونكالا للظالمين .

ويلكم علماء السوء : لا تحدثوا أنفسكم أن آجالكم تستأخر من أجل أن الموت لم ينزل بكم فكأنه قد حل بكم فأظعنكم ، فمن الآن فاجعلوا الدعوة في آذانكم ، ومن الآن فنوحوا على أنفسكم ، ومن الآن فابكوا على خطاياكم ، ومن الآن فتجهزوا وخذوا أهبتكم وبادروا التوبة إلى ربكم .

بحق أقول لكم : إنه كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذ به مع ما يجده من شدة الوجع ، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال . وكما يلتذ المريض نعت الطبيب العالم بما يرجو فيه من الشفاء ، فإذا ذكر مرارة الدواء وطعمه كدر عليه الشفاء ، كذلك أهل الدنيا يلتذون ببهجتها وأنواع ما فيها فإذا ذكروا فجأة الموت كدرها عليهم وأفسدها .

بحق أقول لكم : إن كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها وكذلك تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي لها منكم إلا من عمل بها .

ويلكم يا عبيد الدنيا : نقوا القمح وطيبوه وأدقوا طحنه تجدوا طعمه يهثكم أكله كذلك فأخلصوا الإيمان تجدوا حلاوته وينفعكم غبه .

بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم به ولم يمنعكم منه ريح قطرانه كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها .

ويلكم يا عبيد الدنيا : لا كحماء تعقلون ولا كحلماء تفقهون ولا كعلماء تعلمون ولا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقتلعكم من أصولكم فتقلبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ويدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلماكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيجزىكم بسوء أعمالكم .

ويلكم يا عبيد الدنيا : أليس بالعلم أعطيت السلطان على جميع الخلائق

فبذتموه فلم تعملوا به ، وأقبلتم على الدنيا فيها تحكمون ولها تمهدون وإياها تؤثرون وتعمرون ، فحتي متى أنتم للدنيا ، ليس الله فيكم نصيب .

بحق أقول لكم : لا تدركون شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون . فلا تنتظروا بالتوبة غداً ، فإن دون غد يوماً وليلة قضاء الله فيهما يغدو ويروح .

بحق أقول لكم : إن صغار الخطايا ومحقراتها لمن مكائد إبليس : يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجتمع فتكثر وتحيط بكم .

بحق أقول لكم : إن المدحة بالكذب والتزكية في الدين لمن رأس الشرور المعلومة وإن حب الدنيا لرأس كل خطيئة .

بحق أقول لكم : ليس شيء أبلغ في شرف الآخرة وأعون على حوادث الدنيا من الصلاة الدائمة ، وليس شيء أقرب إلى الرحمن منها فدوموا عليها واستكثروا منها ، وكل عمل صالح يقرب إلى الله فالصلاة أقرب إليه وآثر عنده .

بحق أقول لكم : إن كل عمل المظلوم الذي لم ينتصر بقول ولا فعل ولا حقد هو في ملكوت السماء عظيم . أيكم رأى نوراً اسمه ظلمة أو ظلمة اسمها نور كذلك لا يجتمع للعبد أن يكون مؤمناً كافراً ولا مؤثراً للدنيا راغباً في الآخرة . وهل زراع شعير يحصد قمحاً أو زراع قمح يحصد شعيراً ، كذلك يحصد كل عبد في الآخرة ما زرع ويجزى بما عمل .

بحق أقول لكم : إن الناس في الحكمة رجлан : فرجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله . ورجل أتقنها بقوله وصدقها بفعله ، وشتان بينهما ، فطوبى للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول .

بحق أقول لكم : من لا ينقي من زرعه الحشيش يكثر فيه حتى يغمره فيفسده وكذلك من لا يخرج من قلبه حب الدنيا يغمره حتى لا يجد لحب الآخرة طعماً .

ويلكم يا عبيد الدنيا : اتخذوا مساجد ربكم سجوناً لأجسادكم واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات .

بحق أقول لكم : إن أجزعكم على البلاء لأشدكم حباً للدنيا . وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا .

ويلكم يا علماء السوء : ألم تكونوا أمواتاً فأحياكم فلما أحياكم متم . ويلكم ألم تكونوا أميين فعلمكم ، فلما علمكم نسيتم . ويلكم ألم تكونوا جفاة ففقهكم الله ، فلما ففقهكم جهلتم . ويلكم ألم تكونوا ضلالاً فهداكم ، فلما هداكم ضللتهم . ويلكم ألم تكونوا عمياً فبصركم ، فلما بصركم عميتهم .

ويلكم ألم تكونوا صمماً فأسمعكم فلما أسمعكم صمتم . ويلكم ألم تكونوا بكماً فأنطقكم . فلما أنطقكم بكمتم . ويلكم ألم تستفتحوا ، فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم . ويلكم ألم تكونوا أذلة فأعزكم ، فلما عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتهم ، ويلكم ألم تكونوا مستضعفين في الأرض تخافون أن يختطفكم الناس فنصركم وأيدكم ، فلما نصركم استكبرتم وتجبرتم . فيا ويلكم من ذل يوم القيامة كيف يهينكم ويصغركم .

ويا ويلكم يا علماء السوء : إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمثون بطمأنينة الأمنين وليس أمر الله على ما تمنون وتتخيرون بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون .

بحق أقول لكم : إن موسى عليه السلام كان يأمركم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولكن قولوا : لا ونعم ، يا بني إسرائيل عليكم بالقل البري وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر ، فإني أخاف عليكم أن لا تقوموا بشكره .

بحق أقول لكم : إن الناس معافى ومبتلى فاحمدوا الله على العافية وارحموا أهل البلاء .

بحق أقول لكم : إن كل كلمة سيئة تقولون بها تعطون جوابها يوم القيامة .

يا عبيد السوء : إذا قرب أحدكم قربانه ليذبحه فذكر أن أخاه واجد عليه فليترك قربانه وليذهب إلى أخيه فليرضه ثم ليرجع إلى قربانه فليذبحه .

يا عبيد السوء : إن أخذ قميص أحدكم فليعط رداءه معه . ومن لطم خده منكم فليمكن من خده الآخر . ومن سخر منكم ميلاً فليذهب ميلاً آخر معه .

بحق أقول لكم : ماذا يغني عن الجسد إذا كان ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً . وما تغني عنكم أجسادكم إذا أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم . وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة .

بحق أقول لكم : لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب ويمسك النخالة
كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم وبقى الغل في صدوركم .

بحق أقول لكم : ابدؤوا بالشر فاتركوه ثم اطلبوا الخير ينفعكم ، فإنكم إذا
جمعتم الخير مع الشر لم ينفعكم الخير .

بحق أقول لكم : إن الذي يخوض النهر لا بد أن يصيب ثوبه الماء وإن جهد أن
لا يصيبه كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا .

بحق أقول لكم : طوبى للذين يتهجدون من الليل أولئك الذين يرثون النور
الدائم من أجل أنهم قاموا في ظلمة الليل على أرجلهم في مساجدهم ، يتضرعون إلى
ربهم رجاء أن ينجيهم في الشدة غداً .

بحق أقول لكم : إن الدنيا خلقت مزرعة تزرع فيها العباد الحلو والمر والشر
والخير ، والخير له مغبة نافعة يوم الحساب والشر له عناء وشقاء يوم الحصاد .

بحق أقول لكم : إن الحكيم يعتبر بالجاهل ، والجاهل يعتبر بهواه . أوصيكم
أن تختموا على أفواهكم بالصمت حتى لا يخرج منها ما لا يحل لكم .

بحق أقول لكم : إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون ، ولا
تبتغون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون .

بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقص شهوته من الدنيا
ولا تنقطع منها رغبته .

بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا ما الدنيا تحبون ولا الآخرة ترجون ، لو كنتم
تحبون الدنيا أكرمتكم العمل الذي به أدركتموها ولو كنتم تريدون الآخرة عملتم عمل من
يرجوها .

بحق أقول لكم : يا عبيد الدنيا إن أحدكم يبغض صاحبه على الظن ولا يبغض
نفسه على اليقين .

بحق أقول لكم : إن أحدكم ليغضب إذا ذكر له بعض عيوبه وهي حق ، ويفرح
إذا مدح بما ليس فيه .

بحق أقول لكم : إن أرواح الشياطين ما عمرت في شيء ما عمرت في

قلوبكم . فإنما أعطاكم الله الدنيا لتعملوا فيها للآخرة ولم يعطكموها لتشغلكم عن الآخرة وإنما بسطها لكم لتعلموا أنه أعانكم بها على العبادة ولم يعنكم بها على الخطايا وإنما أمركم فيها بطاعته ولم يأمركم فيها بمعصيته ، وإنما أعانكم بها على الحلال ولم يحل لكم بها الحرام ، وإنما وسعها لكم لتواصلوا فيها ولم يوسعها لكم لتقاطعوا فيها .

بحق أقول لكم : إن الأجر محروص عليه ولا يدركه إلا من عمل له .

بحق أقول لكم : إن الشجرة لا تكمل إلا بشجرة طيبة ، كذلك لا يكمل الدين إلا بالتحريج عن المحارم^(١) .

بحق أقول لكم : إن الزرع لا يصلح إلا بالماء والتراب ، كذلك الإيمان لا يصلح إلا بالعلم والعمل .

بحق أقول لكم : إن الماء يطفىء النار ، كذلك الحلم يطفىء الغضب .

بحق أقول لكم : لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد ، كذلك لا يجتمع الفقه والعمى في قلب واحد .

بحق أقول لكم : إنه لا يكون مطر بغير سحاب ، كذلك لا يكون عمل في مرضاة الرب إلا بقلب نقي .

بحق أقول لكم : إن الشمس نور كل شيء وإن الحكمة نور كل قلب ، والتقوى رأس كل حكمة ، والحق باب كل خير ورحمة الله باب كل حق ، ومفاتيح ذلك الدعاء والتضرع والعمل ، وكيف يفتح باب بغير مفتاح .

بحق أقول لكم : إن الرجل الحكيم لا يغرس شجرة إلا شجرة يرضاهها ولا يحمل على خيله إلا فرساً يرضاه ، كذلك المؤمن العالم لا يعمل إلا عملاً يرضاه ربه .

بحق أقول لكم : إن الصقالة تصلح السيف وتجلوه ، كذلك الحكمة للقلب تصقله وتجلوه ، وهي في قلب الحكيم مثل الماء في الأرض الميتة تحيي قلبه كما يحيي الماء الأرض الميتة ؛ وهي في قلب الحكيم مثل النور في الظلمة يمشي بها في الناس .

(١) تحرج عن المحارم أي تجنب عنها .

بحق أقول لكم : إن نقل الحجارة من رؤوس الجبال أفضل من أن تحدث من لا يعقل عنك حديثك ، كمثل الذي ينقل الحجارة لتلين وكمثل الذي يصنع الطعام لأهل القبور ، طوبى لمن حبس الفضل من قوله الذي يخاف عليه المقت من ربه ولا يحدث حديثاً إلا يفهم ولا يغيظ أمراً في قوله حتى يستبين له فعله . طوبى لمن تعلم من العلماء ما جهل . وعلم الجاهل مما علم . طوبى لمن عظم العلماء لعلمهم وترك منازعتهم وصغر الجاهل لجهلهم ولا يطردهم ولكن يقربهم ويعلمهم .

بحق أقول لكم : يا معشر الحواريين إنكم اليوم في الناس كالأحياء من الموتى فلا تموتوا بموت الأحياء .

وقال المسيح : يقول الله تبارك وتعالى يحزن عبدي المؤمن أن أصرف عنه الدنيا وذلك أحب ما يكون إلي وأقرب ما يكون مني ، ويفرح أن أوسع عليه في الدنيا وذلك أبغض ما يكون إلي وأبعد ما يكون مني .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .

وصية المفضل بن عمر لجماعة الشيعة

أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . اتقوا الله وقولوا قولاً معروفاً . وابتغوا رضوان الله واخشوا سخطه . وحافظوا على سنة الله ولا تتعدوا حدود الله . وراقبوا الله في جميع أموركم . وارضوا بقضائه فيما لكم وعليكم .

ألا وعليكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ألا ومن أحسن إليكم فزيده إحساناً واعفوا عمن أساء إليكم . وافعلوا بالناس ما تحبوه أن يفعلوه بكم .

ألا وخالطوهم بأحسن ما تقدرون عليه وإنكم أحرى ألا تجعلوا عليكم سبيلاً عليكم بالفقه في دين الله والورع عن محارمه وحسن الصحابة لمن صحبتكم براً كان أو فاجراً .

ألا وعليكم بالورع الشديد ، فإن ملاك الدين الورع . صلوا الصلوات لمواقيتها وأدوا الفرائض على حدودها .

ألا ولا تقصروا فيما فرض الله عليكم وبما يرضى عنكم . فإنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً ، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة» . وعليكم بالقصد في الغنى والفقر . واستعينوا ببعض الدنيا على الآخرة ، فإنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «استعينوا ببعض هذه على هذه ولا تكونوا كلاً على الناس» . عليكم بالبر بجميع من خالطتموه . وحسن الصنيع إليه .

ألا وإياكم والبغي ، فإن أبا عبد الله عليه السلام كان يقول : «إن أسرع الشر عقوبة البغي» . أدوا ما افترض الله عليكم من الصلاة والصوم وسائر فرائض الله وأدوا الزكاة المفروضة إلى أهلها فإن أبا عبد الله عليه السلام قال : «يا مفضل قل لأصحابك يضعون الزكاة في أهلها وإنني ضامن لما ذهب لهم» . عليكم بولاية آل محمد عليه السلام . أصلحوا ذات بينكم ولا يغتب بعضكم بعضاً . تزاوروا وتحابوا وليحسن بعضكم إلى بعض . وتلاقوا وتحديثوا ولا يسطن بعضكم عن بعض وإياكم والتصارم وإياكم والهجران فإنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «والله لا يفترق رجلان من شيعتنا على الهجران إلا برئت من أحدهما ولعنته وأكثر ما أفعل ذلك بكليهما ، فقال له معتب (١) : جعلت فداك هذا الظالم فما بال المظلوم ؟ قال : لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ، سمعت أبي وهو يقول : «إذا تنازع اثنان من شيعتنا ففارق أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول له : يا أخي أنا الظالم حتى ينقطع الهجران فيما بينهما ، إن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم» لا تحقروا ولا تجفوا فقراء شيعة آل محمد عليه السلام وألطفوهم وأعظوهم من الحق الذي جعله الله لهم في أموالكم وأحسنوا إليهم . لا تأكلوا الناس بآل محمد ، فإنني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «افترق الناس فينا على ثلاث فرق : فرقة أحبونا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا ، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا ، فسيحشرهم الله إلى النار . وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا ، ليستأكلوا الناس بنا فيملاً الله بطونهم ناراً يسلط عليهم الجوع والعطش . وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم» ولا تدعوا صلة آل محمد عليه السلام من أموالكم : من كان غنياً فبقدر غناه

(١) معتب - بضم الميم وفتح العين وتشديد التاء المكسورة - هو مولى أبي عبد الله عليه السلام بل من خواص أصحابه وأيضاً من أصحاب الإمام السابع عليه السلام ، ثقة وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : موالى عشرة خيرهم معتب .

ومن كان فقيراً فبقدر فقره ، فمن أراد أن يقضي الله له أهم الحوائج إليه فليصل آل محمد وشيعتهم بأحوج ما يكون إليه من ماله . لا تغضبوا من الحق إذا قيل لكم . ولا تبغضوا أهل الحق إذا صدعوكم به ، فإن المؤمن لا يغضب من الحق إذا صدع به .

وقال أبو عبد الله عليه السلام مرة وأنا معه : يا مفضل كم أصحابك ؟ فقلت : قليل ، فلما انصرفت إلى الكوفة أقبلت علي الشيعة فمزقوني كل ممزق : يأكلون لحمي ويشتمون عرضي حتى إن بعضهم استقبلني فسوَّب في وجهي وبعضهم قعد لي في سكك الكوفة يريد ضربني ، ورموني بكل بهتان حتى بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام فلما رجعت إليه في السنة الثانية كان أول ما استقبلني به بعد تسليمه علي أن قال : يا مفضل ما هذا الذي بلغني إلا هؤلاء يقولون لك وفيك ؟ قلت : وما علي من قولهم ، قال : «أجل بل ذلك عليهم ، أيغضبون بؤس لهم ، أنك قلت : إن أصحابك قليل ، لا والله ما هم لنا شيعة ولو كانوا شيعة ما غضبوا من قولك وما اشمأزوا منه ، لقد وصف الله شيعتنا بغير ما هم عليه ، وما شيعة جعفر إلا من كف لسانه وعمل لخالقه ورجا سيده وخاف الله حق خيفته، ويحهم أفيهم من قد صار كالحنايا من كثرة الصلاة ، أو قد صار كالثآئنه من شدة الخوف أو كالضير من الخشوع ، أو كالضني من الصيام ، أو كالأخرس من طول الصمت والسكوت ، أو هل فيهم من قد أدأب ليله من طول القيام وأدأب نهاره من الصيام ، أو منع نفسه لذات الدنيا ونعيمها خوفاً من الله وشوقاً إلينا - أهل البيت - أنى يكونون لنا شيعة وإنهم ليخاصمون عدونا فينا حتى يزيدهم عداوة وإنهم ليهرون هزير الكلب ويطمعون طمع الغراب ، وأما إني لولا أنني أتخوف عليهم أن أغريهم بك لأمرت أن تدخل بيتك وتغلق بابك ثم لا تنظر إليهم ما بقيت ولكن إن جاؤوك فاقبل منهم ، فإن الله قد جعلهم حجة على أنفسهم واحتج بهم على غيرهم» .

لا تغرنكم الدنيا وما ترون فيها من نعيمها وزهرتها وبهجتها وملكها فإنها لا تصلح لكم ، فوالله ما صلحت لأهلها . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

التمريض

لطفه

تأليف

شيخ الثقة الجليل الأقدم

صاحب الحنفية العرفية

أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين

ابن شعبة الحراني (رحمه الله)

من أعلام القرن الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

التمحيص والابتلاء في كتاب الله

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَشْيَءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(٣) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بَشْيَءٌ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾^(٤) .

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ...﴾^(٤) .

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾^(٥) .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٦) .

(١) سورة الملك ٦٧ ؛ الآية : ١ و ٢ .

(٢) الصابرين : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ . سورة البقرة ؛ الآيات : ١٥٥ - ١٥٧ .

(٣) سورة البقرة ٢ ؛ الآيات : ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٤) سورة المائدة ٥ ؛ الآية : ٩٤ .

(٥) سورة آل عمران ٣ ؛ الآية : ١٦٧ .

(٦) سورة آل عمران ٣ ؛ الآية : ١٤٢ .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ
الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾^(١) .

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) .
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٣) .

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٤) .
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٥) .

﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ...﴾^(٦) .
﴿وَلْيُمَخِّصْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُمَحِّقِ الْكَافِرِينَ﴾^(٧) .

﴿وَلِيُتْلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٨) .
﴿وَلْيُمَخِّصْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٩) .

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٤ .

(٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٢ .

(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٣ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٠ .

(٥) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤١ .

(٦) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٤ .

المقدمة

الحمد لله الذي جعل البلاء تمييزاً للطَّيِّبين عن الخبيثين^(١) ، ونكالاً للظالمين ، وجعل تقلُّبات الأحوال ، اختباراً لطوِّيات الرجال ، فمن دار فناء وزوال ، قد ملكت بالهموم والغموم ، وعجّت بالمحن والآلام ، إلى ارتحال وانتقال ، ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾^(٢) ، فالشقي من غرته ولم يعتبر بمن سكنها قبله من الماضين ، كانوا أطول أعماراً ، وأبقى آثاراً ، وأبعد آمالاً ، والسعيد من اعتبر بها ، واستفاد من تجاربها ، فصغرت في عينه وهانت عليه ، وأحبَّ مجاورة الجليل في داره ، وسكنى الفردوس في جواره .

وصلَّى الله على أشدَّ الناس ابتلاءً ، وأكثرهم صبراً على إيذاء ، وأوفرهم شكراً على ما جرى به القضاء ، محمَّد وآله الأوصياء الأصفياء ، الحجج على العباد ، والهادين للرشاد ، والعدَّة للمعاد ﴿أولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمة﴾^(٣) .

واللعنة الدائمة على أعدائهم الأخسرين ﴿الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدُّنيا﴾^(٤) ، وفي الآخرة ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾^(٥) .

(١) إشارة للآية الشريفة ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطَّيِّب﴾ آل عمران ٣ ؛ الآية : ١٧٩ .

(٢) سورة آل عمران ٣ ؛ الآية : ١٤٠ .

(٣) سورة البقرة ٢ ؛ الآية : ١٥٧ .

(٤) سورة الكهف ١٨ ؛ الآية : ١٠٤ .

(٥) سورة المؤمنون ٢٣ ؛ الآية : ١٠٤ .

عبر تاريخ الإنسانية الطويل ، ومنذ فجر النبوات ، بدأ الصراع المرير ، بين الحق وجيوش الأباطيل ، بين الخير وقوى الشر والضلال ، بين النور وجحافل الظلام ، فعاش الإنسان طوال آلاف السنين ، تحت سياط الجلادين ، وفي دياجير السجون ، قد أثقلت كواهل المساكين والمستضعفين ، بالحروب والويلات ، والخراب والدمار ، فأبيدت أمم وشعوب ، واستعبدت أجيال تلو أجيال ، فضجت الأرض تستصرخ بارئها بما تئن من جراح ، وتستغيث من مباضع الحراب والسيوف والرماح ، ولولا بوارق أمل وومضات ، تشع بين الحين والحين من هدي السماء عبر الرسائل ، وإمداد التابعين بالصبر والإيمان وسيل الشحنات ، لما كان للحياة مذاق فتطاق ، ولا للعيش طعم واشتياق .

فأصحاب الشرائع كانوا دوماً محاربين ، وأتباعهم مضطهدين مسحقين ، إلا أنهم لما يصابون من مصائب صابرون ، وبما يرميهم الأعداء من نوائب قانعون ، بل فرحون بما آتاهم الله من فضله وهم يستبشرون ، وللجنة يشتاقون ، لما تكشف في قلوبهم حقائق الإيمان ، وتجلت لهم بدائع آيات الرحمن ، وما أعد لهم من الخيرات في الجنان .

فالدينا للمؤمنين ليست بدار بقاء ومقام ، إنما دار تمحيص وامتحان ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١) .

فكلما كانت البلوى والاختبار أعظم ، كانت المثوبة والجزاء أجزل ، ألم يأت عن الرسول ﷺ : «ما أُوذِيَ أحدٌ مثل ما أُوذيت»^(٢) وورد عن الصادق عليه السلام : «إنَّ أشدَّ الناس بلاء الأنبياء ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الأمثل فالأمثل»^(٣) من الأوصياء والأولياء ، الذين نزلت أنفسهم منهم في البلاء ، كما نزلت في الرخاء ، فهم بالغنى غير فرحين ، وبالفقر غير مغتمين .

ثمَّ إنَّ البلاء على أنواع وأحوال :

(١) سورة العنكبوت ٢٩ ؛ الآيتان : ٢ و ٣ .

(٢) كنز العمال ح ٥٨١٨ .

(٣) الكافي ٢/٢٥٢ ح ١ ، البحار ٦٧/٢٠٠ ح ٣ .

فمرة يكون للعقاب والنكال لما اقترفه المرء من الموبقات ، فيبتلى بالأمراض والعاهات ، أو تلف الأهل والأولاد ، وجار سوء وتنغيص اللذات ، أو تسلط سلطان فيفترق الأحباب ويشنت الجماعات ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات ، وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ...»^(١) مشيراً إلى ما ورد في الذكر الحكيم : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ...﴾^(٢) أو في قوله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...﴾^(٣) وهذا ديدن الدنيا ، فكم جمحت بطالها وأردت راكلها ، وخانت الوائق بها ، وأزعجت المطمئن إليها ، فلا تدوم أحوالها ، ولا يسلم نزالها ، فجمعها إلى انصداع ، ووصلها إلى انقطاع .

ومرة يكون البلاء تمحيصاً للذنوب ورفعاً للدرجات ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُمِيزَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) وقد قال الإمام علي عليه السلام : «الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحتتهم ، لتسلم بها طاعاتهم ويستحقوا عليها ثوابها»^(٥) .

وقال أيضاً : «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبد بهم بأنواع المجاهد ، وبتلهم بضروب المكاره ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً إلى فضله»^(٦) .

ولهذا استخلص الجليل سبحانه المؤمنين للأخرة ، واختار لهم الجزيل ممّا لديه من النعيم المقيم ، الذي لا زوال له ولا اضمحلال ، لصبرهم على البلاء ، ورضاهم بالقضاء ، وشكرهم النعماء ، إذ إن الصبر أول درجات الإيمان ، فإذا ترقى العبد في إيمانه بلغ منزلة الرضا بالقضاء ، وإذا ازداد في سلم الإيمان علواً وسمواً وصعوداً ، أصبح شاكرًا لربه على البلاء .

(١) نهج البلاغة ص ١٩٩ ط ١٤٤ ، تفسير نور الثقلين ١/ ١٢٠ ح ٤٤٨ .

(٢) سورة البقرة ٢ ؛ الآية : ١٥٥ .

(٣) سورة الأعراف ٧ ؛ الآية : ١٣٠ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤١ .

(٥) البحار ٦٧/ ٢٣٢ ح ٤٨ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣/ ١٥٧ .

فالأولياء الصالحون لن يكونوا مؤمنين إلا كما وصفهم الإمام الكاظم عليه السلام مخاطباً :
«حتى تعدّوا البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة ، وذلك أنّ الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة
عند الرخاء»^(١) .

وهذه منزلة من خَبَرَ الدنيا وعرف أحوالها ، فعلم أنّها سوق ، ربح فيها قوم
يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ، وخسر آخرون ممّن كانوا ﴿يعلمون﴾ ظاهراً من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿٢﴾ ف «مما الدنيا والآخرة إلا ككفتي
ميزان ، فأيهما رجح ذهب بالآخر»^(٣) أو كما جاء عن الهداة عليهم السلام «إنّ الدنيا والآخرة
عدوّان متفاوتان ، وسبيلان مختلفان فمن أحبّ الدنيا وتولّأها أبغض الآخرة وعادها ،
وهما بمنزلة المشرق والمغرب . . . كلّما قرب من واحد بعد عن الآخر»^(٤) فلا يستقيم
حبّهما في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد .

ولهذا كان الإمام الباقر عليه السلام يدعو بهذا الدعاء : «ولا تجعل الدنيا عليّ سجنًا ،
ولا تجعل فراقها عليّ حزنًا»^(٥) .

فكان الأئمة الميامين سلام الله عليهم أجمعين ، دائماً يرشدونا - بهديهم وسنتهم
وأقوالهم وأفعالهم - لوضح الطريق لثلاً نزل بأوزار المسير ، فنسقط في رمضاء الهجير
أو لهب السعير ، ويحدّرونا صولة الدهر ، وفحش تقلّب الليالي والأيام ، فلا نركن
إليها أبداً ، ولا نغترّ منها بمحالات الأحلام والآمال ، ولا نخدع بزور الأمانيّ الطوال .

ثمّ إنهم - عليهم الصلاة والسلام - أناروا القلوب ، وشرحوا الصدور ، وأوضحوا
بأنّ من لم يتلّ فهو عند الله مبغوض ، فقد جاء عنهم عليهم السلام «إذا رأيت ربك يوالي
عليك البلاء فاشكره ، وإذا رأيت يتابع عليك النعم فاحذر»^(٦) .

والله سبحانه يتعاهد عباده المؤمنين بالبلاء ، كما يتعاهد المسافرين عياله بأنواع

(١) البحار ٦٧/٢٣٧ ، ج ٨٢/١٤٥ ح ٣٠ وفيه (أفضل من الغفلة) .

(٢) سورة الروم ٣٠ ؛ الآية : ٧ .

(٣) البحار ٧٣/٩٢ ح ٦٩ .

(٤) البحار ٧٣/١٢٩ ح ١٣٣ .

(٥) البحار ٩٧/٣٧٩ .

(٦) غرر الحكم ص ١٤٠ س ١٥ ، البحار ٦٧/١٩٩ .

الهدايا والطرف - كما جاء في الخبر - (١) ، ولولا أن يرتاب بعض ضعاف النفوس لجعل الله ﴿لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (٢) ولهذا خصّ الآخرة خالصة للمؤمنين ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (٣) ، وأما الدنيا فهم فيها مبتلون ، ليسمع دعاء أحبائه حين يمسون وحين يصبحون ، وفي خلواتهم - مع حبيبهم - يتناجون ، وبالأسحار هم يستغفرون .

ولذا جعل سبحانه الفقر - مثلاً - بمنزلة الشهادة ، كما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام : «ولا يعطيه من عباده إلا من أحب» (٤) ثم «إن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر» (٥) لما صبروا وشكروا ، ولما زرعوا للآخرة من الباقيات الصالحات فحصدوا ما بذروا ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا...﴾ (٦) .

وفي الخبر (٧) أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى فاطمة الزهراء عليها السلام «وعليها كساء من أجلة الإبل ، وهي تطحن بيديها ، وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة ، فقالت : يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (٨) .

فمن جعلت الدنيا سجنه ، كانت الآخرة جنته ، ولهذا ورد في الخبر أن آخر من يدخل الجنة من الأنبياء سليمان ، لما أُعطي في الدنيا من النعيم والملك العظيم (٩) ، بينما جاء في الحديث عن المبطلين : «إذا نشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، لم

-
- (١) الكافي ٢/٢٥٨ ح ٢٨ ، البحار ٦٧/٢٢١ ح ٢٨ .
 (٢) الزخرف ٣٣/٤٣ وبدايتها ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن...﴾ .
 (٣) سورة الأعراف ٧ ؛ الآية : ٣٢ .
 (٤) يأتي ص ٤١٣ ح ٦٤ .
 (٥) يأتي ص ٤١٤ ح ٦٨ .
 (٦) سورة البقرة ٢ ؛ الآية : ٢١٤ .
 (٧) مناقب ابن شهر آشوب ٣/١٢٠ ، نور الثقلين ٥/٥٩٤ ح ١٠ .
 (٨) سورة الضحى ٩٣ ؛ الآية : ٥ .
 (٩) يأتي ص ٤١٦ ح ٨٠ .

ينصب لأهل البلاء ميزان ، ولم ينشر لهم ديوان^(١) ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) .

فالصبر مطية النجاة ، وقد ذهب الصابرون المتقون بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(٣) ، والعكس صحيح كما جاء في حديث أمير المؤمنين عليه السلام : «إِنْ جَعَلْتُ دِينَكَ تَبَعًا لَدُنْيَاكَ ، أَهْلَكَتَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ وَكُنْتَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٤) ، فما قَدِّمْتَ فلا تجازي إلا به ، وما أخرت فللوارثين ، ولا تخرج من دنياك إلا صفر اليدين ، قد أثقلت ظهرك بالأوزار الثقالة ، التي تنوء بها كالجبال .

وكتاب التمهيد هذا يكشف لك آفاقاً روحية جديدة ، تزيدك إيماناً واطمئناناً ، بأن الدار الآخرة لهي الحيوان ، وقد استقى مؤلفه أخباره من عين صافية ، لا شوب فيها ولا لاغية ، إنما هي من معين الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنهل أبناء فاطمة البتول عليها السلام ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فأقوالهم كفلائد العقيان ، على جيد الزمان ، بل كأقراط الحسان ، تقلدتها القيان ، فتبصّرنا لآلهم حقيقة الوجود ، وما يمنح الموجود ، وما أعد الله للمؤمنين الصابرين في دار الخلود .

فطوبى لمن نال من الله الرضوان ، وهرب من لهيب النيران ، بالصبر والقناعة وإطاعة الديان .

وطوبى لمن لبى دعوة ربه ، واستيقن بقاء محمد وحزبه ، فطابت نفسه وقرت عينه بهذا الإطمئنان .

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾^(٥) .

(١) مجمع البيان ج ٨/٤٩٢ ، البحار ١٤٥/٨٢ ح ٣١ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ ؛ الآية : ١٠ .

(٣) سورة مريم ١٩ ؛ الآية : ٦٣ .

(٤) غرر الحكم ص ١٢٣ س ١٩ .

(٥) سورة الفجر ٨٩ ؛ الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله المتفرد بآلائه ، المتفضل بنعمائه ، العدل في قضائه ، الذي مَحَصَّ
بالإختبار عن أوليائه ، وأملى^(١) بالاستدراج لأعدائه ، وجعل امتحانه لمن عرفه أدباً ،
ولمن أنكره غضباً .

وصلّى الله على ساداتنا وأئمتنا : محمد نبيّه وصفيّه وآله المصطفين الأخيار ،
المعصومين الأبرار ، وسلّم عليهم تسليماً .

ولمّا رأيت ما شملني والعصاة المهديّة^(٢) من الإختبار والأواء والتمحيص
والإبتلاء في باب معيشتها ، وتصرف أحوال الدنيا بها ، والإمتحان^(٣) ، رفعاً من الله
الكريم بها ، وحسن نظر منه^(٤) لها .

وكرهت أن يخرج ذلك دين من لم يعرف موقع الفضل والعدل فيه ، والمنة عليه
به ، ويقدر في اعتقاد من لم يتصل به ما اتصل بي .

وعلمت بغمز^(٥) ما قاله النبيّ والوصيّ والأئمة - صلوات الله عليهم أجمعين - في
هذا المعنى ، وما ذكره من أحوال شيعتهم [و] مسارعة البلاء إليهم تمحيصاً عنهم ،
وكفّارات^(٦) لذنوبهم ، وما بشّروهم به من حميد العواقب فيه ، ونّبّهوا عليه من

(٤) عنه/خ .

(٥) بعموم ، بقمر/خ .

(٦) كفّارة/خ .

(١) إملاء/خ .

(٢) المهديّة/خ .

(٣) الإمتحان فيها/خ .

تفضل^(١) الله عليهم بذلك منّا منه ورحمة ، عملت هذا الكتاب وترجمته :

كتاب التمحيص

واشتقت ترجمته من معناه ، وذكرت فيه وجوه الاختبار^(٢) من الله جلّ ثناؤه لعباده المؤمنين ، وتمحيصه عن أوليائه الموحّدين .

وأضفت إليه ما جانسه ، وضممت إليه ما شاكله من الصبر ، والرضا ، والزهد فيما يفنى^(٣) لتكمل الفائدة ، ويعمّ النفع فيكون ذلك درساً لعالمينا ، وفائدة لمتعلّمين ، ومقويّاً يقين من ضعف يقينه منّا ، ومسلّياً عن حطام الدنيا ، ومبشراً بسرور الأخرى ، وكاشفاً عمّن اتّصل غمّه ، وملكه همّه ليرجع إلى ربّه ، ويثق بوعده إمامه^(٤) ، فيكمل الله أجره ، ويجزل ذخره .

فمن نظر فيه من إخواننا - كثّره الله وحرسهم - ورأى فيه خللاً أصلحه ، أو نقصاً تمّمه متوخّياً^(٥) بذلك جزيل الثواب في وقت الإياب إن شاء الله .

وبه الثقة ، وعليه توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) تفضيل / خ .

(٢) الأخبار / خ ل .

(٣) يعنى / خ ل .

(٤) أمانة / خ .

(٥) مستوجبا / خ .

الباب الأول

باب سرعة البلاء إلى المؤمنين

١ - حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ هَمَامٍ(*)، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الْحَمِيرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ ، وَكَرَامٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :
كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : إِنَّ الْبَلَاءَ أَسْرَعَ إِلَى شِيعَتِنَا مِنَ السَّيْلِ إِلَى قَرَارِ الْوَادِي (١) .

٢ - عَنْ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : الْجُوعُ ، وَالْخَوْفُ أَسْرَعَ إِلَى شِيعَتِنَا مِنْ رَكْضِ الْبَرَاذِينِ (٢) .

٣ - عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا عَلَى لَوْحٍ لَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنَافِقًا يُوْذِيهِ (٣) .

(*) ح ١٢ من كتابنا موجود في كتاب الحضرمي : ص ٨٥ وهذا سنده :
حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ هَارُونُ بْنُ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ التَّلَعُكْبَرِيِّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَامٍ عَنْ حَمِيدِ بْنِ زِيَادٍ الدَّهْقَانِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ جَعْفَرِ الْأَزْدِيِّ الْبَزَّازِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى بْنِ الْقَاسِمِ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَرِيحٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ ذَرِيحِ الْمُحَارِبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) عنه في البحار : ٢٣٩/٦٧ ح ٥٩ والمستدرک : ١٤١/١ ح ٧ .
(٢) عنه في البحار : ٢٣٩/٦٧ ح ٦٠ وأخرج في المستدرک : ١٤١/١ ح ١ عن المؤمن : ص ٨ ذ ح ٤ مرسلًا نحوه البراذين : جمع يرذون ، وهو نوع من الخيول .
(٣) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦١ وعن جامع الأخبار : ص ١٥٠ مرسلًا ، وفي جامع الأخبار : شيطاناً بدل منافقاً .

٤ - عن إسحاق بن عمار ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما كان ، ولا يكون ، وليس بكائن مؤمن إلّا وله جبار يؤذيه ، ولو أنّ مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر^(١) لا تبث الله من يؤذيه^(٢) .

٥ - عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إنّ الله يتعهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهد الغائب أهله بالهدية ، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض^(٣) .

٦ - عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، وإنّ عظيم الأجر مع عظيم البلاء ، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم^(٤) .

٧ - عن يونس بن يعقوب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ملعون كلّ بدن لا يصاب في كلّ أربعين يوماً ، قلت : ملعون ؟ ! قال : ملعون ، قلت : ملعون ؟ ! قال : ملعون ، فلما رأيته قد عظم ذلك عليّ قال :

يا يونس إنّ من البلية الخدشة ، واللطمة ، والعثرة ، والنكبة ، والهفوة ، وانقطاع الشسع ، واختلاج العين ، وأشباه ذلك ، إنّ المؤمن أكرم على الله من أن يمرّ عليه أربعون يوماً لا يمحصه فيها [من] ذنوبه ، ولو بغم يصيبه لا يدري ما وجهه .

والله إنّ أحدكم ليضع الدراهم بين يديه فيزنها فيجدها ناقصة ، فيغتمّ بذلك ثمّ يعيد وزنها ، فيجدها سواء فيكون ذلك خطأ لبعض ذنوبه^(٥) .

(١) العرب/خ .

(٢) في البحار : ٢٢٣/٦٨ ح ١٤ عنه وعن الكافي : ٢٥١/٢ ح ١١ مسنداً مثله ، وفي الوسائل : ٤٨٥/٨ ح ٤ عن الكافي ، وهذا الحديث سقط من - أ - .

(٣) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦٢ وأخرج في الوسائل : ٩٠٩/٢ ح ١٨ والبحار : ٢٢١/٦٧ ح ٢٨ عن الكافي : ٢٥٨/٢ ح ٢٨ بإسناد عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام باختلاف يسير .

(٤) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦٣ وأخرج في الوسائل : ٩٠٨/٢ ح ١٠ والبحار : ٤٠٨/٧١ ح ٢١ عن الكافي : ١٠٩/٢ ح ٢ بإسناده عن زيد الشحام مثله ، وفيه : لمن عظيم البلاء ، بدل مع عظيم البلاء .

(٥) أخرجه في الوسائل : ٥١٨/١١ ح ٧ والبحار : ٣٥٤/٧٦ ح ٢١ عن كنز الكراچي : ص ٦٣ بإسناده عن يونس بن يعقوب باختلاف يسير .

٨ - عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : المؤمن مثل كفتي الميزان ، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ^(١) .

٩ - عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الله جعل المؤمنين في دار الدنيا غرضاً لعدوهم ^(٢) .

١٠ - عن أبي حمزة الثمالي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا حمزة ما كان ولن يكون مؤمن إلا وله بلايا أربع :

إما أن يكون جار يؤذيه ، أو منافق يقفو أثره ، أو مخالف يرى قتاله جهاراً ، أو من (مؤمن/خ) يحسده .

ثم قال : أما إنه أشد الأربعة عليه ، لأنه يقول فيصدق عليه ، ويقال : هذا رجل من إخوانه فما بقاء (ممانعاً/خ) المؤمن بعد هذا (هذه/خ) ^(٣) .

١١ - عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يبقى المؤمن أربعين صباحاً لا يتعهده الرب بوجع في جسده ، أو ذهاب مال ، أو مصيبة يأجره الله عليها ^(٤) .

١٢ - عن ذريح قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : ما أحب للمؤمن معافاً في الدنيا ، وفي نفسه وماله (ولا يصاب بشيء) ^(٥) من المصائب ^(٦) .

١٣ - عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : لو يعلم المؤمن ماله .

(١) عنه في المستدرک : ١٤١/١ ح ٩ وفي البحار : ٢٤٣/٦٧ ح ٨٢ عنه وعن جامع الأخبار : ص ١٣٤ مرسلاً وأمالى الشيخ : ٢٤٤/٢ ح ١ بإسناده عن علي بن أبي حمزة مثله .

(٢) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦٤ .

(٣) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦٥ وصدره في المستدرک : ٧٨/٢ ح ٨ ، وفي البحار منافق بدل مخالف ، وجهاداً بدل جهاراً .

(٤) أورده في المؤمن : ص ١٥ ح ٢٨ مرسلاً نحوه .

(٥) وما/خ .

(٦) أورده في الكافي : ٢٥٦/٢ ح ١٩ بإسناده عن ذريح المحاربي نحوه ، وكتاب محمد بن المثنى الحضرمي : ص ٨٥ بالسند المتقدم ذيل ح ١ .

في المصائب من الأجر لتمنى أن يقرض بالمقاريض^(١).

١٤ - عن عبد الله بن المبارك قال : سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول : إذا أضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية^(٢).

١٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أصابكم تمحيص فاصبروا ، فإن الله يبتلي المؤمنين^(٣) ، ولم يزل إخوانكم قليلاً ، ألا^(٤) وإن أقل أهل المحشر المؤمنون^(٥).

١٦ - عن معاوية بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما من مؤمن إلا وهو يذكر البلاء^(٦) يصيبه في كل أربعين يوماً أو بشيء من ماله وولده ، ليأجره الله عليه ، أو بهم لا يدري من أين هو^(٧) ؟

١٧ - عن أبي الحسن الأحمسي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله ليتعهد عبده المؤمن بأنواع البلاء كما يتعهد أهل البيت سيدهم بطرف الطعام .

ثم قال : (ويقول الله جلّ جلاله) : وعزّتي وجلالي وعظمتي وبهائي إنني لأحمي ولّتي أن^(٨) أعطيه في دار الدنيا شيئاً يشغله عن ذكرتي حتى يدعوني فأسمع صوته .
وإنني لأعطي الكافر منيته حتى لا يدعوني فأسمع صوته بغضاً له^(٩) .

١٨ - عن أبي سيار^(١٠) رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا ابتلي المؤمن كان

(١) أخرج في البحار : ٢١٢/٦٧ ح ١٧ والوسائل : ٩٠٨/٢ ذح ١٣ عن الكافي : ٢٥٥/٢ ح ١٥ بإسناده عن عبد الله بن أبي يعفور نحوه ، وأخرج في البحار : ١٦٠/٧١ عن المؤمن : ص ٧ ح ٣ مرسلاً مثله وأورد في تنبيه الخواطر : ٢٠٤/٢ نحوه .

(٢) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ح ٦٧ .

(٣) المؤمن/خ .

(٤) مالا/خ .

(٥) عنه في البحار : ٢٤٠/٦٧ ذح ٦٧ .

(٦) في البحار : لبلاء وفي جامع الأخبار : ببلاء .

(٧) عنه في البحار : ٢٤١/٦٧ ح ٦٨ ، وفي ص ٢٣٧ س ٢ عن جامع الأخبار : ١٣٣ نحوه ، وفي المؤمن ح ٢٧ نحوه أيضاً .

(٨) إنني لا/خ .

(٩) عنه في البحار : ٣٧١/٩٣ ح ١٠ ، والبحار : ٢٤١/٦٧ ح ٦٩ ذكر صدره .

(١٠) ابن سنان/خ .

كفارة (له) لما مضى من ذنوبه ، ويستغيث^(١) فيما بقي .

١٩ - عن ابن مسكان عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : من عرض بنفسه أعان عليها ومن ابتلى - وهو مأز^(٢) مقرر لم يحدث حدثاً ولم يجرم جرماً - كان تمحيصاً له في الدنيا ، وأثابه الله تعالى في الآخرة أحسن ثواب .

٢٠ - عن الحسن بن محبوب ، عن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إنَّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء)^(٣) ، وإذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء ، فمن رضي فله عند الله الرضا ، ومن سخط فله السخط^(٤) .

٢١ - (قال/خ) عن يونس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أكل ما يشتهي ، ولبس ما يشتهي لم ينظر الله إليه حتى ينزع أو يترك^(٥) .

٢٢ - عن جابر : أنَّ النبي ﷺ قال : مثل المؤمن (مثل السنبلة تخرم مرة وتستقيم أخرى)^(٦) ومثل الكافر مثل الازرة لا يزال مستقيماً^(٧) .

٢٣ - قيل عن أبي سعيد الخدري : أنه وضع يده على رسول الله ﷺ وعليه حمى فوجدها من فوق اللحاف ، فقال : ما أشدها عليك يا رسول الله ! قال : إنا كذلك يشتد علينا البلاء ويضعف لنا الأجر .

قال : يا رسول الله أي الناس أشدَّ بلاء ؟ قال : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال :

(١) الظاهر : يستأنف .

(٢) ماد/خ ، وسار الرجل : مرَّمه لعلَّ المقصود أنه يمشي الناس تقيّة .

(٣) إنَّ عظيم الجزاء مع عظيم البلاء/خ .

(٤) عنه في البحار : ٢٠٩/٦٧ ح ١١ وعن الكافي : ٢٥٣/٢ ح ٨ بإسناده عن زيد الزرّاد

والخصال : ص ١٨ ح ٦٤ بإسناده عن زيد الشحام وأخرج في البحار ٢٠٧/٨١ ح ٢١

عن الخصال والوسائل : ٩٠٠/٢ ح ١٠ عن الكافي والخصال مثله .

(٥) عنه في البحار : ٧٨/٧٠ ح ١٠ ، وأسقط منه : (ولبس ما يشتهي) .

(٦) كمثّل السنبلة تحنّ مرة وتستقيم مرة/خ .

(٧) عنه في المستدرك : ١٤١/١ ح ١٤ .

ثمّ الصالحون ، إن كان أحدهم ليتلى بالفقر حتى ما يجد إلّا العبادة^(١) ، إن كان أحدهم ليتلى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء^(٢) .

٢٤ - عن عمار بن مروان عن بعض ولد أبي عبد الله عليه السلام : [أنه قال : لن تكونوا مؤمنين حتى تعدّوا البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة^(٣) .

٢٥ - عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام^(٤) قال : إنّ الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً ، ونجّه به عليه ثجّاً^(٥) ، فإذا دعاه قال : لبيك عبيد ليبيك ، لئن عجّلت ما سألت إنّي على ذلك لقادر ، ولئن أخرت فما أدخرت^(٦) لك عندي خير لك^(٧) .

٢٦ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ لله عبداً في الأرض من خالص عباده ليس ينزل من السماء تحفة للعالم إلاّ صرفها عنهم إلى غيرهم ، ولا ينزل من السماء بلاء للآخر إلاّ صرفه إليهم ، وهم شيعة عليّ وأهل بيته^(٨) .

٢٧ - عن محمد بن عجلان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ لله في خلقه عبداً ما من بليّة تنزل من السماء ولا تقفّر من رزق إلاّ صرفه إليهم ولا عافية ولا

(١) العبادة ، العياة/خ .

(٢) عنه في البحار : ٢٧٥/١٦ ح ١١ والمستدرک : ١٤١/١ ح ١٥ .

(٣) عنه في المستدرک : ١٤١/١ ح ١٦ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب) ، وقد نتج عن ذلك أنّ المجلسي نقل في البحار سند ح ٢٤ مع متن ح ٢٥ .

(٥) غتّه بالبلاء غتّاً ونجّه بالبلاء عليه ثجّاً (شجّاً/خ) في (ج) ، وكلمة (عليه) غير موجودة في بقية المصادر ، وغتّه : غمره ، وثجّه : أساله .

(٦) ذخرت/خ .

(٧) عنه في البحار : ٣٧١/٩٣ ح ١١ ، وأخرجه في الوسائل : ٩٠٨/٢ ح ١٥ عن الكافي : ٢٥٣/٢ ح ٧ بإسناده عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام ، والظاهر أنّ نسخة التمهيص هي الصحيحة لأنّه لم يرو حماد عن أبيه في غير هذا المورد ، ويحتمل حتّان فقد روى عن أبيه كثيراً ، وفي البحار : ٢٠٨/٦٧ ح ١٠ عن الكافي وجامع الأخبار : ص ١٣٤ مرسل مثله . وفي المؤمن ح ٣٩ مثله .

(٨) أخرجه في الوسائل : ٩٠٨/٢ ح ١٤ والبحار : ٢٠٧/٦٧ ح ٨ عن الكافي : ٢٥٣/٢ ح ٥ بإسناده عن أبي بصير وفي البحار عن تنبيه الخواطر : ٢٠٤/٢ عن أبي بصير أيضاً نحوه .

سعة في رزق إلا صرفه عنهم ، (و) ظ لو أنّ نور أحدهم قسّم بين أهل الأرض جميعاً لاكتفوا به^(١) .

٢٨ - وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ، وربما اجتمعت الثلاث عليه : إمّا أن يكون موه في الدار من يغلّق عليه الباب يؤذيه ، أو جار يؤذيه ، أو شيء في طريقه^(٢) وحوائجه يؤذيه ، ولو أنّ مؤمناً على قلة جبل لبيعت الله عليه شيطاناً^(٣) ويجعل له من إيمانه أنساً لا يستوحش إلى أحد^(٤) .

٢٩ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : ساعات المؤمن ساعات كفّارات .

٣٠ - عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ أشدّ الناس بساء الأنبياء ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم^(٥) .

(١) أخرجه في المستدرک : ١٤١/١ ح ٢ عن المؤمن ١٤ ح ٢٣ عن محمد بن عجلان باختلاف يسير .

(٢) في كتاب المؤمن : إلى .

(٣) في كتاب المؤمن : يؤذيه ، وفي البحار : لبعث الله إليه شيطاناً .

(٤) عنه في البحار : ٢٤١/٦٧ ح ٧٠ وفي المستدرک : ٧٨/٢ ح ٧ عنه وعن المؤمن ص ١٥ ح ٢٩ مرسلاً .

(٥) عنه في البحار : ٢٤١/٦٧ ح ٧١ وأخرجه في الوسائل : ٩٠٧/٢ والبحار : ٢٠٠/٦٧ ح ٣ عن الكافي : ٢٥٢/٢ ح ١ وفي البحار : ٢٣١/٦٧ ح ٤٥ عن قصص الأنبياء : ٢٦٦ ح ٢٧ وأمالى الشيخ : ٢٧٣/٢ بأسانيدهم عن هشام بن سالم ، وفي البحار : ٦٩/١١ ح ٢٩ عن أمالي الشيخ مثله .

الباب الثاني

باب تعجيل التمحيص عن المؤمنين

٣١ - عن معاوية بن عمار قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقد كانت الريح حملت العمامة عن رأسي في البدو ، فقال : يا معاوية ، فقلت : ليّيك جعلت فداك يا بن رسول الله ، قال : حملت الريح العمامة عن رأسك ؟ قلت : نعم ، قال : هذا جزاء من أطعم الأعراب^(١) .

٣٢ - عن عبد الله بن سنان قال : سمعت معتباً يحدث أن إسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام حمّ حتى شديدة فأعلموا أبا عبد الله بحمّاه فقال لي : إئتته فأسأله : أي شيء عملت اليوم من سوء فعجّل الله عليك العقوبة ؟ قال : فأتيته فإذا هو موعوك فسأله عما عمل ، فسكت .

وقيل لي : إنه ضرب بنت زلفى اليوم بيده فوقعت على درّاعة الباب فعقر وجهها ، فأتيته أبا عبد الله عليه السلام فأخبرته بما قالوا ، فقال :

الحمد لله ، إنا أهل بيت يعجّل الله لأولادنا العقوبة في الدنيا ، ثم دعا بالجارية ، فقال : إجعلني إسماعيل في حلّ ممّا ضربك ، فقالت : هو في حلّ .

فوهب لها أبو عبد الله عليه السلام شيئاً ، ثم قال لي : إذهب فانظر ما حاله ؟

قال : فأتيته وقد تركته الحمّى^(٢) .

(١) عنه في البحار : ٣٦٢/٧٣ ح ٩١ والمستدرک : ٥٣٧/١ ح ٢ .

(٢) عنه في البحار : ٢٦٨/٤٧ ح ٣٩ وفيه «فسله» بدل «فأسأله» .

٣٣- عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : توقوا الذنوب فما من بليّة ولا نقص رزق إلّا بذنب حتى الخدش والنكبة^(١) والمصيبة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(٢) .

٣٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ما من شيعة أحد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتى يبتلى ببليّة تمحص بها ذنوبه :

إمّا في مال أو ولد وإمّا في نفسه حتى يلقي الله مخبئاً وما له من ذنب ، وإنّه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدد عليه عند موته فيمحص ذنوبه^(٣) .

٣٥- عن حمran بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم ، فإن لم يفعل ذلك ابتلاه بالحاجة ، فإن لم يفعل ذلك شدد عليه الموت ليكافئه بذلك الذنب ، وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنة صرح بدنه ، فإن لم يفعل ذلك به وسّع له في معاشه ، فإن [هو]^(٤) لم يفعل هوّن عليه الموت ليكافئه بتلك الحسنة^(٥) .

٣٦- (قيل/خ) عن منصور بن معاوية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى :

ما من عبد [لله]^(٦) أريد أن أدخله الجنة إلّا ابتليته في جسده ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلّا سلّطت عليه سلطاناً ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلّا ضيّقت عليه في رزقه ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلّا شددت عليه عند الموت حتى يأتيني ذنب له ثم أدخله الجنة ، وما من عبد أريد أن أدخله النار إلّا صحّحت له جسمه ، فإن

(١) البكة/خ ، وفي البحار : الكبوة .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٣٠ ، عنه في البحار : ٣٦٢/٧٣ ح ٩٢ وأخرج في البحار : ٣٥٠/٧٣ ح ٤٧ عن الخصال : ٦١٦/٢ في حديث الأربعمئة مثله .

(٣) أخرجه في البحار : ٣٥٠/٧٣ ذح ٤٧ عن الخصال : ٤٣٥/٢ في حديث الأربعمئة باختلاف يسير .

(٤) ليس في النسخة - أ - .

(٥) أخرج صدره في المستدرک : ٣١١/٢ ح ٧ عن المؤمن : ح ١١ ، وأورده في الكافي : ٤٤٤/٢ ح ١ بإسناده عن حمزة بن حمran عن ربيع باختلاف يسير .

(٦) هكذا في النسخة - أ - والظاهر أنّها تصحيف : لي .

كان ذلك تمام طلبته^(١) عندي وإلا آمنت خوفه من سلطانه ، فإذا كان ذلك تمام طلبته وإلا وسعت عليه رزقه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا يسرت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا حسنة له ثم أدخله النار^(٢) .

٣٧ - عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال الله تعالى : إنّ العبد المؤمن من عبادي ليدنب الذنب العظيم ممّا يستوجب به عقوبتي في الدنيا والآخرة فأنظر له فيما فيه صلاحه في آخرته فأعجل له العقوبة في الدنيا لأجازيه بذلك الذنب^(٣) .

٣٨ - عن عمر صاحب السابري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّي لأرى من أصحابنا من يرتكب الذنوب الموبقة فقال لي : يا عمر لا تشنع على أولياء الله ، إنّ ولينا ليرتكب ذنباً يستحق (بها/خ) من الله العذاب فيبتليه الله في بدنه بالسقم حتى يمحّص عنه الذنوب ، فإن عافاه في بدنه ابتلاه في ماله ، فإن عافاه في ماله ابتلاه في ولده ، فإن عافاه في ولده ابتلاه في أهله ، فإن عافاه في أهله ابتلاه بجار سوء يؤذيه ، فإن عافاه من بوائق الدهور^(٤) شدّد عليه خروج نفسه حتى يلقي الله حين يلقاه ، وهو عنه راض ، قد أوجب له الجنة^(٥) .

٣٩ - عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : ذكر (عند/خ) أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يختص [الله] ظ به المؤمنين فقال أبو عبد الله عليه السلام : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله : من أشدّ الناس بلاءً في الدنيا ؟ فقال : النبيون ، ثمّ الأمثل فالأمثل ، يتلى المؤمن على قدر إيمانه وحسن عمله ، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله إشتدّ بلاءه ، ومن سخط إيمانه وضعف عمله قلّ بلاءه^(٦) .

(١) طلبه/خ ، وفي البحار : تماماً لطلبته عندي .

(٢) عنه في البحار : ١٧٢/٦ ح ٤٩ وفيه منصور عن معاوية ، وأخرجه في البحار :

٢٣٦/٦٧ عن جامع الأخبار : ص ١٣٣ مرسلأ ، وأورده في الكافي : ٤٤٦/٢ ح ١٠

بإسناده عن معاوية بن وهب باختلاف يسير .

(٣) أورد في الكافي : ٤٤٩/٢ صدرح ١ بإسناده عن ابن يعفور مثله .

(٤) الدهر/خ .

(٥) عنه في البحار : ٢٠٠/٦٨ ح ٦ وعن رياض الجنان بإسناده عن عمر السابري مثله .

(٦) عنه في البحار : ٢٠٧/٦٧ ح ٦ وعن الكافي : ٢٥٢/٢ ح ٢ بإسناده عن عبد

الرحمان بن الحجاج نحوه ، وأخرج في الوسائل : ٩٠٦/٢ ح ١ عن الكافي مثله .

٤٠ - عن فرات بن أحنف قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من هؤلاء الملاعين فقال : والله لأسوءه من شيعته ، فقال : يا أبا عبد الله أقبل إليّ ، فلم يقبل إليه ، فأعاد فلم يقبل إليه ، ثم أعاد الثالثة ، فقال : ها أنا ذا مقبل ، فقل ولن تقول خيراً ، فقال :

إنّ شيعتك يشربون النبيذ ، فقال : وما بأس بالنبيذ ، أخبرني أبي عن جابر بن عبد الله أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يشربون النبيذ .

فقال : ليس أعنيك النبيذ ، إنّما أعنيك المسكر فقال : شيعتنا أزكى وأطهر من أن يجري للشيطان في أمعائهم رسيس^(١) ، وإن فعل ذلك المخذول منهم فيجد ربّاً رؤوفاً ، ونبيّاً بالإستغفار له عطوفاً ، ووليّاً له عند الحوض ولوفاً ، وتكون وأصحابك ببرهوت^(٢) ملهوفاً^(٣) ، قال : فأفحم الرجل وسكت .

ثم قال : ليس أعنيك المسكر ، إنّما أعنيك الخمر ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : سلبك الله لسانك - ما لك تؤذينا في شيعتنا منذ اليوم ؟

أخبرني أبي عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن عليّ بن أبي طالب ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبرئيل عن الله تعالى ، أنّه قال : يا محمد إنّني حظرت الفردوس على جميع النبيّين حتّى تدخلها أنت وعليّ وشيعتكما إلّا من اقترب منهم كبيرة ، فأبني أبلوه في ماله ، أو بخوف من سلطانه ، حتّى تلقاه الملائكة بالروح والريحان ، وأنا عليه غير غضبان ، فيكون ذلك حالاً^(٤) لما كان منه ، فهل عند أصحابك (هؤلاء) شيء من هذا ؟ فلم^(٥) أو دُع^(٦) .

(١) الرسيس : من الرس ، أول مسّ الحمى .

(٢) اسم واد باليمن ، قيل : هو بقرب حضرموت ، جاء أنّ فيه أرواح الكفار ، وقيل بشر بحضر موت وقيل : هو اسم البلد الذي فيه البشر ، راثحتها متنة فظيعة جداً ، المراصد : ١٩٠/١ .

(٣) سقط من النسخة - أ - ، وفي نسخة - ج - عطوفاً .

(٤) جزاء/خ .

(٥) فـ (لم) : فعل أمر من لام يلم .

(٦) عنه في البحار : ١٤٤/٦٨ ح ٩٢ وعن رياض الجنان ، وفي البحار : ٣٨١/٤٧ ح ١٠٢ والبحار : ١٥٣/٧٩ ح ٦٦ عنه وعن مشارق الأنوار : ص ١٨٢ عن أبي الحسن الثاني عليه السلام مثله .

٤١ - قال : عن أبي الصباح الكناني قال : كنت أنا وزرارة عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : لا تطعم النار أحداً وصف هذا الأمر .

فقال زرارة : إنَّ ممَّن يصف هذا الأمر يعمل بالكبائر ؟ !

فقال : أو ما تدري ما كان أبي يقول في ذلك ؟ ! إنه كان يقول : إذا ما أصاب المؤمن من تلك الموبقات^(١) شيئاً ابتلاه الله ببليّة في جسده ، أو بخوف يدخله الله عليه ، حتّى يخرج من الدنيا وقد خرج من ذنوبه^(٢) .

٤٢ - عن زكريا بن آدم قال : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال : يا زكريا بن آدم شيعة عليّ رفع عنهم القلم ، قلت :

جعلت فداك فما العلّة في ذلك ؟ قال : لأنّهم أُخروا في دولة الباطل يخافون على أنفسهم ، ويحذرون على إمامهم .

يا زكريا بن آدم ما أحد^(٣) من شيعة عليّ أصبح صبيحة أتى بسيّئة ، أو ارتكب ذنباً ، إلّا أمسى وقد ناله غمّ حط عنه سيّئته فكيف يجري عليه القلم^(٤) ؟

(١) أثبتناها من البحار ، وفي الأصل : الموجبات .

(٢) عنه في البحار : ١٤٦/٦٨ ح ٩٣ .

(٣) (أجد/خ) .

(٤) عنه في البحار : ١٤٦/٦٨ ح ٩٤ .

الباب الثالث

باب التمهيص بالعلل والأمراض

- ٤٣ - عن سدير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : هل يتبلي الله المؤمن ؟ فقال : وهل يتبلي إلا المؤمن !؟ حتى أن صاحب «يسر» الذي قال : «يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ» كان مكتعاً^(١) ، قلت : وما المكتع ؟ قال : كان به جذام^(٢) .
- ٤٤ - عن عمر بن يزيد^(٣) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من مؤمن إلا وبه وجع في شيء من بدنه ، لا يفارقه حتى يموت ، يكون ذلك كفارة لذنوبه^(٤) .
- ٤٥ - عن العلا ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : حمى ليلة كفارة سنة^(٥) .
- ٤٦ - عن جابر بن عبد الله : إن علي بن الحسين عليه السلام كان إذا رأى المريض قد براً قال له : يهنيك الطهور من الذنوب^(٦) .
- (١) هكذا في الأصل ، وفي البحار : (مكنعاً ، قلت : وما المكنع ؟) والمكنع : هو الذي قد وقعت أصابعه ، وأما المكتع : فهو الذي قد عقلت أصابعه .
- (٢) سورة يس ؛ الآية : ٢٦ ، عنه في البحار : ٢٤١/٦٧ ح ٧٢ وصدده في المستدرک :
- ١٤١/١ ح ١٨ .
- (٣) زيد/خ .
- (٤) (الذنبه/خ) ، عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٣ .
- (٥) أخرج في البحار : ١٨٦/٨١ والوسائل : ٦٢٥/٢ ح ٢٢ عن طب الأئمة : ص ٣٤ بإسناده عن محمد بن سنان مثله وفيه : قال : قال رسول الله ﷺ . وعنه في المستدرک : ٨٠/١ ح ٤٠ .
- (٦) أخرجه في البحار : ٢٢٤/٨١ عن دعوات الراوندي عن أمير المؤمنين عليه السلام وأورد في =

٤٧ - عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أحبَّ الله عبداً نظر إليه ، فإذا نظر إليه أتخفه من ثلاث بواحدة : إمّا صداع ، وإمّا حمى ، وإمّا رمد ^(١) .

٤٨ - عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يكتب للمؤمن في سقمه من العمل الصالح مثل ما كان يكتب له (في حقّه) في صحته .
ويكتب للكافر من العمل السيئ مثل ما كان يكتب له في صحته .

ثمّ قال : يا جابر ما أشدّ هذا من حديث ^(٢) ؟!

٤٩ - عن عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الحمى رائد الموت ، وهي سجن الله في أرضه ، وهي حظّ ^(٣) المؤمن من النار ^(٤) .

٥٠ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الحمى رائد الموت ، وسجن الله في الأرض ، يحبس بها من يشاء من عباده وهي تحت الذنوب كما يحاتّ الوبر عن سنام البعير ^(٥) .

٥١ - عن أبي سلمة قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأعرابيٍّ : هل أخذتك أمّ ملدم قطّ ؟ قال : وما أمّ ملدم ؟ قال : حرّ بين الجلد واللحم قال : لا ، قال : فأخذك الصداع قطّ ؟ قال : وما الصداع ؟ قال : عرق يضرب الإنسان في رأسه ، قال : ما وجدت هذا قطّ ، فلمّا ولّى ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ^(٦) .

٥٢ - عن جابر بن عبد الله قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة إلّا حطّ الله به من خطاياها ^(٧) .

= العيون : ٤٤/٢ ح ١٦٣ بأسانيده الثلاثة وصحيفة الرضا : ص ٣٧ مرسلًا مثله . وعنه في المستدرک : ٨٠/١ ح ٤١ .

(١) عنه في البحار : ٢٤٦/٦٧ ح ٨٧ .

(٢) عنه في المستدرک : ٨١/١ ح ٤٢ .

(٣) حفظ/خ .

(٤) عنه في المستدرک : ٨١/١ ح ٤٣ وأخرج في الوسائل : ٦٢٢/٢ ح ٤ عن الكافي : ١١١/٣ ح ٣ بإسناده عن عبد الله بن سنان مثله .

(٥) عنه في المستدرک : ٨١/١ ح ٤٤ .

(٦) عنه في المستدرک : ٨١/١ ح ٤٥ .

(٧) عنه في المستدرک : ٨١/١ ح ٤٦ .

الباب الرابع

باب التمهيص بالحزن والهَمّ

٥٣ - عن الأحمسي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تزال الغموم والهموم بالمؤمن حتى لا تدع له ذنباً^(١) .

٥٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يمضي على المؤمن أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه يذكره ربّه^(٢) .

٥٥ - عن رفاعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قرأت في كتاب علي عليه السلام : إنّ المؤمن يمسي حزناً ، ويصبح حزناً ، ولا يصلح له إلا ذلك^(٣) .

٥٦ - عن الحكم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها^(٤) .

٥٧ - عن الحارث بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ العبد المؤمن ليهمّ في الدنيا حتى يخرج منها ولا ذنب له^(٥) .

(١) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٤ وروى في الكافي : ٤٤٥/٢ ح ٧ و٩ بإسناده عن الأحمسي عن رجل عنه عليه السلام نحوه .

(٢) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ذح ٧٤ وأخرج في الوسائل : ٩٠٧/٢ ح ٧ والبحار : ٢١١/٦٧ ح ١٤ عن الكافي : ٢٥٤/٢ ح ١١ بإسناده عن محمد بن مسلم مثله وأورد في المؤمن : ح ٣٠ عن محمد بن مسلم مثله ، والمشكاة : ص ٢٩٣ مرسلًا مثله ، وفيهما ؛ يذكر به بدل يذكره ربّه .

(٣) عنه في البحار : ٧١/٧٢ ح ٣ .

(٤) عنه في البحار : ٢٣٤/٦٧ ح ٥٠ وعن أمالي المفيد : ص ٢٢ وأورد في الكافي : ٤٤٤/٢ ح ٢ بإسنادهما عن الحكم بن عتيبة مثله .

(٥) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٥ وأورد في الكافي : ٤٤٥/٢ ح ٨ بإسناده عن الحارث بن بهرام عن عمرو بن جميع مثله .

الباب الخامس

باب التمهيد بذهاب المال ومدح الفقر وأن الله اختار الآخرة للمؤمنين

٥٨ - عن المفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : كلما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته^(١) .

٥٩ - عن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنَّ الربَّ ليُلي حساب المؤمن فيقول : تعرف هذا الحساب ؟ فيقول : لا ، يا ربَّ فيقول : دعوتني في ليلة كذا وكذا في ساعة كذا وكذا ، فذخرتها (ادَّخرتها/خ) لك ، قال : فما ترى من عطية^(٢) ثواب الله ؟ يقول : يا ربَّ ليت أنَّك لم تكن عجَّلت لي شيئاً ، وادَّخرته لي^(٣) .

٦٠ - عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

أكرم ما يكون العبد إلى الله أن يطلب درهماً فلا يقدر عليه .

قال عبد الله بن سنان : قال أبو عبد الله عليه السلام هذا الكلام وعندي مائة ألف ، وأنا اليوم ما أملك درهماً^(٤) .

(١) عنه في البحار : ٤٩/٧٢ ح ٥٩ .

(٢) (عظمة/خ) .

(٣) عنه في البحار : ٣٧١/٩٣ ح ١٢ .

(٤) عنه في البحار : ٤٩/٧٢ ح ٦٠ .

٦١ - عن عباد بن صهيب قال : سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول : قال الله تعالى : لولا أنني أستحي من عبدي المؤمن ما تركت له خرقه يتوارى بها ، لأنَّ العبد إذا تكامل الإيمان ابتليته في قوته ، فإن جزع رددت عليه قوته وإن صبر باهيت به ملائكتي ، فذاك الذي تشير إليه الملائكة بالأصابع ^(١) .

٦٢ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : وكلَّ الله الرزق بالحق ، وكلَّ الله الحرمان بالعقل ، وكلَّ الله البلاء بالصبر ^(٢) .

٦٣ - عن محمد ^(٣) بن سليمان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : من استذل مؤمناً لقلة ذات يده شهَّره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق لا محالة ^(٤) .

٦٤ - عن ابن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المصائب منح من الله ، والفقر عند الله مثل الشهادة ، ولا يعطيه من عباده إلا من أحب ^(٥) .

٦٥ - عن علي بن عفان ^(٦) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الله ليتعذر ^(٧) إلى عبده المؤمن المحتاج - كان في الدنيا - كما يتعذر ^(٨) الأخ إلى أخيه فيقول :

لا وعزتي ما أفقرتك لهوان بك علي ، فارفع هذا الغطاء فانظر ما عوضتك من الدنيا ، فيكشف الغطاء فينظر إلى ما عوضه الله من الدنيا ، فيقول : ما يضرني ما منعتني عما (مع ما/خ) عوضتني ^(٩) .

(١) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦١ وأخرج في البحار : ٢٢٦/٦٧ ح ٣٥ عن أمالي الشيخ : ٣١٢/١ بإسناده عن أبي خالد البرقي نحوه .

(٢) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٢ .

(٣) (عبد الله /خ) .

(٤) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٣ .

(٥) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٤ .

(٦) هكذا في نسخة (ب) والبحار ، وفي النسختين الباقيتين : عبد الله بن سنان (علي بن سنان/خ) .

(٧) (ليتعدّر/خ) .

(٨) (يتعدّر/خ) .

(٩) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٥ وج ١٨١/٧ ح ٢٥ وأخرج في البحار : ٥٥/٧٢ عن عدة الداعي : ص ١٠٦ مرسلًا مثله .

٦٦ - عن محمد بن خالد البرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : والله ما اعتذر الله إلى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا إلى فقراء شيعتنا ، قيل له : وكيف يعتذر لهم ^(١)؟ قال : ينادي مناد : أين فقراء المؤمنين ؟ فيقوم عنق من الناس فيتجلى لهم الرب فيقول : وعزتي وجلالي وآلاني وارتفاع مكاني ما حبست عنكم شهواتكم في دار الدنيا [هواناً بكم عليّ ولكن ذخرته لكم لهذا اليوم ، أما ترى قوله : ما حبست عنكم شهواتكم في دار الدنيا] ^(٢) اعتذاراً ^(٣) ١٩ (٣) قوموا اليوم فتصفّحوا وجوه خلائقي فمن وجدتم له عليكم [منة] بشرية من ماء فكافوه عني بالجنة ^(٤) .

٦٧ - وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال لمُصاصِر (لمصاحبي/خ) شيعتنا : غربوا أو شرّقوا لن ترزقوا إلا القوت ^(٥) .

٦٨ - عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تستخفّوا بفقراء شيعة عليّ وعترته من بعده ، فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر ^(٦) .

٦٩ - عن مبارك قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال الله :
إني لم أغن الغني لكرامة به عليّ ، ولم أفقر الفقير لهوان به عليّ ، وهو ممّا ابتليت به الأغنياء بالفقراء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة ^(٧) .

٧٠ - عن أبي جرير ^(٨) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الفقير هديّة الله إلى الغني ، فإن قضى حاجته فقد قبل هديّة الله ، وإن لم يقض حاجته فقد ردّ هديّة الله جلّ وعزّ عليه ^(٩) .

-
- (١) (إليهم/خ) .
(٢) ما بين المعقوفين سقط من النسختين : (أ-ج) .
(٣) سقط من النسخة (ب) .
(٤) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٦ وج ١٨٢/٧ ح ٢٦ .
(٥) عنه في البحار : ٥٠/٧٢ ح ٦٦ وفي ص ١٠ ح ١٠ عن الكافي : ٢/٢٦١ ح ٧ مسنداً عنه عليه السلام نحوه ، المصاصِر من الشيء : خالسه .
(٦) عنه في البحار : ٥٩/٨ ح ٨٠ .
(٧) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٦٧ .
(٨) ابن جرير ، ابن حريز/خ .
(٩) عنه في البحار : ١٧٠/٩٦ ح ٣ .

٧١- عن صفوان قال : ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام ضعفاء أصحابنا ومحاوليهم ، فقال : إني لأجبت نفعهم وأحب من نفعهم (١) .

٧٢- عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب أرزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير ، فإذا علم الله ذلك منه كتب له من الأجر مثل ما يكتبه ، لو عمله ، إن الله واسع كريم (٢) .

٧٣- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله : لولا عبدي المؤمن لعصبت رأس الكافر بعصاة من جوهر (٣) .

٧٤- عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال الله تعالى : لولا أن يجد عبدي المؤمن في نفسه لعصبت المنافق عصاة لا يجد ألماً حتى يموت (٤) .

٧٥- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : من ضيق عليه في ذات يده فلم يظن أن ذلك حسن نظر من الله له فقد ضيع مأمولاً ، ومن وسع عليه في ذات يده فلم يظن أن ذلك استدراج من الله فقد أمن مخوفاً (٥) .

٧٦- وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وأما المؤمن فيروع فيها وأما الكافر فمتع منها (٦) .

٧٧- عن محمد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه رجل الحاجة فقال :

إصبر إن الله سيجعل لك فرجاً ، ثم سكت ساعة ، ثم أقبل على الرجل فقال : أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو ؟ قال : - أصلحك الله - فيه أصحابه بأسوء

(١) عنه في البحار : ١٣١/٩٦ ح ٦٠ والمستدرک : ٤٠٣/٢ ح ١٢ .

(٢) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٦٨ .

(٣) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٦٩ وأورد نحوه في علل الشرائع : ص ٦٠٤ ح ٧٤ مسنداً عنه عليه السلام .

(٤) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٦ .

(٥) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٧٠ .

(٦) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٧ ، وفيه : فيمتع فيها .

حال ، فقال : إنما أنت في سجن تريد أن تكون في سعة !؟ أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن^(١) .

٧٨ - عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنا لا نحب المال ، وأن لا نؤتى منه خير لنا ، إن علينا أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : أنا يعسوب الدين ، وأمير المؤمنين ، وإن كثرة المال عدو للمؤمنين ويعسوب المنافقين^(٢) .

٧٩ - عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رجلاً من الأنصار أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من رطب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخادم التي جاءت به : أدخلي فانظري هل تجددين في البيت قصعة أو طبقاً فتأتيني به ؟ فدخلت ثم خرجت إليه فقالت : ما أصبت قصعة ولا طبقاً ، فكس رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوبه مكاناً من الأرض ، ثم قال لها : ضعيه هاهنا على الحضيض ثم قال : والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً^(٣) .

٨٠ - عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الفقير أزين على المؤمن من العذار على خدّ الفرس ، وإن آخر الأنبياء دخولاً إلى الجنة سليمان ، وذلك لما أعطي من الدنيا^(٤) .

٨١ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : يا دنيا تمرّري^(٥) على عبدي المؤمن بأنواع البلاء وضيق عليه في معيشته ، ولا تحلولي (تحولي/خ) فيركن إليك^(٦) .

٨٢ - عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : مياسير شيعةنا أماناء

(١) عنه في البحار : ٢١٩/٦٨ ح ٩ وعن الكافي : ٢/٢٥٠ ح ٦ بإسناده عن محمد بن عجلان وأورده في المؤمن : ص ١٨ ح ٤٣ ومستطرفات السرائر : ح ٤٢٨ عن محمد بن عجلان مثله ، وتنبية الخواطر : ٢/٢٠٣ مرسلًا باختلاف يسير .

(٢) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٧١ .

(٣) عنه في البحار : ٥١/٧٢ ح ٧٢ و ٢٨٣/١٦ ح ١٣٣ والمستدرك : ٨٣/٣ ح ٢ .

(٤) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٦ .

(٥) تمرّري : أي صيري مرّة ، ولا تحلولي : أي لا تصيري حلوة .

(٦) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٣ .

على محابوئهم ، فاحفظونا فيهم يحفظكم الله (١) .

٨٣ - عن (ابن) (٢) أبي العلا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لولا كثرة إلحاح المؤمن في الرزق لضيق عليه من الرزق أكثر مما هو فيه (٣) .

٨٤ - عن المفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لولا إلحاح هذه الشيعة على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم عليها إلى ما هو أضيّق (٤) .

٨٥ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الفقر خير للمؤمن من الغنى إلا من حمل كلاً وأعطى في نائبة .

قال : وقال رسول الله ﷺ : ما أحد يوم القيامة غني ولا فقير إلا يؤد أنه لم يؤت من هذه الدنيا إلا القوت (٥) .

٨٦ - عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما سدّ الله على مؤمن باب رزق إلا فتح الله خيراً منه .

قال ابن أبي عمير : ليس يعني بخير منه أكثر منه ، ولكن يعني : إن كان أقل فهو خير له (٦) .

٨٧ - عن إبراهيم بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أعطى الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد (به) (٧) خيراً .

وقال : ما جمع رجل قطّ عشرة آلاف من حلّ ، وقد جمعها الله لأقوام إذا أعطوا القريب ورزقوا العمل الصالح ، وقد جمع الله لقوم الدنيا والآخرة (٨) .

(١) عنه في البحار : ١٣١/٩٦ ح ٦١ .

(٢) ليس في النسخة - أ - .

(٣) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٤ .

(٤) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٥ والمستدرک : ٣٦٥/١ ح ٤ .

(٥) عنه في البحار : ٦٦/٧٢ ح ٢٢ وصدره في المستدرک : ٤١٦/٢ ح ٨ .

(٦) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٧ ، وفيه : فتح الله له .

(٧) ليس في النسخة - أ - .

(٨) عنه في البحار : ٦٦/٧٢ ح ٢٣ والمستدرک : ٤١٧/٢ ح ٣ .

٨٨- عن المفضل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المال أربعة آلاف ، واثنان عشر ألف كنز ، ولم يجتمع عشرون ألفاً من حلال ، وصاحب الثلاثين ألفاً هالك وليس من شيعتنا من يملك مائة ألف^(١) .

٨٩- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : من حقر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه^(٢) .

٩٠- عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من أُعطي في هذه الدنيا شيئاً كثيراً ثم دخل الجنة كان أقل لحظه فيها^(٣) .

٩١- عن أبي جميلة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن العبد ليكرم على الله [حتى أنه لو سأله الجنة أعطاه إياها ولم ينقصه ذلك شيئاً ، ولو سأله شبراً من الأرض حرمه .

وإن العبد ليهون على الله^(٤) حتى أنه لو سأله الدنيا وما فيها أعطاه إياها ولم ينقصه ذلك ، ولو سأله من الجنة شبراً حرمه .

وإن الله يتعهد المؤمن بالبلاء كما يتعهد الغائب أهله بالهدية ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض^(٥) .

٩٢- عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب ، وإن المؤمن ليسأل ربه موضع سوط في الدنيا فلا يعطيه ، ويسأله الآخرة فيعطيه ما شاء ، ويعطي الكافر في الدنيا قبل أن يسأله ما شاء ، ويسأل موضع سوط في الآخرة فلا يعطيه شيئاً^(٦) .

٩٣- عن الفضيل بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله يعطي المال

(١) عنه في البحار : ٦٧/٧٢ ح ٢٤ والمستدرک : ٤١٧/٢ ح ٤ .

(٢) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٨ .

(٣) عنه في البحار : ٦٧/٧٢ ح ٢٥ .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من البحار .

(٥) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٨ .

(٦) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٧٩ ورواه في مشكاة الأنوار : ٢٩٠ والمؤمن : ح ٤٧ مع اختلاف يسير .

البارّ والفاجر ، ولا يعطي الإيمان إلّا من أحبّ (١) .

٩٤ - عن مالك بن أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : يا مالك إنّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ، ولا يعطي دينه إلّا من يحبّ (٢) .

٩٥ - عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ هذه الدنيا يُعطّاها البرّ والفاجر ، وإنّ هذا الدين لا يعطيه الله إلّا خاصّته (٣) .

٩٦ - عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الفقر مخزون عند الله ، لا يتلي به إلّا من أحبّ من المؤمنين ، ثمّ قال : إنّ الله يعطي الدنيا من أحبّ ومن أبغض ، ولا يعطي دينه إلّا من أحبّ (٤) .

(١) عنه في البحار : ٦٧/٧٢ ح ٢٦ .

(٢) عنه في البحار : ١٢٧/٧٣ ح ١٢٩ .

(٣) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٨٠ .

(٤) عنه في البحار : ٥٢/٧٢ ح ٨١ .

الباب السادس

باب وجوب الأرزاق والإجمال في الطلب

٩٧- عن عبد الله بن سنان ، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : ما سَدَّ الله على مؤمن رزقاً يأتيه من وجه إلاّ فتح له من وجه آخر فاتاه وإن لم يكن له في حساب^(١) .

٩٨- عن جابر قال : قال الحسن بن علي عليه السلام لرجل : يا هذا لا تجاهد الطلب جهاد العدو ، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم ، فإنّ إنشاء الفضل من السنّة ، والإجمال في الطلب من العفّة ، وليست العفّة بدافعة رزقاً ، ولا الحرص بجالب فضلاً ، فإنّ الرزق مقسوم ، واستعمال الحرص استعمال المأثم^(٢) .

٩٩- عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : إنّ من صحة يقين المرء المسلم ألاّ يرضي الناس بسخط الله ، ولا يحمدهم على ما رزق الله ، ولا يلومهم على ما لم يؤت الله ، فإنّ رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كره كاره ، ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه قبل موته كما يدركه الموت^(٣) .

(١) عنه في البحار : ٣٤/١٠٣ ح ٦٥ .

(٢) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٦٦ وفي المستدرک : ٢/٤٢٠ ح ٨ عنه وعن البحار :

٣٥/١٠٣ ح ٤١ عن أعلام الدين للدليمي (مخطوط) : ص ٢٦٤ عن الحسين عليه السلام ،

وأخرجه في البحار : ١٠٦/٧٨ ح ٤ عن تحف العقول : ص ٢٣٣ مرسلاً باختلاف

يسير .

(٣) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٦٧ .

١٠٠ - عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع :

ألا إنَّ الروح الأمين نفث في روعي أنه : لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإنَّ الله لا ينال ما عنده إلاَّ بطاعته ، قد قسَّم الأرزاق بين خلقه [حلالاً ، ولم يقسّمها حراماً .

فمن اتقى الله عزَّ وجلَّ وصبر آتاه الله برزقه (من) ظ حلّه] .

ومن هتك حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حلّه قصَّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة^(١) .

١٠١ - عن سهل بن زياد (رفعه) قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : كم من متعب نفسه ، مقتر عليه ، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير^(٢) .

١٠٢ - عن عبد الله بن سليمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ الله وسَّع في أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ، ويعلموا أنَّ الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة^(٣) .

١٠٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لو كان العبد في جحرٍ لأتاه رزقه ، فأجملوا في الطلب^(٤) .

١٠٤ - عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبى الله أن يجعل أرزاق المؤمنين إلاَّ من حيث لا يحتسبون^(٥) .

١٠٥ - عن علي بن السندي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ الله جعل

(١) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٦٨ والمستدرک : ٤١٨/٢ ح ٤ وما بين المعقوفين سقط من نسخة (ج) والبحار والمستدرک .

(٢) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٦٩ .

(٣) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٧٠ .

(٤) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٧١ ، وفي نسخة - أ - في حجرة .

(٥) عنه في البحار : ٣٥/١٠٣ ح ٧٢ .

أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون ، وذلك أن العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه^(١) .

١٠٦ - عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الدنيا دول ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه ، ومن رضي بما رزقه الله قرت عينه^(٢) .

١٠٧ - عن ابن فضال (رفعه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيق ودون طلب الحريص ، الراضي بدنيته ، المطمئن إليها ، وأنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ، ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف ، وتكتسب ما لا بد للمؤمن منه ، إن الذين أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم^(٣) .

(١) عنه في البحار : ١٠٣ / ٣٦ ح ٧٣ .

(٢) عنه في البحار : ١٠٣ / ٣٦ ح ٧٤ .

(٣) عنه في البحار : ١٠٣ / ٣٦ ح ٧٥ .

الباب السابع

باب حسن اختيار الله للمؤمنين ونظره لهم وإن كانوا كارهين

١٠٨ - عن داود بن فرقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران : ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، إنني إنما أبتليه لما هو خير له ، وأزوي عنه لما هو خير له ، وأعطيته لما هو خير له وأنا أعلم بما يصلح عليه حال عبدي المؤمن ، فليرض بقضائي ، وليشكر نعمائي ، وليصبر على بلائي ، أكتبه في الصديقين إذا عمل برضائي ، وأطاع لأمرى ^(١) .

١٠٩ - عن أبي الحسن عليه السلام قال : المؤمن بعرض ^(٢) كل خير لو قطع أنملة أنملة كان خيراً له ، ولو ولي شرقها وغربها كان خيراً له ^(٣) .

١١٠ - عن عيسى بن أبي منصور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله

(١) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٤٩ وأخرجه في الوسائل : ٩٠٠/٢ ح ٩ والبحار : ٣٣١/٧٢ ح ١٤ عن الكافي : ٦١/٢ ح ٧ وفي البحار : ١٣٩/٧١ ح ٣٠ وج ٣٤٨/١٣ ح ٣٦ عن أمالي ابن الشيخ : ٢٤٣/١ مثله وفي البحار : ٢٣٥/٦٧ ح ٥٢ وج ١٣٠/٨٢ ح ١٠ عن أمالي المفيد : ص ٦٣ باختلاف يسير بأسانيدهم عن داود بن فرقد ، والبحار : ١٦٠/٧١ ح ٧٧ عن المؤمن : ح ٩ مرسلًا مثله ، ورواه في التوحيد : ص ٤٠٥ ح ١٣ بإسناده عن داود بن فرقد ، وفي عدة الداعي : ص ٣١ مرسلًا مثله ، وفيهم : وأعافيه بدل وأعطيته .

(٢) هكذا في البحار ، ومعناها : بمعرض كل خير ، وفي النسختين (أ - ج) : يعرض .

(٣) عنه في البحار : ٢٤٢/٦٧ ح ٧٩ .

يذود المؤمن عمّا يشتهيهِ كما يذود أحدكم الغريب عن إبله ، ليس منها^(١) .

١١١ - عن سفيان بن السمط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه وتعهّده بالبلاء ، كما يتعهّد المريض أهله بالطرف ووكل به ملكين فقال لهما : أسقما بدنّه وضيقا معيشته وعوّقا عليه مطلبه حتى يدعوني فإنّي أحبّ صوته ، فإذا دعا قال : أكتبنا لعبدي ثواب ما سألتني فضاءعفاء له حتى يأتياني ، وما عندي خير له .

وإذا أبغض عبداً وكلّ به ملكين فقال : أصحّا بدنّه ، ووسّعاً عليه في رزقه ، وسهّلاً له مطلبه وأنسياء ذكرّي فإنّي أبغض صوته حتى يأتياني وما عندي شيء له^(٢) .

١١٢ - عن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في مرضة له لم يبق منه إلّا رأسه : يا فضيل إنّني كثيراً ما أقول : ما على من عرفه الله هذا الأمر لو كان على قلة الجبل [حتى يأتيه الموت ، يا فضيل بن يسار] إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً وإنّا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم .

يا فضيل : إنّ المؤمن لو أصبح له ملك ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيراً له ، ولو أصبح وقد قطعت أعضاؤه كان ذلك خيراً له ، إنّ الله عزّ وجلّ لا يصنع بالمؤمن إلّا ما هو خير له .

[يا فضيل بن يسار : لو عُبدل الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى عدوّه منها شربة ماء] .

يا فضيل : إنّ من يكن همّه همّاً واحداً كفاه الله ما أهمّه ومن كان همّه في كلّ واد لم يبال الله بأيّ واد هلك^(٣) .

١١٣ - عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ العبد المؤمن ليطلب الإمارة والتجارة ، حتّى إذا أشرف من ذلك على ما كان يهوى بعث الله

(١) عنه في البحار : ٢٤٣/٦٧ ح ٨٠ وأورد في المؤمن : ح ٢٥ مرسلأ مثله ، ونحوه في مشكاة الأنوار : ص ٢٨٩ .

(٢) عنه في البحار : ٣٧١/٩٣ ح ١٣ .

(٣) عنه في البحار : ١٥٠/٦٧ ح ١١ وعن الكافي : ٢/٢٤٦ ح ٥ بإسناده عن الفضيل بن يسار مع اختلاف يسير ، وما بين المعقوفين زيادة من البحار والكافي وليس في الأصل .

ملكاً ، وقال له : عَقَّ عُبْدِي وَصَدَّه عَنْ أَمْرٍ لَوْ اسْتَمَكَنَ مِنْهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ ، فَيُقْبَلُ الْمَلِكُ فَيَصَدُّهُ بِلُطْفِ اللَّهِ فَيَصْبِحُ وَهُوَ يَقُولُ : لَقَدْ دَهَيْتُ وَمِنْ دَهَانِي فَعَلَ اللَّهُ بِهِ ، وَقَالَ : مَا يَدْرِي أَنَّ اللَّهَ النَّازِلَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَلَوْ ظَفَرَ بِهِ أَدْخَلَهُ النَّارَ^(١) .

١١٤ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : مَا أَبَالِي أَصْبَحْتُ فَقِيْرًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ غَنِيًّا ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : لَا أَفْعَلُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ^(٢) .

١١٥ - عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّاءِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِعِبَادًا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَالصَّحَةِ فِي الْبَدَنِ فَأَبْلَوْهُمْ بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَصَحَّةِ الْبَدَنِ ، فَيَصْلَحُ لَهُمْ عَلَيْهِ أُمُورُ دِينِهِمْ .

وَأَنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِعِبَادًا لَا يَصْلَحُ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسَّقَمِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَأَبْلَوْهُمْ بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسَّقَمِ فَيَصْلَحُ لَهُمْ عَلَيْهِ أَمْرٌ دِينُهُمْ قَالَ : وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلَحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي .

وَأَنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِمَنْ يَجْتَهِدُ فِي عِبَادَتِي فَيَقُومُ مِنْ رَقَادِهِ وَلَذِيذِ وَسَادِهِ فَيَتَهَجَّدُ لِي اللَّيَالِي فَيَتَعَبُ نَفْسَهُ فِي عِبَادَتِي فَأُضْرِبُهُ بِالنَّعَاسِ اللَّيْلَةَ وَاللَّيْلَتَيْنِ نَظْرًا مَنِيَّ لَهُ وَإِبْقَاءً عَلَيْهِ فَيَنَامُ حَتَّى يَصْبِحَ فَيَقُومُ وَهُوَ مَاقَتْ لِنَفْسِهِ زَارَ عَلَيْهَا ، وَلَوْ أُخْلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ مِنْ عِبَادَتِي لَدَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبِ فَيَصِيرُهُ الْعَجَبُ إِلَى الْفِتْنَةِ بِأَعْمَالِهِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ هَلَكَهٌ لِعَجَبِهِ بِأَعْمَالِهِ ، وَرِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْصِيرِ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ فَاقَ الْعَابِدِينَ ، وَجَازَ فِي عِبَادَتِهِ حَدَّ التَّقْصِيرِ ، فَيَتَبَاعَدُ مَنِيَّ عِنْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ ، فَلَا يَتَّكِلُ الْعَامِلُونَ (الْمُؤْمِنُونَ/خ) عَلَى أَعْمَالِهِمْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي .

فَإِنْهُمْ لَوْ اجْتَهِدُوا وَأَتَعَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَعْمَارَهُمْ فِي عِبَادَتِي كَانُوا مَقْصَرِينَ غَيْرَ بِالْغِنِ فِي عِبَادَتِهِمْ كَنَّهُ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كِرَامَتِي ، وَالنَّعِيمِ فِي جَنَانِي ، وَلَكِنْ بِرَحْمَتِي فَلْيَتَّقُوا وَلِفَضْلِي فَلْيَرْجُوا وَإِلَى حَسَنِ الظَّنِّ بِي فَلْيَطْمَئِنُّوا ، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تَدَارِكُهُمْ ، وَمَنِيَّ يَبْلُغُهُمْ رِضْوَانِي ، وَمَغْفِرَتِي تَلْبَسُهُمْ عَفْوِي ، فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ

(١) عَنْهُ فِي الْبَحَارِ : ٢٤٣/٦٧ ح ٨١ وَرَوَاهُ فِي مَشْكَاةِ الْأَنْوَارِ : ص ٢٩٧ عَنْ الْبَاقِرِ عليه السلام

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرْسَلًا بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ .

(٢) عَنْهُ فِي الْبَحَارِ : ١٥١/٧١ ح ٥٢ .

الرحمن الرحيم بذلك تسميت^(١).

١١٦ - عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : عجباً للمؤمن لا يقضي الله قضاء إلا كان خيراً له - سرّه أوساء - وإن ابتلاه كان كفارة لذنبيه ، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه^(٢) .

١١٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كم من نعمة لله على عبده في غير أملة وكم من مؤمل أملاً الخيار^(٣) في غيره ، وكم من ساع في حتفه وهو مبطل عن حفظه^(٤) .

١١٨ - عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : في قضاء الله كل خير للمؤمن^(٥) .

١١٩ - عن ظريف ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ العبد الولي لله يدعو في الأمر ينوبه^(٦) فيقول الله للملك الموكل بذلك الأمر : إقض حاجة عبدي ولا تعجلها ، فإنني أشتهي أن أسمع صوته ودعائه .

وإنَّ العبد المخالف ليدعو في الأمر يريد الله للملك الموكل بذلك الأمر : إقض حاجته وعجلها ، فإنني أبغض أن أسمع نداءه وصوته .

قال : فيقول الناس : ما أعطي هذا حاجته وحرّم هذا إلا لكرامة هذا على الله ، وهوان هذا عليه^(٧) .

١٢٠ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ العبد المؤمن ليكون له عند الله الدرجة - لا يبلغها بعمله - فينتليه الله في جسده ، أو يصاب بماله ، أو يصاب في ولده ، فإن هو صبر بلغه الله إياها^(٨) .

(١) عنه في البحار : ١٥١/٧١ ح ٥٣ .

(٢) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٤ .

(٣) خيار الشيء : أفضله .

(٤) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٥ وأخرج في البحار : ١٩١/٧٨ ح ٤ عن قرب الإنسان : ص ١٩ وأماله الشيخ : ١٣٢/١ بإسنادهما عن بكر بن محمد الأزدي مثله .

(٥) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٦ عن أبي عبد الله عليه السلام بدل أبي جعفر عليه السلام .

(٦) ينوب إلى الأمر : يرجع إليه ، وفي المستدرک : يريد ، وفي الوسائل : ينوبه ، وفي هامش الكافي : في بعض النسخ : ينوبه .

(٧) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٦ والمستدرک : ٣٦٥/١ ح ٥ ، وأخرجه في الوسائل :

١١١٢/٤ ح ٤ عن الكافي : ٤٩٠/٢ ح ٧ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٨) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥٠ .

الباب الثامن

باب مدح الصبر وترك الشكوى واليقين والرضى بالبلوى

١٢١ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من مؤمن إلا وهو مبتلى ببلاء ، ينتظر به ما هو أشد منه ، فإن صبر على البلية التي هو فيها عافاه الله من البلاء الذي ينتظر به ، وإن لم يصبر وجزع نزل به من البلاء المنتظر أبداً حتى يحسن صبره وعزاؤه^(١) .

١٢٢ - عن محمد بن سنان ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : من اغتم^(٢) كان للغم أهلاً ، فينبغي للمؤمن أن يكون بالله وبما صنع راضياً^(٣) .

١٢٣ - عن أبي خليفه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما قضى الله لمؤمن قضاء ، فرضي به إلا جعل الله له الخيرة فيما يقضي^(٤) .

١٢٤ - عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله - بعدله وحكمته وعلمه - جعل الروح والفرح في اليقين والرضا عن الله وجعل الهم والحزن في

(١) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥١ والمستدرک : ١٣٩/١ ح ١٢ .

(٢) (من غم ، ما أغم / خ) .

(٣) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٧ والمستدرک : ١٣٨/١ ح ١٥ .

(٤) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٨ وص ١٥٨ عن المؤمن : ح ٢٤ عن يزيد بن خليفة مع اختلاف يسير ، وروى في مشكاة الأنوار : ص ٣٣ رسلاً مثله .

الشكّ والسخط فارضوا عن الله ، وسلّموا لأمره (١) .

١٢٥ - عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من ابتلي من شيعةنا فصبر عليه كان له أجر ألف شهيد (٢) .

١٢٦ - عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تعدّن مصيبة أعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله ثواباً بمصيبة ، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها (٣) .

١٢٧ - روى أحمد بن محمد البرقي في كتابه الكبير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قد عجز من لم يعدّ لكلّ بلاء صبراً ، ولكلّ نعمّة شكرًا ، ولكلّ عسر يسراً ، أصبر نفسك عند كلّ بليّة ورزقيّة - في ولد أو في مال - فإنّ الله إنّما يفيض جاريته (يقبض عاريته/خ) وهبته ليلو شكرك وصبرك (٤) .

١٢٨ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً ، وابتلى قومًا بالمصائب فصبروا ، فصارت عليهم نعمة (٥) .

١٢٩ - وعنه عليه السلام أنّه قال : لم يستزد في محبوب بمثل الشكر ولم يستنقص من مكروه بمثل الصبر (٦) .

(١) (فأسلموا/خ) ، عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٥٩ .

(٢) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥٢ وأخرجه في الوسائل : ٩٠٢/٢ ح ١ والبحار : ٧٨/٧١ ح ١٤ عن الكافي : ٩٢/٢ ح ١٧ بإسناده عن أبي حمزة الثمالي ، وفي البحار : ٩٣/٧١ عن جامع الأخبار : ص ٢٦ مرسلًا عن النبي ﷺ مثله ، وفيها : المؤمنين بدل شيعةنا ، وفيها : مثل أجر ألف شهيد .

(٣) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥٣ والمستدرک : ١٣٩/١ ح ١٣ .

(٤) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥٤ والمستدرک : ١٣٩/١ ح ١٤ .

(٥) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ح ٥٥ وص ٤١ ح ٣١ عن أمالي الصدوق : ص ٢٤٩ ح ٤ ، وص ٨١ ح ١٨ والوسائل : ٩٠٥/٢ ح ١٨ عن الكافي : ٩٢/٢ ح ١٨ بإسنادهما عن سماعة عنه عليه السلام ، وأورد في روضة الواعظين : ص ٥٤٥ ومشكاة الأنوار : ص ٢٦ مرسلًا مثله .

(٦) عنه في البحار : ٩٤/٧١ ذح ٥٥ .

١٣٠ - عن ابن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله (١) .

١٣١ - وقال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين (٢) .

١٣٢ - وقال عليه السلام : من صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ وكره ، لم يقض الله عليه فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خير له (٣) .

١٣٣ - عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من شيء إلّا وله حدّ (٤) قلت : فما حدّ اليقين ؟ قال : إلّا يخاف شيئاً (٥) .

١٣٤ - عن يونس بن عمّار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أيّما مؤمن شكّا حاجته وضرّه إلى كافر أو [إلى من] (٦) يخالفه على دينه فإنّما شكّا (الله/خ) إلى عدوّ من أعداء الله ، وأيّما مؤمن شكّا حاجته وضرّه وحاله إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عزّ وجلّ (٧) .

١٣٥ - عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : كفى باليقين غنى ، وبالعبادة شغلاً (٨) .

١٣٦ - عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه قال : أيّها الناس سلوا الله اليقين وارغبوا

(١) أخرج في البحار : ١٥٨/٧١ عن مشكاة الأنوار : ص ٣٣ مرسلًا مثله .

(٢) عنه في البحار : ١٥٢/٧١ ح ٦٠ ، وفيه عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام والظاهر أنّه اشتباه نتج عن سقط في نسخة المجلسي (ره) لمتن ح ١٣٠ وسند ح ١٣١ .

(٣) عنه في البحار : ١٥٣/٧١ ح ٦٠ .

(٤) هنا في الكافي : قال : قلت : جعلت فداك فما حدّ التوكل ؟ قال : اليقين . . .

(٥) عنه في البحار : ١٨٠/٧٠ ح ٤٦ وفي ص ١٨٢ عن مشكاة الأنوار : ص ١٣ مرسلًا

وأخرج في الوسائل : ١٥٨/١١ ح ٤ والبحار : ١٤٢/٧٠ ح ٦ عن الكافي : ٥٧/٢ ح ١ بإسناده عن أبي بصير ، نحوه ، وفيه : إلّا تخاف مع الله شيئاً .

(٦) ليس في النسخة - أ - .

(٧) عنه في البحار : ٣٢٧/٧٢ ح ١٠ والمستدرک : ٨٢/١ ح ٢ .

(٨) عنه في البحار : ١٧٦/٧٠ ح ٣٢ وعن المحاسن : ٢٤٧/١ ح ٢٥١ وأخرج في

المستدرک : ٢٨٤/٢ ح ١ عن المحاسن بإسناده عن عبد الله بن سنان مثله .

إليه في العافية ، فإنَّ أجلَّ النعم العافية ، وخير ما دام في القلب اليقين ، والمغبون من غبن دينه ، والمغبوط من حسن يقينه^(١) .

١٣٧ - عن سليمان بن جعفر الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا ، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنه قال : رفع إلى رسول الله ﷺ قوم في بعض غزواته فقال : من القوم ؟ قالوا : مؤمنون يا رسول الله ، قال : ما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بالقضاء .

فقال (رسول الله ﷺ)^(٢) : حلماء ، علماء ، كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تقولون فلا تنبوا ما لا تسكنون ، ولا تجمعوا ما لا تأكلون وأتقوا الله الذي إليه ترجعون^(٣) .

١٣٨ - عن جابر الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : يا أخا جعفي ، إنَّ اليقين أفضل من الإيمان ، وما من شيء أعزَّ من اليقين^(٤) .

١٣٩ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : لا يجد رجل طعم الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٥) .

(١) عنه في البحار : ١٧٦/٧٠ ح ٣٣ وعن المحاسن : ٢٤٨/١ ح ٢٥٤ عن أبيه مرفوعاً ، وأخرج في المستدرک : ٢٨٤/٢ ح ٢ عن المحاسن مثله ، وفيه : غبط يقينه بدل حسن يقينه .

(٢) (ويقول الله/خ) .

(٣) عنه في البحار : ١٥٣/٧١ ح ٦١ وج ١٤٤/٢٢ ح ١٣٢ وأخرج في البحار : ٢٨٦/٦٧ ح ٨ عن الكافي : ٥٢/٢ ح ١ والتوحيد : ص ٣٧١ ح ١٢ ومعاني الأخبار : ص ١٨٧ ح ٦ والخصال : ١٤٦/١ ح ١٧٥ وعن مشكاة الأنوار : ص ١٩ نقلاً عن المحاسن : ٢٢٦/١ ح ١٥١ بأسانيدهم عن محمد بن عذافر نحوه .

(٤) عنه في المستدرک : ٢٨٤/٢ ح ١١ .

(٥) عنه في البحار : ١٨٠/٧٠ ح ٤٧ عن جابر الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام ، والظاهر أنَّه اشتباه نتج عن سقط في نسخة المجلسي - ره - لمتن ح ١٣٨ وسند ح ١٣٩ وعن مشكاة الأنوار ص ١٢ مرسلًا عن أبي جعفر عليه السلام عن علي عليه السلام مثله ، وأخرج في البحار : ١٤٧/٧٠ ح ٩ عن الكافي : ٥٧/٢ ح ٤ مثله وص ١٥٤ ح ١٢ والوسائل : ١٥٧/١١ ح ١ عن الكافي : ٥٨/٢ ح ٧ مثله مع زيادة وفيهما عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام .

١٤٠ - عن علي بن سويد ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : سألته عن قول الله : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١) .

فقال : التوكل على الله درجات ، فمنها أن تثق به في أمورك كلها ، فما فعل بك كنت عنه راضياً ، تعلم أنه لم يؤتك إلا خيراً وفضلاً ، وتعلم أن الحكم في ذلك له ، فتوكلت على الله بتفويض ذلك إليه ، ووثقت به فيها وفي غيرها (٢) .

١٤١ - وعن أبي جعفر عليه السلام قال : أحق من خلق الله بالتسليم (٣) لما قضى الله من عرف الله ، ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم عليه أجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره (٤) .

١٤٢ - عن صفوان الجمال ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه (٥) .

١٤٣ - عن جابر قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما الصبر الجميل ؟ قال : ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى أحد من الناس .

إن إبراهيم بعث يعقوب إلى راهب من الرهبان ، عابد من العباد في حاجة ، فلما رآه الراهب حسبه إبراهيم فوثب إليه فاعتنقه ، ثم قال له : مرحباً بخليل الرحمن ، فقال له يعقوب : إني لست بخليل الرحمن ، ولكن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال له الراهب : فما الذي بلغ بك ما أرى من الكبر ؟ قال : الهم والحزن والسقم ، قال : فما جاز عتبة الباب حتى أوحى الله إليه : يا يعقوب شكوتني إلى العباد ؟ فخرّ ساجداً عند عتبة الباب يقول :

(١) سورة الطلاق ؛ الآية : ٣ .

(٢) عنه في البحار : ١٥٣/٧١ ح ٦٢ وأخرج في الوسائل : ١٦٦/١١ ح ٣ والبحار : ١٢٩/٧١ ح ٥ عن الكافي : ٦٥/٢ ح ٥ بإسناده عن علي بن سويد نحوه ، وفي البحار : ٣٣٦/٧٨ ح ١٨ عن تحف العقول : ص ٤٤٣ مراسلاً نحوه مع زيادة ، وأورد في مشكاة الأنوار : ص ١٦ مراسلاً نحوه .

(٣) (للتسليم/خ) .

(٤) عنه في البحار : ١٥٣/٧١ ح ٦٣ ، وعن مشكاة الأنوار : ص ١٧ مثله .

(٥) عنه في البحار : ١٥٤/٧١ ح ٦٤ .

رَبِّ لَا أَعُودُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ فَلَا تَعُدْ إِلَى مِثْلِهَا ، فَمَا شَكَأَ شَيْئاً مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ نَوَائِبِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

١٤٤ - عن ربي بن عبد الله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إِنَّ الصبر والبلاء ليستبقان إلى المؤمن فيأتيه البلاء وهو صبور ، وَإِنَّ الجزع والبلاء ليستبقان إلى الكافر فيأتيه البلاء وهو جزوع (٢) .

١٤٥ - عن يونس قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الإيمان والإسلام ، فقال : قال أبو جعفر : إِنَّمَا هو الإسلام والإيمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الإيمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأَيُّ شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله ، والرضى بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، قلت : ما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبو جعفر عليه السلام (٣) .

١٤٦ - عن عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإيمان في القلب ، واليقين خطرات (٤) .

١٤٧ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إِنَّ للنكبات غايات لا بد أن تنتهي إليها ، فإذا أَحْكَمَ عَلَى أَحَدِكُمْ لَهَا فليطأطأ لَهَا (٥) ويصبر حتى تجوز ، فَإِنَّ إِمْعَالَ الحيلة فيها

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ٨٦ ، عنه في البحار : ٩٣/٧١ ح ٤٧ وعن سعد السعدي : ص ١٢٠ عن تفسير ابن عقدة عن عثمان بن عيسى عن الفضل عن جابر مع اختلاف يسير ، وأخرجه في البحار ٣١٠/١٢ ح ١٢٣ عن العياشي : ١٨٨/٢ ح ٥٧ عن جابر مع اختلاف يسير ، وفي البحار : ٩٣/٧١ ح ٤٧ عن سعد السعدي : ص ٢٠ بإسناده عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام ، باختلاف يسير .

(٢) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ح ٥٦ .

(٣) عنه في البحار : ١٨٠/٧٠ ح ٤٨ وأخرج في البحار : ١٣٨/٧٠ ح ٤ عن الكافي : ٥٢/٢ ح ٥ بإسناده عن يونس مثله وروى في مشكاة الأنوار : ص ١١ عن يونس بن عبد الرحمن مثله .

(٤) عنه في البحار : ١٨٠/٧٠ ح ٤٩ وأخرج في البحار : ١٧٨/٧٠ ح ٣٨ عن المحاسن : ٢٤٩/١ ح ٢٦٠ بإسناده عن عبد الله بن سنان مثله .

(٥) في البحار : فإذا حَكَمَ عَلَى أَحَدِكُمْ بِهَا فليطأطأ لَهَا . وفي النسخة - أ - فليطأ حالها .

عند إقبالها زائد في مكروها (١) .

١٤٨ - وكان يقول : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا إيمان له (٢) .

١٤٩ - وكان يقول : الصبر ثلاثة : الصبر على المصيبة ، والصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية (٣) .

١٥٠ - وقال أبو عبد الله عليه السلام : الصبر صبران : الصبر على البلاء حسن جميل ، وأفضل منه الصبر على المحارم (٤) .

١٥١ - عن سيف بن عميرة ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : اتقوا الله واصبروا . فإنه من لم يصبر أهلكه الجزع ، وإنما (أما/خ) هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر (٥) .

١٥٢ - عن ميمون القدّاح ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال عليّ صلوات الله عليه : ما أحب أن لي بالرضا في موضع القضاء حمر النعم (٦) .

(١) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ح ٥٧ .

(٢) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ذح ٥٧ .

(٣) (عن المعصية/خ) ، عنه في البحار : ٩٥/٧١ ذح ٥٧ وأخرجه في الوسائل : ١٨٧/١١ صدرح ٦ والبحار : ٧٧/٧١ ح ١٢ عن الكافي : ٩١/٢ ح ١٥ بإسناده عن عمرو بن شمر اليماني مرفوعاً عن عليّ عليه السلام وفي البحار : ٩٢/٧١ عن جامع الأخبار : ص ١٣٥ مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ مثله .

(٤) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ذح ٥٧ .

(٥) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ح ٥٨ .

(٦) عنه في البحار : ١٥٤/٧١ ح ٦٥ .

الباب التاسع

باب في أخلاق المؤمنين وعلامات الموحدين

١٥٣ - عن جابر بن عبد الله ، أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : من كنوز الجنة البر ، وإخفاء العمل ، والصبر على الرزايا ، وكتمان المصائب^(١) .

١٥٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال : وقور عند الهزاهز ، صبور عند البلاء ، شكور عند الرخاء ، قانع بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ، ولا يتحامل الأصدقاء^(٢) ، بدنه منه في تعب ، والناس منه في راحة ، إنَّ العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والصبر أمير جنوده ، والرفق أخوه ، واللين والده^(٣) .

١٥٥ - عن عباد بن صهيب^(٤) قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا يجمع الله لمنافق ولا لفاسق حسن السمات والفقر وحسن الخلق أبداً^(٥) .

(١) عنه في البحار : ٩٥/٧١ ح ٥٩ وفي البحار : ٢٥١/٧٠ ح ٣ وعن صحيفة الرضا : ص ٢١ مرسلًا وأورد في العيون : ٣٧/٢ ح ١٠٥ بأسانيده الثلاثة مثله .

(٢) في الفقيه : على الأصدقاء .

(٣) أخرجه في البحار : ٢٦٨/٦٧ ح ١ عنه وعن الكافي : ٢ ص ٤٧ ح ١ وص ٢٣٠ ح ٢ والخصال : ص ٤٠٦ ح ١ وأمالى الصدوق : ٤٧٤ ح ١٧ وفي الوسائل : ١٤٣/١١

ح ٩ عن الكافي وأمالى الصدوق مثله والفقيه : ٣٥٤/٤ نحوه كل بأسانيدهم عنه عليه السلام وفي البحار والوسائل والكافي : العقل بدل الصبر ، والبر بدل اللين .

(٤) (وهب/خ) .

(٥) عنه في البحار : ١٧٦/٧٢ ح ٥ .

١٥٦ - عن عبد الله بن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إنّ شيعة علي عليه السلام كانوا خمص البطون ، ذبل الشفاه ، أهل رافة و (علم وحلم) ^(١) يعرفون بالرهبانة ، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد والصبر ^(٢) .

١٥٧ - عن أبي جعفر عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ما ابتلي المؤمن بشيء هو أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمهنّ ، قيل : وما هنّ ؟

قال : المواساة في ذات يده ، والإنصاف من نفسه ، وذكر الله كثيراً ، أما إنني لا أقول لكم : سبحان الله والحمد لله ، ولكن ذكر الله عند ما أحلّ له ، وذكر الله عند ما حرّم عليه ^(٣) .

١٥٨ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أربع من كنّ فيه كُمل إيمانه وإنّ كان من قرنه إلى قدمه خطايا :

الصدق ، وأداء الأمانة ، والحياء وحسن الخلق ^(٤) .

١٥٩ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنة من ربّه ، وسنة من نبيّه ، وسنة من وليّه .

فأما السنة من ربّه : فكتمان السرّ .

وأما السنة من نبيّه : فمداراة الناس .

(١) (رحمة/خ) .

(٢) عنه في البحار : ١٨٨/٦٨ ح ٦٣ وعن الكافي : ٢٣٣/٢ ح ١٠ بإسناده عن ابن أبي يعفور ، وعن صفات الشيعة : ٥١ ح ١٨ بإسناده عن أحمد بن محمد مرفوعاً عنه عليه السلام وأخرجه في الوسائل : ١٤٧/١١ ح ١٦ وج ٦٤/١ ح ٨ عن الكافي ، وروى صدره في مشكاة الأنوار : ص ٦٢ مرسلًا مثله .

(٣) أخرجه في البحار : ١٥١/٩٣ ح ٥ عن الخصال : ١٢٨/١ ح ١٣ ومعاني الأخبار : ص ١٩٢ ح ١ وفي البحار : ٣٥/٧٥ ح ٣٠ عن الكافي : ١٤٥/٢ ح ٩ وفي الوسائل : ٢٠٢/١١ ح ٩ عن المعاني والكافي بأسانيدهما عن أبي عبد الله عليه السلام باختلاف يسير ، وفي البحار : ١٦٤/٩٣ عن مشكاة الأنوار : ص ٥٧ عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٤) عنه في البحار : ٢٩٥/٦٧ ح ١٩ وعن أمالي ابن الشيخ : ٤٣/١ والكافي : ٩٩/٢ ح ٣ مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام وأخرجه في البحار : ٣٧٤/٧١ ح ٣ والوسائل : ٥٠٣/٨ ح ٢ عن الكافي ، وفي الوسائل : ٢٢٠/١٣ ح ٩ عن التهذيب : ٣٥٠/٦ ح ١١ مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

وأما السنّة من وليّه : فالصبر في البأساء والضراء^(١) .

١٦٠ - عن الحدّاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : أما والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أروعهم وأكتمهم لحديثنا وإنّ أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنّا ، فلم يعقله ولم يقبله قلبه ، اشمأز منه وجحدته وكفر بمن دان به ، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند ، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا^(٢) .

١٦١ - عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال عليّ عليه السلام : إنّ لأهل الدين علامات يعرفون بها : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وصلة للأرحام ، ورحمة للضعفاء ، وقلة موافاة^(٣) النساء ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم ، وما يقرب إلى الله زلفى ، وطوبى لهم وحسن مآب^(٤) .

١٦٢ - عن ابن بكير^(٥) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّنا لنحبّ من كان عاقلاً ، فهماً ، فقيهاً ، حليماً ، مدارياً ، صبوراً ، صدوقاً ، وفياً .
إنّ الله خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق ، فمن كنّ فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم يكن فيه فليفرع^(٦) إلى الله ، وليسأله إيّاها .

(١) عنه في المستدرک : ١٣٩/١ ح ٢٠ وج ٩٢/٢ ح ٥ .
(٢) عنه في البحار : ١٧٦/٦٨ ح ٣٣ والمستدرک : ٦/١ ح ١٠ .
(٣) (مواتاة/خ) ، وفي جميع المصادر الأخرى : وصلة الأرحام (أو الرحم) ورحمة الضعفاء .
(٤) أخرج في البحار : ٢٨٩/٦٧ ح ١١ و ١٢ عن أمالي الصدوق : ص ١٨٣ ح ٧ مثله والخصال : ٤٨٣ ح ٥٦ وعن مشكاة الأنوار : ص ٤٥ نحوه وفي البحار : ٣٦٤/٦٩ ح ١ عن الكافي : ٢٣٩/٢ ح ٣٠ والبحار : ٢٢٣/١٠٣ ح ٢ عن أمالي الصدوق والوسائل : ١٤٨/١١ ح ٢١ عن الكافي وصفات الشيعة : ص ٨٨ ح ٦٦ كل بأسانيدهم عن أبي بصير مثله وفي البحار : ٢٨٢/٧٠ ح ٢ عن روضة الواعظين : ص ٥٠٠ والعياشي : ٢١٣/٢ ح ٥ عن أبي بصير مثله .
(٥) (أبي بكير/خ) .
(٦) (فليتضرّع/خ) .

قال : قلت : جعلت فداك ما هي ؟ قال : الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة وصدق الحديث والبرّ وأداء الأمانة (١) .

١٦٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام ، قيل له : من أكرم الخلق على الله ؟ قال : من إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر (٢) .

١٦٤ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يصلح المؤمن إلّا على ثلاث خصال : التفقه في الدين ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على النائبة (٣) .

١٦٥ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : المؤمن لا يغلبه فرجه ، ولا يفضحه بطنه (٤) .

١٦٦ - عن الحلبي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيّ الخصال بالبرّ (٥) أكمل ، قال : وقار بلا مهابة ، وسماحة بلا طلب مكافاة ، وتشاغل بغير متاع الدنيا (٦) .

١٦٧ - عن المفضل (٧) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال الله عزّ وجلّ : إفترضت على عبادي عشرة (٨) فرائض ، إذا عرفوها أسكتتهم ملكوتي وأبحتهم جناني ، أولها : معرفتي ، والثانية : معرفة رسولي إلى خلقي ، والإقرار به ، والتصديق له ، والثالثة : معرفة أوليائي وأنهم الحجب على خلقي ، من والاهم فقد والاني ، ومن

(١) عنه في البحار : ٣٩٧/٦٩ ح ٨٦ وعن أمالي المفيد : ص ١٢١ بإسناده عن بكير مثله .

(٢) عنه في البحار : ٥٣/٧١ ح ٨٢ وأورد في مشكاة الأنوار : ص ٢٢ مرسلًا مثله .

(٣) عنه في المستدرک : ٢٨٣/٢ ح ٨ وأخرج في البحار : ٢٢١/١ ح ٦٢ عن كتاب حسين بن عثمان : ص ١٠٨ عمّن ذكره وغير واحد عنه عليه السلام مثله .

(٤) عنه في البحار : ٣١٠/٦٧ ح ٤٤ .

(٥) في بقيّة المصادر : بالمرء أجمل .

(٦) عنه في البحار : ٣٦٩/٦٩ ح ٧ وعن أمالي الصدوق : ص ٢٣٨ ح ٨ والخصال :

ص ٩٢ ح ٣٦ بإسناده عن أحمد بن عمر الحلبي عنه عليه السلام وعن فقه الرضا : ص ٤٨

مرسلًا وفي ص ٣٦٧ ح ٢ عن الكافي : ٢٤٠/٢ ح ٣٣ بإسناده عن يحيى بن عمران

الحلي ، وأخرج في البحار : ٣٣٧/٧١ ح ١ عن أمالي الصدوق والخصال مثله . .

(٧) (المفضل/خ) .

(٨) هكذا في جميع النسخ والمصادر والظاهر أنه : عشر .

عاداهم فقد عاداني ، وهم العلم فيما بيني وبين خلقي ، ومن أنكرهم أصليته (أدخلته/خ) ناري وضاعفت عليه عذابي .

والرابعة : معرفة الأشخاص الذين أقيموا من ضياء قدسي ، وهم قوام قسطنطين .

والخامسة : معرفة القوام بفضلهم والتصديق لهم .

والسادسة : معرفة عدوي إبليس وما كان من ذاته وأعوانه .

والسابعة : قبول أمري والتصديق لرسلي .

والثامنة : كتمان سري وسر أوليائي .

والتاسعة : تعظيم أهل صفوتي والقبول عنهم والرد إليهم فيما اختلفتم فيه حتى يخرج الشرح^(١) منهم .

والعاشرة : أن يكون هو وأخوه في الدين شرعاً سواء ، فإذا كانوا كذلك أدخلتهم ملكوتي وأمنتهم من الفزع الأكبر وكانوا عندي^(٢) في عليين^(٣) .

١٦٨ - عن أبي المقدم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا أبا المقدم إنما شيعتي علي المنازل (المتبازلون/خ) في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا ، المتزاورون لإحياء أمرنا ، الذين إذا غضبوا لم يظلموا ، وإذا رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاوروا ، سلم لمن خالطوا^(٤) .

١٦٩ - وعن مهزم الأسدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن من شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا (شحنة أذنه)^(٥) ولا يمتدح بنا معلناً ، ولا يواصل لنا مبغضاً ، ولا يخاصم لنا ولياً ، ولا يجالس لنا عائباً ، قال : قلت : فكيف أصنع بهؤلاء

(١) (الشرح/خ) .

(٢) (عبيدي/خ) .

(٣) عنه في البحار : ١٣/٦٩ ح ١٣ .

(٤) أخرج في البحار : ١٩٠/٦٨ ح ٤٦ عن الكافي : ٢/٢٣٦ ح ٢٤ والخصال : ص ٣٩٧ ح ١٠٤ بإسنادهما عن أبي المقدم ومشكاة الأنوار : ص ٦١ مرسلًا مثله وفي الوسائل :

١٤٧/١١ ح ١٩ عن الكافي باختلاف يسير .

(٥) (سحناة يديه/خ) .

المتشيعه ؟ قال : فيهم التمحيص وفيهم التمييز وفيهم التبديل ، تأتي^(١) عليهم سنون
تفنيهم ، وطاعون يقتلهم ، واختلاف يبددهم .

شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل وإن مات
جوعاً ، قلت : وأين أطلب هؤلاء ؟ قال : أطلبهم في أطراف الأرض ، أولئك
الخفيض^(٢) عيشهم ، المنتقل دارهم ، إذا شهدوا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ،
وإن مرضوا لم يعادوا^(٣) ، وإن خطبوا لم يزوّجوا ، وإن رأوا منكراً ينكروا ، وإن
يخاطبهم جاهل سلّموا ، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموا ، وعند الموت هم لا
يحزنون ، وفي القبور يتزاورون ، لم تختلف قلوبهم وإن رأيتهم اختلف بهم
البلدان^(٤) .

١٧٠ - وروي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام وكان رجلاً عابداً ،
فقام إليه وقال له : يا أمير المؤمنين صف لي المتقين كأنّي أنظر إليهم ، فتشاكل^(٥) عليه السلام
عن جوابه ، ثم قال :

يا همام اتّق الله وأحسن ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون ، فلم
يقنع همام بذلك القول حتّى عزم عليه ، فقال له : أسألك بالذي أكرمك وخصّك
وحباك وفضلك بما آتاك لما وصفتهم لي .

فقام أمير المؤمنين : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال :
أمّا بعد ، فإنّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً
عن^(٦) معصيتهم ، لأنّه لا يضرّه معصية من عصاه منهم ، ولا ينفعه طاعة من أطاعه
منهم ، فقسّم بينهم معيشتهم ، ووضعهم في الدنيا مواضعهم ، فالمتّقون فيها هم أهل
الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الإقتصاد ، ومشيتهم التواضع ، خصّوا الله عزّ

(١) (التزليل ما لي / خ) .

(٢) (الحفيض ، الخفي / خ) .

(٣) (يعودوا / خ) ، وفي البحار : يعادوا .

(٤) عنه في البحار : ٤٠٢/٦٩ ح ١٠٤ وفي ١٨٠/٦٨ ح ٣٩ عن الكافي : ٢٣٩/٢ ح ٢٧
وفي ص ١٧٩ ح ٣٧ عن المشكاة ص ٦١ نحوه .

(٥) (فتشاكل / خ) .

(٦) (من / خ) .

وجلّ بالطاعة فخصّوا ، غاضبين أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم ، واقفين أسماعهم على العلم النافع لهم ، نُزِلَتْ أنفسهم منهم في البلاء كالذي نُزِلَ في الرخاء ، رضا عن الله بالقضاء [و] (١) لولا الأجل التي كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحوائجهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، ومعونتهم في الإسلام عظيمة ، صبروا أياماً قصيرة ، أعقبتهم راحة طويلة ، وتجارة مربحة يسرها لهم ربّ كريم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، وأسرتهم ففقدوا أنفسهم منها .

أما الليل فصافون أقدامهم تالين (٢) لأجزاء القرآن يرتلون (٣) به ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم ، ويستشيرون (٤) به دواء دائهم ويهيّج أحزانهم بكاء على ذنوبهم ووجع (٥) كلوم حوائجهم (٦) ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلّعت إليها أنفسهم شوقاً ، وظنّوا أنّها نصب أعينهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسمع قلوبهم وأبصارهم ، واقتشعرت منها جلودهم ، ووجلّت منها قلوبهم ، وظنّوا أنّ صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون (٧) على أوساطهم ، يمجّدون جبّاراً عظيماً ، مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم .

وأما النهار فحلّماء علماء بررة أتقياء ، قد براهم خوف بري القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، ويقول : قد خولطوا ، ولقد خالطهم أمر عظيم إذا هم ذكروا عظمة الله وشدة سلطانه مع ما يخالطهم من ذكر

(١) هكذا في نهج البلاغة .

(٢) قارين/خ .

(٣) يرتلون/خ .

(٤) يستشرون ، يستشيرون/خ .

(٥) ورجع/خ .

(٦) جرائحهم/خ .

(٧) حافون ، حافظون/خ .

الموت وأهوال القيامة ، فوضح ذلك قلوبهم ، وطاشت له حلومهم ، وذهلت عنه عقولهم ، واقتسرت منه جلودهم .

وإذا استقالوا من ذلك بادروا إلى الله بالأعمال الزاكية ، لا يرضون لله من أعمالهم بالقليل ، ولا يستكثرون له الجزيل ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إن زكّي أحدهم خاف ممّا يقال له ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم منّي بنفسي ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً ممّا يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، فإنك علام الغيوب ، وستار العيوب .

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين وحرصاً في علم ، وفهماً في فقه ، وعلماً في حلم ، وشفقة في نفقة ، وكسباً^(١) في رفق ، وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجمالاً في فاقة ، وصبراً في شدة ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، ورفقاً في كسب ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع ، وبراً في استقامة ، واعتصاماً عند شهوة ، لا يغتره^(٢) ثناء من جهله ، ولا يدع إحصاء عمله ، مستبطيء لنفسه في العمل ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمّه الشكر ، ويصبح وشغله الذكر ، يبيت حذراً ويصبح فرحاً ، حذراً من الغفلة ، وفرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه فيما يذكره^(٣) ، لم يعطها سؤلها فيما يحب ، فرحه فيما يخلد ويطول وقرة عينه فيما لا يزول ، ورغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى ، يمزج الحلم بالعلم ، والعلم بالعقل ، والقول بالعمل .

تراه بعيداً كسله ، دائماً نشاطه ، قريباً أمله ، قليلاً زلله ، متوقفاً أجله ، خاشعاً قلبه ، ذاكراً ربّه ، قانعة نفسه ، منزوراً أكله ، مستغنياً^(٤) جهله ، سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، مئة شهوته ، مكظوماً غيظه ، صافياً خلقه ، آمناً فيه جاره ، ضعيفاً كبره ، قانعاً بالذي قدر له ، متيناً صبره ، محكماً أمره ، كثيراً ذكره ، لا يحدث بما يؤتمن عليه الأصدقاء ولا يكتم شهادة الأعداء ، ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ، ولا يتركه حياء .

(١) (كيساً/خ) .

(٢) (يغتره/خ) .

(٣) (نكره ، يكره/خ) .

(٤) (مغنياً ، متغنياً/خ) .

الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، إن كان في الغافلين كتب في (من/خ) الذاكرين ، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، لا يعزب حلمه ، ولا يعجل فيما يريه ، ويصفح عما قد تبين له ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً شكوه^(١) ، حاضراً معروفه ، صادقاً قوله ، حسناً فعله ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره ، فهو في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يائس فيمن يحب ، ولا يدعي ما ليس له ، ولا يجحد حقاً هو عليه ، يعترف بالحق قبل أن يُشهد به عليه ، لا يضيق ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر ، ولا يتنازع^(٢) بالألقاب ، ولا يبغى على أحد ، ولا يهمل^(٣) بالحسد ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، مؤد للأمانات ، سريع إلى الصلوات ، بطيء عن المنكرات ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، لا يدخل في الأمور بجهل ، ولا يخرج من الحق بعجز .

إن صمت لم يغمه^(٤) الصمت ، وإن نطق لم يقل خطأ ، وإن ضحك لم يقل صوته ، قانع بالذي قدر له ، لا يجمع^(٥) به الغيظ ، ولا يغلبه الهوى ، ولا يقهره الشح ، ولا يطمع فيما ليس له ، يخالط الناس ليعلم ، ويصمت ليسلم ، ويسأل ليفهم ، ويتجر ليغنم ، لا ينتصب للخير ليفخر به ، ولا يتكلم به ليتجبر على من سواه ، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لأخرته ، وأراح الناس من نفسه .

إن بُغِيَ^(٦) عليه صبر حتى يكون الله هو المنتقم له ، بعده عمن يتباعد منه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر ولا عظمة ، ولا دنوه بمكر ولا خديعة .

قال : فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها ، فقال أمير المؤمنين : أما والله لقد

(١) (منكره/خ) .

(٢) (يتنازع/خ) .

(٣) (يتهم/خ) .

(٤) (يفهه/خ) .

(٥) الظاهر : يجمع .

(٦) (نعى/خ) .

كنت أخافها عليه، ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها^(١).

١٧١ - وروي أن رسول الله ﷺ قال: لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يحتوي على مائة وثلاث خصال: فعل وعمل وثبة وباطن وظاهر.

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: يا رسول الله ما يكون المائة وثلاث خصال؟

فقال: يا عليّ من صفات المؤمن أن يكون جوال الفكر، جوهري الذكر، كثيراً علمه، عظيماً حلمه، جميل المنازعة، كريم المراجعة، أوسع الناس صدرًا، وأذلهم نفساً، ضحكه تبسماً، واجتماعه^(٢) تعلماً، مذكر الغافل، معلم الجاهل، لا يؤذي من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يشمت بمصيبة، ولا يذكر أحداً بغيبة، برياً من المحرمات، واقفاً عند الشبهات، كثير العطاء، قليل الأذى، عوناً للغريب، وأباً لليتيم، بشره في وجهه، وخوفه^(٣) في قلبه، مستبشراً بفقره، أحلى من الشهيد، وأصلد من الصلد، لا يكشف سراً، ولا يهتك ستراً، لطيف الجهات^(٤)، حلو المشاهدة، كثير العبادة، حسن الوقار، لين الجانب، طويل الصمت، حليماً إذا جهل عليه، صبوراً على من أساء إليه، يجلّ الكبير، ويرحم الصغير، أميناً على الأمانات، بعيداً من الخيانات، إلفه التقى، وخلقه الحياء، كثير الحذر، قليل الزلل، حركاته أدب، وكلامه عجب، مقل العثرة، ولا يتبع العورة، وقوراً، صبوراً، رضيعاً، شكوراً، قليل الكلام، صدوق اللسان، برّاً مصوناً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شريفاً.

لا لعان ولا نمام، ولا كذاب ولا مغتاب، ولا سباب، ولا حسود، ولا بخيل، هشاشاً بشاشاً، لا حساس ولا جسّاس.

يطلب من الأمور أعلاها، ومن الأخلاق أسناها، مشمولاً لحفظ الله، مؤيداً

(١) أخرج في البحار: ٣١٥/٦٧ ح ٥٠ عن نهج البلاغة: ص ٣٠٣ خطبة ١٩٣ مثله وتحف العقول: ص ١٥٩ مختصراً باختلاف يسير، وفي ص ٣٤١ ح ٥١ عن أمالي الصدوق: ص ٤٥٧ ح ٢ مسنداً وكتاب سليم بن قيس: ص ٢٣٨ عنه عليه السلام ورواه في كتاب صفات الشيعة: ص ٦٠ ح ٣٥ مسنداً وكنز الكراكي: ص ٣١ باختلاف يسير.

(٢) كذا في البحار وفي الأصل: وأفهماه.

(٣) (حزنه/خ).

(٤) (الحركات/خ).

بتوفيق الله ، ذا قوّة في لين ، وعزمه في يقين ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يائّم فيمن يحبّ ، صبور في الشدائد ، لا يجور ولا يعتدي ، ولا يأتي بما يشتهي .

الفقر شعاره ، والصبر ثاره^(١) ، قليل المؤونة ، كثير المعونة ، كثير الصيام ، طويل القيام ، قليل المنام ، قلبه تقيّ ، وعمله زكيّ ، إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، يصوم رغباً ويصليّ رهباً ، ويحسن في عمله كأنّه ينظر^(٢) إليه ، غصّ المطوف^(٣) ، سخيّ الكفّ ، لا يردّ سائلاً ولا يبخل بنائل ، متواصلاً إلى الإخوان ، مترادفاً للإحسان ، يزن كلامه ، ويخرس لسانه ، لا يغرق في بغضه ، ولا يهلك في محبّته^(٤) ، لا يقبل الباطل من صديقه ، ولا يردّ الحقّ من عدوّه ، لا يتعلّم إلّا ليعلم ، ولا يعلم إلّا ليعمل .

قليلاً حقه ، كثيراً شكره ، يطلب النهار معيشته ، ويبكي الليل على خطيئته ، إن سلك مع أهل الدنيا كان أكيّسهم ، وإن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم ، لا يرضى في كسبه بشبهة ، ولا يعمل في دينه برخصة ، لطيف (يعطف/خ) على أخيه برؤيته ، ويرعى ما مضى من قديم صحبته^(٥) .

الحمد لله ، قد تمّ استنساخ كتاب (التمحيص) ومقابلته وتخريجاته مراعيّاً لاتحاد أحاديثه مع سائر الأصول والجوامع في ٢ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ .

(١) (دثاره/خ) .

(٢) (ناظر/خ) .

(٣) (الطرف/خ) .

(٤) حبّه/خ .

(٥) عنه في البحار : ٣١٠/٦٧ ح ٤٥ والمستدرک : ٢٨٠/٢ ح ٢٢ .

الفهرس

المؤلف وأقوال العلماء فيه	٥
مقدمة المؤلف	٩

ما روي عن النبي ﷺ

وصيته ﷺ للأمير المؤمنين عليه السلام	١٣
وصيته ﷺ الأخرى له عليه السلام مختصرة	١٦
وصيته ﷺ الأخرى له عليه السلام	١٨
حكمه ﷺ وكلامه وموعظته	١٩
وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل	٢٥
كلامه ﷺ في أمور شتى	٢٦
ذكره ﷺ العلم والعقل والجهل	٢٧
موعظته ﷺ أصحابه وأئمة	٢٨
خطبته ﷺ في حجة الوداع	٢٩
في قصارى كلماته عليه السلام	٣٠

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام

خطبته عليه السلام في إخلاص التوحيد	٤٩
كتابه عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام	٥٢
وصيته عليه السلام لابنه الحسين عليه السلام	٦٤
خطبته عليه السلام المعروفة بالوسيلة	٦٧
آدابه عليه السلام لأصحابه وهي أربعمئة باب للدين والدنيا	٧٢

٩٠	عهده عليه السلام إلى الأشر حين ولاه مصر
١٠٥	خطبته عليه السلام المعروفة بالديباج
١٠٨	كلامه عليه السلام في الترغيب والترهيب
١١٠	موعظته عليه السلام ووصفه المقصرين
١١١	كلامه عليه السلام في وصف المتقين
١١٣	خطبته عليه السلام التي يذكر فيها الإيمان والكفر ودعائهما وشعبها
١١٧	كلامه عليه السلام لكميل بن زياد
١١٩	وصيته عليه السلام لكميل بن زياد مختصرة
١٢٣	وصيته عليه السلام لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر
١٢٣	كتابه عليه السلام لأهل مصر
١٢٦	كلامه عليه السلام في الزهد وذم الدنيا وعاجلها
١٢٨	كلامه عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء
١٣٠	كلامه عليه السلام في وضع المال مواضعه
١٣٠	وصفه عليه السلام الدنيا للمتقين
١٣٢	ذكره عليه السلام الإيمان والأرواح واختلافها
١٣٣	وصيته عليه السلام لزياد بن النضر حين أنفذه إلى صفين
١٣٤	وصفه عليه السلام لنقلة الحديث
١٣٧	كلامه عليه السلام في قواعد الدين ومعنى الاستغفار
١٣٨	وصيته عليه السلام إلى ابنه الحسن لما حضرته الوفاة
١٣٩	تفصيله عليه السلام العلم
١٤٠	في قصارى كلماته عليه السلام

ما روي عن الإمام السبط الزكي الحسن بن علي عليه السلام

١٦٠	أجوبته عليه السلام عن مسائل سُئل عنها
١٦١	حكمه عليه السلام ومواعظه
١٦٢	جوابه عليه السلام عن مسائل سأل عنها ملك الروم
١٦٤	جوابه عليه السلام عن كتاب الحسن البصري في الإستطاعة
١٦٤	موعظته عليه السلام شيعته

- خطبته عليه السلام حين قال له معاوية بعد الصلح : اذكر فضلنا ١٦٥
 في قصارى كلماته عليه السلام ١٦٦

ما روي عن الإمام السبط الشهيد المفدى عليه السلام

- كلامه عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٩
 موعظته عليه السلام شيعته ومواليه ١٧١
 كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ١٧١
 جوابه عليه السلام عن مسائل سأل عنها ملك الروم ١٧٢
 كلامه عليه السلام في وجوه الجهاد ١٧٣
 كلامه عليه السلام في توحيد الله تعالى ١٧٣
 في قصارى كلماته عليه السلام ١٧٤

ما روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام

- موعظته عليه السلام أصحابه وشيعته في كل يوم جمعة ١٧٨
 كلامه عليه السلام في الزهد والحكمة ١٨٠
 رسالته عليه السلام في جوامع الحقوق ١٨٢
 كلامه عليه السلام في الزهد ١٩٣
 كتابه عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري يعظه ١٩٦
 في قصارى كلماته عليه السلام ١٩٨

ما روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام

- وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي ٢٠٣
 كلامه عليه السلام لجابر أيضاً ٢٠٥
 كلامه عليه السلام في أحكام السيوف ٢٠٦
 موعظته عليه السلام شيعته ومواليه ٢٠٨
 في قصارى كلماته عليه السلام ٢١٠

ما روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام

- وصيته عليه السلام لعبد الله بن جندب ٢١٨

٢٢٤	وصيته عليه السلام لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول ..
٢٢٧	رسالته عليه السلام إلى جماعة شيعته وأصحابه ..
٢٢٩	كلامه عليه السلام سماه بعض الشيعة نثر الدرر ..
٢٣٧	كلامه عليه السلام في وصف المحبة ..
٢٣٩	كلامه عليه السلام في صفة الإيمان ..
٢٤٠	كلامه عليه السلام في صفة الإسلام ..
٢٤٠	كلامه عليه السلام في صفة الخروج من الإيمان ..
٢٤١	جوابه عليه السلام في وجوه معائش العباد ..
٢٤٥	كلامه عليه السلام في وجوه إخراج الأموال وإنفاقها ..
٢٤٨	رسالته عليه السلام في الغنائم ووجوه الخمس ..
٢٥٣	احتجاجه عليه السلام على الصوفية لما دخلوا عليه ..
٢٥٧	كلامه عليه السلام في خلق الإنسان وتركيبه ..
٢٥٩	حكمه عليه السلام ودرر كلامه ..
٢٦٠	في قصارى كلماته عليه السلام ..

ما روي عن أبي إبراهيم الإمام الكاظم عليه السلام

٢٨١	وصيته عليه السلام لهشام وصفته للعقل ..
٢٩٥	حكمه عليه السلام ودرر كلامه ..
٢٩٦	كلامه عليه السلام مع الرشيد ..
٢٩٩	في قصارى كلماته عليه السلام ..

ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

٣٠٥	جوابه عليه السلام للمأمون في جوامع الشريعة ..
٣١١	كلامه عليه السلام في التوحيد ..
٣١٢	كلامه عليه السلام في الاصطفاء ..
٣٢١	وصفه عليه السلام الإمامة والإمام ومنزلته ..
٣٢٥	في قصارى كلماته عليه السلام ..

ما روي عن الإمام الناصح الهادي محمد بن علي عليه السلام

- ٣٣٢ جوابه عليه السلام في محرم قتل صيداً
 ٣٣٤ جوابه عليه السلام عن مسألة ليحيى بن أكرم
 ٣٣٥ في قصارى كلماته عليه السلام

ما روي عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام

- ٣٣٧ رسالته عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض
 ٣٥١ أجوبته عليه السلام ليحيى بن أكرم عن مسائله
 ٣٦٥ في قصارى كلماته عليه السلام

ما روي عن الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام

- ٣٥٨ كتابه عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري
 ٣٦٠ في قصارى كلماته عليه السلام
 ٣٦٣ مناجاة الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام
 ٣٦٧ مناجاة الله عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام
 ٣٧٢ مواعظ المسيح عليه السلام في الإنجيل وغيره
 ٣٨٢ وصية المفضل بن عمر لجماعة الشيعة

فهرس كتاب التمحيص

٣٨٧	التمحيص والإيتلاء في كتاب الله
٣٨٩	المقدمة
٣٩٥	وبه ثقتي
٣٩٧	سرعة البلاء إلى المؤمنين
٤٠٤	تعجيل التمحيص عن المؤمنين
٤٠٩	التمحيص بالعلل والأمراض
٤١١	التمحيص بالحزن والهم
٤١٢	التمحيص بذهاب المال ومدح الفقر وأن الله اختار الآخرة للمؤمنين
٤٢٠	وجوب الأرزاق والاجمال في الطلب
٤٢٣	حسن اختيار الله للمؤمنين ونظره لهم وإن كانوا كارهين
٤٢٧	مدح الصبر وترك الشكوى واليقين والرضى بالبلوى
٤٣٤	في أخلاق المؤمنين وعلامات الموحدين
٤٤٥	فهرس تحف العقول
٤٥٠	فهرس التمحيص

